

تَفْسِيرُ

# ابن كمال باشا

تأليف الإمام

شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا الرومي الشافعي

المتوفى سنة ٩٤٠ هـ في القسطنطينية  
رحمه الله تعالى

يُطبع لأول مرة مُحقَّقاً على سِتِّ نُسَخٍ خَطِّيةٍ

تَحْفِيقٌ وَتَعْلِيلٌ

ماهر أديب جوش

المجلد الثامن

مَكْتَبَةُ كِتَابِ الْإِسْلَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَفْسِيرُ  
الْبُرُكَ كَالْبَاشِيَا

(٨)

# حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م



9 786056 774829

## الدراسات المنشورة لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الناشر

جميع الحقوق محفوظة ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال أو رفعه على شبكة الإنترنت دون إذن خطي مسبق من الناشر  
حقوق الملكية الفكرية هي حقوق خاصة شرعاً وقانوناً، وطبقاً لقرار مجمع الفقه الإسلامي في دورته الخامسة فإن حقوق التأليف والاختراع مصنوعة شرعاً، ولأصحابها حق التصرف فيها فلا يجوز الاعتداء عليها.

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced or transmitted in any form or by any means without written permission from the publisher.

İRSAD  
KITABEVİ  
SADECE ARAPÇA



مكتبة إرساد  
للطباعة والنشر والتوزيع - إسطنبول  
إيضاحاً  
محمّد محفوظ أزدوير

تركيا - إسطنبول

هاتف: 0850 480 47 73

İskenderpaşa Mah. Feyzullah Efendi Sok. No 8 Dük:1 Fatih/İSTANBUL



[www.irsad.com.tr](http://www.irsad.com.tr)  
[info@irsad.com.tr](mailto:info@irsad.com.tr)



fb.com /irsadkitabevi



@irsadkitabevi

+90 (0) 531 285 3525

قامت بعمليات التنضيد والإخراج الفني والتنفيذ الطباعي

دار اللباب

للدراسات وتحقيق التراث

تركيا - إسطنبول - الفاتح - اسكندر باشا - كوتاش - مفرق بنك الكويت  
مقابل مستشفى الفاتح - بناء رقم ٧ - ط ٥

İskenderpaşa mh. Kızıtaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları  
Tel: 0090212555551 - Mob: 00905454729850

www.allobab.com - Email: info@allobab.com



# سُورَةُ الْقَصَصِ



# سُورَةُ الْقَصَصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١-٢) - ﴿طَسَمَ ١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾.

﴿طَسَمَ ١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ أَبَانَ لَازِمٌ وَمُتَعَدٌّ؛ أَي: مُبِينٌ خَيْرُهُ وَبَرَكَتُهُ،  
أَوْ: مُبِينٌ لِمَا أُبْهِمُ <sup>(١)</sup> بَيَانُهُ.  
وَالْبَيَانُ: إِظْهَارُ الْمَعْنَى لِلنَّفْسِ بِمَا يُمَيِّزُهُ عَنْ غَيْرِهِ، مُشْتَقٌّ مِنْ: أَبْنَتُ كَذَا،  
إِذَا فَصَلْتَهُ مِنْهُ.

\*\*\*

(٣) - ﴿تَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿تَتْلُوا﴾: نَقَرَأُ ﴿عَلَيْكُمْ﴾؛ أَي: يَقْرَأُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَمْرِنَا، وَمَفْعُولُ  
﴿تَتْلُوا﴾:

﴿مِنْ نَبَأٍ﴾ النَّبَأُ: الْخَبْرُ عَمَّا هُوَ عَظِيمُ الشَّأْنِ.

﴿مُوسَى وَفِرْعَوْنَ﴾؛ أَي: نَتْلُو عَلَيْكَ بَعْضَ خَبْرِهِمَا ﴿بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾  
لَأَنَّهُمْ هُمُ الْمُتَنَفِّعُونَ بِهِ <sup>(٢)</sup>.

---

(١) فِي (ي): «بِمَا يُبْهِمُ»، وَفِي (ع): «انْمَا يُبْهِمُ».

(٢) فِي هَامِش (ف) وَ(م): «قَدْ مَرَّ فِي السُّورَةِ السَّابِقَةِ أَنَّهُ لَا حَاجَةَ إِلَى التَّأْوِيلِ فِي مِثْلِ هَذَا بِحَمَلِ  
الْمُؤْمِنِ عَلَى مَنْ يُوْمِنُ فِي عِلْمِهِ تَعَالَى، كَمَا زَعَمَ صَاحِبُ الْكَشَافِ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْهُ».

(٤) - ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِخُّ  
أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ﴾ استئناف مبينٌ لذلك البعض.

﴿عَلَا﴾: تعاظم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: مصر، وإنما عبّر عنه بما هو اسمٌ لجهة  
السُّفْل؛ إشعاراً بأنه أظهرَ ضدَّ ما يليقُ بشأنه.

﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾<sup>(١)</sup>: فِرْقًا، بأن أغرى بينهم العداوة؛ كيلا يتفقوا، فهو  
كالتمهيد لما استأنف بإخباره في قوله:

﴿يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً﴾ هم بنو إسرائيل ﴿مِنْهُمْ﴾ من الشيعة المذكورة؛ فإنهم لو  
كانوا متفقين لما تيسر له ذلك.

﴿يُدِخُّ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ بدلٌ من الاستئناف السابق، وقد تقدّم تفسيره  
في سورة الأعراف.

﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾: من زمرة المعروفين بالفساد، فلذلك اجترأ على قتل  
خَلْقٍ كثيرٍ لتخيّلٍ فاسد.

\*\*\*

(٥) - ﴿وَرِيدٌ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِيكُ اسْتَضِعُّوا فِي الْأَرْضِ وَبَجَعَلَهُمْ أَيْمَةً وَبَجَعَلَهُمُ  
الْوَرِيثَ﴾.

﴿وَرِيدٌ﴾ حكاية حالٍ ماضيةٍ معطوفة على ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا﴾ من حيث

(١) في هامش (ف) و(م): «جمع شيعة، وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب، من شاعه: إذا تبعه،  
من تفسير سورة الحجر. منه».

إِنَّهُمَا واقعان تفسيراً للنُّبَأِ، أو حالٌ مِنْ ﴿يَسْتَزِعِفُ﴾، ويجوز أن يتحقق تعلُّق الإرادة بتكوين في زمانٍ مترقَّب، وهذا لتكون نعمة المنة أوقع، وسلطان التقدير على التدبير أظهر.

﴿أَنْ تَمَنَّ﴾: نتفضَّل عليهم بإنقاذهم من بأسه.

﴿عَلَى الَّذِينَ اسْتَزِعِفُوا﴾ وإنما قال: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ مع عدم الحاجة إليه هاهنا ليشتمى جعل التعريف في ﴿الْوَرِثَةِ﴾ عوضاً عن الإضافة إليها<sup>(١)</sup>.

﴿وَنَجَعَلَهُمْ أَيْمَةً﴾: مقدِّمين في أمر الدنيا والدين.

﴿وَنَجَعَلَهُمُ الْوَرِثَةَ﴾؛ أي: يرثون الأرض المعهودة، لما كانت الورثة أقوى سبب في الاستحقاق والتملك حيث لا يُعَقَّب بفسخ ولا استرجاع، ولا يُبطل برد وإسقاط، استُعيرت لاستحقاقهم بمن الله تعالى.

\*\*\*

(٦) - ﴿وَنُتِمِّكَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيْ فِرْعَوْنَ وَهَمْلَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾.

﴿وَنُتِمِّكَنَّهُمْ﴾ أصل التمكين أن تجعل للشيء مكاناً يقعد عليه ويرقد فيه، ثم استُعير للتسليط وإطلاق الأمر.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أظهر في مقام الإضمار؛ تفخيماً لشأن تلك الأرض.

﴿وَنُرِيْ فِرْعَوْنَ وَهَمْلَانَ﴾ كان هامان وزير فرعون ومدبر ملكه، فلذلك شَرَّكُهُ في إضافة الجنود إليهما.

(١) «إليها» من (م) و(ي).

﴿وَجُنُودُهُمْ﴾: من بني إسرائيل، ويتعلق بـ ﴿وَرَى﴾ دون: ﴿يَحْذَرُونَ﴾؛ لأن الصلة لا تتقدم على الموصول.

﴿مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ من ظهور موسى عليه السلام، وأمّا ذهاب ملكهم وهلاكهم فليسا ممّا أروا هم<sup>(١)</sup>.

الحذر: التوقّي من الضرورة، وزيادة ﴿كان﴾ لبيان استمرارهم مدّة مديدة على ذلك الحذر.

\*\*\*

(٧) - ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَكَلَّمِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ قد تقدّم تفسيره في سورة طه.

﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾؛ أي: ألقمي ثديك فمه، و﴿أَنْ﴾ تفسيرية أو مصدرية.

﴿فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ﴾ من القتل، بأن يسمع الجيران صوته فينمّوا عليه.

﴿فَكَلَّمِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ قد مرّ تفصيله في سورة طه.

﴿وَلَا تَخَافِي﴾ من العرق والضياح ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ بفراقه، والإخطار به، الخوف:

همّ يلحق لمتوقع، والحزن: همّ يلحق لواقع.

﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ﴾ بوجه لطيف لتربيته ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ في هذه الآية

أمران ونهيان وخبرا بشارة.

\*\*\*

(١) في النسخ: «وأروهم» والصواب المثبت. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ٦٤). والمراد أن ذلك مماراة

بنو إسرائيل، ولم يروه هم؛ أي: قوم فرعون.

(٨) - ﴿فَالْقَظَّةُ: أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾.

﴿فَالْقَظَّةُ﴾ الفاء فصيحةٌ تُفصح عن محذوف تقديره: فَأَرْضَعْتَهُ إِلَى أَنْ خَافَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَتْهُ فِي الْيَمِّ فَالْتَقَطَهُ ﴿أَلْ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: أَخَذُوهُ، وَقَدْ وَجَدُوهُ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ، وَهُوَ مَعْنَى الِاتِّقَاطِ، وَمِنْهُ: اللَّقِيطُ وَاللُّقْطَةُ.

﴿لِيَكُونَ لَهُمْ﴾؛ أي: لِيَصِيرَ الْأَمْرُ إِلَى ذَلِكَ، لَا أَنَّهُمْ أَخَذُوهُ لَهُ، كَقَوْلِهِمْ: لِّلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الْوَالِدَةُ، وَعَنْ هَذَا سَمَّوْا هَذِهِ اللَّامَ لَامَ الْعَاقِبَةِ وَالصِّيْرُورَةِ، وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ لَامُ التَّعْلِيلِ، وَذَلِكَ أَنْ كَوْنَهُ لَهُمْ ﴿عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ لَمَّا كَانَ نَتِيجَةُ التَّقَاطُطِ لَهُ وَثَمَرَتِهِ، شَبَّهَهُ بِالِدَاعِي الَّذِي يَفْعَلُ الْفَاعِلَ لِأَجَلِهِ، وَبَعْدَ اعْتِبَارِ هَذَا التَّشْبِيهِ عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِعَارَةِ الْمَكْنِيَّةِ لَمْ يَبْقَ حَاجَةٌ إِلَى التَّجَوُّزِ فِي اللَّامِ كَمَا سَبَقَ إِلَى بَعْضِ الْأَوْهَامِ<sup>(١)</sup>.

﴿عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ وقرئ<sup>(٢)</sup>: ﴿وَحُزْنًا﴾<sup>(٣)</sup>، وَهُمَا لَغَتَانِ كَالْعَدَمِ وَالْعُدْمِ. ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا﴾ كَانَ هَامَانُ مَدَبِّرَ مَلِكِ فِرْعَوْنَ وَسَائِسَ جُنْدِهِ، فَلِذَلِكَ أَضَافَهُمَ إِلَيْهِمَا.

﴿كَانُوا خَاطِئِينَ﴾: مُذْنِبِينَ، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ رَبَّى عَدُوَّهُمْ وَمَنْ هُوَ سَبَبُ هَلَاكِهِمْ عَلَى أَيْدِيهِمْ.

أَوْ: كَانُوا خَاطِئِينَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَلَيْسَ خَطُؤُهُمْ فِي تَرْبِيَةِ عَدُوَّهُمْ بِبَدْعٍ مِنْهُمْ.

(١) مِنْ قَوْلِهِ: «وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ.....» إِلَى هُنَا، سَقَطَ مِنْ (ع) وَ(ي).

(٢) «وَقَرِئَ» مِنْ (ف).

(٣) قَرَأَ بِهَا حَمْزَةً وَالْكَسَائِي. انْظُرْ: «التَّيْسِيرُ» (ص: ١٧١).

وقرئ: ﴿خاطين﴾<sup>(١)</sup> بتخفيف: خاطين، أو: خاطين الصواب إلى الخطأ<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(٩) - ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكُ لَا نَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ﴾.

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: لفرعون حين أُخرج من التابوت: ﴿قُرْتُ عَيْنِي﴾<sup>(٣)</sup> قد مر تفسيره في سورة الفرقان.

﴿لِي وَلَكُ﴾ أي: هو قرّة عين لنا؛ لأنه لما رآياه حين أُخرج من التابوت أحبّاه، وفي الحديث أنه قال: هو لك لا لي، ولو قال: لي كما هو لك، لهداه الله تعالى كما هداها<sup>(٤)</sup>.

﴿لَا نَقْتُلُوهُ﴾ الخطاب بلفظ الجمع للتعظيم ﴿عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ فإن فيه مخايل اليمن ودلائل النفع، وذلك لما رأت بُرء البرصاء<sup>(٥)</sup> بريقه.

﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾: أو نتبناه فإنه أهل له.

(١) قراءة أبي جعفر. انظر: «النشر» (١/ ٣٩٧).

(٢) فهو من خطأ يخطو.

(٣) بعدها في (ف) و(م): «لي ولك».

(٤) ورد بنحوه ضمن خبر طويل جداً رواه النسائي في «الكبرى» (١١٢٦٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٦١٨).

(٥) في (ف) و(ك) و(م): «البرصاء برئت»، بدل: «برء البرصاء». وكلاهما صواب، والبرصاء هي بنت لفرعون لما أخرج موسى عليه السلام من التابوت عمدت إلى ريقه فلطخت به برصها فبرئت من ساعتها. كذا جاء في خبر طويل رواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤ - ٢٣٦)، وابن عساكر في «تاريخه» (٦١/ ٢٠ - ٢٢)، عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ حال، وذو حالها ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ وتقدير الكلام: فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً، وقالت امرأة فرعون كذا وكذا، وهم لا يشعرون أنهم على خطرٍ عظيمٍ في التقاطه ورجاء النفع في تبنيه، وقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ﴾ الآية، جملة اعتراضية واقعة بين المعطوفين مؤكدة لمعنى خطائهم.

وقيل: هو تمام كلام امرأة فرعون؛ أي: نتخذها ولدًا والناس لا يشعرون أنه مُلتقط، بل يظنون أنه ولدنا.

\*\*\*

(١٠) - ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِعًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْ لَا أَنْ رَٰبِطُنَا عَلٰى قَلْبِهَا لَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ معطوفٌ على محذوفٍ دلَّ عليه سياق الكلام.

﴿فَرِعًا﴾: صُفْرًا مِنَ الْعَقْلِ لِمَا ذَهَمَهَا مِنَ الْخَوْفِ وَالْحَيْرَةِ حِينَ سَمِعَتْ وَقْوَعَهُ فِي يَدِ آلِ فِرْعَوْنَ.

وقيل: مِنَ الْهَمِّ؛ لِفِرْطِ وَثُوقِهَا بِوَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلِسَمَاعِهَا أَنَّ فِرْعَوْنَ عَطَفَ عَلَيْهِ وَتَبَّنَاهُ. وَيَأْبَاهُ قَوْلُهُ: ﴿لَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ويردُّه على الثاني قوله: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيه﴾.

﴿إِنْ﴾ مخففةٌ من الثقلية؛ أي: إنها ﴿كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ﴾: لتظهر به، والضمير لموسى، والمراد: أمره، والباء صلة.

﴿لَوْ لَا أَنْ رَٰبِطُنَا عَلٰى قَلْبِهَا﴾ الربط على القلب: تقويته بإلهام الصبر والثبات.

﴿لَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: من المصدقين بوعدنا، وجواب ﴿لَوْ لَا﴾ محذوف؛ أي: لأبدته.

(١١) - ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾؛ أي: اتَّبَعِي أثره؛ أي: أثر الملتقطين له وتَّبَعِي خبره.

﴿فَبَصُرَتْ بِهِ﴾؛ أي: رَأَتْهُ، والفاء فصيحة ﴿عَنْ جُنْبٍ﴾: عَنْ بُعْدٍ ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: أَلْ فرعون لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهَا أُخْتُهُ.

\*\*\*

(١٢) - ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ

وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾.

﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ تحريم منع لا تحريم شرع؛ أي: مَنَعْنَا أَنْ يَرْضَعَ ثدياً،

والمراضع: جمع مَرْضِع، وهي المرأة التي تُرَضِع، أو جمع مَرَضِع، وهو موضع الرضاع بمعنى الثدي، وقيل: أو الرضاع، ولا يلائمه الجمع.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أَنْ رَأَتْهُ أُخْتُهُ.

﴿فَقَالَتْ﴾ أُخْتُهُ وقد دخلت دارَ فرعون بين المراضع ورَأَتْهُ لَا يَقْبَلُ ثدياً:

﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾: أُرشدكم ﴿عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ﴾ احترز بذلك<sup>(١)</sup> عن الرِّقِّ ودناءة الأصل؛

فإنهما مَّا يُحْتَرِزُ عنه في أمر الرضاع.

﴿يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ بالإرضاع وغيره ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ والنصح: إخلاصُ

العمل من شائب الفساد، وهو نقيض الغش.

روي: أَنَّ هَامَانَ لَمَّا سَمِعَهَا<sup>(٢)</sup> قال: إِنَّهَا لتعرفه وأهلَه، خذوها حتى تُخْبَرَ بحالِه.

(١) في (ك): «أخبرته بذلك احترازاً».

(٢) في النسخ: «سمعه»، والصواب المثبت.

فَقَالَتْ: إِنَّمَا أَرَدْتُ: وَهَمٌ لِلْمَلِكِ نَاصِحُونَ، فَأَمَرَهَا فِرْعَوْنُ بِأَنْ تَأْتِيَ بِمَنْ يَكْفِلُهُ، فَأَتَتْ بِأُمِّهَا وَمُوسَى عَلَى يَدِ فِرْعَوْنَ يَبْكِي وَهُوَ يَعْزُّهُ، فَلَمَّا وَجَدَ رِيحَ أُمِّهِ اسْتَأْنَسَ وَالتَّمَّ ثَدْيَهَا، فَقَالَ لَهَا: مَنْ أَنْتِ مِنْهُ، فَقَدْ أَبَى كُلُّ ثَدْيٍ إِلَّا ثَدْيِيكَ. قَالَتْ: إِنِّي امْرَأَةٌ طَيِّبَةُ الرَّيْحِ طَيِّبَةُ اللَّبَنِ، مَا أُوتِيَ بِصَبِيٍّ إِلَّا قَبِلَنِي. فَدَفَعَهُ إِلَيْهَا وَأَجْرَى عَلَيْهَا، فَرَجَعَتْ بِهِ إِلَى بَيْتِهَا مِنْ يَوْمِهَا وَهُوَ قَوْلُهُ:

(١٣) - ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بِالْمَقَامِ مَعَهُ ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ بِفِرَاقِهِ ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ عِلْمَ مَشَاهِدَةٍ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّ مَوْعِدَهُ حَقٌّ فِيرْتَابُونَ فِيهِ، فَيُشَبِّهُ التَّعْرِيفُ بِمَا فَرَطَ مِنْهَا حِينَ سَمِعَتْ بِخَبَرِ مُوسَى.

\*\*\*

(١٤) - ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَايَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: مَبْلَغُهُ الَّذِي لَا يَزِيدُ عَلَيْهِ نَشْؤُهُ، وَذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَعْصَارِ وَالْأَقَالِيمِ.

﴿وَاسْتَوَى﴾: وَاعْتَدَلَ وَتَمَّ اسْتِحْكَامُهُ.

﴿ءَايَيْنَاهُ حُكْمًا﴾: حِكْمَةً ﴿وَعِلْمًا﴾: فَقْهًا فِي الدِّينِ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ نَبِيًّا.

﴿وَكَذَلِكَ﴾: وَمِثْلَ ذَلِكَ الَّذِي فَعَلْنَا بِمُوسَى وَأُمِّهِ ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ عَلَى

إِحْسَانِهِمْ.

\*\*\*

(١٥) - ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا وَمِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَتْهُ الَّتِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّتِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾: مدينة فرعون - وهي منف<sup>(١)</sup> - بعد أن غاب عنها<sup>(٢)</sup> مدة.  
 ﴿عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ وهو وقتُ القائلة، وقيل: ما بين العشاءين، ويأباه قوله: ﴿اسْتَغْنَتْهُ بِأَلَامِيسٍ﴾.

وإنما قال: ﴿عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ﴾ لأنَّ الغفلة هي المقصودة، فصار هذا كما تقول: جئتُ على غفلة، وإن شئتَ قلت: جئتُ على حين غفلة، بخلاف ما إذا أضفت إلى ما ليس بمقصود، كما إذا قلت: جئتُ حين غروب الشمس.

قيل: لما أوتي موسى عليه السلام حكماً وعلماً، عاب ما عليه قوم فرعون، وفشا ذلك منه، فأخافوه فخافهم، فكان لا يدخل المدينة إلا خائفاً مستخفياً.

﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا وَمِنْ عَدُوِّهِ﴾ أحدهما سبطي والآخر قبطي، والإشارة إلى الحكاية، وفي عبارة العدو نوع إشارة إلى ما نقلناه آنفاً.  
 ﴿فَاسْتَغْنَتْهُ﴾: فسأله أن يُغيثه بالإعانة، ولذلك عُدِّيَ بـ (على).

﴿الَّتِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّتِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى﴾؛ أي: دَفَعَ صدره بجُمُوع كَفَّهُ

(١) بفتح الميم وسكون العين، كذا قال ياقوت، وقال الشهاب الخفاجي في «الحاشية» (٦٧/٧): بضم الميم، وفتحها وإن ذكره بعضهم لا يوثق به، والنون ساكنة، وهي ممنوعة من الصرف والمعروف فيها منوف. اهـ. وقال ياقوت: بينها وبين الفسطاط ثلاثة فراسخ، وبينها وبين عين شمس ستة فراسخ. انظر: «معجم البلدان» (٢١٣/٥).

(٢) في النسخ: «عنه»، والصواب المثبت.

﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾: فقتله، أصله: أنهى حياته، من قوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ [الحجر: ٦٦].

﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ إشارة إلى القتل الحاصل بغير قصد، وإنما جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسمّاه ظلماً لنفسه واستغفر منه؛ لأنه لم يؤذن له في القتل، وعن [ابن] جريج: ليس لنبى أن يقتل ما لم يؤمر<sup>(١)</sup>. ولا يقدر ذلك في عصمته عليه السلام؛ لكونه خطأ.

﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾: ظاهر الإضلال، ويلزمه ظهور العداوة بدون العكس.

\*\*\*

(١٦) - ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بقتله ﴿فَاغْفِرْ لِي﴾ ذنبي ﴿فَغَفَرَهُ﴾ باستغفاره ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ﴾ لذنوب المستغفرين ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم.

\*\*\*

(١٧) - ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ قسم جوابه محذوف تقديره: أقسم بإنعامك عليّ من المغفرة وغيره لا أتوبن ﴿فَلَن أَكُونَ﴾ إن عصمتني ﴿ظَهِيراً﴾: معيناً ﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾: الكافرين.

أو استعطف، كأنه قال: رب اعصمني بحق ما أنعمت عليّ من المغفرة، فلن أكون إن عصمتني ظهيراً للمجرمين.

(١) انظر: «الكشاف» (١/ ١٦٨)، وما بين معكوفتين منه.

وأراد بمظاهرة المجرمين: صحبتهُ فرعونَ وانتظامه في جملته وتكثيرُ سواده، حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد.

وقيل: أراد: أن لا أُعِينَ بعد هذا سبطياً، وكان يومئذ السبط كفّاراً، ومعنى ﴿مِنْ شِيعَتِهِ﴾: من فرقته المتعصبة له نسباً لا ديناً، قال ابنُ عباس: فلم يستثن - أي: لم يقل: إن شاء الله - فابتلي ثانياً<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١٨) - ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرُهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً﴾ من قتل القبطي ﴿يَتَرَقَّبُ﴾؛ أي: ينتظر ما يحدث بعده. ﴿فَإِذَا الَّذِي﴾ (إذا) للمفاجأة، وما بعده مبتدأ ﴿اُسْتَنْصَرُهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ يصيحه من بعيد مستغيثاً من قبطيٍّ آخر.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى﴾؛ أي: لذلك السبطي: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ بين الغواية؛ لأنك تُشَارُ مَنْ لا تطيقه.

وقيل: لأنك تسببت لقتل رجلٍ وتقاتل آخر.

\*\*\*

(١٩) - ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَّى اأَتْرِيدُ أَنْ تُقَاتِلَنِي كَمَا قَاتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنَّ تَرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تَرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلُوحِينَ﴾.

ولا يناسبه: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ﴾ لأنَّ تذكر موسى عليه السلام تسببه

(١) انظر: «الكشاف» (٣/ ٢٩٨).

لذلك المحذور باعث الإحجام لا باعث الإقدام، وإنَّما زيد (أن) للتأكيد والتقوية لمعنى الإرادة، والمقام يقتضيها؛ وذلك أنَّ إرادة البطش ليست على حقيقتها، لأنَّها لا تصلح<sup>(١)</sup> لأن تكون سبباً للخوف، بل كناية عن بسط اليد نحو المقصود بالبطش، والتي يتبعها الفعل ويرادفها إنَّما هي الإرادة البالغة إلى حدِّ العزم لا مطلق الإرادة.

﴿بِالَّذِي﴾؛ أي: بذلك القبطي الذي ﴿هُوَ عَدُوُّ لَهُمَا﴾: لموسى والسبطي.  
﴿قَالَ﴾ السُّبُطِيُّ لموسى عليه السلام وقد توهم أنه أراد أخذه لا أخذَ القبطي؛ حيث أغلظ له في القول:

﴿يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنَّ تُرِيدُ﴾؛ أي: ما تريد.  
﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا﴾ الجَبَّارُ فَعَّالٌ، مِنْ جَبَرَهُ عَلَى الْأَمْرِ بِمَعْنَى: أَجْبَرَهُ، وهو الذي يُجْبِرُ النَّاسَ عَلَى مَا يَرِيدُهُ.  
﴿فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: أرض مصر.

﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ بينَ الناس فتدفعَ التخاصمَ بالذي هي أحسن، وكان قتل القبطي بِالْأَمْسِ قد شاعَ ولكن خَفِيَ قَاتْلُهُ، فلمَّا أَفْشَى عَلَى موسى عليه السلام عَلِمَ القبطيُّ أَنَّ قَاتِلَهُ موسى، فَأَخْبَرَ مَلَأَ فِرْعَوْنَ، فَهَمُّوا بِقَتْلِهِ، فَخَرَجَ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ وهو ابن عمِّه ليخبره كما قال:

(٢٠) - ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمُوسَى إِنَّكَ أَلَمَلَايَا تَمُرُونَ بِكَ لِتَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾.

(١) في (ف): «لا يصح».

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾: يُسْرِع، صفة لـ ﴿رَجُلٌ﴾، أو حالٌ منه إذا جعل من ﴿أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ صفةً له لا صلةً لـ (جاء)؛ لأنَّ تخصيصه بها يلحقه بالمعارف.

﴿قَالَ يَمْوَسَّىٰ إِنَّكَ أَلَمَّا يَأْتِمُرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ﴾: يتشاورون بسببك، وإنما سمي التشاورُ ائتماراً؛ لأنَّ كلا من المتشاورين يأمرُ الآخرَ ويأتمرُ.

﴿فَأَخْرَجَ﴾ من المدينة ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ السلام للبيان، وليس بصلة لـ ﴿النَّاصِحِينَ﴾؛ لأنَّ معمول الصلة لا يتقدَّم على الموصول.

\*\*\*

(٢١) - ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا﴾: من المدينة ﴿خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ التعرُّضُ له في الطرق<sup>(١)</sup>، أو أن يلحقه من يطلبه.

﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: خلّصني منهم، واحفظني من لحوقهم.

\*\*\*

(٢٢) - ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاهُ مَدْيَنَ﴾ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾ التوجُّه: الإقبال على الشيء ﴿تَلَقَّاهُ﴾: قبالة ﴿مَدْيَنَ﴾ قرية شعيب عليه السلام، سُمِّيَتْ باسم مدين بن إبراهيم عليه السلام، ولم تكن في سلطان فرعون، وكان بينها وبين مصر ثمانية أيام، قال ابن عباس رضي الله عنهما: خرج ولم يكن له علمٌ بالطريق إلاَّ حسن ظنه بربه<sup>(٢)</sup>.

(١) قوله: «في الطرق» سقط من (ي).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١٨/٢٠٣).

﴿قَالَ عَسَىٰ رِفَّتْ أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾؛ أي: وَسَطَهُ وَمُعْظَمَ نَهْجِهِ، فجاءه ملكٌ فانطلق معه إلى مدين.

\*\*\*

(٢٣)- ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّكَاثِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.  
 ﴿وَلَمَّا وَرَدَ﴾: وصل ﴿مَاءَ مَدْيَنَ﴾: ماء هم الذي يستقون منه، وكان بئراً.  
 ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ﴾: فوق شفيرها ﴿أُمَّةٌ﴾: جماعة كثيرة ﴿مِّنَ النَّكَاثِ﴾ إنما قال:  
 ﴿مِّنَ النَّكَاثِ﴾ مع أن السقي لا يكون إلا منهم؛ تنزيلاً لشأنهم، كأنه قيل: كانوا  
 لئاماً لا يستحقون إلا التعبير باسم الجنس، بل هم في ذلك في درجة احتاجوا  
 إلى بيان كونهم من جنس الإنس.  
 ﴿يَسْقُونَ﴾: مواشيهم.

﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ﴾: في مكان أسفل من مكانهم.  
 ﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾: تُطَرِّدان غنمهما<sup>(١)</sup> عن الماء؛ لعجزهما عن المزاحمة مع  
 تلك الأُمَّة، ترك المفعول في ﴿يَسْقُونَ﴾ و﴿تَذُودَانِ﴾؛ لأن الغرض هو الفعل لا  
 المفعول، إذ هو يكفي في البعث على سؤال موسى عليه السلام، وما زاد على  
 المقصود يُعدُّ لُكْنَةً وفضولاً، وأمَّا البعث على الرحمة، فليس هذا موضعه، فإن  
 له قولهما: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.

(١) تحرفت في النسخ إلى: «غنمها»، والصواب المثبت. انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٨٣)، و«تفسير

القرطبي» (١٦/ ٢٥٧)، و«تفسير النسفي» (٢/ ٦٣٦) والكلام منه.

﴿قَالَ﴾ موسى عليه السلام: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾؛ أي: ما شأنكما تذودان؟ سألهما عن سبب الذود، فأجابا بما مرجعه إلى العجز عن المزاخرة، أو الاجتناب عن المخالطة.

ولمّا اتّجه أن يُقال: خِدمةُ السقي كانت للرجال، فما بالكم تباشرونها؟ تداركتا الاعتذار عنه بما تقديره: ليس لنا راعٍ وأبونا شيخٌ كبيرٌ، فحذف صدر الكلام الاستثنائي؛ لدلالة الواو الفصيحة في أوّل الباقي عليه.

﴿قَالَتَا لَا سَقْيَ﴾ غَنَمَنَا ﴿حَتَّى يُصَدَّرَ الرِّعَاءُ﴾: يصرف الرِّعاء مواشيهم عن الماء.

وقرئ: ﴿يُصَدَّرُ﴾<sup>(١)</sup>؛ أي: يَنْصَرَفُ.

و﴿الرِّعَاءُ﴾: جمع راعٍ، وقرئ: ﴿الرِّعاء﴾ بضمّ الراء<sup>(٢)</sup>، وهو اسمُ جمعٍ كالرُّخال<sup>(٣)</sup>.

﴿وَأَبُونَا﴾ عطف على محذوف بيناه أنفأ ﴿شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ في السَّنِّ لا يَقْدِرُ على السَّقْيِ والرَّعْيِ.

\*\*\*

(١) قرأ بها ابن عامر وأبو عمرو. انظر: «التيسير» (ص: ١٧١).

(٢) انظر: «مختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٢)، ونسبها لبعضهم.

(٣) في (ف) و(ك) و(م): «كالرضاء»، والمثبت من (ع) و(ي)، وهو الصواب. انظر: «الكشاف» (٤٠١/٣)، و«تفسير البيضاوي» (١٧٥/٤). والرخال بضمّ الراء المهملة والخاء المعجمة وفي آخره لام: جمع رَخِلة ورَخِلة بكسر الراء، وهي الأنثى من أولاد الضأن. انظر: «حاشية الشهاب» (٦٩/٧).

(٢٤) - ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾: فسقى غنمهما لأجلهما رغبةً في المعروف وإغاثةً للملهوف، روي أنه كانت هناك بئر أخرى عليها صخرة، فأقلعها وحده واستقى منها.

﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾: إلى ظل الشجرة.

﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ يحتاج إلى الطعام.

قيل: كان لم يذُق طعاماً سبعة أيام، وقد لصق ظهره ببطنه، قد كان يكفيه: ربّ إنّي فقيرٌ، إلا أنه قدّم بيان سبب حاجته؛ تمهيداً للاعتذار عمّا ارتكبه من مخالفة المعتاد بالخروج إلى السفر البعيد بلا زاد، ومراده من النازلة المذكورة ما ابتلاه الله من قتله القبطي، فإنه كان سبباً لهربه من مصر بلا تداركٍ لعدو السفر، وإنّما بيّنه بقوله: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾؛ دفعاً لِمَا يترأى؛ من ظاهره التشكي، وإنّما جزم بكونه خيراً لعلّمه بأنّ الخير ما اختاره الله تعالى.

\*\*\*

(٢٥) - ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ ابْنِي يَدْعُوكَ لِجَزْيِكَ أَجْرَ

مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا﴾ الفاء فصيحة، روي أنّهما لمّا رجعا إلى أبيهما قبل الناس، قال

لهما: ما أعجلكما؟! قالتا: وجدنا رجلاً صالحاً رَحِمَنَا فسقى لنا، فقال لإحدهما:

اذهبي فادعيه لي.

﴿تَمْشِي عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ﴾؛ أي: مستحية.

﴿قَالَتْ إِنَّكِ ابْنِي يَدْعُوكَ لِجَزْيِكَ﴾: ليكافئك ﴿أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾: جزاء سقيك

لنا، روي أَنَّها لما قالت: ﴿يَجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ كَرِهَ ذلك، وإنَّما أجابها لئلا يخيَّب قصدها؛ لأنَّ للقاصد حرمةً.

ولمَّا وضع شعيبٌ عليه السلام الطعامَ بين يديه امتنع، فقال شعيب عليه السلام: أَلَسْتَ جائعاً؟ فقال: بلى، ولكن أخاف أن يكون عَوْضاً ممَّا سَقَيْتُ لهما، وإنَّا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا، ولا نأخذُ على المعروف ثمناً، فقال شعيب: هذه عادتنا مع كلِّ مَنْ ينزل بنا، فأكل.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُ﴾ الفاءُ فصيحةٌ، أي: أجابها موسى عليه السلام، فلمَّا جاءَ أباهما ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ القصصُ مصدرٌ كالْعَلَّلِ <sup>(١)</sup> سُمِّيَ به المقصوص. ﴿قَالَ﴾ له: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ إذ لا سلطانَ لفرعونَ بأرضنا.

\*\*\*

(٢٦) - ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيَنَّكَ اسْتَعِجْرُهُ إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾.

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا﴾ يعني: التي استدعته: ﴿يَأْتِيَنَّكَ اسْتَعِجْرُهُ﴾ لرعي الغنم ﴿إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾: تعليلٌ جامع يجري مجرى الدليل على أَنَّهُ حَقِيقٌ بالاستتجار، وللمبالغة فيه جُعِلَ ﴿خَيْرٌ﴾ اسماً لـ ﴿إِنَّكَ﴾، ودُكِرَ الفعلُ بلفظ الماضي؛ للدلالة على أَنَّهُ مجرَّبٌ معروفٌ.

روي أَنَّ شعيباً عليه السلام قال لها: وما عِلْمُكَ بقوَّته وأمانته؟ فذكرت إقلالَ الحجرِ، وأَنَّهُ صَوَّبَ رأسه حتى بلغته، وأمرها بالمشي خلفه <sup>(٢)</sup>.

(١) مصدرٌ علٌّ، وهو يأتي بمعنى: الشرب ثانياً، أو الشرب بعد الشرب تبعاً. انظر: «القاموس» (مادة: علل).

(٢) رواه مطولاً الطبري في «تفسيره» (٢٢٥ / ١٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: (... وأما =

(٢٧) - ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ﴾: أزوَّجك ﴿إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ لا دلالة فيه على أنه كانت له غيرهما، إذ يكفي في الحاجة إلى الإشارة عدم علم المخاطب بأنه كانت له غيرهما.

﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي﴾: تكون أجيراً لي، من أجَرْتُهُ: إذا كنت له أجيراً.

﴿ثَمَنِي حَبِجٌ﴾ ظرف، والحِجَّة: السَّنة؛ لأنَّ في كُلِّ سَنَةٍ حِجَّةٌ، فسَمَّوا بها لتضمُّنها إياها تعظيماً لها، والمعنى: على أن تجعل أجري إياك على تزويج ابنتي رعي ماشيتي ثماني سنين، والتزويج على رعي الغنم جائز في شريعتنا أيضاً.

﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا﴾؛ أي: عَمَلَ عَشْرَ حَبِجٍ<sup>(١)</sup> ﴿فَمِنْ عِنْدِكَ﴾؛ أي: فذلك تفضُّل منك ليس بواجب عليك، أو: فإتمامه من عندك، ولا أحتمه عليك، ولكن<sup>(٢)</sup> إن فعلته فهو منك تفضُّل وتبرُّع.

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾: بالزام أتم الأجلين، أو المناقشة في مراعاة الأوقات واستيفاء الأعمال، وحقيقة: شقَّ عليه الأمر: أنه إذا تعاظمك فكأنه<sup>(٣)</sup> شقَّ عليك ظنك باثنين، تقول تارة: أطيعه، وطوراً: لا أطيعه.

= أمانته، فإنه نظر حين أقبلت إليه وشخصت له، فلما علم أنني امرأة صوب رأسه فلم يرفعه، ولم ينظر إلي حتى بلغته رسالتك...

(١) في (ف): «سنين».

(٢) في (ك) و(م): «ولكنه».

(٣) في (م): «فإنه».

﴿سَجِدْتَ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ في حُسن المعاملة والوفاء بالعهد، ويجوز أن يُراد الصلاح على العموم، ويدخل تحت حُسن المعاملة، والمراد باشتراط مشيئة الله تعالى فيما وعد من الصلاح: الاتكأل على توفيقه تعالى فيه ومعونته.

\*\*\*

(٢٨) - ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.

﴿قَالَ﴾ موسى عليه السلام: ﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ، وهو إشارة إلى ما عاهده عليه شعيب عليه السلام، والخبر: ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾، يعني: ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائمٌ بيننا جميعاً لا يخرج كلانا عنه؛ لا أنا عمّا شرطتُ، ولا أنت عمّا شرطتَ على نفسك، ثم قال:

﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ﴾، (أي): نصب بـ ﴿قَضَيْتَ﴾، و(ما) زائدة مؤكدة لإبهام (أي) وهي شرطية، وجوابها:

﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾؛ أي: لا تعتدي عليّ في طلب الزيادة، قال المبرّد: قد علم أنه لا عدوان عليه في أتمهما، ولكن جمعهما ليجعل الأقل كالأتم في الوفاء، كما أن طلب الزيادة على الأتم عدوان، فكذا طلب الزيادة على الأقل<sup>(١)</sup>.

﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾ من المشاركة ﴿وَكِيلٌ﴾ هو مَنْ وَكَّلَ إليه الأمر، وعُدِّي بـ ﴿عَلَيَّ﴾ لأنه استعمل في موضع الشاهد والرقيب.

\*\*\*

(٢٩) - ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝﴾.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾ قال عليه السلام: قضى أوفاهما، وتزوج صغراهما<sup>(١)</sup>.

﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾: بامرأته نحو مصر ﴿آنَسَ﴾ مرّ تفسيره.

﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾: من الجهة التي تلي الطور ﴿نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾: البُثُوا مكانكم ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ مرّ تفسيره.

﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ بفتح الجيم وكسرهما وضمهما: قطعة غليظة من الحطب كانت رأسه ناراً أو لم تكن، ولذلك بيّنه بقوله:

﴿مِنْ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ مرّ تفسيره.

\*\*\*

(٣٠) - ﴿فَلَمَّا آتَتْهَا نُورُودٌ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝﴾.

﴿فَلَمَّا آتَتْهَا نُورُودٌ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ أتاه النداء من الشاطئ الأيمن لموسى عليه السلام ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ﴾ بتكليم الله تعالى فيها، متّصل بالشاطئ، أو صلة لـ ﴿نُورُودٌ﴾.

(١) انظر: «الكشاف» (٤٠٧/٣). قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٢٦): أخرجه الطبراني [في

«الأوسط» (٥٤٣٠)] والبخاري [في «مسنده» (٣٩٦٤)] من طريق عويد بن أبي عمران الجوني عن أبيه

عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر: أن النبي ﷺ سئل: أيّ الأجلين قضى موسى؟ قال: «أوفاهما

وأبرهما»، قال: وسئل: أيّ المرأتين تزوج؟ قال: «الصغرى منهما»، وعويد ضعيف، ثم ذكر عن ابن

مردويه نحوه من حديث أبي هريرة رفعه وقال: وفي إسناده سليمان الشاذكوني وهو ضعيف.

﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ بدل من الشاطئ بدل الاشتمال؛ لأنها كانت نابتة على الشاطئ.  
 ﴿أَنْ يَمُوتَ﴾ (أن) مفسرة أو مخففة من الثقيلة.

﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا يوافق ما في سورة طه والنمل في المقصود، وإن خالفه في اللفظ، لما دنا من النار شملته أنوار القدس وأحاطت به جلايب الأنس، فخطب بالطف خطاب، واستدعى منه أحسن جواب، فصار بذلك مكلماً شريفاً أعطي ما سأل، وأمن ممّا خاف منه<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(٣١) - ﴿وَأَنْ أَلْقِي عَصَاكَ فَلَمَّارََهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَرَّ يُعَقِّبُ يَمُوتُ أَقِيلٌ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾.

﴿وَأَنْ أَلْقِي عَصَاكَ﴾: وتؤدي أن ألق عصاك، فألقاها فقلبها الله تعالى ثعباناً.  
 ﴿فَلَمَّارََهَا﴾ الفاء فصيحة ﴿تَهْتَزُّ﴾ الاهتزاز: شدة الاضطراب في الحركة  
 ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَرَّ يُعَقِّبُ﴾ مرّ تفسيره.  
 ﴿يَمُوتُ أَقِيلٌ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ عن المخاوف.

\*\*\*

(٣٢) - ﴿أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْمِ فَذَلِكَ مُرْسَلَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾.  
 ﴿أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ قال في سورة النمل: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ [الآية: ١٢] عطفاً على قوله: ﴿أَلْقِ﴾، وترك العطف هنا؛ كيلا يذهب الوهم إلى عطفه على ﴿أَقِيلٌ﴾.

(١) «منه» من (ي).

﴿تَخْرُجُ بَيضًا مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾ مرّ تفسيره.

﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ أريدَ بضمّ الجناح إليه تجلّده وضبطه نفسه عند خروج يده بيضاء حتى لا يتحرّز ولا يضطرب من الخوف، استعارة من هيئة الطائر؛ فإنه إذا خاف نشرَ جناحيه وأرأخاهما، وإلا فجنّاحاه مضمومان إليه مشمّران، فهذا القول هنا بمنزلة قوله: ﴿وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ [القصص: ٣١] فيما تقدّم.

﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾: من أجل الرّهب، جعل الرّهب الذي كان يصيبه سبباً وعلّة فيما أمر به من ضمّ جناحه إليه، والرهب: الخوف مع تحرّز واضطراب.

﴿فَذَلَّكَ﴾ مخفّفاً مثني (ذاك)، ومشدّداً مثني (ذلك) <sup>(١)</sup>، وإحدى النونين عوض من اللام المحذوفة، والمراد: اليد والعصا.

﴿بُرْهَانَيْنِ﴾: حجتان نيّرتان، وبرهانان فعّالان؛ لقولهم: أبرّه الرجل، إذا جاء بالبرهان، أو: من قولهم: برّه الرجل: إذا ابيضّ، وقيل: فعّال، من قولهم: برهن.

﴿مِنَ زَيْكٍ﴾ مرسلأ بهما ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿فَكَانُوا أَحْقَاءَ بَأْنٍ يَرْسَلُ إِلَيْهِمْ﴾.

\*\*\*

(٣٣) - ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ بها.

\*\*\*

(١) بالتشديد قراءة أبي عمرو وابن كثير، وباقي السبعة بالتخفيف. انظر: «التيسير» (ص: ١٧١).

(٣٤) - ﴿وَإِخَى هَكَرُوثٌ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١﴾.

﴿وَإِخَى هَكَرُوثٌ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ الرَّدءُ: العَوْنُ الذي يَدْفَعُ الشَّرَّ عَنْ صَاحِبِهِ ﴿يُصَدِّقُنِي﴾؛ أي: رِدْءًا مُصَدِّقًا<sup>(١)</sup>، وقرئ بالجزم<sup>(٢)</sup> جواباً لـ (أَرْسَلَهُ).

ومعنى تصديقه موسى عليه السلام: إعانته إياه بزيادة البيان في مظان الجدل إن احتاج لثبوت دعواه.

﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ تعليلٌ يقوم مقام الجواب المحذوف على قراءة ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ بالرفع.

\*\*\*

(٣٥) - ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتَا وَمِنْ أَتْبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾.

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾: سنقويك بأخيك، إذ اليد تشتدُّ بشدة العضد؛ لأنه قِوَامُ اليد، والجملة تقوى بشدة اليد على مزاوله الأمور.

﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾: غلبةً وتسلطاً أو حجةً ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ باستيلاء أو حجاج.

﴿بِآيَاتِنَا﴾ متعلق بـ ﴿يَصِلُونَ﴾؛ أي: لا يصلون إليكما بسبب آياتنا، وتم الكلام، أو بـ ﴿نَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾؛ أي: تسليطاً بآياتنا، أو بمحذوف؛ أي: اذهبا

(١) في (م) زيادة: «بها».

(٢) قرأ بالرفع عاصم وحزمة، وباقي السبعة بالجزم. انظر: «التيسير» (ص: ١٧١).

بآياتنا، أو قَسَمُ جوابه محذوف، وهو: لا يصلون، حُذِفَ لدلالة ما قبله عليه.  
أو هو بيان لـ ﴿الْغَالِبُونَ﴾ في قوله: ﴿أَنْتُمْ وَمَنْ أَتَبَعَكُمْ أَلْغَلِبُونَ﴾ لا صلة له،  
بل للذي بينه وهو الغالبون المقدر، أو صلة له على أن اللام فيه للتعريف لا بمعنى  
(الذي)؛ لا متناع تقدّم الصلة على الموصول، ومعمول<sup>(١)</sup> الصلة في حكمها.

\*\*\*

(٣٦) - ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٍ وَمَا سَمِعْنَا  
بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ﴾: واضحات ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٍ﴾  
تختلقه لم يفعل من قبل مثله، أو: سحرٌ عمله ثم تفتريه على الله، أو: سحرٌ  
موصوفٌ بالافتراء كسائر أنواع السحر.

﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ يعنون السحر، أو ادّعاء النبوة.

﴿فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ حال منصوبة عن (هذا)؛ أي: كائنات<sup>(٢)</sup> في زمانهم، يعني:  
ما حدثنا بكونه فيهم.

\*\*\*

(٣٧) - ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ  
إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ﴾: فيعلم أنه محقٌّ وأنتم مبطلون،

(١) في (ف) و(ك) و(م): «وموضعه معمول». ولم أجد وجهاً لإقحام كلمة «موضعه».

(٢) في (ف): «كائنات».

وقرئ بغير واو<sup>(١)</sup>؛ لأنه قال جواباً لمقالهم، ووجه العطف: أن المراد حكاية القولين؛ ليوافق الناظر بينهما، فيختبر صحيحهما من الفاسد.

﴿وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَقَبَةُ الدَّارِ﴾: العاقبة المحموده، فإن المراد بالدار الدنيا، وعاقبتها الأصلية هي الجنة؛ لأنها خلقت مجازاً إلى الآخرة، والمقصود منها بالذات هو الثواب، والعقاب وإنما قصد بالعرض.

﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى، والإتيان بصيغة الجمع للإيدان بأن جمعهم لا يعني.

\*\*\*

(٣٨) - ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتْلُوا آيَاتِهَا أَلَمْ آتِكُمْ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرٌ فَأَوْقِلْ يَهْمَنُ عَلَى الظِّلِينَ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتْلُوا آيَاتِهَا أَلَمْ آتِكُمْ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرٌ﴾ نفى علمه بإله غيره دون وجوده، إذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم به.

ولما كان الظاهر من نفي العلم في مقام يقتضي نفي الوجود على تقدير ثبوته عند اشتباه الحال، فرّع عليه الأمر ببنائه الصرح ليصعد عليه ويطلع على حقيقة الحال بقوله:

﴿فَأَوْقِلْ يَهْمَنُ عَلَى الظِّلِينَ﴾ قيل: أول من اتخذ الأجر فرعون، ولذلك أمر باتّخاذها على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظم، ولذلك نادى هامان باسمه بـ ﴿يا﴾ في وسط الكلام بما يؤمر به السوقة.

(١) قرأ بها ابن كثير. انظر: «التيسير» (ص: ١٧١).

﴿فَجَعَلْنِي صَرْحًا﴾ الصَّرح: البناء العالى الظاهر، ومنه: التصريح؛ لشدة ظهور المعنى.

﴿لَمَكِّي أَطْلُعْ﴾ الطُّلوع والاطِّلاع: الصعود، وتعديته بـ (إلى)، وأمّا تعديته بـ (على) فباعتبار تضمّنه معنى الإشراف.

﴿إِلَّا إِلَهُ مُوسَى﴾ حَسِبَ أَنَّهُ فِي مَكَانٍ كَمَا كَانَ هُوَ فِيهِ.

﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ في دعواهُ أَنَّ لَهُ إِلَهًا، وَأَنَّهُ أَرْسَلَهُ إِلَيْنَا رَسُولًا، وَالظَّنُّ هُنَا لَيْسَ بِمَعْنَاهُ الْمَتَعَارِفُ الْمَصْطَلَحُ، وَهُوَ الْاِعْتِقَادُ الرَّاجِحُ، بَلْ بِمَعْنَاهُ اللَّغْوِيُّ؛ وَهُوَ مَا لَا يَكُونُ جَازِمًا، سَوَاءً كَانَ رَاجِحًا أَوْ مَرْجُوحًا أَوْ مَسَاوِيًا.

\*\*\*

(٣٩) - ﴿وَأَسْتَكْبَرَهُوْ وَجُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوْا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَأَسْتَكْبَرَهُوْ وَجُودُهُ﴾؛ أَي: تَعَاظَمُوا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: أَرْضِ مِصْرَ ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: بِالْبَاطِلِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ، فَإِنَّ الْاِسْتِكْبَارَ بِالْحَقِّ لِلَّهِ تَعَالَى. ﴿وَظَنُّوْا﴾ عَبَّرَ عَنْ اِعْتِقَادِهِمْ وَإِنْ كَانَ جَازِمًا بِالظَّنِّ تَحْقِيرًا لَهُ.

﴿أَنَّهُمْ إِلَيْنَا﴾: إِلَى حِسَابِنَا وَجَزَائِنَا ﴿لَا يُرْجَعُونَ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَيْسَ هَذَا بِعَذْرِ لَهُمْ، بَلْ ذَمٌّ لَهُمْ بِالْجَهْلِ وَتَرْكِ التَّأَمُّلِ فِي الْآيَاتِ حَتَّى يَعْلَمُوا.

\*\*\*

(٤٠) - ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ ﴾ أَخَذَ عقوبة ﴿ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي آيَةٍ ﴾ من الكلام الفخم <sup>(١)</sup> الذي دلَّ به على عِظَمِ شأنه، شَبَّهَهُم استقلاًّ بعددهم وإن كانوا الجَمَّ الغفير بحصيات أخذهنَّ آخِذٌ <sup>(٢)</sup> بكفه فطرحهنَّ في البحر.

﴿ فَأَنْظُرْ ﴾ يا محمد ﴿ كَيْفَ كَانَتْ عَنِيبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ وحذر قومك عن مثلها.

\*\*\*

(٤١) - ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى الْتَارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنْصَرُونَ ﴾ .

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً ﴾ : قدوة للضلال بالحمل على الإضلال.

﴿ يَدْعُونَ إِلَى الْتَارِ ﴾ : إلى مُوجِبِها من الكفر والمعاصي.

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنْصَرُونَ ﴾ بدفع العذاب عنهم.

\*\*\*

(٤٢) - ﴿ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ .

﴿ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ﴾ : طرداً عن الرحمة، أو لعنَ اللاعنين، تلعنهم الملائكة والمؤمنون.

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ : المطرودين، أو ممَّن قُبِحَ بسوادِ الوجوه وزُرُقَةِ العيون، و(يوم) ظرف لـ ﴿ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ .

\*\*\*

(١) في (ف) و(ك) و(م): «المفخم».

(٢) في (ك): «أخذ».

(٤٣) - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التوراة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾  
قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام.

﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾: حال من الكتاب، والبصيرة: نور القلب الذي يُبصر به  
الرشد، كما أن البصر نور العين الذي يُبصر به، يريد: آتينا التوراة أنواراً للقلوب؛  
لأنها كانت عمياء لا تستبصر ولا تعرف حقاً من باطل.

﴿وَهُدًى﴾ وإرشاداً إلى الشرائع التي هي على سبيل الحق ﴿وَرَحْمَةً﴾ لأنهم  
لو عملوا بها نالوا رحمة الله تعالى ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: ليكونوا على حالٍ يُرجى  
منهم التذكُّر.

\*\*\*

(٤٤) - ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.  
﴿وَمَا كُنْتَ﴾ يا محمد ﴿بِجَانِبِ الْجَبَلِ الْغَرْبِيِّ﴾ وهو الذي وقع فيه ميقات  
موسى عليه السلام، فإنه كان في شقَّ الغرب من مقامه، أو: الجانب الغربي منه  
على أنه من قبيل إضافة الشيء إلى صفته، كقوله: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠٩].  
﴿إِذْ قَضَيْنَا﴾: أوحينا ﴿إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ﴾ الذي أَرَدْنَا تعريفه.

﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ للوحي إليه، أو: على الوحي عليه، وهم نقباؤه  
السبعون المختارون للميقات، والمراد: الدلالة على أن إخباره عن ذلك من  
قبيل الإخبار عن المغيبات التي لا تُعرف إلا بالوحي، ولذلك استدرك عنه  
بقوله:

(٤٥) - ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾.

﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾؛ أي: ولكننا أوحينا إليك لأننا أنشأنا قروناً مختلفة بعد موسى، فتطاول الأمد، فحُرِّفَت الأخبار، وتغيَّرت الشرائع، واندرست العلوم، فحُذِفَ المستدرك وأُقيم سببه مقامه متضمناً لدفع ما عسى أن يخطر بالبال من احتمال أن يكون إخباره عليه السلام عن ذلك بطريق الأخذ من أفواه الرجال.

﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا﴾: مُقِيمًا ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾: شعيب عليه السلام والمؤمنين معه.

﴿تَتْلُوا﴾: تَقْرَأُ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ تَعْلَمُ مِنْهُمْ ﴿ءَايَاتِنَا﴾ التي فيها قصّة شعيب عليه السلام وقومه، و﴿تَتْلُوا﴾ في موضع نصب، خبر ثانٍ، أو حال من الضمير في ﴿ثَاوِيًا﴾.

﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ إِيَّاكَ، ومُخْبِرِينَ لَكَ بِهَا.

\*\*\*

(٤٦) - ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَأْثَلُهُمْ مِنْ تَذِيرِنَا قَبْلَكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ موسى أن خذ الكتاب بقوة.

﴿وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ﴾؛ أي: ولكن عَرَفْنَاكَ ذَلِكَ رَحْمَةً مِنَّا إظهاراً لنبوّتك، وقرئت بالرفع<sup>(١)</sup>، على: هذه رحمة.

(١) نسبت لأبي حيوة. انظر: «مختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٣).

﴿لَنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: لوقوعهم في فترة بينك وبين خالد ابن سنان القيسي عليه السلام<sup>(١)</sup> ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يَتَعَطُونَ.

\*\*\*

(٤٧) - ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ﴾: عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر والمعاصي، ولَمَّا كان أكثرُ الأعمالِ تراوُلُ بالأيدي، نُسبتُ الأعمالُ إليها وإن كان من أعمال القلوب؛ تغليباً للأكثر على الأقل.

﴿فَيَقُولُوا﴾ عند العذاب: ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾.

(لولا) الأولى امتناعية، وجوابها محذوف، والثانية تحضيضية، والفاء الأولى

(١) كذا جزم المؤلف به، وفيه نظر، فقد ورد ذكره نبوته في حديث ضعيف رواه البزار (٢٣٦١ - كشف)، والطبراني في «الكبير» (١٢٢٥٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو مع ضعفه مخالف لما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه أن النبي ﷺ قال في عيسى: «ليس بيني وبينه نبي»، رواه البخاري (٣٤٤٢)، ومسلم (٢٣٦٥). وقال الألويسي في «روح المعاني» (١٢٨/٢١): وأما العرب غير المعاصرين للنبي ﷺ فلم يأتهم من عهد إسماعيل عليه السلام نبي منهم، بل لم يرسل إليهم نبي مطلقاً، وموسى وعيسى وغيرهما من أنبياء بني إسرائيل عليهم الصلاة والسلام لم يبعثوا إليهم على الأظهر، وخالد بن سنان العبسي عند الأكثرين ليس بنبي، وخبر ورود بنت له عجوز على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لها: «مرحبا بابنة نبي ضيعه قومه» ونحوه من الأخبار مما للحفاظ فيه مقال لا يصلح معه للاستدلال، وفي شروح «الشفاء» و«الإصابة» للحافظ ابن حجر بعض الكلام في ذلك). قلت: والحديث الذي ذكره من مجيء ابنته إلى النبي ﷺ قد قدمنا في أول التعليق تخريجه وتضعيفه.

للعطف، والثانية جوابٌ (لولا)؛ لكونها في حكم الأمر، إذ الأمرُ باعثٌ على الفعل، والباعث والمخصَّص من وادٍ واحدٍ، والفاء تدخل في جواب الأمر، والمعنى: لولا قولهم إذا أصابَتْهم عقوبَتُهُمْ<sup>(١)</sup> بسبب كفرهم ومعاصيهم: ربَّنَا هَلَّا أُرْسِلْتَ إلينا رسولاً يبلِّغنا آياتَكَ فَتَتَّبِعَهَا ونكونَ مِنَ المصدقين، ما أُرسلناك؛ أي: إنَّما أُرسلناك قطعاً لعذرهم وإلزاماً للحُجَّةِ عليهم.

فإن قلت: كيف استقامَ هذا المعنى، وقد جعلت العقوبةُ هي السببُ في الإرسالِ لا القولُ لدخول<sup>(٢)</sup> (لولا) الامتناعيةَ عليها دونه؟

قلت: القول هو المقصود بأن يكون سبباً للإرسال، والعقوبة لما كانت سبباً للقول وكان وجوده بوجودها، جُعِلت العقوبةُ كأنَّها سببُ الإرسال، فأدخلت عليها (لولا)، وجيءَ بالقول معطوفاً عليها بالفاء المعطية معنى السببية المنبِّهة على أنَّ القول هو المقصودُ بأن يكون سبباً بانتفاء ما يُجاب به، وأنَّه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة.

﴿فَتَنَبَّعَ آيَاتِكَ﴾ أراد بالآياتِ: المعجزاتِ، وباتِّباعها: العملَ بموجبِ دلالتها، فقولُه:

﴿وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: مِنَ المصدقين برسلك كالتفصيل له.

\*\*\*

(٤٨) - ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْفَىٰ مِثْلَ مَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ أَوَّلَمَ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾.

(١) في (م): «عقوبة».

(٢) في (ك): «بدخول».

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾؛ أي: القرآن، أو الرسول المصدق بالكتاب المعجز ﴿قَالُوا لَوْلَا آؤُفٌ﴾: هلاً أعطى ﴿مِثْلَ مَا آؤُفٌ مُوسَى﴾ من الكتاب المنزل جملةً واحدة، أو من الآيات كاليد والعصا.

﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا﴾ يعني: أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم، وعنادهم عنادهم، وهم الكفرة في زمن موسى عليه السلام ﴿يَمَّا آؤُفٌ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل هذا القول.

﴿قَالُوا سَاحِرَانِ﴾ يعني: موسى ومحمد عليهما السلام ﴿تَظَاهَرَا﴾ تعاونا بإظهار تلك الخوارق، أو بتوافق الكتابين، وقرئ: ﴿سِحْرَانِ﴾<sup>(١)</sup>؛ أي: التوراة والقرآن، وإسناد تظاهرها إليهما دلالة على سبب الإعجاز.

﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾؛ أي: بكل منهما، أو: بكل الأنبياء عليهم السلام.

\*\*\*

(٤٩) - ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾؛ أي: فإذا كذبتُم يا معشر العرب بهذين الكتابين، فأتوا بكتاب من عند الله ﴿هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا﴾ ممَّا أنزل على موسى وعلي<sup>(٢)</sup>، وإضمارهما لدلالة المعنى.

﴿أَتَّبِعُهُ﴾ جواب ﴿فَأْتُوا﴾.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنَّهما سحران مختلفان لا هداية فيهما، وهذا من الشروط التي يُراد بها الإلزام والتبكي، وفي مجيء حرف الشك نوع تهكم بهم.

(١) قرأ بها عاصم وحزمة والكسائي، وباقي السبعة: ﴿ساحران﴾. انظر: «التيسير» (ص: ١٧٢).

(٢) في (ف): «على موسى ومحمد عليهما السلام».

(٥٠) - ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَغْيِرْهُدَى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ دعاءك؛ أي: الإتيان بالكتاب الأهدى، فحذف المفعول للعلم به، وهذا الحذف شائع عند ذكر الداعي، وتعديته إليه باللام، وإلى الدعاء بنفسه، وأما قول الشاعر:

فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبٌ<sup>(١)</sup>

فمعناه: فلم يستجب دعاءه، على حذف المضاف، فلا تعدية فيه إلى الداعي.

﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ إذ لو اتبعوا حُجَّةً لَاتَّوَابُوا بها.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾: استفهامٌ بمعنى النفي.

﴿يَغْيِرْهُدَى مِنَ اللَّهِ﴾ في موضع الحال؛ للتأكيد أو للتقييد؛ لأنَّ هوى النفس قد يوافق الحق.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم.

\*\*\*

(٥١) - ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ التوصل: تكثير الوصل وتكرره، يعني أنَّ القرآن أتاهاهم متتابعاً في الإنزال ليتَّصل التذكُّر، أو في النظم لتتقرَّر الدَّعوة بالحجَّة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر.

(١) البيت لكعب بن سعد الغنوي، وهو في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/٦٧ و ١١٢ و ٢٤٥ و ٣٢٦)

و(٢/١٠٧)، و«الحماسة البصرية» (١/٢٣٤)، و«خزانة الأدب» (١٠/٤٣٦)، وصدره:

وداع دعا يا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى

﴿لَعَلَّهُمْ يَنْذَكُرُونَ﴾ فيفلحوا.

\*\*\*

(٥٢) - ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾: من قَبْلُ القرآن، وخبر ﴿الَّذِينَ﴾: ﴿هُمْ بِهِ﴾: بالقرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ نزلت في مؤمني أهل الكتاب.

\*\*\*

(٥٣) - ﴿وَإِذْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْإِيمَانَ إِنَّهُمْ لَأَبْرَارٌ﴾.

﴿وَإِذْ آتَيْنَا﴾ القرآن ﴿عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾؛ أي: بأنه كلام الله تعالى ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا﴾: استئناف لبيان ما أوجبنا إيمانهم به.

﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ﴾: من قَبْلُ نزول القرآن ﴿مُسْلِمِينَ﴾: كائنين على دين الإسلام، مؤمنين بمحمد عليه الصلاة والسلام.

وقوله: ﴿إِنَّهُ﴾ تعليل للإيمان به، لأن كونه حقاً من الله، حقيق بأن يؤمن به، وقوله: ﴿إِنَّا﴾ بيان لقوله: آمنا؛ لأنه يحتمل أن يكون إيماناً قريب العهد وبعيده، فأخبروا أن إيمانهم به متقادماً.

\*\*\*

(٥٤) - ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ مرة على إيمانهم بكتابهم، ومرة على إيمانهم بالقرآن.

﴿يَمَاصِرُوا﴾: بصبرهم على الإيمان بالقرآن قَبْلَ نزوله وبعد نزوله، أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب.

﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ يدفعون بالطاعة المعصية؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «أَتَبِعَ الْحَسَنَةَ السَّيِّئَةَ تَمَحُّهَا»<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَمَّارَقْنَهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ في سبيل الخير.

\*\*\*

(٥٥) - ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَهْلِيلِينَ﴾.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ تَكْرُماً ﴿وَقَالُوا﴾ لِلْأَغْيَنِ: ﴿لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ متاركة لهم وتوديعاً، ودعاء لهم بالسلامة عما هم فيه. ﴿لَا نَبْنِئُ الْجَهْلِيلِينَ﴾: لا نطلب صحبتهم ولا نريدها.

\*\*\*

(٥٦) - ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾. ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾: لا تقدر على أن تنور قلب من أحببت بنور الهداية، فإنك شفيع الجناية لا شريك الهداية.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ لقد أصاب كل من عبارتي الحب والمشية محزها.

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢١٩٨٨)، من حديث معاذ رضي الله عنه.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾: بالمستعدين لذلك، قال الزجاج: أجمع المفسرون على أنها نزلت في أبي طالب وإن كانت الصيغة عامة<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(٥٧) - ﴿وَقَالُوا إِن نَّبِيعَ الْهُدَى مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا أَمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا إِن نَّبِيعَ الْهُدَى مَعَكَ﴾؛ أي: وقالوا: يا محمد، إن نبي الهدى فنكون معك، أو نبي الهدى الذي معك، وهو القرآن.

﴿نُنْخِطِفُ﴾: التخطف: الاستلاب بسرعة.

﴿مِنْ أَرْضِنَا﴾؛ أي: نُخرج منها في الحال.

وهو تعلل فاسد منهم تعلقوا به عند عجزهم عن معارضته، فرد الله عليهم بقوله:

﴿أَوْ لَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ﴾؛ أي: ألم ندفع عنهم شر العرب ولم نمكّن لهم ﴿حَرَمًا أَمِنًا﴾؛ أي: ألم نجعل مكانهم في حرم ذا أمن لا يُسبون فيه ولا يُغار عليهم، ولا يُعَرَّض لهم بمكروه.

ثم هذا الحرم في موضع لا ضرع فيه ولا زرع ﴿يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ أي: يُجمع ويُجلب إليه من كل شيء أرفعُه وأنفعه، كما يقال: ثمرة الكلام، ومعنى الكلية: الكثرة، كقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣].

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/١٤٩)، وحديث نزولها في أبي طالب رواه مسلم (٤٢/٢٥)،

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿رَزَقًا﴾ مصدر؛ لأنَّ معنى ﴿يُجَبِّ إِلَيْهِ﴾: يُرَزِّق، أو مفعولٌ له، أو حالٌ من الثمرات إن كان بمعنى: مرزوقاً؛ لتخصيصها بالإضافة، كما يتتصب عن النكرة المتخصّصة بالصفة.

﴿مَنْ لَدُنَّا﴾؛ أي: تفضلاً منّا، فإذا كان حالُّهم وهم عبدة الأصنام هكذا، فكيف يعرّضهم للتخوُّف والتخطُّف إذا ضمُّوا إلى حرمة البيت حرمة التوحيد؟  
 ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكّرون ليعلموا، وقيل: متعلّق بقوله: ﴿مَنْ لَدُنَّا﴾؛ أي: قليلٌ منهم يُقرُّون بأنَّ ذلك رزقٌ من عند الله، إذ لو علموا أنّه من عند الله لعلموا أنّ الخوف والأمن أيضاً من عند الله.  
 ثم بيّن أنّ الأمر بالعكس بأنَّهم أحقّاء بأن يخافوا من بأس ما هم عليه بقوله:

\*\*\*

(٥٨) - ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَبَلَكَ مَسْكِنُهُمْ لَمَّا تَرُسُوا مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكَتَنَّاخُنُ الْوَرِثَةِ﴾.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾: وكم من أهل قرية كانت حالُّهم كحالِّهم في الأمن وخَفَضِ العيش حتى أشروا، فدمّر الله عليهم، وخرّب ديارهم.  
 و(كم) نصبٌ بـ ﴿أَهْلَكْنَا﴾، و﴿مَعِيشَتَهَا﴾ بحذف الجارِّ وإيصالِ الفعل، أو بجعلها ظرفاً بنفسه، كقولك<sup>(١)</sup>: زيدٌ ظنيّ مقيمٌ، أو بتقدير ظرفِ الزمان المضاف، أصله: بَطَرَتْ أَيَّامَ مَعِيشَتِهَا، أو: مفعولٌ على تضمين ﴿بَطَرَتْ﴾ معنى: كَفَرَتْ.  
 والبَطَرُ: سوءُ احتمالِ الغنى، وهو أن لا يحفظ حقَّ الله فيه.

(١) كتب تحتها في (ك): «أي: في ظني».

﴿فَلَيْكَ مَسْكَنُهُمْ﴾: منازلهم باقية الآثار تُشاهدونها في الأسفار.

﴿تُسَكِّنُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ حال، والعامل فيه الإشارة.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ من السُّكنى؛ أي: لم يسكنها إلا المسافر ومازَّ الطريق يوماً أو ساعة.

﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ لتلك المساكن من ساكنيها؛ أي: لا يملك التصرف فيها غيرنا.

\*\*\*

(٥٩) - ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَنْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾؛ أي: ليس في عاداته أن يهلك القرى ﴿حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ﴾: في أصلها وقصبتها<sup>(١)</sup> التي هي أعمالها؛ لأن أهلها تكون أفطن<sup>(٢)</sup> وأنبل ﴿رَسُولًا يَنْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَتِنَا﴾ لإلزام الحجّة وقطع المَعذرة.

أو: ما كان في حكم الله وسابق قضاؤه أن يهلك قرى الأرض حتى يبعث في أم القرى - يعني: مكة - رسولاً، وهو محمد عليه الصلاة والسلام.

والظاهر المناسب لعبارة ﴿مَا كَانَ رَبُّكَ﴾ هو الأول.

﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ بتكذيب الرسل والعتوّ في الكفر.

\*\*\*

(١) في (ك): «قصبتها». وفي (م): «وقضاياها».

(٢) في (ف): «أفضل».

(٦٠) - ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ في محلّ النصب على الحال، وذو الحال الضميرُ العائد من الصلة إلى الموصول؛ أي: وما أُوتِيتُموه كائناً من شيء ﴿فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتُهَا﴾؛ أي: وأي شيء أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو إلا تمتّع وزينة أياماً قلائل وهي مدّة الحياة الفانية.

﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ وهو ثوابه ﴿خَيْرٌ﴾ في نفسه من ذلك؛ لأنه لذّة خالصة وبهجة كاملة ﴿وَأَبْقَى﴾ لأنه دائم لا ينقطع.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن الباقي خيرٌ من الفاني فتستبدلونه به، وقرئ بالياء التحتانية<sup>(١)</sup>، وهو أبلغ في الوعظ<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(٦١) - ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَنَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُخْضَرِينَ﴾.

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾: وعداً بالجنة؛ فإنَّ حُسْنَ الوعد بحُسْن الموعود.

﴿فَهُوَ لَاقِيهِ﴾: مُدْرِكُهُ لا محالة؛ لعدم الخُلف في وعده.

﴿كَمَنْ مَنَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الذي هو مشوّب بالآلام، مكدر بالمتاعب، مستعقبٌ للتحسّر على الانقطاع.

﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُخْضَرِينَ﴾ للحساب أو العذاب.

(١) قرأ بها أبو عمرو. انظر: «التيسير» (١٧٢).

(٢) لإشعاره بأنهم لعدم عقلهم لا يصلحون للخطاب. انظر: «حاشية الشهاب». (٧/ ٨١).

والفاء الأولى لترتيب الإنكار المستفاد من الاستفهام، المعنى: أنه لما ذكر التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وما عنده، عقبه بقوله: ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ﴾؛ أي: أبعد هذا التفاوت الجليّ يسوّى بين أبناء الدنيا وأبناء الآخرة؟

والفاء الثانية للتسبيب؛ لأنّ لقاء الموعود مسبّب من الوعد.

و﴿ثُمَّ﴾ لتراخي حال الإحضار عن حال التمتع.

وقرئ: ﴿ثُمَّ هُوَ﴾، بسكون الهاء<sup>(١)</sup>؛ تشبيهاً للمنفصل بالمتصل.

\*\*\*

(٦٢) - ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ نداء توبيخ، وهو<sup>(٢)</sup> عطفٌ على يوم القيامة، أو منصوب بـ: اذكر.

﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾؛ أي: تزعمونهم شركائي، فحذف المفعولان لدلالة الكلام، ويجوز حذفهما في باب: ظننت، وإن لم يجز الاقتصار على أحدهما.

\*\*\*

(٦٣) - ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كُنَّا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾.

﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾؛ أي: وجب مقتضاه وثبت، وهو قوله: ﴿لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣] وغيره من آيات الوعيد:

(١) قرأ بها الكسائي وقالون. انظر: «التيسير» (ص: ٧٢).

(٢) في (م): «وهذا».

﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ﴾ مبتدأ، و﴿الَّذِينَ﴾ صفةٌ له، و﴿أَعْوَيْنَا﴾ صلة لـ ﴿الَّذِينَ﴾، والعائد محذوف تقديره: أعويناهم.

و﴿أَعْوَيْنَهُمْ﴾ خبرُ المبتدأ، وتقيد بقوله: ﴿كَمَا أَعْوَيْنَا﴾<sup>(١)</sup> فاستفيد من الخبر ما لم يُستفد من الصلة، والكاف في ﴿كَمَا أَعْوَيْنَا﴾ صفة مصدر محذوف تقديره: أعويناهم فعوّوا غيًّا مثل ما غَوَيْنَا، يعنون: أنا لم نَعُوْ إِلَّا باختيارنا، فهؤلاء كذلك عَوَوْا باختيارهم؛ لأنَّ إغواءنا لهم لم يكن إِلَّا وسوسةً وتسويلاً، فلا فرق إذاً بين غَيَّنَا وَغَيَّهِمْ، فإنَّ تسويلنا وإنَّ كان داعياً إلى الكفر، فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم إلى الإيمان؛ بما وضع فيهم من أدلة العقل، وما بعث إليهم من الرسل، وأنزل عليهم من الكتب، فهو كقوله: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْ مَوَّأْنَا أَنْفُسَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

ويجوز أن يكون ﴿هَؤُلَاءِ﴾ مبتدأ، و﴿الَّذِينَ أَعْوَيْنَا﴾ خبر المبتدأ، و﴿أَعْوَيْنَهُمْ﴾ استئناف إخبار مقيداً بقوله: ﴿عَوَيْنَا﴾.

﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ منهم ممَّا اختاروا من الكفر ﴿مَا كَانُوا إِلَّا نَاعِبِدُونَ﴾ بل يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم، وإخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقدرتين بمعنى الجملة الأولى.

\*\*\*

(٦٤) - ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾. ﴿وَقِيلَ﴾ للمشركين: ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾؛ أي: ألتهكم لتخلصكم من العذاب.

(١) في النسخ: «كما أعوينا»، والصواب المثبت. وكلمة: «وتقيد» سقطت من (ف) و(ك) و(م)، ووقعت في (ع) و(ي): «ويقيد»، والمثبت هو الأنسب بسياق الكلام.

﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ لا لفرط الحيرة، بل لضرورة الامتثال.

﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ لا لعجزهم عن الإجابة، إذ يومئذ ينطق كل شيء؛ بل لعجزهم عن الاستجابة<sup>(١)</sup>.

﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾ الضمير للتابع والمتبوع ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ جواب ﴿لَوْ﴾ محذوف؛ أي: كما رأوا العذاب.

\*\*\*

(٦٥) - ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ عطف على الأول، فإنه تعالى يسأل أولاً عن إشراكهم به، ثم عن تكذيبهم الأنبياء عليهم السلام.

﴿فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ الذين أرسلوا إليكم.

\*\*\*

(٦٦) - ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾.

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: خفي عليهم الأخبار والأعداء خفاء لا يُرجى زواله، فلم يستطيعوا أن يجيبوا بما فيه نجاة لهم، وأتى بلفظ الماضي لتحقيق وقوعه.

﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾: لا يسأل بعضهم بعضاً عن العذر<sup>(٢)</sup> والجواب؛ رجاء أن

(١) في هامش (ف): «من هنا ظهر وجه حسن الاستعارة المذكورة، ومن خفي عليه هذا زعم أنه من

قبيل عكس الكل للمبالغة».

(٢) في (ف): «العذاب».

يكون عنده ما ليس عند نفسه؛ لأنهم يتساوون في العجز عن ذلك بالسبب المذكور - على ما أفصح عنه الفاء التفرعية - لا لفرط<sup>(١)</sup> الدهشة كما توهم.

\*\*\*

(٦٧) - ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾.

﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾ من الشرك، و(أمّا) هذه للإشعار بزيادة اعتناء بشأن ما دخلت عليه فيما سبق له الكلام، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران: ٧] وتصديره بالفاء؛ لتفريعه على ما أقيم مقام قسيمه.

﴿وَأَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: وجمع بين الإيمان والعمل الصالح.

﴿فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ يومئذٍ، و(عسى) من الكرام تحقيق، لا ترجّ من التائب بمعنى: فليتوقع أن يفلح.

\*\*\*

(٦٨) - ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾: المشيئة تُجامع الإيجاب بالذات دون الاختيار، ففيه تنصيب للردّ على الفلاسفة، كما أن في إثبات المشيئة تنصيماً للردّ على من زعم أنه تعالى يقتضي العالم اقتضاء النار للإحراق<sup>(٢)</sup>.

(١) في النسخ عدا (ك): «بفرط»، والمثبت من (ك). انظر: «تفسير البيضاوي» (٤/ ١٨٣)، و«تفسير أبي

السعود» (٧/ ٨٢).

(٢) انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ٨٣)، وفيه: «مقتضى للعالم» بدل: «يقتضي العالم».

﴿مَا كَانَتْ لَهُمْ الْخِيَرَةُ﴾ ترك العاطف لأنه تقريرٌ لِمَا قبله، فإنَّ معنى ﴿وَيَخْتَارُ﴾؛ أي: يدخل تحت تكوينه كُلُّ ما تعلَّق به اختياره، ويلزمه أن لا يكون لاختيار الغير تأثيرٌ، وإلاَّ لجاز أن لا يدخل بعض ما اختاره الله تعالى تحت تكوينه.

والخيرة: من التخير، يُستعمل بمعنى المصدر، كالطيرة بمعنى التطير؛ أي: ليس لأحدٍ من خلقه أن يختار عليه.

﴿سُبْحَنَ اللَّهِ﴾: تنزيهاً له أن يزاحم اختياراً أحد اختياره.

﴿وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾؛ أي<sup>(١)</sup>: الله تعالى بريء من إشراكهم.

\*\*\*

(٦٩) - ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ يقال: أكننتُ الشيء في صدري<sup>(٢)</sup>؛ أي: أخفيته، أسند الإخفاء إلى الصدور مبالغةً.

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾؛ أي: يعلم ما أضمروه؛ كعداوة رسول الله عليه الصلاة والسلام وحسده، وما أظهروه كمطاعنهم فيه.

\*\*\*

(٧٠) - ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْخَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾: الذات المستحق للعبادة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا معبود يستحقها إلا

هو، ترك العاطف لأنه تقريرٌ لِمَا قبله.

(١) في (م): «إن».

(٢) قوله: «في صدري» ليس في (ف) و(م).

﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ الاختصاص المستفاد من تقديم الظرف باعتبار المجموع؛ فإن الحمد في الدنيا وإن شاركه - تعالى - فيه غيره، فإن المستحق للحمد لا يلزم أن يكون مؤلياً للنعم، لكن الحمد في الآخرة لا يكون إلا له.

﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ بالقضاء النافذ في كل شيء ﴿وَالِيهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالبعث والنشور.

\*\*\*

(٧١) - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ﴾.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾؛ أي: أخبروني ﴿إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ﴾ إنما قال: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ لأنَّ النفع إنما هو في تقلب<sup>(١)</sup> الملوّن، فأَيُّ منهما استمرَّ يَنقلبُ نفعه ضرّاً.

﴿الَّيْلَ سَرْمَدًا﴾؛ أي: دائماً، من السرد وهو المتابعة، ومنه قولهم في الأشهر الحرم: ثلاثة سردٌ وواحدُ فردٌ، والميم مزيدة، ووزنه: فَعْلٌ.

﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ بالكسوف، أو بإسكان الشمس تحت الأرض.

﴿مَنْ إِلَهُ﴾ كان حقه: هل إله؟ فذكر ﴿مَنْ﴾ على زعمهم أن غيره آلهة.

﴿غَيْرُ اللَّهِ﴾ صفة ﴿إِلَهُ﴾.

﴿يَأْتِيَكُمْ بِضِيَاءٍ﴾ إنما قال: ﴿بِضِيَاءٍ﴾ ولم يقل: بنهار، كما قال في قرينه الآتي: ﴿بَلِيلٍ﴾ لأنَّ النهار لا يلزمه الضياء، على ما نبّهت عليه آنفاً، والنفع إنما هو بوجود الضياء فيه، فإنه لو خلا عنه لانقلبَ نفعه ضرراً، حتى قالوا: إنَّ الكسوف ساعةٌ يكون سبباً لبعض الآفات من الزلازل وغيرها، بخلاف الليل؛ فإنه لا يخلو عن النفع المذكور، مُظلماً كان أو مستنيراً.

(١) في (ف): «لتقلب».

ولَمَّا كَانَ مَبْنَى مَا ذَكَرَ مِمَّا لَا يَقِفُ عَلَيْهِ عَوَامُّ الْأَنَامِ إِلَّا بِالسَّمَاعِ عَنِ الْخَوَاصِّ، قَالَ هُنَا: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ وَمَنْ ذَكَرَ أَنَّ ذِكْرَ السَّمَاعِ هُنَا لِكثَرَةِ مَنَفْعَةِ الضِّيَاءِ، فَقَدْ أَبْعَدَ.

\*\*\*

(٧٢) - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا﴾ أَخْرَجَ أَمْرَ النَّهَارِ عَنْ أَمْرِ اللَّيْلِ لِأَنَّهُ أَصْلُ وَالنَّهَارَ عَارِضٌ.

﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ بِإِسْكَانِ الشَّمْسِ فَوْقَ الْأُفُقِ، أَوْ بِتَحْرِيكِ كُرَّةِ الْأَرْضِ عَلَى وَفْقِ حَرَكَتِهَا، وَإِنَّمَا كَانَ الْفَسَادُ فِي إِدَامَةِ النَّهَارِ فِي دَارِ التَّكْلِيفِ وَلَمْ يَكُنْ فِي دَارِ النِّعَمِ؛ لِأَنَّ دَارَ التَّكْلِيفِ لَا بُدَّ فِيهَا مِنَ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ الَّذِي يُحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى الْجَمَامِ وَالرَّاحَةِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ دَارُ النِّعَمِ.

﴿مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾: اسْتِرَاحَةً عَنْ مَتَاعِبِ الْأَشْغَالِ، وَإِنَّمَا تَعَرَّضَ لَوْصَفِ اللَّيْلِ دُونَ الضِّيَاءِ؛ لِأَنَّهُ نِعْمَةٌ فِي ذَاتِهِ مَقْصُودَةٌ بِنَفْسِهِ، وَلَا كَذَلِكَ اللَّيْلِ.

ولَمَّا كَانَ مَا ذَكَرَ مِمَّا يَقِفُ<sup>(١)</sup> عَلَيْهِ كُلُّ مَنْ لَهُ بَصَرٌ، وَلَا يَتَوَقَّفُ عَلَى أَمْرِ آخَرَ، قَالَ هُنَا: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

\*\*\*

(١) فِي (ك): «يَتَوَقَّفُ».

(٧٣) - ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

و(من) في قوله: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ﴾ للسبب.

﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾؛ أي: خَلَقَهُمَا لِأَجْلِكُمْ ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾؛ أي: في الليل، وللتبنيه على انفراد كلٍّ مِنَ المنفعتين في عِلْيَةِ كُلِّ<sup>(١)</sup> واحد منهما على التوزيع، أُعيد اللامُ في قوله: ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ وإنما حذف اكتفاءً بما ذكر في قرينه، فيكون من باب اللَّفِّ والنَّشْرِ على الترتيب.

وفي التعبير بالابتغاء عن كسب العبد إشارةً إلى أَنَّهُ لا مزيدَ له على معنى الطلب، ففيه نفْيٌ للتأثير من جهته، كما أَنَّ في قوله: ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ نفياً للإيجاب منه تعالى والوجوبِ عليه.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: ولكي تعرفوا نعمةَ الله في ذلك فَتَشْكُرُوهُ عليها، تعليلُ آخرُ للجعل المذكور، ولذلك صَدَّرَهُ بأداة العطف.

\*\*\*

(٧٤) - ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ كَرَّرَ التوبيخ باتخاذ الشركاءَ لِيُؤْذِنَ بِأَنَّهُ لا شيءَ لغضب الله تعالى أَجْلَبُ مِنَ الإِشْرَاقِ به، كما لا شيءَ أَدْخَلَ في مرضاته من توحيده.

\*\*\*

(١) «كل» من (ك) و(م)، وليست في باقي النسخ.

(٧٥) - ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَنَزَعْنَا﴾: أخرجنا وأحضرنا، يقال: فلانٌ نَزَعَ إلى وطنه؛ أي: يَجِنُّ إليه حيناً يُطالبه بالخروج إليه.

﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم الضالّة؛ بدليل سياق الكلام ولحاقه.

﴿شَهِيدًا﴾: شاهداً عليهم بما أجابوا به رسلهم، كما قال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] وقال: ﴿وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ [الزمر: ٦٩] وهذا صريحٌ في أنّهم غيرُ الأنبياء.

﴿فَقُلْنَا﴾ لتلك الأمم: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ حُجَّتْكُمْ على صحّة ما كنتم تدينون به.

﴿فَعَلِمُوا﴾ حينئذٍ ﴿أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ في الإلهيّة لا يُشاركه فيها أحدٌ ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾: وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من ألوهيّة غير الله تعالى والشفاعة لهم.

\*\*\*

(٧٦) - ﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى بَغَى عَلَيْهِمْ وَأَنبَيْنَاهُ مِنَ الْكُفْرِ مَا إِن مَفَاتِحَهُ لَنَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾.

﴿إِنَّ قُرُونًا﴾: لا ينصرف للعلمية والعُجْمة، ولو كان (فاعولاً) من قرنت الشيء لا نصرف.

﴿كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾: كان ابن عمّ موسى عليه السلام.

﴿بَعَى﴾: تفریعٌ على مقدّر يدلّ إجمالاً على غناه المفرط، على ما يُفصح عنه التفصيل الآتي ذكره، فالفاء فصیحةٌ، والبغی: طلبُ العلوّ بغير حقٍّ، ومنه قيل لولاة الجور: بغاةٌ.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: روي أنه قال لموسى عليه السلام: لك الرسالة ولهارون الحبورة<sup>(١)</sup>، وأنا في غير شيء، إلى متى أصبر؟!

﴿وَأَيَّنْتَهُ مِنَ الْكُوزِ﴾: من الأموال المدخرة ﴿مَإِنْ مَفَاتِحَهُ﴾ ﴿مَا﴾ بمعنى (الذي) في موضع نصب بـ ﴿آتينا﴾، و﴿إِنَّ﴾ واسمها وخبرها صلة ﴿الَّذِي﴾، ولهذا كُسرت ﴿إِنَّ﴾.

والمفاتح: جمع مفتّح - بالكسر - وهو ما يُفتح به بيتُ المال أو الصندوق. ﴿لَنَنْوَأُ﴾ يقال: ناء ينوء نواءً؛ أي: حملَ على ثقلٍ ونهَضَ به على مشقةٍ حتى مالَ تحتهُ، وهو لازمٌ، وصار هنا متعدّياً بالباء الذي في قوله: ﴿بِالْعُصْبَةِ﴾: وهي الجماعة الكثيرة ﴿أُولَى الْقُوَّةِ﴾: الشّدة.

وقرى: لينوء بالياء<sup>(٢)</sup>، على إعطاء المضاف حكمَ المضاف إليه. ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ منصوب بـ (بغى)، وما بينهما اعتراضٌ في معرض التعليل لبغيه، لا بـ (تنوء)، إذ لا وجه لتخصيصه بذلك الوقت:

﴿لَا تَفْرَحْ﴾ أريد بالفرح هنا: المرح الذي يُخرج إلى الأشر وهو البطر، ولذلك قال:

(١) تحرفت في (ف) إلى: «الحروب». والحبورة بضم الحاء المهملة والباء الموحدة: مصدر حبر الرجل: إذا صار حبراً؛ أي: إماماً مقتدى. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ٨٥).

(٢) نسبت لبديل بن مسرة. انظر: «المحتسب» (٢/ ١٥٣).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ لأنه إذا أطلق صفة الفرح فهو الخارج بالمرح إلى البطر، فأما قوله: ﴿فَرِحِينَ يَمَاءَ اتْنَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [آل عمران: ١٧٠] فحَسُنَ بهذا التقييد<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(٧٧) - ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبِغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾ من الغنى ﴿الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ بصرفه فيما يوجبها لك. ﴿وَلَا تَنْسَ﴾: ولا تترك ترك المنسي ﴿نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾؛ أي: خذ مع هذا من دنياك ما لا بُدَّ لك منه في معاشك فإنك غير ملوم على ذلك، فهو كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

﴿وَأَحْسِنَ﴾ إلى عباد الله تعالى ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ فيما وسَّع عليك وبَسَطَ لك.

﴿وَلَا تَبِغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾: بالبغي والظلم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ بل يُبْغِضُهُمْ، والاكتفاء بنفي حبه تعالى منهم للتنبيه على أن هذا القدر يكفي في انزجار العاقل عن الفساد.

\*\*\*

(٧٨) - ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

(١) في (ك): «القيد».

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ﴾؛ أي: المال ﴿عَلَى عِلْمِي﴾؛ أي: على استحقاقٍ لِمَا فِيَّ مِنَ العلم الذي فَضَّلْتُ به الناس؛ وهو علم التوراة، أو علم الكيمياء، أو العلمُ بوجوه المكاسب؛ من التجارة والزراعة.

و﴿عِنْدِي﴾ صفةٌ لـ ﴿عِلْمِي﴾، وزيادته لإفادته معنى الاختصاص له.

﴿وَلَمْ يَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾<sup>(١)</sup> للمال، أو: أكثر جماعةً وعدداً، تعجب<sup>(٢)</sup> وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك<sup>(٣)</sup>؛ لأنه قرأه في التوراة، أو سمعه من حفاظ التواريخ، والواو للعطف على مقدر؛ أي: أَلَمْ يقرأ في التوراة، أو: أَلَمْ يسمع من الحفاظ، ولم يعلم.... إلخ، أو: ردٌّ لادِّعائه العلم وتعظيمه [به]<sup>(٤)</sup> بنفي العلم المهم عنه؛ أي: أعنده مثل ذلك العلم الذي ادَّعى ولم يعلم هذا حتى بقي نفسه مصارع الهالكين؟!

﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ﴾ سؤال استعلام، فإنه تعالى مطلع عليها، أو معاتبه؛ فإنهم يُعَذَّبون بها بغتة، كأنه لما هدَّدَ بذكر إهلاك من قبله ممن كانوا أقوى منه وأعتى، أكَّدَ ذلك بأنَّ بينَّ أنه لم يكن مما<sup>(٥)</sup> يخصُّهم، بل الله مطلعٌ على ذنوب المجرمين كلَّهم يُعاقبهم عليها لا محالة.

\*\*\*

(١) كذا في النسخ، والأولى أن يقال: (تعجب). انظر: «تفسير البيضاوي» مع حاشية القونوي

(١٤ / ٥٧٤). والمعنى: تعجب للسامعين، فإن التعجب لا ينسب لله سبحانه وتعالى.

(٢) أي: بالإهلاك. انظر: «حاشية الشهاب» (٨٧ / ٧).

(٣) من «تفسير البيضاوي» (١٨٥ / ٤)، ووقع في النسخ: «وتعظيمه»، والمثبت من المصدر المذكور.

(٤) في النسخ: «ما»، والصواب المثبت. انظر: «حاشية القونوي على البيضاوي» (١٤ / ٥٧٥).

(٧٩) - ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُتْرُونَ إِنَّهُ لَدُوْحَضٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ معطوفٌ على محذوفٍ دلٌّ عليه مساقُ الكلام من عدم تنصُّحه لِمَا قِيلَ لَهُ، وإظهارِ أسبابِ البَطَرِ، فالفاءُ فصيحة.

﴿فِي زِينَتِهِ﴾ حالٌ من فاعل: (خرج)؛ أي: مترزياً.

﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ على سبيلِ الرغبة في اليسار: ﴿يَا﴾ للتنبيه  
﴿يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُتْرُونَ﴾ غبطةٌ، والغابط: هو الذي يتمنَّى مثلَ نِعَمِ صاحبه من  
غير أن يزولَ عنه ﴿إِنَّهُ لَدُوْحَضٌ عَظِيمٌ﴾ الحظُّ: الجدُّ وهو البَخْتُ والدولة.

\*\*\*

(٨٠) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾.

﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ بأحوال الآخرة:

﴿وَيَلَكُمْ﴾ أصلٌ: ويلك، دعاءٌ بالهلاك، ثم استعمل في الزجر والرَّدع  
والبعث على ترك ما لا يُرتضى.

﴿ثَوَابُ اللَّهِ﴾ في الآخرة ﴿خَيْرٌ لِمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ ممَّا أُوتِيَ قَارُونَ، بل من  
الدُّنْيَا وما فيها، وفي حذفِ المفضَّلِ عليه تعظيمٌ للمفضَّلِ، كما في قوله: الله أكبرُ.

﴿وَلَا يُلَقَّهَا﴾؛ أي: لا يلقى هذه الكلمة، وهي: ﴿ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾  
على الطاعات وعن المعاصي.

\*\*\*

(٨١) - ﴿خَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ

مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾.

﴿خَسَفْنَا بِهِ﴾؛ أي: بقارون؛ أي: ساخت به الأرض وأذهبت في جهة السفلى

﴿وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾.

روي أنه كان يؤدي موسى عليه السلام كل وقت، وهو يداريه للقرابة التي بينهما، حتى نزلت الزكاة فصالحه عن<sup>(١)</sup> كل ألف على واحد، فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه، فعمد إلى أن يفضح موسى عليه السلام بين بني إسرائيل ليرفضوه، فبرطل بغية لترميته بنفسها، فلما كان يوم العيد قال موسى عليه السلام في خطبته: مَنْ سَرَقَ قَطْعَنَاهُ، وَمَنْ زَنَى غَيْرَ مُحْصَنٍ جَلَدْنَاهُ، وَمَنْ زَنَى مُحْصَنًا رَجَمْنَاهُ. فقال قارون: ولو كنت. قال: ولو كنت. قال: إن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانته، فأحضرت، فناشدها موسى عليه السلام بالله أن تصدق، فقالت: جعل لي قارون جُعلاً على أن أرميك بنفسي، فخر موسى عليه السلام ساجداً يبيكي، قال: يا رب، إن كنت رسولك فاغضب لي، فأوحى إليه أن مِرِ الأرض بما شئت، فقال: يا أرض خُذِيهِ، فأخذته الأرض إلى ركبته، ثم قال: خُذِيهِ، فأخذته إلى وسطه، ثم قال: خُذِيهِ، فأخذته إلى عنقه، وكان قارون يتضرع إليه في هذه الأحوال وموسى لا يلتفت إليه؛ لشدة غضبه، ثم قال: خُذِيهِ، فانطبقت عليه، فقال الله تعالى لموسى عليه السلام: استغاث بك مراراً فلم ترحمه، فوعزتي لو استرحمني مرة<sup>(٢)</sup> لرحمته، ثم قال بعض بني إسرائيل: إنما أهلكه ليرث ماله! فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وأمواله<sup>(٣)</sup>.

(١) في (ك): «على».

(٢) سقط من (ك).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٠١٨/٩)، والحاكم =

﴿فَمَا كَانَ﴾، فالفاء فصيحة؛ للعطف والتفريع على محذوفٍ دلَّ على مفهومه الإجماليِّ مساقُ الكلام.

﴿لَهُ مِنْ فَتْنَةٍ﴾: أعوان، مرَّ تفسيره على وجه التفصيل في سورة البقرة.

﴿يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ إنما ذكر امتناع نصره برفع عذاب الله مع أنَّه معلوم؛ لأنَّ المراد بيان أنَّه لم يكن الأمر على ما قدره من امتناعه بحاشيته وجنِّده، فإنَّ ذلك الذي غرَّه حتى تمرَّد في طغيانه، ثم أخبر أنَّه كما لم يكن له مَنْ ينصره، لم يكن هو أيضاً ممَّن ينتصر بنفسه؛ لضعفه عن ذلك.

\*\*\*

(٨٢) - ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَاثُرُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ﴾: منزلته، لم يقل: مثل مكانه؛ اكتفاءً بما ذكره قبل هذا ﴿بِالْأَمْسِ﴾ استعير لزمانٍ قريب ﴿يَقُولُونَ وَيَكَاثُرُ﴾؛ أي: صاروا يقول بعضهم لبعض: أَلَمْ تعلموا أنَّ الله.

﴿وَيَكَاثُرُ﴾ كلمة تقريرٍ معناها: أَمَا ترى، أَمَا تعلم، قاله الفراء<sup>(١)</sup>.

وروي أنَّ أعرابيةً قالت لزوجها: أين ابنك؟ قال: ويكأنه وراء البيت؛ أي: أَمَا تَرَيْنَهُ؟

وقال قطرب: هما كلمتان؛ (ويك) بمعنى: ويلك، محذوف اللام، قال عنترة:

= في «المستدرک» (٣٥٣٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً.

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣١٢/٢).

ولقد شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأُ سُقْمَهَا      قَوْلُ الْفَوَارِسِ وَيَكُ عَتَرًا أَقْدِمُ<sup>(١)</sup>

وهذا الحذف للتخفيف لكثرة الاستعمال.

وَأَمَّا مَا قِيلَ: إِنَّ (وي) للتعجب، و(كَأَنَّ) للتشبيه، ففيه: أَنَّ التشبيه لا يناسب المقام.

﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ بمقتضى مشيئته؛ لا لكرامة تقتضي البسط، ولا لهوانٍ يوجب القبض.

﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بصَرْفٍ مَا كُنَّا تَمَنِّينَاهُ بِالْأَمْسِ ﴿لَخَسَفَ بَنَّا﴾ لتوليده فينا ما وَلَدَهُ فِيهِ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَيَكَاذِبُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ لنعمة الله، أو: المكذبون برسله وبما وَعَدُوا لَهُمْ مِنْ ثَوَابِ الْآخِرَةِ.

\*\*\*

(٨٣) - ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْقِينَ﴾.

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾: ﴿تِلْكَ﴾ تعظيمٌ لها وتفخيمٌ لشأنها، كأنه قال: تلك التي سمعتَ خبرها وبلغك وصفها، والدار صفة، والخبر:

﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾: غلبةً وقهراً ﴿وَلَا فَسَادًا﴾: ظُلماً على الناس، لم يعلّق الموعود بترك العلوّ والفساد، ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب

(١) البيت في «شرح المعلمات السبع» للزوزني (ص: ١٥٢)، و«شرح القصائد العشر» للتبريزي (ص: ٢٤٩).

(٢) قوله: «لتوليده»، الضمير لقوله: «ما كنا تمنّيناه». انظر: «حاشية القونوي» (١٤/ ٥٧٥).

إليهما، كما قال: ﴿وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [هود: ١١٣] فعلتِ الوعيد بالركون.  
﴿وَالْفَقِيَّةُ﴾ المحمودَةُ ﴿لِلْمُنَقِينَ﴾ ما لا يرضاه الله تعالى.

\*\*\*

(٨٤) - ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.  
﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ مرّ في النمل.

﴿جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ معناه: فلا يُجزون، فوضع  
﴿الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ موضع الضمير؛ لأنّ في إسناد عمل السيئة إليهم مكرراً  
فضل تهجين بحالهم، وزيادة تبغيض للسيئة إلى<sup>(١)</sup> قلوب السامعين.  
﴿إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: إلّا مثل ما كانوا يعملون، وحذف المثل وأقيم  
مقامه ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مبالغة في المماثلة.

\*\*\*

(٨٥) - ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْنَا مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى  
وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾: أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما  
فيه .

﴿لَرَادُّكَ إِلَيْنَا مَعَادٍ﴾ يعني: مكّة، أريد رده عليه السلام إليها يوم الفتح، وإنّما نكر  
لأنّها كانت في ذلك اليوم معاداً له شأن، ومرجعاً له اعتداداً؛ لغلبة الرسول عليه

(١) في (ك): «في».

الصلاة والسلام وقهره لأهله، ولظهور عزِّ الإسلام وأهله، وذُلَّ الكفر وحزبه.  
والسورة مكية، ولكن هذه الآية نزلت بالجُحْفَةِ لا بمَكَّة ولا بالمدينة، حين  
اشتاق عليه الصلاة والسلام إلى مولده ومولد آبائه.  
﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى﴾ وما يستحقه من الثواب والنصر، و﴿مَنْ﴾ منتصبٌ  
بفعلٍ يفسره ﴿أَعْلَمُ﴾ ﴿وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: وما استحقه من العذاب والإذلال،  
يعني به نفسه والمشرِّكين<sup>(١)</sup>، فهو تقرير للوعد السابق.

\*\*\*

(٨٦) - ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ  
ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو﴾ مرَّ تفسير الرجاء في سورة الفرقان.  
﴿أَنْ يُلْقَى﴾: يوحى ﴿إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾؛ أي: سيردك إلى معادك كما ألقى  
إليك الكتاب وما كنت ترجوه ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ هذا محمولٌ على المعنى؛  
أي: وما ألقى عليك الكتاب إلا رحمةً؛ لأجل أن تُرحم، أو ﴿إِلَّا﴾ بمعنى (لكن)  
للاستدراك؛ أي: ولكنْ لرحمةٍ من ربك ألقى إليك.  
﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾: عوناً ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾.

\*\*\*

(٨٧) - ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ  
الْمُشْرِكِينَ﴾.

(١) «نفسه»: من جاء بالهدى، و«المشرِّكين»: من هو في ضلال مبين. ففي الكلام لف ونشر. انظر:

«حاشية الشهاب» (٨٩/٧).

﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾: عن قراءتها والعمل بها ﴿بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتَ إِلَيْكَ﴾؛  
أي: بعد وقت إنزاله.

﴿وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾: إلى عبادته وتوحيده ﴿تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ بمساعدتهم.

\*\*\*

(٨٨) - ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ  
وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ هذا وما قبله تهيجُ وقطعُ أطماع المشركين عن  
مساعدته لهم، على أن العصمة لا تمنع النهي.

والوقف على ﴿آخَرَ﴾ لازم؛ لأنه لو وُصل لصار ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ صفة لـ  
﴿إِلَهًا آخَرَ﴾، وفيه من الفساد ما فيه.

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾: إلا ذاته، والوجه يُعبر به عن الذات، وإنما قال:  
﴿هَالِكٌ﴾ لأن المراد كونه كذلك في حد نفسه، وذلك ليس بمجرد، فإن كل  
ممکن في حد نفسه ليس بموجود.

﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾: القضاء النافذ في الخلق.

﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾ للجزاء بالحق.

\*\*\*





# سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ



# سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - ﴿آلَمْ﴾.

﴿آلَمْ﴾ مَرَّ فِيهِ ذِكْرُ الْأَقَاوِيلِ<sup>(١)</sup>، وَسَبَقَ التَّفْصِيلُ، وَهَذَا دَلِيلُ الْإِسْتِقْلَالِ بِنَفْسِهِ أَوْ بِمَا يُضْمَرُ مَعَهُ، وَهُوَ وَقُوعُ الْإِسْتِفْهَامِ بَعْدَهُ.

\*\*\*

(٢) - ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾.

﴿أَحْسِبَ النَّاسُ﴾ الْحُسْبَانُ: قُوَّةُ أَحَدِ النَّاقِضَيْنِ عَلَى الْآخَرِ، كَالظَّنِّ، وَلَا يَصِحُّ تَعْلِيْقُهُمَا بِمَعَانِي الْمَفْرَدَاتِ وَلَكِنْ بِمُضَامِينِ الْجَمْلِ، فَإِذَا أُرِدَتْ الْإِخْبَارُ عَنْ مَضْمُونٍ ثَابِتٍ عِنْدَكَ عَلَى وَجْهِ الظَّنِّ لَا الْيَقِينَ أُدْخِلْتَ عَلَى شَرْطِي الْجُمْلَةِ فَعَلَ الْحُسْبَانُ حَتَّى يَتِمَّ<sup>(٢)</sup> غَرَضُكَ.

وَالْكَلَامُ الدَّالُّ عَلَى الْمَضْمُونِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ الْحُسْبَانُ هَذَا:

﴿أَنْ يُتْرَكُوا﴾ فَإِنَّهُ سَدَّ مَسَدَ الْمَفْعُولَيْنِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿أَنْ يَسْفُتُونَا﴾ [العنكبوت: ٤] وَنَظَائِرُهُ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى: أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْفُسَهُمْ مَتْرُوكِينَ.

(١) فِي (ف): «أَقَاوِيل».

(٢) فِي (ف): «حَتَّى يَقَع».

والتَّركُ: رفضُ الشيءِ قصداً واختياراً، أو قهراً واضطراً، ومن الأخير قولهم: تركته<sup>(١)</sup> فلانٍ: لِمَا يَخْلُفُهُ بَعْدَ موته.

وثاني مفعولي ﴿أَنْ يُتْرَكُوا﴾ متروكٌ بدلالة الحال؛ أي: كما هم، أو: على ما هم عليه.

و<sup>(٢)</sup> ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ بمعنى: لقولهم، متعلقٌ بـ ﴿يُتْرَكُوا﴾ على أَنَّهُ غيرُ مستقرٍّ.

﴿ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾: غيرَ مختبرين بما يتبين به حقيقة إيمانهم.

نزل في جماعة آمنوا وأذاهم المشركون<sup>(٣)</sup>.

والمراد من الفتنَةِ: الامتحانُ بشدائدِ التَّكْلِيفِ؛ من مفارقةِ الأوطانِ، ومجاهدةِ الأعداءِ، وسائرِ الطَّاعَاتِ الشَّاقَةِ، وهجرِ الشَّهَوَاتِ، وبالفقرِ والقَحْطِ، وأنواعِ المصائبِ في الأنفسِ<sup>(٤)</sup> والأموالِ، ومصابرةِ الكفارِ على أذاهم وكيدهم. وقيل: معناه: أحسبوا تركهم<sup>(٥)</sup> غيرَ مفتونين لقولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾، فالتَّركُ أحدُ مفعولين (غيرِ مفتونين) من تمامه، و(لقولهم) هو الثاني كقولك: حسبْتُ ضربَه للتأديبِ.

وفيه الفصلُ بينَ ﴿يُتْرَكُوا﴾<sup>(٦)</sup> ومعموله.

(١) في (ع): «تركه»، وفي (ف) و(ك) و(م): «ترك»، والمثبت من (ي).

(٢) «و» سقط من (م).

(٣) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣٠٥ / ٤) عن مجاهد.

(٤) في (ف) و(ك): «النفْس».

(٥) في (ك) و(م): «نتركهم»، وفي (ف): «أنتركهم».

(٦) في النسخ: «تركوا»، والصواب المثبت.

وما يحسنه من الاهتمام بشأن الخبر؛ لكونه مصبَّ الإنكار، مُعارض بما يقبَّحه من إيهام أن يتركوا غير مختبرين لعلَّ أخرى.

\*\*\*

(٣) - ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾. ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾: اختبرنا، وهو موصولٌ بـ ﴿أَحْسِبَ﴾ أو بـ ﴿لَا يُفْتَنُونَ﴾. ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: من الأمم بأنواع الفتن، والمعنى: إنَّ ذلك سُنَّةٌ قديمةٌ، جاريةٌ في الأزمان السَّالفةِ، فلا ينبغي أن يُتوقَّع خلافُها.

ويجوز أن يكون كقولك: ألا يُمتَحَنُ فلانٌ وقد<sup>(١)</sup> امتُحِنَ مَنْ هو خيرٌ منه؛ يعني: أن بعض الأنبياء كزكريَّا ويحيى وجرجيس عليهم السلام قد<sup>(٢)</sup> امتُحِنُوا وصَبَرُوا.

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾: بالامتحانِ ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾: في الإيمانِ ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾: فيه. وعلمُ الله تعالى بالكائناتِ منزَّهٌ عن النسبةِ إلى الزَّمانِ وعمَّا يترتَّبُ عليها من التَّبدُّلِ والتَّغْيِيرِ، فهو هنا كناية عن تحقُّقِ المعلوم قطعاً وظهوره على وجهٍ أبلغ، فالمعنى: وليتميِّزَنَّ<sup>(٣)</sup> الصَّادِقُ منهم من الكاذبِ.

قال ابن عطاء: يتبيَّنُ صدقُ العبدِ من كذبه في أوقاتِ الرِّخاءِ والبلاءِ، فمن شكرَ في أيَّامِ الرِّخاءِ وصبرَ في أيَّامِ البلاءِ فهو من الصَّادقين، ومن بطرَ في أيَّامِ الرِّخاءِ وجزعَ في أيَّامِ البلاءِ فهو من الكاذبين<sup>(٤)</sup>.

(١) في (م): «قد».

(٢) في (ك): «وقد».

(٣) في (ك): «وليتميز»، وفي (ف) و(م): «وليتميز من».

(٤) انظر: «تفسير السلمي» (٢/ ١١٣).

ويعضده قراءة: (فَلْيُعْلَمَنَّ اللَّهُ) مِنَ الْإِعْلَامِ<sup>(١)</sup>؛ أي: ليعرفَهُم النَّاسُ مَنْ هُمْ، فحذف المفعول الأول.

ويجوز أن يكون من قولهم: فارس مُعْلَم؛ أي: أَعْلَمَ نَفْسَهُ فِي الْحَرْبِ بِثَوْبٍ أَوْ غَيْرِهِ، فَيَكُونُ مِنَ الْعَلَامَةِ، فَاَلْمَعْنَى: فَلْيَسْمَنْهُمْ<sup>(٢)</sup> بِسِمَةٍ يُعْرِفُونَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِبَايَاسِ الْوَجْهِ وَسَوَادِهِ.

\*\*\*

(٤) - ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

﴿أَمْ حَسِبَ﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا منقطعة؛ لَفَقْدِ شَرْطِ الْإِتِّصَالِ، وَهُوَ أَنْ لَا يَكُونَ بَعْدَهَا جُمْلَةٌ، وَمَعْنَاهُ: (بَل) لِلْإِضْرَابِ بِمَعْنَى الْإِنْتِقَالِ مِنْ قِصَّةٍ إِلَى قِصَّةٍ، لَا بِمَعْنَى الْإِبْطَالِ وَالْإِضْرَابُ فِيهَا؛ لِأَنَّ هَذَا الْحِسَابَ<sup>(٣)</sup> أَبْطُلُ مِنَ الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يُقَدَّرُ أَنَّهُ لَا يُمْتَحَنُ لِإِيْمَانِهِ، وَهَذَا يَظُنُّ أَنَّهُ لَا يَجَازِي بِمَسَاوِيهِهِ، وَلِهَذَا عَقَّبَهُ بِالذَّمِّ.

﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ مِنَ الْمَعَاصِي، وَأَمَّا الْكُفْرُ فَلَيْسَ مِنْ جَنْسِ الْعَمَلِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ إِلَّا فِيمَا كَانَ عَنْ فِكْرٍ وَرُوءِيَّةٍ، نَصَّ عَلَيْهِ الرَّاعِبُ<sup>(٤)</sup>، فَحَالُ الْكُفْرِ يُعْلَمُ مِمَّا ذُكِرَ دَلَالَةً.

﴿أَنْ يَسْبِقُونَا﴾: أَنْ<sup>(٥)</sup> يَفُوتُونَا فَلَا نَقْدِرُ عَلَى أَنْ نَجَازِيَهُمْ عَلَى مَسَاوِيهِهِمْ؛ يَعْنِي:

(١) نسبت لعلي رضي الله عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٤).

(٢) في (ك): «فلنسمنهم».

(٣) في (ك) و(م): «الحساب».

(٤) لم أقف عليه.

(٥) في (ي): «أي يفوتونا».

أَنَّ الْجَزَاءَ يَلْحَقُهُمْ لَا مُحَالَةً، واشتمال صلة ﴿أَنَّ﴾ على مسندٍ ومسندٍ إليه سدَّ مسدَّ المفعولين.

﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ﴿مَا﴾ في موضع رفعٍ على معنى: ساء الحكم حكمهم، أو نصبٍ على معنى: ساء حكماً يحكمون، والمخصوصُ بالذمِّ محذوفٌ؛ أي: بئس حكماً يحكمونه حكمهم هذا.

\*\*\*

(٥) - ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَآئٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾: يترقبُ ثوابه، أو: يخافُ عقابه، فالرجاء يحتملُهما. ﴿فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ﴾ المضروبُ للثوابِ والعقابِ ﴿لَآئٍ﴾ لا محالة، تعليلٌ لجواب الشرطِ المحذوفِ، تقديره: فليبادرِ العملَ الصَّالحَ الذي يصدقُ رجاءه ويحققه. وإتيانُ الوقتِ المضروبِ لهما كنايةٌ عن إتيانهما، والتعبيرُ عنهما بلقاءِ الله تعميمٌ<sup>(١)</sup> للتفخيمِ والتَّهويلِ، وإضافتهُ إلى الله في الموضعينِ للتَّعظيمِ. ويجوز أن يكون على تمثيل حاله بحالِ عبدٍ قدِمَ على سيِّده بعدَ زمانٍ مديدٍ وقد اطلعَ السيِّدُ على أحواله، فإمَّا أن يلقاه ببشرٍ بما رضيَ من أفعاله، أو بسخطه لِمَا سخطَ منها<sup>(٢)</sup>.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لِمَا يقولُ عبادهُ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يفعلونه، فلا يفوتهُ شيءٌ.

\*\*\*

(١) «تعميم» سقط من (م) و(ي) و(ع).

(٢) في (ك): «أو بسخط أي سخط منها»، وفي (ف): «أو سخطه أي سخط منها».

(٦) - ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.  
 ﴿وَمَنْ جَاهَدَ﴾ نفسه بالصَّبْرِ على مخالفتِها في طاعة الله تعالى.  
 ﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ لأنَّ منفعة ذلك ترجعُ إليها.  
 ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ فلا نفع له في طاعتهم ومجاهدتهم، وإنَّما كلفهم  
 رحمةً عليهم ومراعاةً لمصالحهم.

\*\*\*

(٧) - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي  
 كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.  
 ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ التَّكْفِيرُ: إذهابُ السيئةِ  
 بالحسنةِ كإذهابِ الكُفْرِ بالإيمان، والمعصية بالتوبة.  
 ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ إِنَّمَا قَالَ: ﴿أَحْسَنَ﴾ لأنَّ المباحَّ حسنٌ، ولا  
 جزاءَ له.

\*\*\*

(٨) - ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا  
 تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنِشْرُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.  
 ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾: بإيتائهما<sup>(١)</sup> فعلاً ذا حُسْنٍ، أو ما هو في ذاته حَسَنٌ  
 لِقَرطِ حُسْنِهِ، ووَصَّى حُكْمُهُ<sup>(٢)</sup> حُكْمُ أَمْرٍ في معناه وتصرفه، ومعنى وَصَّيْتُ زَيْدًا  
 بعمره: أَمَرْتُهُ بتعهده ومراعاته.

(١) في النسخ: «إيتائهما»، والصواب المثبت. انظر: «الكشاف» (٣/٤٤٢)، و«تفسير البضاوي»

(٤/١٨٩)، و«تفسير النسفي» (٦٦٥).

(٢) في (ع): «حكم».

﴿وَإِنْ جَهَدَاكَ﴾؛ أي: وقلنا: وَإِنْ جَاهِدَاكَ ﴿لَتُشْرِكَ بِي﴾<sup>(١)</sup> مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴿يعني: بِالْهَيْئَةِ، عَبَّرَ عَنْ نَفْيِهَا بِنَفْيِ الْعِلْمِ إِشْعَارًا بِأَنَّ مَا لَا يُعْلَمُ صَحَّتُهُ لَا يَجُوزُ اتِّبَاعُهُ وَإِنْ لَمْ يُعْلَمْ بَطْلَانُهُ، فَضْلًا عَمَّا عَلِمَ بِطْلَانِهِ.

﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في ذلك، فَإِنَّهُ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ<sup>(٢)</sup> الْخَالِقِ.

﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾: مَرْجِعُ الْمَطِيعِ وَالْعَاصِي مِنْكُمْ.

﴿فَأَنْتُمْ كَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بِالْجَزَاءِ عَلَيْهِ.

وفي ذكر المرجع والوعيد تحذيرٌ مِنْ مَتَابَعَتِهِمَا عَلَى الْعَصِيَانِ، وَحَثٌّ عَلَى الثَّبَاتِ وَالِاسْتِقَامَةِ فِي الطَّاعَةِ، رَوَى أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا أَسْلَمَ نَذَرَتْ أُمُّهُ أَنْ لَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ وَلَا تَنْتَقِلَ مِنَ الصُّحِّ<sup>(٣)</sup> حَتَّى يَرْتَدَّ، وَلَبِثَتْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ كَذَلِكَ، فَشَكَى سَعْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَالتِّي فِي سُورَةِ لُقْمَانَ، وَالتِّي فِي الْأَحْقَافِ<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(٩) - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾: فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ بِأَنَّ

نَحْشَرُهُمْ مَعَهُمْ.

(١) فِي (ك) وَ(م) زِيَادَةٌ: «شَيْئًا».

(٢) فِي (ف) وَ(ي): «مَعْصِيَتِهِ».

(٣) الصُّحُّ: ضَوْءُ الشَّمْسِ إِذَا اسْتَمَكَّنَ مِنَ الْأَرْضِ. انْظُرْ: «الْنَهَايَةُ» (مَادَّة: ضَحَحَ).

(٤) انْظُرْ: «تَفْسِيرُ الثَّعْلَبِيِّ» (٧/ ٢٧١)، وَ«أَسْبَابُ النُّزُولِ» لِلْوَحِيدِي (ص: ٣٤١)، وَ«الْكَشَافُ» (٣/ ٤٤٢ -

٤٤٣) دُونَ سَنَدٍ عِنْدَهُمْ. وَرَوَى نَحْوَهُ مُسْلِمٌ (١٧٤٨) كِتَابُ فُضَائِلِ الصَّحَابَةِ، عَقِبَ الْحَدِيثِ

(٢٤١٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣١٨٩). وَالتِّي فِي لُقْمَانَ الْآيَتَانِ (١٤ - ١٥)، وَالتِّي فِي الْأَحْقَافِ الْآيَةُ (١٥).

(١٠) - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ في الإخبار عنهم بأنهم من الناس تحقير لشأنهم.  
﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾؛ أي: في طاعته، و﴿فِي﴾ للسببية كما في ﴿لَمُتْنِي فِيهِ﴾

[يوسف: ٣٢].

﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾؛ أي: أذاهم له للصرْفِ عن طاعة الله تعالى.

﴿كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ في الخوف منه <sup>(١)</sup> فيطيعهم.

﴿وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾؛ أي: <sup>(٢)</sup> فتح وغنيمة.

﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾؛ أي: مشايعين لكم في دينكم، فأعطونا نصيبنا <sup>(٣)</sup> من المغنم.

﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾ صيغة أفعل هنا لمطلق الزيادة وإثبات العلم على الوجه الأبلغ، و(أو) <sup>(٤)</sup> للعطف على محذوف تقديره: أليس الله بأشدَّ عذاباً <sup>(٥)</sup> من الناس.

﴿بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ من الإخلاص والنفاق، فكيف يتوهم هذا المنافق أن يخفى حاله على المسلمين ولا يخبرهم الله به وهو عالم، فهذا تهديد دنيوي له، كما أن قوله:

(١) في (ك) و(م): «منهم».

(٢) «أي» من (م).

(٣) في (ك): «نصيباً».

(٤) كذا في النسخ، ولعل الصواب: (والواو)، والصواب المثبت.

(٥) في (م): «علماً».

(١١) - ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾.

﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ تهديدٌ أخرويٌّ، كُنِيَ بالعلمِ عن أثره، وهو الجزاء على المعلوم، وعبرَ عن الإخلاص بالإيمان؛ إخراجاً للإقرار باللسان الخالي عن التصديق بالجنان عن حدِّ الإيمان.

وفي اختلاف الصيغتين إشعارٌ ببات المنافق على التفاف ومزيته على الكفر بزيادة التقرُّر في محله.

\*\*\*

(١٢) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ﴾ أمرٌ وهم باتِّباعِ سبيلهم، وهي طريقَتهم التي كانوا عليها في دينهم، وأمروا أنفسهم بحمل خطاياهم، فعطف الأمر على الأمر، وأرادوا: ليجتمع هذان الأمران في الحصول، والمعنى: تعليق الثاني على الأوَّل على وجه المبالغة، والوعد بتخفيف الأوزار عنهم - إن كانت<sup>(١)</sup> - تشجيعاً لهم على الاتِّباع، ولهذا ردَّ عليهم وكذبهم بقوله:

﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في ذلك، ﴿مِنْ﴾ الأولى للتبيين، والثانية مزيدة لتأكيد الاستغراق.

\*\*\*

(١) قوله: «إن كانت»؛ أي: إن وجدت، فهي تامة، وضمير الفاعل يعود على «الأوزار». انظر:

«حاشية الشهاب» (٧/ ٩٤).

(١٣) - ﴿وَلِيَحْمِلُوا أَنْفَاهُمْ وَأَنْفَالَآ مَعَ أَنْفَاهِهِمْ وَلِيَسْتَلْنَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَلِيَحْمِلُوا أَنْفَاهُمْ﴾: أوزار أنفسهم بضلالهم ﴿وَأَنْفَالَآ مَعَ أَنْفَاهِهِمْ﴾: وأوزار الضالين<sup>(١)</sup> بإضلالهم، وهو كما قال: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥].

﴿وَلِيَسْتَلْنَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: يكذبون على الله، سؤال توبيخ. واللام في الفعلين للقسم، وحذف فاعلهما - الواو - ونون<sup>(٢)</sup> الرفع.

\*\*\*

(١٤) - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ بعد المبعث إلى حدوث الطوفان، واختيار هذه العبارة لما في ذكر الألف من تخيل طول المدة إلى السامع؛ فإن المقصود تسلية رسول الله عليه السلام، وتثيئة على ما يكابد من الكفرة.

وجيء بالمميز أولاً بالسنة ثم بالعام لأن تكرار لفظ واحد في كلام واحد حقيق بالاجتناب في البلاغة.

﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ هو ما أطف وأحاط بكثرة وغلبة، من سيل أو ظلام ليل<sup>(٣)</sup> أو نحوهما، والواقع طوفان الماء.

(١) في (ي): «وأوزاراً للضالين».

(٢) في (ف) و(ك): «والواو والنون».

(٣) «ليل» سقط من (ك).

﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ أنفسهم بالكفر.

\*\*\*

(١٥) - ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.

﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾؛ أي: نوحاً ﴿وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾؛ أي: والذين حملهم نوح عليه السلام في السفينة.

﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾؛ أي: السفينة؛ لأنها<sup>(١)</sup> بقيت أعواماً حتى مرَّ عليها الناسُ ورأوها، فحصل لهم العلمُ بها، أو: الحادثة.

﴿آيَةً﴾: علامةٌ أو عبرةٌ ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ يعتبرون بها.

\*\*\*

(١٦) - ﴿وَابْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَابْرَاهِيمَ﴾ عطف على ﴿نُوحًا﴾، وقرئ بالرفع<sup>(٢)</sup> على تقدير: ومن المرسلين إبراهيم.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ظرفٌ لـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾، ففيه دلالةٌ على أنه لم يتهاون في أمرِ الرسالة حيث بلغ الدعوة كما أمر.

﴿وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ممَّا أنتم عليه ﴿إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: إن كنتم من أهل العلم.

(١) في (ك) و(م): «لا لأنها»، وفي هامش (م): «لعل لفظ (لا) زائد».

(٢) نسبت لأبي جعفر في غير المشهور عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٥).

(١٧) - ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ الوثن: ما يُعمل من حجر أو طين.

﴿وَتَخْلُقُونَ﴾ أي: تكذبون، أو: تصنعون<sup>(١)</sup>، وقرئ: (تُخْلِقُونَ)<sup>(٢)</sup> مِنْ خَلَقَ بمعنى التَّكْثِيرِ فِي خَلَقَ.

﴿إِفْكًا﴾ وقرئ: (أَفْكًا)<sup>(٣)</sup>، وهو مصدر نحو كَذِبَ وَلَعِبَ، وَالْإِفْكُ مَخْفَفٌ عَنْهُ كَالْكَذِبِ وَاللَّعِبِ مِنْ أَصْلِهِمَا، وَاخْتِلَاقُهُمُ الْإِفْكَ بِتَسْمِيَتِهِمُ الْاَوْثَانَ آلِهَةً وَشُرَكَاءَ اللَّهِ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ استدلَّ أولاً على شَرَارَةِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ زُورٌ وَبَاطِلٌ، ثُمَّ اسْتَدَلَّ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ لَا يَجِدِي بَطَائِلٍ. وَ﴿رِزْقًا﴾ يَحْتَمِلُ النَّصْبَ عَلَى الْمَصْدَرِ؛ أَي: لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرْزُقُوكُمْ، وَأَنْ يُرَادَ الْمَرْزُوقُ، وَتَنْكِيرُهُ لِلتَّعْمِيمِ.

﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ لَا عِنْدَ الْأَسْبَابِ ﴿الرِّزْقَ﴾ كُلَّهُ، إِنَّمَا لَمْ يَقُلْ: مِنْ اللَّهِ؛ لِعَدَمِ الدَّلَالَةِ<sup>(٤)</sup> فِيهِ عَلَى الْأَمْرِ بِتَرْكِ الْاعْتِمَادِ عَلَى الْأَسْبَابِ الْعَادِيَةِ.

ثُمَّ بَيَّنَّ طَرِيقَ الطَّلَبِ فَقَالَ: ﴿وَاعْبُدُوهُ﴾؛ أَي: فِي كُلِّ حَالٍ ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ لِمَا مَضَى<sup>(٥)</sup> مِنَ الْإِفْضَالِ، مُسْتَعِدِّينَ لِلِقَائِهِ بِهَا، فَإِنَّهُ:

(١) فِي (ي): «وَتَصْنَعُونَ».

(٢) نَسَبَتْ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالسَّلْمِيِّ. انْظُرْ: «الْمَخْتَصَرُ فِي شَوَازِ الْقُرْآنِ» (ص: ١١٥).

(٣) نَسَبَتْ لِابْنِ الزَّيْبِرِ. انْظُرْ: «الْمَخْتَصَرُ فِي شَوَازِ الْقُرْآنِ» (ص: ١١٥).

(٤) فِي (ف) وَ(ك) وَ(م): «دَلَالَةٌ».

(٥) فِي (ف): «لَمَّا مَضَى»، وَفِي (م): «بِمَا مَضَى».

﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فيجازيكم بما عملتم من الشكر والكفران، والعبادة والطغيان، وهو وعد ووعد.

\*\*\*

(١٨) - ﴿وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾.  
 ﴿وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ كقوم نوح وهود وصالح ﴿وَمَا عَلَى  
 الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾؛ أي: وإن تكذبوني فلا تضروني<sup>(١)</sup> بتكذيبكم؛ فإنَّ الرُّسُلَ  
 قبلي قد كذبهم أممهم، وما ضرُّوهم وإنَّما ضرُّوا أنفسهم؛ حيث حلَّ بهم العذابُ  
 بسبب تكذيبهم، وأمَّا الرُّسول فقد تمَّ أمره حين بَلَغَ البَلْغَ المبين الذي زال معه  
 الشُّكُّ، وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته.

أو: وإن كنت مُكذِّباً فيما بينكم فلي في سائر الأنبياء أسوةٌ حيث كُذِّبوا، وعلى  
 الرُّسول أن يبلغ<sup>(٢)</sup>، وما عليه أن يُصدَّق ولا يُكذَّب، فالآية وما<sup>(٣)</sup> بعدها من جُملة  
 قصَّة إبراهيم عليه السلام.

\*\*\*

(١٩) - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ وقرئ بالتاء<sup>(٤)</sup> على تقدير القول.

﴿كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾؛ أي: قد رأوا ذلك وعلموه. وقوله:

(١) في (ك): «تضروني».

(٢) في (ف): «وما على الرسول إلا أن يبلغ».

(٣) في (ك): «جامعة» بدل «وما».

(٤) وهي قراءة أبي بكر وحمزة والكسائي. انظر: «التيسير» (ص: ١٧٣).

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ ليس بمعطوف على ﴿يُبْدِي﴾، وليست الرؤية واقعة عليه، وإنما هو إخبارٌ على حياله<sup>(١)</sup> بالإعادة بعد الموت، كما وقع النظر في قوله: ﴿كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ [العنكبوت: ٢٠] على البدء دون الإنشاء، بل هو معطوف على جملة قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾.

﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾؛ أي: الإعادة ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: سهل.

\*\*\*

(٢٠) - ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿قُلْ﴾ حكاية كلام الله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ على كثرتهم واختلاف أحوالهم؛ لتعرفوا عجائب فطرة الله تعالى في المشاهدة، وبدأً وأبدأً بمعنى.

﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ بعد النشأة الأولى التي هي الإبداء، فإنه والإعادة نشأتان من حيث إنَّ كلاً اختراعٌ وإخراجٌ من العدم.

ولمَّا كَانَ المقصودُ من السِّياق الاستدلالُ مِنَ الابتداء على الإعادة، والدليلُ النَّفْسِي أقربُ وأوضحُ من الآفاقي، ذكرَ الرؤيةَ في الأوَّلِ والنَّظَرَ في الثَّانِي، وكانَ القياسُ أنْ يُقالَ: كيفَ بَدَأَ اللهُ الخلقَ، ثم ينشئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ، وإنما قيلَ: ﴿كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ لأنَّ الكلامَ مَعَهُم وقعَ<sup>(٢)</sup> في الإعادة،

(١) في (ك): «مثاله». والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في «الكشاف» (٣/ ٤٤٨)، و«تفسير

النسفي» (٢/ ٦٧٠)

(٢) «وقع» مكررة في (ك).

فَلَمَّا قَرَّرْهُمْ فِي الْإِبْدَاءِ بِأَنَّهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، احْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ الْإِعَادَةَ إِنْشَاءٌ مِثْلُ الْإِبْدَاءِ، فَإِذَا لَمْ يُعْجِزْهُ الْإِبْدَاءُ وَجِبَ أَنْ لَا يُعْجِزَهُ الْإِعَادَةُ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: ثُمَّ ذَلِكَ الَّذِي أَنْشَأَ النَّشْأَةَ الْأُولَى هُوَ الَّذِي يَنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ، فَلْتَنْبِيهِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى أَبْرَزَ اسْمَهُ وَأَوْقَعَهُ مُبْتَدَأً.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وَمِنْ جُمْلَةِ الْأَشْيَاءِ مَا يُعَادُ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ.

\*\*\*

(٢١) - ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾.

﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تَعْذِيبُهُ ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ رَحْمَتُهُ ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾: تَرُدُّونَ.

\*\*\*

(٢٢) - ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ

وَلَا نَصِيرٍ﴾.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ رَبِّكُمْ؛ أَي: لَا تَفُوتُونَهُ إِنْ هَرَبْتُمْ مِنْ حُكْمِهِ وَقَضَائِهِ.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ الْفَسِيحَةِ ﴿وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ الَّتِي هِيَ أَفْسَحُ مِنْهَا وَأَبْسَطُ لَوْ كُنْتُمْ

فِيهَا.

﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يَتَوَلَّى أُمُورَكُمْ فَيَحْرُسُكُمْ عَنْ بَلَائِي ﴿وَلَا

نَصِيرٍ﴾ يَمْنَعُ عَذَابِي وَيُدْفَعُهُ عَنْكُمْ.

\*\*\*

(٢٣) - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَكُونُ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: بدلائله على وحدانيته، أو بكتبه ﴿وَلِقَائِهِ﴾ بالبعث.

﴿أُولَئِكَ يَسْأَلُونَ مِنْ رَحْمَتِي﴾ في الدنيا لإنكار البعث والجزاء.  
﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة بكفرهم.

\*\*\*

(٢٤) - ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾: قوم إبراهيم عليه السلام، وقرئ بالرفع<sup>(١)</sup> على أنه الاسم، والخبر:

﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾؛ أي: قال بعضهم لبعض، أو: قال واحد منهم وكان الباقون راضين، ثم اتفقوا على تحريقه.

﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ الفاء فصيحة؛ أي: قذفوه فيها، فأنجاه الله من النار بجعلها عليه برداً وسلاماً.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: في إنجائه منها ﴿لَآيَاتٍ﴾ هي عدم تأثيرها فيه مع شدة توقدها، وكونها باردة عليه، وحارة على ما هي<sup>(٢)</sup> عليه.

رُوي: أنها لم تحرق إلا الحبل الذي أوثقوه به<sup>(٣)</sup>.

(١) نسبت للحسن وسالم الأفطس. انظر: «تفسير الثعلبي» (٥ / ١٠)، و«المحرر الوجيز» (٤ / ٣١٢)، و«البحر المحيط» (١٧ / ١٢٠).

(٢) «هي» سقط من (ك) و(ي) و(ع) و(م).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» (٤ / ٣١٣).

ورُوي: أَنَّهُ لَمْ يُتَنَفَّعْ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِالنَّارِ لَذَهَابِ حَرِّهَا<sup>(١)</sup>.

﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لَأَنَّهُمْ الْمُتَنَفِّعُونَ بِهَا.

\*\*\*

(٢٥) - ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ

يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾؛ أي: لَتَتَوَادُّوا بينكم وتتواصلوا؛ لاجتماعكم على عبادتها، واتِّفاقكم عليها كما يَتَّفَقُ النَّاسُ عَلَى مَذْهَبٍ فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبَ تَحَابِّهِمْ.

وثاني مفعولي ﴿اتَّخَذْتُمْ﴾ محذوف، ويجوز أن يكون ﴿مَّوَدَّةَ﴾ المفعول الثاني بتقدير مضاف أو بتأويلها بالمودودة؛ أي: اتخذتم أوثاناً سبب<sup>(٢)</sup> المودة بينكم.

وقرئت منوثة ناصبة ﴿بينكم﴾، والوجه ما سبق، وقرئت مرفوعة مضافة على أَنَّهَا خَيْرٌ مِّبْتَدَأٌ محذوف<sup>(٣)</sup>؛ أي: هي مودة، أو: سبب مودة بينكم، والجملة صفة ﴿أَوْثَانًا﴾ أو خبر (إنَّ) على أَنَّ (ما) موصولة أو مصدرية، والعائد محذوف، وهو المفعول الأول.

(١) انظر: «الكشاف» (٢/ ٤٥٠).

(٢) في النسخ: «بسبب». والمثبت من «الكشاف» (٣/ ٤٥٠)، و«تفسير البضاوي» (٤/ ١٩٢)، و«تفسير النسفي» (٢/ ٦٧٢).

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: ﴿مَّوَدَّةَ﴾ بالرَّفْعِ من غير تنوين ﴿بينكم﴾ بالخفض، وحفص وحمزة: ﴿مودة﴾ بالنَّصْبِ من غير تنوين ﴿بينكم﴾ بالخفض، والباقون: ﴿مودة﴾ بالنَّصْبِ والتَّنْوِينِ و﴿بينكم﴾ بالفتح. انظر: «التيسير» (ص: ١٧٣).

وقرئت مرفوعةً منوثةً ومضافةً بفتح (بينكم)، كما قرئ: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]<sup>(١)</sup>.

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ يتبرأ القادة من الأتباع.  
 ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ يلعن الأتباع القادة.  
 ﴿وَمَا وَنَكُمْ﴾: مصيركم جميعاً ﴿النَّارُ وَمَالُكُمْ مِنْ نَصِيرَةٍ﴾ يخلصونكم منها.

\*\*\*

(٢٦) - ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.  
 ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ﴾؛ أي: صدقه فيما قاله وأتبع له، لا أنه أحدث الإيمان في ذلك الوقت؛ لأن الكفر لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام.  
 ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ من كوثي؛ وهي<sup>(٢)</sup> من سواد الكوفة.

﴿إِنِّي رَبِّي﴾ إلى حيث أمر ربِّي<sup>(٣)</sup>.  
 ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾؛ أي: المنيع الذي من لجأ إليه منعه من أعدائه.  
 ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي لا يأمر إلا بما فيه خير.

(١) انظر القراءتين في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٥)، و«الكشاف» (٣/ ٤٥٠)، و«تفسير البضاوي» (٤/ ١٩٢)، وعنه نقل المؤلف كل ما سبق.

(٢) «وهي» من (ي) و(ع).

(٣) في (م): «أمرني ربي»، وفي (ف) و(ك): «أمرني».

(٤) في (ف): «أمن من»، وسقطت من (ك).

رُوي أَنَّهُ هَاجَرَ مَعَ لُوطٍ ابْنِ أَخِيهِ وَسَارَ بَنَاتِ عَمِّهِ إِلَى حَرَّانَ، ثُمَّ مِنْهَا إِلَى الشَّامِ، وَنَزَلَ فِلَسْطِينَ، وَنَزَلَ لُوطٌ سَدُومَ.

\*\*\*

(٢٧) - ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ولداً ونافلةً، قيل: حين أيس من الولادة من عجوز عاقر، ولذلك لم يذكر إسماعيل عليه السلام، ويردّه قوله: ﴿وَهَبَ لِي عَلَى الْكَبِيرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾ فإنه شجرة الأنبياء عليهم السلام.

﴿وَالْكِتَابَ﴾ يريد به الجنس، فيتناول الكتاب الأربعة.

﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ﴾ على هجرته إلينا ﴿فِي الدُّنْيَا﴾: الثناء الحسن، والصلاة عليه إلى آخر الدهر، ومحبة أهل الملل له، وأما ما<sup>(١)</sup> تقدّم ذكره فالعطف عليه يأبى عن دخوله في الأجر.

﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

\*\*\*

(٢٨) - ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَنْتُنَّ أَلْفَ حِشَّةٍ مَّا سَبَقَ كُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ آلِ عَالَمِينَ﴾.

﴿وَلُوطًا﴾ عطف على ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾، أو على ما عطف عليه.

(١) في (ف) و(ك) و(م) زيادة: «قيل».

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفَحِشَةَ﴾: الفعلة البالغة في القبح.  
 ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ جملة مستأنفة مقررة لفحاشة  
 تلك الفعل، كأن قائلًا قال: لِمَ كانت فاحشة؟ فقيل: لأن<sup>(١)</sup> أحداً قبلهم لم يُقدم  
 عليها.

\*\*\*

(٢٩)- ﴿أَيُّكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ  
 فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَأَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.  
 ﴿أَيُّكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ طريق المارة بفعلكم الفاحشة بمن  
 يمرُّ بكم، فترك النَّاسُ الممرَّ بكم.  
 ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ﴾: مجلسكم الذي تجتمعون فيه، ولا يُسمَّى نادياً إلا ما  
 دام فيه أهله.  
 ﴿الْمُنْكَرُ﴾ كالمضارطة، والمجامعة، والسَّبَاب، والفُحْشِ فِي الْمِزَاجِ،  
 والخذف بالحصى، ومَضْغِ الْعِلْكِ، والفرقة والسَّوَاكِ بَيْنَ النَّاسِ<sup>(٢)</sup>.  
 ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَأَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾  
 قد سبق في سورة الأعراف.

\*\*\*

(٣٠)- ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾.  
 ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي﴾: يا نزال العذاب ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ بابتداع الفاحشة،

(١) في (ك): «إن».

(٢) ذكره الزمخشري عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: «الكشاف» (٣/ ٤٥٠).

وسنّها فيمن بعدهم، وصفهم بذلك مبالغةً في استنزال العذاب، وإشعاراً بأنهم أحقّاء بأن يُعجّلَ لهم العذاب.

\*\*\*

(٣١) - ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾: بالبشارة بالولد لقوله: ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾ [الحجر: ٥٣].

﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾: قرية سدوم، و﴿هَذِهِ﴾ تُشعرُ بأنها قرية من موضع إبراهيم عليه السلام، والإضافة لفظية؛ لأنَّ المعنى على الاستقبال. ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ تعليلٌ لإهلاكهم؛ أي: الظلم قد استمرَّ فيهم في الأيام السَّالفة، وهم عليه مصرُّون، وإنَّما قال: ﴿إِنَّ أَهْلَهَا﴾ ولم يقل: (إنهم) تضميناً للتعليل الإشعارَ بمنشأ حُبث طبيعتهم، وهو خبث طبيعتهم.

ففيه إشارةٌ خفيةٌ إلى أنَّ المراد من أهل القرية: من نشأ فيها، فلا يتناول لوطاً، ومن لم يتنبّه لهذا زعم أنَّ في قولهم الآتي تخصيصاً للأهل بمن عداه.

\*\*\*

(٣٢) - ﴿قَالَ إِن فِيهَا لُوطٌ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنِ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾.

﴿قَالَ إِن فِيهَا لُوطٌ﴾ معارضةٌ للموجب بالمانع، وهو كونُ النَّبي بين أظهرهم.

وَأَمَّا الاعتراض عليهم بأن فيها من لم يظلم<sup>(١)</sup>، فلا يناسب حال المعترض؛ لأنَّ مَبْنَاهُ الغفول عن الإشارة التي قدَّمنا بيانها.

﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ﴾ منك ﴿يَمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهٗ وَأَهْلَهُ﴾ وليس هنا خطابٌ بمعنى حكم شرعيٍّ، فلا وجهَ لِما قيل: فيه تأخيرُ البيانِ عن الخطابِ.

﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُ، كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِ بِكَ﴾: الباقيين في العذاب، قال في سورة الحجر: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ ثَجُومٍ مِّنْ نَّبِيِّكَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجِّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾﴾ إِلَّا أَمْرَاتُهُ، قَدَّرْنَا ﴿[الحجر: ٥٨ - ٦٠].

والتَّوْفِيقُ بينَ القولَيْنِ بأنَّ يُقَالَ: إِنَّ الحِكَايَةَ قد تكون على وجهِ التَّفْصِيلِ والنَّقْلِ بالعبارة أو بمرادفها، وقد يكون على وجهِ الإجمالِ والنَّقْلِ بحاصل المعنى، والمذكور ثَمَّةً مِنْ قَبِيلِ الثَّانِي، والمذكور هاهنا مِنْ قَبِيلِ الأوَّلِ.

ثمَّ أخبر عن مصير الملائكة إلى لوطٍ عليه السلام بعدَ مفارقتهم إبراهيم عليه السلام بقوله:

(٣٣) - ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَ بِهِمْ وَضَافَ بِهِمْ ذُرْعًا قَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَانِكَ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِ بِكَ﴾.

﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَ بِهِمْ﴾: ساءه مجيئهم، و﴿أَن﴾ صلةٌ أَكَّدَتْ وجودَ الفعلين مرتباً أحدهما على الآخر، كأنَّهما وُجِدا في جزءٍ واحدٍ مِنَ الزَّمانِ، كأنَّه قيل: كما أحسَّ بمجيئهم فاجأته المساءة مِنْ غيرِ رَيْثٍ خيفةً عليهم مِنْ قَوْمِهِ أَنْ يتناولوهم بالفُجور.

(١) رد على البيضاوي القائل: ﴿قَالَ لَيْسَ فِيهَا لُوطًا﴾ اعتراضٌ عليهم بأن فيها من لم يظلم. انظر: «تفسير البيضاوي» (٤/١٩٣).

﴿وَصَافَ بِهِمْ ذُرْعًا﴾: وضاق بشأنهم وبتدبير أمرهم ذُرْعُهُ؛ أي: طاقته، وقد جعلوا ضيق الذرع والذراع عبارة عن فقد الطاقة، كما قالوا: رَحِبُ الذَّرَاعِ، إذا كان مطيقاً له.

والأصل فيه: أن الرجل إذا طالت ذراعُه نال ما لا يناله القصير الذراع، وصار ذلك مثلاً في العجز والقدرة، وهو منصوبٌ على التمييز.

﴿وَقَالُوا﴾ عطفٌ على محذوفٍ متفرّع على ما تقدّم، تقديره: فكشفوا الحال وقالوا ذلك لما رأوا فيه أثر الضجرة، فالواوُ فصيحة.

﴿لَا تَخَفْ﴾ الخوف: انزعاج النفس بتوقع الضرر.

﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ لا على تمكّنهم منّا لاندفاع الخوف والحزن من تلك الجهة بإعلامهم أنّهم رسل الله، بل على نفسه وأهله لما علّم أنّ نزولهم لحادثة عظيمة، فقولهم<sup>(١)</sup>:

﴿إِنَّا مُنْجُونَكَ﴾ تعليلٌ لنفي الخوف والحزن.

﴿وَأَهْلَكَ﴾ نصبٌ بإضمارِ فعلٍ؛ لأنّ موضع الكاف جرٌّ على المختار، أو بالعطف على محلّها باعتبار الأصل.

﴿إِلَّا أَمْرًا نَكَ كَانَتْ﴾؛ أي: في أمر الله ﴿مِنَ الْغَيْبِ﴾: من الباقيين في الهلاك.

\*\*\*

(٣٤)- ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَكَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

﴿إِنَّا مُنْزِلُونَكَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾: عذاباً منها، سُمِّيَ

(١) في (ك): «بقولهم».

بذلك لأنه يُقْلِقُ المَعَذِبَ، مِنْ قولهم: ارتجز: إذا ارتجس؛ أي: اضطرب، فاستعمل لِمَا تَضَطَّرَبُ منه النَّفْسُ.

﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: بسبب استمرارهم على تجديدِ الفسقِ في كلِّ حينٍ.

\*\*\*

(٣٥) - ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا﴾: مِنَ الْقَرْيَةِ ﴿آيَةً بَيِّنَةً﴾: هي آثارُ منازلهم الْخَرِيةَ.

وقيل: الحجارةُ الممطورة.

وقيل: الماءُ الأسودُ على وجهِ الأرضِ.

﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يَسْتَعْمِلُونَ عقولهم في الاستبصار والاعتبار، وهو متعلقٌ

بـ ﴿تَرَكْنَا﴾ أو ﴿بَيِّنَةً﴾.

\*\*\*

(٣٦) - ﴿وَالِإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُومُوا عِبْدُوا اللَّهَ وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ

وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَالِإِلَى مَدْيَنَ﴾: وأرسلنا إلى مدينَ ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُومُوا عِبْدُوا اللَّهَ

وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ الأمرُ بِالرَّجَاءِ أمرٌ بسببه اقتضاء، ولا تجوزُ فيه.

ويجوز أن يكون الرَّجَاءُ بمعنى الخوف، و﴿الْيَوْمَ﴾ مجازٌ عما فيه مِنَ الثَّوَابِ

أو العقاب.

﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ قد سبق تفسيرُهُ.

\*\*\*

(٣٧) - ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيمِينَ﴾.  
 ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: هي زعزعة الأرض تحت القدم، وفي  
 سورة الحجر: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ [الحجر: ٧٣]؛ أي: صيحة جبريل عليه السلام،  
 وهي سبب الرجفة.  
 ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾: في ديارهم، على ما ذكر في سورة هود عليه السلام،  
 فاكتفى هنا بالواحد لِأَمْنِ اللَّبْسِ.  
 ﴿جَنِيمِينَ﴾ الجائِمُ: البارك<sup>(١)</sup> على ركبتيه مستقبلاً بوجهه الأرض؛ أي:  
 ميّتين على هذا الحال.

\*\*\*

(٣٨) - ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكَنِهِمْ وَزَيِّنَ لَهُمُ  
 الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾.  
 ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا﴾ منصوبان بفعلٍ دلَّ عليه ما قبله مثل: أهلكنا. وقرئ:  
 ﴿وَتَمُودًا﴾ غير منصرف على تأويل القبيلة<sup>(٢)</sup>.  
 ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ ذلك، يعني: ما وصفه من إهلاكهم.  
 ﴿مِنْ مَسْكَنِهِمْ﴾ من جهة مساكنهم إذا نظرتم إليها عند مروركم بها، وكان  
 أهل مكة يمرّون عليها في بعض أسفارهم فيبصرونها.  
 ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ من الكفر والمعاصي.

(١) في (ك): «النازل».

(٢) قرأ حفص وحزمة بفتح الدال من غير تنوين ووقفاً بغير ألف، والباقون بالتنوين ووقفوا بالألف.

انظر: «التيسير» (ص: ١٢٥).

﴿فَصَدَّهُمْ﴾ الصَّدُّ: الصَّرْفُ عن الخير، ولا يقال: صدّه عن الشرِّ، ولكن يقال: صرفه عن الشرِّ ومنعه منه<sup>(١)</sup>.

﴿عَنِ السَّيْلِ﴾: الصُّرَاطُ المستقيم الذي هداهم إليه الرُّسُلُ.  
 ﴿وَكَاثُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾: متمكِّنين مِنَ النَّظَرِ والاستبصارِ لكنهم لم يفعلوا، أو: متبيِّنين أَنَّ العذابَ لاحقٌ بهم بإخبارِ الرُّسُلِ لهم، ولكنهم لجُّوا حتى هلكوا.

\*\*\*

(٣٩) - ﴿وَقَدْرُوتَ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِيَةً.

﴿وَقَدْرُوتَ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ﴾ معطوفٌ على ﴿وَعَادًا﴾، وتقديم ﴿وَقَدْرُوتَ﴾ لشرف نسبه.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِيَةً﴾: فائتين، بل أدرَكهم أمرُ الله، مِنْ سَبَقِ طَالِبِهِ: إِذَا فَاتَهُ.

\*\*\*

(٤٠) - ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿فَكُلًّا﴾ مِنَ الْمَذْكُورِينَ ﴿أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾: عاقبنا بسببِ مِنْ جَهْتِهِ.

(١) في (م): «اعنه».

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ الحاصِبُ: ريحٌ تأتي بالحصباء، وهي<sup>(١)</sup> الحصا الصغار كقومٍ لوطٍ.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ كمدین وثمرود.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ كفارون.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾ كفرعون وقومه، وأمّا قومُ نوح عليه السلام فليسوا<sup>(٢)</sup> من المذكورين.

الغرقُ لا يكون إلّا في الماء بخلاف الخسف، ولذلك زاد فيه قوله: ﴿بِهِ الْأَرْضُ﴾.

﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾: ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جُرم، وزيادة ﴿كَانَ﴾ لبيان أنّه ليس من عادته ذلك.

﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالتّعريض للعذاب.

\*\*\*

(٤١) - ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ

بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني: مثْلُ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ الْأَوْثَانِ.

﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ﴾ التّاءُ فيه كطاء (طاغوت)، تقع على الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث.

(١) في (ك): «وهو».

(٢) في (ك): «ليسوا»، وفي (ي) و(ع): «ليس».

﴿اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾؛ أي: كمثّل العنكبوت فيما تتخذُه لنفسِها مِن بيتٍ؛ فإنَّ ذلك البيت لا يدفَعُ عنها الحرَّ والبرد، ولا يقي ما تقي البيوتُ، فكذلك الأوثان لا تنفعُهم في الدُّنيا والآخرة.

ولا وجهَ لِمَا قيل في تفضيل<sup>(١)</sup> بيتها: بل ذلك أوهن، فإن لهذا حقيقةً وانتفاعاً مَّا<sup>(٢)</sup>؛ لأنَّ قضية التشبيه عكس هذا.

﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ مِن هنا ظهر أنَّ الغرض تشبيهُ ما اتَّخذوه مُتَّكِلًا ومعتمدًا في دينهم بما هو مُثَلٌّ عند النَّاسِ في الوهن والضعف، لا تشبيه ذواتهم بالعنكبوت.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: يرجعون إلى علمٍ لعلموا أنَّ هذا مثْلهم، أو أنَّ دينهم أوهنُ مِن ذلك، ويجوز أن يُخرَجَ الكلامُ بعد تشبيه دينهم ببيت العنكبوت مخرَجَ الاستعارة؛ فيرادَ ببيت العنكبوت دينَ المشركين وعبادة الأوثان، فيكون استعارةً مصرَّحةً تمثيليةً.

\*\*\*

(٤٢) - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ على إضمار القول؛ أي: قل للكفرة: إنَّ الله يعلم.

(١) في هامش (ع) و(ف) و(ي): «موجب التفضيل أن يكون سائر البيوت دونه في الوهن فلا يجدي ما

قيل في تفسيره: لا بيت أوهن منه. منه».

(٢) انظر: «تفسير البضاوي» (٤/ ١٩٥).

وقرى: ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياء<sup>(١)</sup>، حملاً على ما قبله.

و﴿مَا﴾ استفهامية منصوبة بـ ﴿يَدْعُونَ﴾، و﴿يَعْلَمُ﴾ معلقة عنها، و﴿مِنْ﴾ للتبيين.

أو نافية و﴿مِنْ﴾ مزيدة، و﴿شَيْءٍ﴾ مفعول ﴿يَدْعُونَ﴾.

أو مصدرية و﴿شَيْءٍ﴾ مصدر<sup>(٢)</sup>.

أو موصولة مفعول لـ ﴿يَعْلَمُ﴾، ومفعول ﴿يَدْعُونَ﴾ عائده المحذوف.  
والكلام على الأولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل، وعلى الآخرين وعيد لهم.  
﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تعليل على المعنيين، فإنَّ مِنْ فَرْطِ الغباوة إشراك ما لا يُعدُّ شيئاً بمن<sup>(٣)</sup> هذا شأنه، وأنَّ الجمادَ بالإضافة إلى القادر القاهر على كلِّ شيء، البالغ في العلم وإتقان الفعل الغاية، كالمعدوم، وأنَّ مَنْ هذا صفته قَادِرٌ<sup>(٤)</sup> على مجازاتهم.

\*\*\*

(٤٣) - ﴿وَلِئَلَّا مَثَلُ نَصْرِيهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾.

﴿وَلِئَلَّا مَثَلُ﴾ يعني: المثل المذكور وأشباهه.

﴿نَصْرِيهَا لِلنَّاسِ﴾ تقريباً لِمَا بَعْدَ مِنْ أفهامهم.

(١) قراءة عاصم وأبي عمرو، وباقي السبعة بالتاء. انظر: «التيسير» (ص: ١٧٤).

(٢) «شيء مصدر» سقط من (ك)، و«مصدر» سقط من (ف).

(٣) في (ف) و(م) و(ي) و(ع): «لمن».

(٤) في النسخ: «قدر»، والمثبت من «تفسير البيضاوي» (٤/ ١٩٥).

﴿وَمَا يَعْقِلُهَا﴾: وما يعقل حسنَهَا وفائدَتَهَا ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾: الواقفون على أَنَّ الأمثال والتشبيهات إنما هي الطُّرُق إلى المعاني <sup>(١)</sup> المستورة حتى تبرزها وتصورها للأفهام.

\*\*\*

(٤٤) - ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.  
 ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ مُحَقَّقًا؛ يعني: لم يخلقهما باطلاً، بل لحكمة، وهي أن تكونا <sup>(٢)</sup> مساكنَ عبادِهِ، وعبرةً للمعتبرين منهم، ودلائل على <sup>(٣)</sup> عظم قدرته، كما أشار إليه بقوله:  
 ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ خَصَّهم بالذكر لَأَنَّهُم المتفَعِّلون بها.

\*\*\*

(٤٥) - ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.  
 ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ تقرباً إلى الله بقراءته، وتحفظاً لألفاظه، واستكشافاً لمعانيه؛ فإنَّ القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له أول ما قرع سمعه.  
 ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾؛ أي: دُم على إقامتها.

(١) في (ك): «للمعاني».

(٢) في (ف) و(ك) و(ي): «تكون».

(٣) «على» سقط من (م).

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ قد مرَّ تفسيرُهما، والنَّهْيُ مجازٌ عن المنع.

رُوي: أَنَّ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ يَصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَلَا يَدْعُ شَيْئاً مِنَ الْفَوَاحِشِ إِلَّا رُكِبَهُ، فَوُصِفَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: «إِنَّ صَلَاتَهُ سَتْنَاهُ»، فلم يَلْبَثْ أَنْ تَابَ<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾؛ أي: والصلاةُ أَكْبَرُ مِنْ غَيْرِهَا مِنَ الطَّاعَاتِ، وَإِنَّمَا عَبَّرَ عَنْهَا بِهِ لِتَسْتَقِلَّ بِالْتَّعْلِيلِ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَالصَّلَاةُ أَكْبَرُ لِأَنَّهَا ذِكْرُ اللَّهِ. أو: لَذِكْرُ اللَّهِ<sup>(٢)</sup> إِيَّاكُمْ بِرَحْمَتِهِ أَكْبَرُ مِنْ ذِكْرِكُمْ إِيَّاهُ بِطَاعَتِهِ. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ مِنْهُ وَمِنْ سَائِرِ الطَّاعَاتِ، فَيَجَازِيكُمْ بِهَا أَحْسَنَ الْمَجَازَاةِ.

\*\*\*

(٤٦) - ﴿وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَأْتِيهِمْ أَحْسَنُ إِلَا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. ﴿وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ أَصْلُ الْجِدَالِ: شِدَّةُ الْقِتْلِ<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٨١/٧)، و«الكشاف» (٤٥٦/٣)، و«المحرر الوجيز» (٣٢٠/٤)، وعزاه الثعلبي وابن عطية لرواية أنس رضي الله عنه، لكن قال الحافظ في «الكاف الشاف» (ص: ١٢٨): (لم أجده). قلت: روى الإمام أحمد في «المسند» (٩٧٧٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٥٦٠)، عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله، إن فلاناً يَصَلِّي بالليل، فإذا أصبح سرق، قال: «سينهاه ما تقول». ورجاله رجال الصحيح كما في «مجمع الزوائد» (٢٥٨/٢).

(٢) «ولذكر الله» زيادة من (ي).

(٣) قال الخازن في «تفسيره» (٥٩٥/١): «لأن كل واحد من الخصمين يريد أن يقتل صاحبه عما هو عليه».

﴿إِلَّا يَأْتِي﴾: إِلَّا بِالْخَصْلَةِ الَّتِي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كَمُعَارَضَةِ الْخَشُونَةِ بِاللَّيْنِ، وَالْغَضَبِ بِالْكُظْمِ، وَالْمَشَامَتَةِ بِالنُّصْحِ.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بِالْإِفْرَاطِ فِي الْعِتْدَاءِ وَالْعِنَادِ، فَلَمْ يَنْفَعْ فِيهِمُ الرَّفْقُ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: وَلَا تَجَادَلُوا الدَّاخِلِينَ فِي الدِّمَةِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا فَنَبَذُوا الدِّمَةَ وَمَنْعُوا الْجِزْيَةَ، وَمَجَادَلْتُهُمْ بِالسَّيْفِ.

﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ مِنْ جِنْسِ الْمَجَادَلَةِ بِالْأَحْسَنِ، وَعَنْ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا تَصَدَّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تَكْذِبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِاللَّهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ، فَإِنْ كَانَ بَاطِلًا لَمْ تَصَدِّقُوهُمْ، وَإِنْ كَانَ حَقًّا لَمْ تَكْذِبُوهُمْ»<sup>(١)</sup>.

﴿وَالِهِنَاوَالِهَهُمْ وَحَدِّ وَخُنْ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾: مُطِيعُونَ لَهُ خَاصَّةً، وَفِيهِ تَعْرِضُ بِاتِّخَاذِهِمْ أَحْبَارَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ.

\*\*\*

(٤٧) - ﴿وَكَذَلِكَ أُنْزِلَ إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ﴾: وَمِثْلُ ذَلِكَ الْإِنْزَالِ ﴿أُنْزِلَ إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ مُصَدِّقًا لِكِتَابِهِمْ بِأَنْ نَزَلَ عَلَى مَا وُصِفَ فِيهَا.

﴿فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْرَابِهِ، تَفْرِيعٌ عَلَى نَزُولِ الْقُرْآنِ عَلَى مَا وُصِفَ فِي كِتَابِهِمْ، وَإِنَّمَا قَالَ:

﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ دُونَ: آمَنُوا بِهِ؛ لِأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بَعْدُ.

(١) رَوَى نَحْوُهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٦٤٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي نَمْلَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَصْلُ الْحَدِيثِ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ (٤٤٨٥) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿وَمَنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ الإشارةُ إلى أهل مكة، أو إلى عَامَّةِ العربِ، لا إلى مَنْ في عهد الرِّسُولِ عليه السلام من أهل الكتاب؛ لأنَّهم داخلون فيما تقدَّم، ولا مجال لتخصيصه بمن تقدَّم عهده عليه السلام لأنَّ التَّفْرِيعَ يَأْبَاهُ<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ مع ظهورها وقيام الحجَّة عليها، ولذلك قال: ﴿وَمَا يَجْحَدُ﴾؛ فَإِنَّ الْجَحْدَ لَيْسَ مطلقَ الإنكارِ، بل الإنكارُ بعدَ المعرفة.   
﴿إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾: إِلَّا السَّاتِرُونَ للحقِّ بعدَ وضوحه عندهم عناداً<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(٤٨) - ﴿وَمَا كُنْتَ تَسْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذْ أَلَزَّتْكَ أَلْمُطَلُوتُ﴾.   
﴿وَمَا كُنْتَ تَسْلُوا مِنْ قَبْلِهِ﴾؛ أي: مِنْ قَبْلِ نَزُولِ الْقُرْآنِ عَلَيْكَ، فَيُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ قَادِرًا عَلَى التَّلَاوَةِ وَالْخَطِّ بَعْدَهُ.

﴿مِنْ كِتَابٍ﴾ عَرَبِيًّا كَانَ أَوْ عِبْرِيًّا أَوْ سَرِيَانِيًّا أَوْ فَارْسِيًّا.   
﴿وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ فَإِنَّ ظَهْرَ هَذَا الْكِتَابِ الْجَامِعِ لِأَنْوَاعِ الْعُلُومِ الشَّرِيفَةِ عَلَى مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْقِرَاءَةِ وَالْخَطِّ<sup>(٣)</sup> خَارِقٌ لِلْعَادَةِ.

وَذَكَرَ الْيَمِينِ زِيَادَةً تَصْوِيرًا لِلْمُنْفَى، وَنَفْيًا لِلتَّجَوُّزِ فِي الْإِسْنَادِ، وَمَا فِيهِ مِنَ الْإِطْنَابِ الْمَعْنَوِيِّ لِإِفَادَةِ أَنَّ الْكِتَابَةَ مِنْ أَشْرَفِ الصَّنَاعَاتِ، فَحَقُّهَا أَنْ تَكُونَ بِالْيَمِينِ

(١) فِي هَامِش (ي): «رَدُّ لِلْكَشَافِ»، وَهُوَ كَمَا قَالَ.

(٢) فِي هَامِش (ف) وَ(ي) وَ(ع): «وَلَوْ لَا هَذَا الْإِعْتِبَارُ لَكَانَ الْكَلَامُ خَلُوعًا عَنِ الْفَائِدَةِ. مِنْهُ».

(٣) فِي هَامِش (ي): «مَنْ بَدَلَ الْخَطَّ بِالتَّعَلُّمِ فَكَأَنَّهُ اسْتَلَّ [أَوْ: اسْتَدْرَكَ، أَوْ: اسْتَدْلَلَ]، وَلَا

يَخْفَى مَا فِيهِ مِنْهُ».

دون اليسار المخصوصة بخسائس الأمور، على ما أشار إليه النبي عليه السلام بقوله: «اليمين للوضوء واليسار للاستنجاء»<sup>(١)</sup>.

﴿إِذَا﴾ تقديره: ولو كُنْتَ تَتْلُو الْكِتَابَ وَتَخْطُهُ إِذَا ﴿لَا زَنَابَ﴾: لَشَكَّ ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالُوا: الَّذِي نَجَدَهُ فِي كُتُبِنَا أُمِّي لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ، وَلَيْسَ بِهِ.

وإِنَّمَا سَمَّاهُمْ مَبْطِلِينَ لِأَنَّهُمْ وَجَدُوهُ فِي كُتُبِهِمْ كَذَلِكَ فَغَيَّرُوهُ<sup>(٢)</sup>.  
 قيل: أي: لو كُنْتَ مَمَّنْ يَخْطُ<sup>(٣)</sup> وَيَقْرَأُ لَقَالُوا: لَعَلَّهُ تَعَلَّمَ أَوْ التَّقَطَّ مِنْ كُتُبِ الْأَقْدَمِينَ.

وفيه: أَنَّ ذَلِكَ الْإِرْتِيَابَ لَا يَنْدَفِعُ بِكَوْنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُمِّيًّا؛ فَإِنَّ التَّعَلُّمَ مِنَ الْغَيْرِ لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ.

\*\*\*

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، ويوجد أحاديث كثيرة لاستحباب استخدام اليمين في الوضوء وما يستحسن، والنهي عن استخدامها في الاستنجاء، منها ما رواه البخاري (١٥٣) ومسلم (٢٦٧) عن أبي قتادة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَسُ فِي الْإِنَاءِ، وَإِذَا أَتَى الْخَلَاءَ فَلَا يَمَسُ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ، وَلَا يَتَمَسَحُ بِيَمِينِهِ».

وروى أبو داود (٣٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْيُمْنَى لَطَهْرَهُ وَطَعَامَهُ، وَكَانَتْ يَدُهُ الْيُسْرَى لَخَلَاتِهِ، وَمَا كَانَ مِنْ أَدَى».

(٢) في هامش (ع) و(ي): «لَمَّا عَرَفْتَ أَنَّ الْإِرْتِيَابَ مَخْصُوصٌ بِهِمْ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقَدْ ظَهَرَ عِنْدَكَ وَجْهُ التَّعْبِيرِ بِالْمَبْطِلِينَ دُونَ الْكَافِرِينَ، وَمَنْ لَمْ يَتَنَبَّهُ لِذَلِكَ زَعَمَ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُمْ الْكَافِرِينَ. مِنْهُ».

(٣) في (ف) و(ي): «تَخْطُهُ».

(٤٩) - ﴿بَلْ هُوَ آيَتٌ يَتَنَتُّ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَحْكُدُ إِعَانَتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾.

﴿بَلْ هُوَ﴾: بل القرآن ﴿آيَتٌ يَتَنَتُّ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ هما من خصائص القرآن: كونه آياتٍ بَيِّنَاتٍ للإعجاز، وكونه محفوظاً في الصدور، بخلاف سائر الكتب السماوية؛ فإنها لم تكن معجزات في حدود أنفسها<sup>(١)</sup>، وما كانت<sup>(٢)</sup> تقرأ إلا من المصاحف.

وفي قوله: ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ تشریفٌ للحفاظ، وتنبيهٌ على أن حفظه حقيقة إنما يكون بالوقوف على معانيه.

﴿وَمَا يَحْكُدُ إِعَانَتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾: إلا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل الإعجاز.

\*\*\*

(٥٠) - ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿وَقَالُوا﴾ عطف على اللازم ممّا تقدّم؛ أي: لم يعتدوا<sup>(٣)</sup> بتلك الآيات وقالوا:

(١) في هامش (ي) و(ع): «ولا ينافي هذا كون بعضها معجزة من جهة أخرى، كالتوراة فإنها نزلت من السماء مكتوبة. منه».

(٢) «كانت» سقطت من (ع).

(٣) في (ع): «لا تعبدوا»، وفي (ف): «لا تعدوا»، وفي (ك): «لا تعتدوا»، وفي (م): «لا يقتدوا»، وفي (ي): «لا يعتدوا»، والصواب المثبت.

﴿لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ مثل ناقة صالح، وعصا موسى، ومائدة عيسى، عليهم السلام.

﴿قُلْ إِنَّمَا آيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ينزلها كما يشاء، وأمّا ما قيل: لست أهلها فأتاكم بما تقترحونه، فلا يناسب المقام؛ لأن الاقتراح كان من الله تعالى لا منه عليه السلام ﴿وإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ليس من شأني إلا تبليغ ما أُمِرْتُ به من الإنذار والإبانة ممّا أُعْطِيتُ مِنَ الْآيَاتِ، والاقتصارُ على ذِكْرِ الْإِنذَارِ لزيادة التّهديد لهم والوعيد في حقّهم، وإلا فشأنه عليه السلام غير مقصور على ما ذُكِرَ، بل التّبشِيرُ أيضاً من شأنه.

\*\*\*

(٥١) - ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ آية مغنية عمّا اقترحوه.

﴿أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: الكامل في جنسه.

﴿يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾: تدوم تلاوته عليهم في كلّ مكانٍ وزمانٍ، فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول كما تزول كلّ آية بعد كونها.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: إنّ في مثل هذه الآية الموجودة في كلّ مكانٍ وزمانٍ إلى آخر الدهر.

﴿لَرَحْمَةً﴾: لنعمة عظيمة ﴿وَذِكْرَى﴾: وتذكرة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لمن همّه الإيمان دون التّعنت.

\*\*\*

(٥٢) - ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝﴾.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ بصدقني<sup>(١)</sup>، وقد صدَّقني بالمعجزات، أو: بتبليغي ما أُرسلتُ به إليكم ونصحي ومقابلتكم إِيَّايَ بالتكذيبِ والتعنُّتِ.

﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ﴾ فهو مُطَّلِعٌ على أمري وأمركم، وعالمٌ بحقِّي وباطلكم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ وهو الذي يُعبدُ مِن دُونِ اللَّهِ ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ منكم ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ في صفقتهم حيث اشتروا الكفرَ بالإيمان.

\*\*\*

(٥٣) - ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝﴾.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ بقولهم: أمطر علينا حجارةً مِنَ السَّمَاءِ.

﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ على مقتضى الحكمة لكلِّ عذابٍ أو قومٍ ﴿لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ عاجلاً.

﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ﴾ العذابُ في الأجلِ المسمَّى ﴿بَغْتَةً﴾: فجأةً ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقتٍ مجيئه، فليس وقعة بدر منه<sup>(٢)</sup>.

(١) في (م): «يصدقني».

(٢) في (ك): «فليس وقت بدر منه»، وفي (ف): «فليس وقت بدل منه»، وفي (م): «فليس وقت يدرأ

منه». والمثبت من (ع) و(ي)، وهو الصواب، حيث ذكره رداً على البيضاوي (٤/١٩٧) في قوله:

﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾ فجأةً في الدنيا كوقعة بدر.

(٥٤ - ٥٥) - ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (٥٤) يَوْمَ يَغْشَاهُمْ  
الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾.

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ أعاده لربط قوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ﴾ أريد بـ ﴿جَهَنَّمَ﴾ ما يوجبها، أو نزل الإحاطة المقدرة منزلة المحققة للقطع بوقوعها، وهذا بحسب النظر الجليل.

وأما الذي يقتضيه النظر الدقيق: فهو أنه تعالى مُنْزَهُ عَنِ النَّسَبِ الزَّمانِيَّةِ، فالكائنات كلها واقعة في أوقاتها<sup>(١)</sup> المعينة بالنظر إليه تعالى، فلا تجوز في أحد جزأي الكلام.

﴿بِالْكَافِرِينَ﴾ اللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمَر؛ للدلالة على موجب الإحاطة، أو للجنس فيكون استدلالاً بحكم الجنس على حكمهم.

ولا وقف على ﴿بِالْكَافِرِينَ﴾ لأن: ﴿يَوْمَ﴾ ظرف إحاطة النار بهم.

﴿يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ كقوله: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦].

وذكر<sup>(٢)</sup> ﴿أَرْجُلِهِمْ﴾ للدلالة على أن تلك التَّغْشِيَّة في حال انتصابهم.

﴿وَيَقُولُ﴾ الله، أو بعض الملائكة بأمره؛ لقراءة: ﴿ونقول﴾ بالنون<sup>(٣)</sup>: ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: جزاءه.

\*\*\*

(١) في (ف) و(ك): «إفادتها».

(٢) في (ك): «ذكر».

(٣) قرأ الكوفيون ونافع بالياء، وباقي السبعة بالنون. انظر: «التيسير» (ص: ١٧٤).

(٥٦) - ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةً فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾.

﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةً﴾؛ أي: إذا لم تتسهّل العبادة في بلدة، ولم يتيسّر لكم إظهار دينكم، فهاجروا إلى حيث يتمشّى لكم ذلك، والفاء في قوله: ﴿فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾ جواب شرط محذوف؛ إذ المعنى: إن أَرْضِي واسعة؛ إن لم تخلصوا العبادة في أرض فأخلصوها في غيرها، ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول، مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص، ثم شجّع المهاجر بقوله:

(٥٧) - ﴿كُلْ نَفْسٍ ذَاقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.

﴿كُلْ نَفْسٍ ذَاقَةُ الْمَوْتِ﴾؛ أي: واجدة مرارته، كما يجد الذائق طعم المذوق؛ لأنها إذا تيقنت<sup>(١)</sup> بالموت سهل عليها مفارقة وطنها. ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ بعد الموت للثواب والعقاب، ومن هذا عاقبته ينبغي أن يجتهد في الاستعداد له.

\*\*\*

(٥٨ - ٥٩) - ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ﴾ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾: لننزلنهم ﴿مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾: علالي.

وقرى: ﴿لَنُثَوِّنَهُمْ﴾ من الثواء<sup>(٢)</sup>، وهو النزول للإقامة، وثوى غير متعدّد، فإذا

(١) في (م): «تيقن».

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي. انظر: «التيسير» (ص: ١٧٤).

تعدى بزيادة الهمزة لم يتجاوز مفعولاً واحداً، والوجه في تعديته إلى ضمير المؤمنين وإلى الغرف: إما إجراؤه مجرى لتنزلتهم ولنبتوتهم، أو حذف الجار وإيصال الفعل، أو تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم.

﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾ وقرئ: (فنعمة)<sup>(١)</sup>، والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله.

ويوقف على ﴿الْعَمَلِينَ﴾ على أَنَّ ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هم الذين صبروا على أذية المشركين، والهجرة للدين، إلى غير ذلك من المحن والمشاق.

والوصل أجود؛ ليكون ﴿الَّذِينَ﴾ نعتاً لـ ﴿الْعَمَلِينَ﴾.

﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: ولا يتوكلون في جميع ذلك إلا على الله.

\*\*\*

(٦٠) - ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿وَكَايْنٍ﴾: وكم ﴿مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾: لا تطيق حمله لضعفها، ولا تدخره، وإنما تصبح ولا معيشة عندها.

﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ ثم إنَّها مع ضعفها وتوكلها، وإياكم مع قوتكم واجتهادكم في الكسب، سواء في أنه<sup>(٢)</sup> لا يرزقها وإياكم إلا الله، فإنه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم أسباب الكسب لكتُم أعجز من أضعف الدواب، فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة.

(١) نسبت ليحيى بن وثاب. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٥).

(٢) في (ك): «أنها».

رُويَ أَنَّهُمْ لَمَّا أَمَرُوا بِالْهَجْرَةِ قَالَ بَعْضُهُمْ: كَيْفَ نَقْدُمُ بِلَدَةٍ لَيْسَ لَنَا فِيهَا مَعِيشَةٌ، فَتَزَلَّتْ<sup>(١)</sup>.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لقولكم: نخشى الفقر والضَّيْعَةَ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما في ضمائركم.

\*\*\*

(٦١) - ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ المسؤول أهل مكة. ﴿لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾؛ أي: هم مُقَرَّرُونَ بذلك، ولا يخفى ضعف التمسك بوجوب انتهاء الممكنات إلى واحدٍ واجبٍ الوجود في هذا المطلب.

﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾: فكيف يُصَرَّفون عن<sup>(٢)</sup> توحيده مع إقرارهم بهذا كله.

\*\*\*

(٦٢) - ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمٌ﴾.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾: يوسِّعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ يُقال: قَدَرَ الرِّزْقَ وقتره: إذا ضيقه.

﴿لَهُ﴾؛ أي: لِمَنْ يَشَاءُ، فوضع الضمير موضع (من يشاء) لأنه مُبْهَمٌ غيرُ معيَّن، فكان الضمير مُبْهَمًا مثله.

وليس المراد من الموسع له والمضيق عليه واحداً باعتبار الوقتين؛ إذ حينئذٍ حقُّ قوله: ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أن يُصدَرَ بأداة التعاقب.

(١) انظر: «النكت والعيون» (٤/ ٢٩٣)، و«تفسير البيضاوي» (٤/ ١٩٨).

(٢) في (م): «على».

﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يعلم ما يصلح العباد وما يفسدُهم.

\*\*\*

(٦٣) - ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا يَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا يَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ معترفين بذلك، فكيف يشركون به ما لا يقدرُ على شيء أصلاً.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على هذه النعمة العظمى، فإن الماء مادة حياة كل شيء.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فلا يعلمون ما يقولون، وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد.

وكلمة ﴿بَلْ﴾ إضرابٌ عن جهلهم الخاص في الإتيان بما هو حجة عليهم، يعني: أنهم مسلوبو<sup>(١)</sup> العقول، فلا يبعد عنهم مثله.

وقوله: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ معترض، ويأتي في سورة لقمان تفسير هذه الآية بوجه آخر.

\*\*\*

(٦٤) - ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ إشارة تحقير، كيف وهي لا تزن<sup>(٢)</sup> عند الله جناح بعوضة.

(١) في (ف): «مسلوبون».

(٢) في (ف) و(ك): «تسوى»، وفي (م): «وهي لا تزن عند الله ولا تسوى عند الله».

﴿إِلَّا لَهُمْ وَلَعِبٌ﴾؛ أي: ما هي لسرعة زوالها وعدم النفع في مالها إلا كما يلهي ويلعب به الصبيان، ويجتمعون إليه، ويبتهجون به ساعة، ثم يتفرقون.

واللهو: ما يتلذذ به الإنسان فيلهيه ساعة ثم ينقضي.

﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾؛ أي: هي دار الحياة الحقيقية؛ لعدم طربان الموت عليها، أو كأنها في ذاتها حياة؛ إذ ليس فيها إلا حياة مستمرة دائمة.

و﴿الْحَيَوَانُ﴾: مصدر حيي، وقياسه: حييان، فقلبت الياء الثانية واواً، ولم يقل: لحي الحياة؛ لما في بناء فعّلان من معنى الحركة والاضطراب، والحياة حركة والموت سكون، فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة.

ويوقف على ﴿الْحَيَوَانُ﴾ لأنّ التقدير: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة الدارين كما اختاروا الله الفاني على الحيوان الباقي، ولو وصل لصار وصف الحيوان معلقاً بشرط علمهم ذلك، وليس كذلك.

\*\*\*

(٦٥) - ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَّهْتُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ﴾ متّصل بما دل عليه ما قبله من شرح حالهم بطريق الإشارة، وليس هنا محذوف؛ أي: هم على ما وُصفوا به من الشرك والعناد، فإذا ركبوا في البحر ﴿دَعَوْا اللَّهَ﴾ في تلك الحالة.

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ حقيقة، حيث لا يدعون معه غيره؛ لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد إلا هو، وهذا - أي: التوافق بين العلم والعمل - حقيقة الإخلاص، لا

صورته<sup>(١)</sup>، وأيضاً مساق الكلام في تقبيح حالهم وكمال القبح في انقلابهم عن الإخلاص إلى الشرك بغتة.

﴿فَلَمَّا بَجَّهْنَهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾: فاجئوا المعاودة إلى الشرك.

\*\*\*

(٦٦) - ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَنَّوْا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ اللام فيه لام (كي)، وكذا في:

﴿وَلِيَتَمَنَّوْا﴾ على قراءة الكسر؛ أي: يعودون إلى شركهم ليكونوا بالعود إليه كافرين بنعمة النجاة، متمتعين باجتماعهم على عبادة الأصنام، وتواددهم<sup>(٢)</sup> عليها والتلذذ لا غير، على خلاف عادة المخلصين من المؤمنين، فإنهم يشكرون نعمة الله تعالى إذ أنجاهم، ويجعلون نعمة النجاة ذريعة إلى زيادة الطاعة، لا إلى التمتع والتلذذ<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا لا وقف على ﴿يُشْرِكُونَ﴾، ومن جعله لام الأمر متشبهاً بقراءة السكون<sup>(٤)</sup> على وجه التهديد كقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] يقف عليه.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ سوء تدبيرهم عند تدميرهم.

\*\*\*

(١) في (ف): «صورة».

(٢) في (ك): «وتواددهم».

(٣) في (م): «التلذذ والتمتع».

(٤) قراءة ابن كثير وقالون وحمزة والكسائي، وباقي السبعة بكسر اللام. انظر: «التيسير» (ص: ١٧٤).

(٦٧) - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِيَ الْبَطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾؛ أي: أهل مكة ﴿أَنَا جَعَلْنَا﴾ بلدهم ﴿حَرَمًا﴾: ممنوعاً مصوناً عن النهب والتعدي ﴿ءَامِنًا﴾: يأمن داخلوه سواء كان من أهله أو من غيرهم من القتل والسبي.

﴿وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾: يختلسون قتلاً وسبياً؛ إذ كانت العرب حوله في تغاورٍ وتناهبٍ.

﴿أَفِيَ الْبَطِلِ﴾: أبعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها ممّا لا يقدرُ عليه إلا الله، بالصنم أو الشيطان ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ حيثُ أشركوا به غيره، وتقديم الصلّتين لمحافظة الفاصلة والاختصاص على طريق المبالغة.

\*\*\*

(٦٨) - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ؕ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن جعل له شريك، قائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، وهذا القول منهم باعتبار أن التقرب لا يكون إلا بالطاعة في معنى القول بأن تلك العبادة طاعةٌ أمروا بها، وهذا افتراءٌ منهم على الله تعالى.

ثم إن الافتراء نفسه وإن كان لا يخلو عن كذبٍ لكنَّ المفتري قد يكون صادقاً، والمفتري هاهنا - وهو كون عبادة الأصنام طاعة - لمّا كان كذباً زاد قوله: ﴿كَذِبًا﴾ زيادةً<sup>(١)</sup> في تقبيح شأنهم.

(١) «زيادة» سقط من (ك).

﴿أَوْ كَذَبَ بِالْحَقِّ﴾؛ يعني: الرسول أو الكتاب.

وفي: ﴿لَمَّا جَاءَهُ﴾ تسفيهٌ لهم حيث لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم، بل سارعوا إلى التكذيب أول ما سمعوه.

﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ تقريرٌ لثوائهم فيها؛ أي: ألا<sup>(١)</sup> يثبون فيها، وقد افتروا مثل هذا الافتراء على الله، وكذبوا بالحق هذا التكذيب؛ أو: ألم يصحَّ عندهم أن في جهنم مَثْوًى للكافرين، حتى اجترؤوا مثل هذه الجرأة.

\*\*\*

(٦٩) - ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا﴾ أطلق المجاهدة ليتناول كل ما تجب مجاهدته من الأعداء الظاهرة والباطنة بأنواعها.

﴿فِينَا﴾: في حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصاً.

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾: لنزيدنهم هدايةً إلى سُبُل الخير وتوفيقاً لسلوكها، كقوله: ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمُ هُدًى﴾ [محمد: ١٧].

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالنصرة والمعونة في الدنيا، وبالثواب والمغفرة في العقبى.

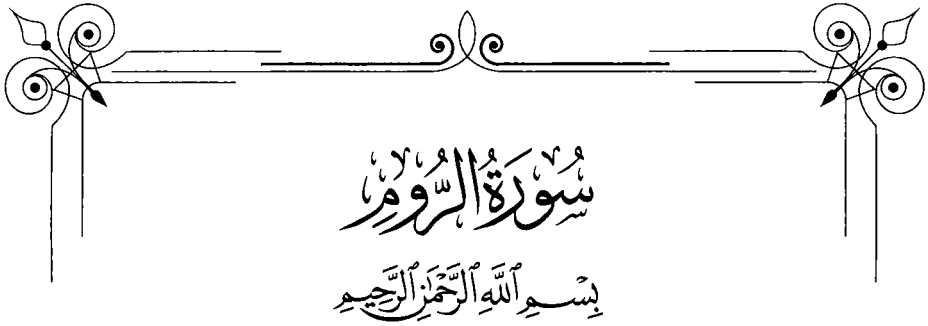
\*\*\*

(١) في النسخ عدا (ف): «لا»، والمثبت من (ف)، وهو الصواب.



# سُورَةُ الرُّومِ





(١ - ٢) - ﴿آلَهُ ۖ غَلَبَتِ الرُّومُ ۖ﴾.

﴿آلَهُ ۖ غَلَبَتِ الرُّومُ ۖ﴾: ﴿غَلَبَتِ﴾ في القراءة المشهورة على البناء للمفعول، و﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ على البناء للفاعل، وقرئ على العكس<sup>(١)</sup>، وإضافة غَلَبَتْهُمْ<sup>(٢)</sup> في الأولى إلى المفعول، وفي الثانية إلى الفاعل.

\*\*\*

(٣ - ٥) - ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۖ﴾ فِي يَضَعُ سِنِينَ ۖ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۖ﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۖ﴾.

﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾: أرض العرب؛ لأنها الأرض المعهودة عندهم؛ أي: في أدنى أرض العرب منهم، أو: أرضهم؛ أي: أدنى أرضهم من العرب، واللام بدلٌ من الإضافة.

(١) نسبت لعلبي وابن عمر وأبي سعيد الخدري - رضي الله عنهم - ومعاوية بن قرة وغيرهم. انظر:

«معاني القرآن» للفرأ (٢/ ٣١٩)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٦)، و«الكشاف»

(٣/ ٤٦٧)، و«البحر» (١٧/ ١٥٤).

(٢) في (م): «غلبهم».

وقيل: أدنى أرضهم إلى عدوهم<sup>(١)</sup>؛ أمّا الدلالة على الإضافة فظاهرة من ذكرهم، وأمّا النهاية فلحديث المغلوبيّة.

وعن مجاهد: هي أرض الجزيرة، وهي أدنى أرض الروم إلى فارس<sup>(٢)</sup>.

وقيل: أذرعات وبُصرى، وهي أدنى أرض الشام من العرب.

﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِيهِمْ﴾ وقرئ بسكون اللام<sup>(٣)</sup>، فالغلب والغلب مصدران، كالحلب والحلب.

﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ (٢) فِي بَضْعِ سِنِينَ<sup>(٤)</sup> البضْع: ما بين الثلاثة إلى العشرة، وفي «المجمل»: ما بين الواحد إلى التسعة<sup>(٥)</sup>.

روي أنّه لما بلغ مكة خبر غلبة فارس الروم، فرح المشركون وشمّتوا بالمسلمين، وقالوا: أنتم ونصارى أهل الكتاب، ونحن وفارس أميون، فقد ظهر إخواننا على إخوانكم، ولنظهرنّ عليكم، فنزلت<sup>(٥)</sup>.

وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية، وذلك عند رأس سبع سنين.

وقيل: كان النصر يوم بدر للفريقين.

والمعنى على القراءة الثانية؛ أنّ الروم غلبوا على ريف الشام، وسيغلبهم المؤمنون في بضع سنين، وقد غلبهم المسلمون في السنة التاسعة وفتحوا بعض بلادهم.

(١) أي: الفرس.

(٢) انظر: «الكشاف» (٤٦٦/٣).

(٣) نسبت لعلي رضي الله عنه. انظر: «مختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٦).

(٤) انظر: «المجمل» لابن فارس (١٢٧/١).

(٥) انظر: «الكشاف» (٤٦٦/٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤٥٠/١٨) عن عكرمة.

﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾؛ أي: مِنْ قَبْلُ كونهم غالبين؛ وهو وقتُ كونهم مغلوبين، وَمِنْ بَعْدُ كونهم مغلوبين؛ وهو وقتُ كونهم غالبين؛ أي: ليس الأمر في الحالين إِلَّا لله.

وقرئ: (من قبل ومن بعد) على الجرِّ من غير تقدير مضاف<sup>(١)</sup>، كأنَّه قيل: قَبْلًا وَبَعْدًا؛ أي: أَوَّلًا وَآخِرًا.

﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾: ظرفٌ معمول لـ ﴿يَفْرَحُ﴾، والتنوين فيه للعوض من الجملة المحذوفة؛ أي: ويوم إذ يغلب الروم فارس.

﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿يَنْصُرِ اللَّهُ﴾ وتغليبه مَنْ له كتابٌ على مَنْ لا كتابَ له؛ لِمَا فيه من انقلابِ التفاؤلِ وغِيْظِ مَنْ شمتَ بهم من كفار مكة، أو لِمَا ظهر من صدقِ المؤمنين فيما أخبروا به المشركين.

وقيل: وافق ذلك يومٌ بدر، وفي هذا اليوم نُصِرَ المؤمنون<sup>(٢)</sup>.

﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾ فينصر هؤلاء تارةً وهؤلاء أخرى.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ينتقمُ تارةً من عباده بالنصر عليهم، ويتفضل عليهم أخرى بنصره إياهم<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) نسبت لأبي السمال، والجحدري، وعون عن العقيلي. انظر: «الكشاف» (٣/٤٦٧)، و«البحر المحيط» (١٥٦/١٧).

(٢) في هامش (ع) و(ف) و(ي): «وأما النصر بمعنى تولية بعض أعدائهم بعضاً حتى تعاونوا فلا اختصاص له بيوم غلبة الروم فارس بل يوجد في يوم غلبة فارس الروم أيضاً. منه».

(٣) في النسخ: «بنصرهم إياهم»، والصواب المثبت. ولو قيل كما في البيضاوي: «بنصرهم أخرى» لكان صواباً أيضاً.

(٦) - ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾: مصدرٌ مؤكَّد لنفسه؛ لأنَّ ما تقدَّمه في معنى وَعَدَ، كقولك: عليَّ ألفُ درهمٍ عرفاً؛ لأنَّ معناه: أَعترفُ لك بها اعترافاً.  
﴿لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾: اعتراض.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وعَدَه، أو: صحَّة وعِدِه؛ لبلوغهم في الجهل غايته حتى يستحقُّوا أن يقال فيهم: لا يعلمون مطلقاً.

\*\*\*

(٧) - ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِلُونَ﴾.

﴿يَعْلَمُونَ﴾ بدلٌ من ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، وفي هذا الإبدال - مع أنَّه من لطائف علمِ البديع - إشعارٌ بأنَّ سَلْبَ العلم - الذي هو الجهل - لا ينافي وجودَ العلم بظاهر أمور الدنيا، بل هو هو لا فرق بينهما.

﴿ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: فيه إشارةٌ إلى أنَّ للحياة الدنيا ظاهراً؛ وهو ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها، والتنعم بملاذِّها، وجمع أسبابها وضبطها، وباطناً وهو ما يعرفه العقلاء من الاعتبار بهم، وبسرعة انقضائها، وكون محلِّها متجراً<sup>(١)</sup> الأولياء ومجازاً الآخرة، يجب التزوُّد منها بالتقوى والطاعة.

وتكثيرُ ﴿ظَاهِرًا﴾ يفيد أنَّهم لا يعلمون إلا ظاهراً واحداً من ظواهرها؛ وهو التمتع منها بالأكل والشرب كالبهائم، لا جملتها؛ فإنَّ من ظواهرها معرفة خواصِّها، والاستدلال بها على صانعها، وكيفية الانتفاع بها لصالح الدارين، فيه ذمُّ لهم بالجهلِ بليغٌ.

(١) في (ع): «متحرك»، وفي (ك): «معجز».

﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ﴾ التي هي غايته والمقصودة منها ﴿هُمْ غَفْلُونَ﴾ لا تخطر ببالهم، و﴿هُمْ﴾ الثانية تكريرٌ للأولى، أو مبتدأ و﴿غَفْلُونَ﴾ خبره، والجملة خبرُ الأولى، وعلى كِلَا الوجهين في توسطيه وتكرير ﴿هُمْ﴾ إشعارٌ بأنهم معدنُ الغفلة عن الآخرة ومنبعها، متمادون فيها بالسكون إليها، كأنه لا غافل غيرهم.

\*\*\*

(٨) - ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾: كلمة استبطاء، ومعناها: هَلَّا يتفكَّرون<sup>(١)</sup> لِمَ أُخِّروا للتفكر، والواو للعطف على محذوفٍ تقديره: أَلَمْ يَلْتَفَتُوا ولم يتفكَّروا، وقوله:

﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ يجوز أن يكون ظرفاً، وأن يكون صلةً للتفكر.

ومعنى تقيد<sup>(٢)</sup> التفكر به على الأول مع أنه لا يكون [إلا]<sup>(٣)</sup> في النفس: زيادةٌ تصويرٍ لحال المتفكرين وتقرير، كقولك: كتبته يميني، كأنه قيل: أَوَلَمْ يُحْدِثُوا التفكر في أنفسهم العاطلة الفارغة عن التفكر والتأمل.

وعلى الثاني معناه: أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا في أنفسهم التي هي أقربُ الأشياء وما فيها من عجائبِ الصنع وبدائعِ الحكم التي أودعها الله تعالى فيها، وفي انتقالاتها في السنِّ إلى الشيخوخة والضعف وضرورة فنائها.

(١) في النسخ: «يتفكروا»، والصواب المثبت.

(٢) في (ف) و(ك): «تعيين».

(٣) من «البحر المحيط» (١٧/١٦٠)، و«حاشية الشهاب» (٧/١١٣)، و«روح المعاني» (٢٠/٤١٤).

﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ متعلق بعلم أو قول محذوف دلّ الكلام عليه؛ أي: فيعلموا أو يقولوا هذا القول.

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ حال؛ أي: إلا ملتبسة بالحق؛ أي: بالحكمة البالغة والعدل والصواب.

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: وبتقدير أجلٍ مسمًى ينتهي إليه، وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب.

أو: إلا وهي ملتبسة بالحق وتقدير أجلٍ مسمًى، يعني: ما خلقهما باطلاً، ولا لتبقى خالدة.

﴿وَلِإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ﴾؛ أي: لقاء جزائه عند الأجل المسمًى والبعث.

﴿لَكَافِرُونَ﴾: منكرون<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(٩) - ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: تقرير لسيرهم في البلاد، ونظرهم إلى آثار المدمرين - من عادٍ وثمود وغيرهم من الأمم العاتية - المترتب على ذلك السير، ثم وصف حالهم فقال:

(١) في هامش (ي): «لم يقل: جاحدون؛ لأن الجحد مشروط بالعلم. منه».

﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾: وقلّبوا وجهها لزرع البُزور واستنباط المياه واستخراج المعادن وغيرها.

﴿وَعَمَرُوهَا﴾ بالاهتمام في أمر البناء والغرس ﴿أَكْثَرِمًا مِمَّا عَمَرُوهَا﴾: من عمارة أهل مكة إياها، وفيه تهكمّ بهم؛ لأنّهم أهل وادٍ غير ذي زرع لا عمارة لهم ولا حرث، وهم مغترّون بالدنيا مفتخرون بها، مع أنّهم أضعفُ حالاً فيها، إذ مدار أمرها على التبسّط في البلاد، والتسلّط على العباد، والتصرّف في الأقطار بإظهار أنواع الآثار.

﴿وَحَآءَ تَعْمُرُ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالمعجزات أو الآيات الواضحات.  
 ﴿فَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾: فما صحّ لهم أن يظلمهم الله؛ لأنّ حاله تعالى يُنافي الظلم، كناية عن عدم كون تدميرهم واستئصالهم ظلماً.  
 ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: حيث أصرّوا على ما أوجب تدميرهم من الكفر والتكذيب والمعاصي.

\*\*\*

(١٠)- ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوَى السُّوءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾.  
 ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى﴾؛ أي: عُوقبوا في الدنيا بالتدمير، ثم كانت عاقبتهم التي هي أسوأ العقوبات، وهي جهنّم التي أعدت للكافرين، فوضع الظاهر موضع المضمّر للدلالة على أنّ الموجب للعقوبة السوآى إساءتهم المفرطة.

﴿السُّوءَى﴾ تأنيث: الأسوأ وهو الأقبح، كما أنّ الحُسنى تأنيث الأحسن، أو مصدرٌ كالبُشرى نعت بها للمبالغة.

﴿أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ علة؛ أي: لِأَنْ كَذَّبُوا، أو بَدَلٌ مِنْ ﴿السُّوْأَى﴾ أو عطفٌ بيانٍ له، أو خبرٌ ﴿كَانَ﴾ و﴿السُّوْأَى﴾ مصدرٌ ﴿أَسْتَوْأَ﴾، أو مفعولُهُ؛ أي: [ثم كان عاقبة الذين] اقترفوا الخطيئة [أَنْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ حَتَّى كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاسْتَهْزَؤُوا بِهَا. ويجوز أن تكون ﴿السُّوْأَى﴾ صلة الفعل و﴿أَنْ كَذَّبُوا﴾ تابعها، والخبرُ محذوف للإبهام<sup>(١)</sup>] والتهويل، وأن تكون ﴿أَنْ﴾ مفسرة<sup>(٢)</sup> بمعنى: أي؛ لِأَنَّ الإساءة إذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء، كانت في معنى القول، نحو: نادى، وكتب وما أشبههما. ويجوز أن يكون معنى ﴿أَسْتَوْأَ السُّوْأَى﴾: اقترفوا الخطيئة التي هي أسوأ الخطايا، و﴿أَنْ كَذَّبُوا﴾ عطف بيانٍ لها، وخبرٌ ﴿كَانَ﴾ محذوف كما يُحذف جوابُ (لو) و(لَمَّا) لإرادة الإبهام؛ أي: ما لا يدخل تحت الوصف.

وقرئ: ﴿عَقِبَةَ﴾ بالنصب<sup>(٣)</sup>، على أَنَّ الاسم ﴿السُّوْأَى﴾، و﴿أَنْ كَذَّبُوا﴾ على الوجوه المذكورة.

﴿وَكَاثُرًا بِمَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ عدل عن صيغة الماضي، وزاد عبارة (كان)؛ للدلالة على الاستمرار التجددِّي في أمر الاستهزاء المتضمن للتكذيب، والمحافظة على رؤوس الفاصلة<sup>(٤)</sup>.

(١) ما بين معكوفتين من «تفسير البيضاوي» (٢٠٣/٤).

(٢) اضطربت النسخ وغمض معناها في هذا الموضع، فجاء في (ف) و(ك): «والتهويل في أن كذبوا تفسير أو أن هي المفسرة»، وفي (م): «والتهويل في أن يكون كذبوا في أن كذبوا تفسيراً وأن هي المفسرة»، وفي (ي): «والتهويل في أن يكون كذبوا تفسيراً وأن هي المفسرة»، وفي (ع): «والتهويل في أن يكون كذبوا وأن هي المفسرة»، والمثبت من المصدر السابق.

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بالرفع، وقرأ الباقر بالنصب. انظر: «التيسير» (ص: ١٧٤).

(٤) في (ف): «الآي».

(١١) - ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾: يُنْشِئُهُمْ ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: يَبْعَثُهُمْ ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للجزاء، والالتفات للاستحضار والتنبيه على أنه المقصود، وقرئ بالياء على الأصل<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١٢) - ﴿وَبَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿وَبَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾: يسكتون متحيرين آيسين، يقال: ناظرته فأبلس، إذا سكت ويئس من أن يحتج، ومنه: ناقة مبلاسة، إذا لم يكن لها رغاء. وقرئ: بفتح اللام<sup>(٢)</sup>؛ من: أبلسه، إذا أسكته.

\*\*\*

(١٣) - ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ﴾: من الذين أشركوهم بالله وعبدوهم من دونه ﴿شُفَعَاءُ﴾ يُجِيرُونَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

﴿وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾: يكفرون بالهتهم حين يؤسوا منهم. وإنما جيء بـ (لم يكن) و(كانوا) على لفظ الماضي لتحقيق وقوعه.

وقيل: كانوا في الدنيا بسببهم كافرين، وزيادة (كان) للمحافظة على الفاصلة<sup>(٣)</sup>.

(١) قرأ أبو عمرو وشعبة عن عاصم: ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بضم الياء، وقرأ روح: ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بفتحها، وباقي

السبعة بالتاء المضمومة. انظر: «التيسير» (ص: ١٧٥)، و«النشر» (٢/ ٢٠٨ و ٣٤٤).

(٢) نسبت لعلي رضي الله عنه والسلمي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٦).

(٣) كذا قال، ووجهه الشهاب في «الحاشية» (٧/ ١١٥) متعقباً بقوله: (وذكرها للدلالة على الاستمرار

لا المحافظة على رؤوس الفواصل كما توهم... فلو قيل: وهم شركائهم كافرون، كان هو المناسب للفاصلة الواوية).

(١٤) - ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِّدُ يَنْفَرُونَ﴾ .

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِّدُ يَنْفَرُونَ﴾ في الأحوال والمحال على ما فسره بعدها، والضمير لـ ﴿الْخَلْقِ﴾ أو ضمير ﴿يُرجعون﴾، وإعادة (يوم تقوم الساعة)؛ للتحويل.

\*\*\*

(١٥) - ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ .

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾: الفاء للتفصيل، والروضة: البستان، وكل مكان ذا نبات وماء يُسمَّى روضةً، وتنكيرها للتفخيم بالإبهام؛ أي: في روضة لا يُعرف قدرها في علو شأنها. ﴿يُحْبَرُونَ﴾: يُسْرُونَ، مِن: حَبَرُهُ، إِذَا سَرَّهُ سروراً تهلّل له وجهه.

\*\*\*

(١٦) - ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ .

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾: مقيمون لا يغيبون عنه، وفي بناء الإحضار دلالة على الكره، وأنهم مُجبرون في العذاب، وأما ﴿يُحْبَرُونَ﴾ فللدلالة على أنه سرور فوق ما بالطبع والعادة، فلا بُدَّ مِن سارٍّ يسرهم بأنواع المسارّ التي لم يكن للإنسان مثلها في الدنيا.

\*\*\*

(١٧) - ﴿فَسُبْحَنَّ اللَّهَ حِينَ تُمْسَوْنَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ .

﴿فَسُبْحَنَّ اللَّهَ حِينَ تُمْسَوْنَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: لما ذكر الوعد والوعيد، أتبعه

بما يتعيّن طريقاً للخلاص عن الدَرَكَاتِ إلى الوصول إلى الدَرَجاتِ، كأنّه قيل: إذا صَحَّ ووضَحَ عاقبةُ المُعرِّضين عن عبادته وطاعته، والمقبّلين إليها، فسبَّح الله تسبيحاً دائماً<sup>(١)</sup>.

وقرئ: (حيناً تُمسون وحيناً تُصبحون)<sup>(٢)</sup>؛ أي: تُمسون فيه، وتُصبحون فيه.

\*\*\*

(١٨) - ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾.

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ للشواهد الناطقة فيهما باستحقاقه الحمد ممّن له تمييزٌ من أهلها، ووجوبه عليهم.

﴿وَعَشِيًّا﴾: إنّما عدل هنا عن سَنَنِ نظائرها؛ لأنّه لم يُصرَف مِنَ العشيِّ فِعْلاً، لا يقال: أعشى، كما يقال: أمسى وأصبح وأظهر.

﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾: أمرٌ في صورة الإخبار؛ لكونه أكّد بتنزيه الله<sup>(٣)</sup> تعالى والثناء عليه في هذه الأوقات التي تظهر فيها آيات قدرته، ويتجدّد فيها نِعَمه، وإنّما خصّص التسبيح بطرفي النهار لأنّ آثار القدرة فيهما أظهر، والحمد بالعشيّ والإظهار لأنّ تجدّد النعم فيها أظهر وأكثر وأبين، والعشيّ: آخر النهار، من: عَشَى العين، إذا نقص نورها، والظهيرة وَسَطُها.

ويجوز أن يكون ﴿وَعَشِيًّا﴾ معطوفاً على ﴿حِينَ تُمَسُونَ﴾، وقوله: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ اعتراض.

(١) في (ف): «ذاتياً».

(٢) نسبت لعكرمة. انظر: «مختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٦).

(٣) في (ف): «تنزيهاً لله».

وقيل: المراد بالتسبيح والتحميد في الأوقات المعيّنة الصلاة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ الآيةَ جامعةٌ للصلواتِ الخمسِ: ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ صلاةَ المغرب والعشاء، و﴿تُصَلُّونَ﴾ صلاةَ الفجر، و﴿وَعِشَاءً﴾ صلاةَ العصر، و﴿تُظْهِرُونَ﴾ صلاةَ الظهر<sup>(١)</sup>. ولا يلزم منه أن تكونَ مدنيّة؛ لأنَّ الخمسَ فُرِضَتْ بمكّة، يدلُّ عليه حديثُ المعراج<sup>(٢)</sup> دلالةً بيّنة.

\*\*\*

(١٩) - ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ يُخْرِجُكُمْ﴾.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ﴾: الطائر من البيضة، والحيوان من النطفة ﴿وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ بالعكس.

﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ﴾: بإخراج النبات منها ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: يُبْسِها. ﴿وَكَذَلِكَ﴾: ومثل ذلك الإخراج ﴿يُخْرِجُكُمْ﴾ من القبور للبعث، فإنّه تعقيب الموت بالحياة، وإخراج الحي من الميت، والمراد أن الإبداء والإعادة متساويان بالنسبة إلى قدرة القادر، وفي الإخراج والإحياء المذكورين دليلٌ قاطعٌ على البعث.

\*\*\*

(٢٠) - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ لأنَّ أصلهم منه ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ ثم فاجأكم وقت كونكم بشراً منتشرين في الأرض.

(١) رواه عنه عبد الرزاق في «المصنف» (١٧٧٢)، والطبري في «التفسير» (٤٧٤ / ١٨).

(٢) رواه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٢)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢١) - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ لأنَّ حَوَاءَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسائر النساءِ خُلِقْنَ مِنْ نُطْفَةِ الرِّجَالِ، أو لَأَنَّهُنَّ مِنْ جِنْسِهِمْ لَا مِنْ جِنْسٍ آخَرَ.

﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾: لتميلوا إليها، يقال: سَكَنَ إِلَيْهِ، إِذَا مَالَ إِلَيْهِ، ومنه: السَّكَنُ، وهو الأُلْفُ المسكونُ إِلَيْهِ، وذلك لِأَنَّ الأُلْفَ إِنَّمَا يَكُونُ بَيْنَ الْمُتَجَانِسِينَ؛ لِأَنَّ الْجَنَسِيَّةَ عَلَّةُ الضَّمِّ، والاختلاف سببُ التنافر.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ﴾: بين الرجال والنساء ﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾: التَّوَادُّ والتَّراحُمَ بعصمة الزواج بعد أن لم يكن بينهما سابقةُ معرفةٍ ولا قرابةٍ تُوجِبُ ذلك؛ لِيُنْتَظَمَ أَمْرُ النِّسْبِ والتَّربيةِ والإِراثِ، أو بين أفراد الجنس؛ لِابْتِنَاءِ أَمْرِ المَعاشِ عَلَى التَّعاوُنِ المحجوجِ إِلَى التَّوَادُّ والتَّراحِمِ.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فيعلمون ما في ذلك مِنَ الحِكَمِ والمصالحِ.

\*\*\*

(٢٢) - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ الْأَسِنَّةَ وَالْوَنُكْرَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ الْأَسِنَّةَ﴾: لغاتكم؛ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ والعجميَّةِ وغير ذلك مِنَ اللُّغَاتِ كُلِّ صَنَفٍ وَأَهْلِ كُلِّ إِقْلِيمٍ ولَهجاتِهِمْ.

﴿وَالْوَنُكْرَ﴾: أَشْكالُكم وهَيْئاتُكم؛ مِنْ تَخاطِيطِ الأَعْضاءِ والصُّورِ، فَإِنَّهُ لَا يَكادُ يَتَّفَقُ اثْنَانِ فِي الشَّكْلِ والهِئَةِ، وَعَلَيْهِ يَبْتَنِي التَّعارُفُ المحتاجُ إِلَيْهِ فِي ضَبْطِ النِّظامِ.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ حيث ولدوا من أب واحد، وهم على الكثرة التي لا يعلمها إلا الله متفاوتون ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ لكل من له عقل من أهل العالم.  
 وقرئ: بالكسر<sup>(١)</sup>، ويرجحها قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾  
 [العنكبوت: ٤٣].

\*\*\*

(٢٣) - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ظاهر الآية يدل على أن المنام في الليل والنهار وابتغاء الفضل فيهما، وهو معنى صحيح، فإن المنام في النهار الصيفية الطويلة هو القيلولة المستحبة في السنة لاستراحة القوى النفسانية وانتعاش القوى الطبيعية، وكذلك ابتغاء الفضل في الليالي الشتوية من المباحات لقصر النهار، وقصورها عن حاجات الناس.

ويجوز أن يكون ﴿مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من باب اللَّفِّ، وترتيبه: منامكم وابتغائكم من فضله بالليل والنهار؛ أي: منامكم بالليل وابتغائكم من فضله بالنهار، حصراً بين المتعاطفين بالزمانين، إشعاراً بأن كل واحد من الزمانين وإن اختص أحدهما، فهو صالح للآخر عند الحاجة، ويؤيد هذا الاختصاص تكرير هذا المعنى في القرآن.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: يدركون المحسوس، لما كان المشار إليه من جنس ما يدرك بالمشاهدة وبالسَّماع من الغير كما في حق الأعمى،

(١) قرأ بها حفص وحده، في حين قرأ الباقون بالفتح. انظر: «التيسير» (ص: ١٧٥).

والثاني أضعف الطريقتين، عبّر به عن إدراكه إعمالاً للدلالة، وهذا من جنس لطائف الاعتبار الذي قلّمَا يَتَنَبَّهْ لَهُ إِلَّا مَنْ لَهُ الْاِخْتِبَارُ.

\*\*\*

(٢٤) - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ﴾: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ خبرٌ مبتدأٌ محذوفٌ؛ أي: مِنْ آيَاتِهِ مَا يُذَكِّرُ، أَوْ: مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ، ثم قيل: ﴿يُرِيكُمْ الْبَرْقَ﴾ إمَّا بَيَانٌ لذلِكَ، أَوْ: ﴿يُرِيكُمْ﴾ مبتدأٌ على حذف (أَنْ) ورفعِ الفعلِ، كقوله:  
أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرِي أَخْضُرُ الْوَعَى<sup>(١)</sup>

أَوْ: تنزِيلُ الفعلِ منزلةَ المصدرِ المرفوعِ؛ أي: وَمِنْ آيَاتِهِ إِرَاءُ تَكْمِ الْبَرْقِ، كقوله: تَسْمَعُ بِالْمُعِيدِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ، أَوْ: صِفَةُ لِمَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: آيَةُ يُرِيكُمْ بِهَا الْبَرْقُ، كقوله:

فَمَا الدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا أَمُوتُ وَأُخْرَى أَبْتَغِي الْعَيْشَ أَكْدَحُ<sup>(٢)</sup>  
أي: تَارَةً أَمُوتُ فِيهَا.

﴿خَوْفًا﴾ مِنَ الصَّاعِقَةِ ﴿وَطَمَعًا﴾ فِي الْغَيْثِ.

(١) صدر بيت لطرفة، وهو في «ديوانه» (ص: ٣٢)، وعجزه:

وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدي

وقوله: «الزاجري» كتب فوقها في (ي): «مضافة إلى ياء المتكلم». قلت: لأن (أل) فيه موصولية، فساغت الإضافة المذكورة.

(٢) البيت لتميم بن أبي بن مُقبل، وهو في «ديوانه» (ص: ٢٤).

وقيل: خوفاً للمسافر وطمعاً للحاضر.

ونصبهما على المفعول له، وإنما جاز مع أنَّهما ليسا بفعلٍ فاعلٍ الفعلِ المَعْلَل؛ لأنَّ الإِراءةَ متضمَّنةٌ للرؤية، أو على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه؛ أي: إراءة خوفٍ وطمعٍ، أو: تأويلِ الخوف والطمع بالإخافة والإطماع، كقولك: فعلته رغماً للشياطين، أو: على الحال؛ أي: خائفين وطامعين.

﴿وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يُسْهَى، وقد سبق وجه الفاءِ التعقيبية بين الإنزال والإحياء في تفسير سورة النحل.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يستعملون عقولهم في استنباط أسبابها وكيفية تكونها؛ ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته.

\*\*\*

(٢٥) - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾؛ أي: بقوله: كونا قائمتين، والمراد به تعلق إرادته بقيامهما في حيزهما المعيّنين من غير مقيم محسوس، شُبَّهتا في قيامهما على وفق إرادته بمأمورٍ مطيعٍ امتثل أمرٍ مطاعٍ بلا توانٍ وتقصيرٍ؛ للمبالغة في كمال قدرته ونفاذ أمره، وعدم تخلف المراد عن إرادته، وكذا في قوله:

﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ شَبَّه الموتى بالمأمورِ المطيع؛ لتصوير ترتب خروجهم على دعائه من غير توقُّفٍ، عطْفٌ على ﴿أَنْ تَقُومَ﴾ على تأويل مفردٍ، كأنه قال: ومن آياته قيامهما، ثم خروجكم من الأرض بسرعة إذا دعاكم دعوةً، فيقول: أيها الموتى اخرجوا.

و﴿ثُمَّ﴾ مستعارٌ لبُعدِ هذه الحالة من قيام السماوات والأرض بأمره، وهي خروج الموتى كلهم من الأرض دفعةً عند قوله: قوموا.

و(إذا) الأولى شرطية، والثانية للمفاجأة، وهي تقوم مقام الفاء في جواب الشرط، و﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ متعلق بـ ﴿دَعَاكُمْ﴾ لا بـ ﴿تَخْرُجُونَ﴾ لأن ما بعد (إذا) لا يعمل فيما قبله.

\*\*\*

(٢٦) - ﴿وَلَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ، فَلَيُنُونَ﴾.

﴿وَلَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قد سبق ما يتعلق بـ ﴿مَنْ﴾ في مثل هذا المقام.  
﴿كُلُّ لَّهُ، فَلَيُنُونَ﴾: منقادون لوجود أفعاله فيهم لا يمتنعون عليه.

\*\*\*

(٢٧) - ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد هلاكهم.  
﴿وَهُوَ﴾؛ أي: الإعادة، وتذكيره لمطابقة ﴿أَهْوَتْ﴾، أو على تأويل: أن يعيده.  
﴿عَلَيْهِ﴾؛ أي: أسهل عليه من الإنشاء بالنسبة إلى عقولكم، والقياس على أصولكم<sup>(١)</sup>، وإلا فجميع الممكنات بالنسبة إلى قدرته سواء، والإعادة في نفسها عظيمة، ولكنها هونت بالقياس إلى الإنشاء، وإنما قدّمت الصلة في قوله: ﴿هُوَ عَلَىٰ هَينٍ﴾ [مريم: ٩]؛ لقصد الاختصاص، ولا وجه له ها هنا، فلذلك أخرت.

(١) في (ك) و(م): «أمورك».

وقيل: الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ للخلق؛ أي: الإعادة أهونُ على الخلق؛ لأنه وجودٌ وقع<sup>(١)</sup> على التمام، وأمّا الإنشاء فهو وجودٌ متدرّجٌ من النقصان إلى الكمال، فعليه فيه شدةٌ ومشقةٌ.

﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: الوصفُ العجيبُ الشأنِ الذي ليس لغيره ما يُساويه أو يُدانيه، كالقدرة الكاملة، والحكمة البالغة، يصفه به ما في السماوات والأرض دلالةً ونطقاً.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: القويُّ القادرُ المطلقُ على إبداءِ كلِّ ممكنٍ وإعادته، ولا يُعجزه شيءٌ ولا يمتنع عليه.

﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي يجري شؤونه وأفعاله على مقتضى الحكمة.

\*\*\*

(٢٨) - ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا﴾ في التوحيد ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: مُتَرَعَاً مِن أَقْرَبِ شَيْءٍ إِلَيْكُمْ وهي أنفسكم.

﴿هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من ممالئكم ﴿مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ في أموالكم التي رزقناكموها؛ أي: هل ترضون لأنفسكم أن يُشارككم عبيدكم فيما رزقناكم من الأموال، وهم بشرٌ مثلكم وأنتم عبيدٌ مثلهم.

(١) في (ك): «لأنه وجودي» وفي (ع) و(ف) و(م): «لأنه وجود دفعي»، والمثبت من (ي)، وهو الصواب.

﴿فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ فتكونون أنتم وهم سواء في التصرف فيها من غير فرق.  
(ومن) الأولى للابتداء، والثانية للتبعيض، والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام  
الجاري مجرى النفي؛ لأنه <sup>(١)</sup> الإنكاري.

﴿تَخَافُونَهُمْ﴾: [أن] يستبدوا <sup>(٢)</sup> بالتصرف فيها ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ كما  
يخاف بعض الأحرار بعضاً إذا شاركه في ميراث في مالٍ مشتركٍ أن يحوزهُ دونه، أو  
يَسْتَقِلَّ بتدبيره والتصرف فيه.

أو: تخافون أن تستبدوا بتصرفٍ دونهم؛ مخافة بعض الأحرار بعضاً.  
فإذا لم تَرْضُوا بذلك لأنفسكم، وأنتم وعبيدكم سواء في البشرية،  
فكيف تَرْضُونَ لَرَبِّ الأربابِ ومالكِ العبيدِ والأحرارِ أن يكون بعضُ عبيده له  
شركاء؟!.

﴿كَذَلِكَ﴾؛ أي: مثل هذا التفصيل ﴿نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾؛ أي: نبينها، فإنَّ  
التمثيل ممَّا يكشف المعاني ويوضِّحها تصويراً وتشكيكاً.  
﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يستعملون عقولهم في تدبر الأمثال.

\*\*\*

(٢٩) - ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَ هُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ  
مِنْ نَّاصِرِينَ﴾.

(١) «لأنه» ليست في (ف).

(٢) في (ك): «تستبدون»، وفي باقي النسخ: «تستبدوا»، وما بين معكوفتين من «تفسير البيضاوي»  
(٢٠٦/٤)، وقال القنوي في «الحاشية» (١٣٤/١٥): أي: تخافون أن يستقلوا بالتصرف فيه  
بدون رأيكم.

﴿بَلْ﴾: إضرابٌ عن تبصُّر المشركين وهدايتهم، وإثبات أن هداهم لا يُجدي عليهم شيئاً ﴿اتَّبَعَ﴾: التفاتٌ من الخطاب إلى الغيبة للإعراض والمشاركة.

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالشرك؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].  
﴿أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حال، إنما قيدهم به لأنَّ العالم إذا ركب الهوى فربما يردعه علمه، وأمَّا الجاهل فهو كالبهيمة<sup>(١)</sup> لا يردُّه شيء.

﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾: فمن يقدر أن يهدي من أضلَّ الله وخذله، والفاء في ﴿فَمَنْ﴾ للسببية، والاستفهام للإنكار؛ أي: إذا اتَّبَعَ الظالمون أهواءهم جاهلين لا وازع لهم، فلا يقدر أحد أن يهديهم.

﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾: ينقذونهم من ضلالتهم، ويمنعونهم تبعاتهم.

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ و﴿مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ موضوعان موضع الضمير، والأول للتسجيل عليهم بالظلم والتعليل لاتباع الهوى، والثاني للتعليل لامتناع قبول الهدى.

\*\*\*

(٣٠) - ﴿فَأَقْوَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيُّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَأَقْوَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾: تمثيل للإقبال عليه والاستقامة إليه بحال من قصد شيئاً غير ملتفتٍ عن سمتيه يميناً وشمالاً؛ أي: قوم وجهك أو عدله إليه غير منحرف عنه أصلاً، وكناية عن كمال الاهتمام؛ فإنَّ من اهتم بالشيء غاية الاهتمام، عقد طرفه

(١) في (ف) و(م): «كالبهمة».

عليه وسَدَّدَ نَظْرَهُ إِلَيْهِ وَقَوَّمَ وَجْهَهُ مُقْبِلًا عَلَيْهِ بِكُلِّيَّتِهِ، وَالْفَاءُ لِلْسَّبَبِيَّةِ؛ أَيُّ: إِذَا لَمْ تَنْجَعْ <sup>(١)</sup> هِدَايَتِكَ فِيهِ، فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ وَاتْرُكْهُمْ.

﴿حَنِيفًا﴾ حَالٌ مِنَ ضَمِيرِ (أَقِم) أَوْ مِنَ (الدِّين).

﴿فَطَرَتَ اللَّهُ﴾ نَصَبٌ عَلَى الْإِغْرَاءِ؛ أَيُّ: الزَّمُوا فِطْرَةَ اللَّهِ، أَوْ: عَلَيْكُمْ فِطْرَةَ اللَّهِ، وَالْإِضْمَارُ عَلَى خُطَابِ الْجَمَاعَةِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿مُتَّبِعِينَ﴾ فَإِنَّهُ حَالٌ مِنَ ضَمِيرِ الْعَامِلِ الْمَقْدَّرِ، وَقَوْلِهِ: ﴿وَأَنْقُوهُ﴾ ﴿وَأَقِيمُوا﴾ ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ فَإِنَّهُ عَطْفٌ عَلَى الْمَقْدَّرِ.

وَإِضَافَةُ الْفِطْرَةِ إِلَى اللَّهِ وَتَوْصِيفُهَا بِقَوْلِهِ: ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ لِلَاخْتِصَاصِ وَالتَّعْظِيمِ، وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَبَدَّلَ وَتُغَيَّرَ، وَلَا يَقْدَرُ أَحَدٌ أَنْ يَغَيِّرَهَا؛ حَسْمًا لِأَطْمَاعِ الْمُشْرِكِينَ، وَحَتْمًا بِأَنَّ تَوْحِيدَهُ ذَاتِيٌّ لَا يُمَكِّنُ تَغْيِيرَهُ، وَيَبَيِّنُهُ لِلتَّأَكِيدِ وَالتَّقْرِيرِ بِقَوْلِهِ:

﴿لَا تَبْدِيلَ لِمَخْلَقِ اللَّهِ﴾ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْمَرَادَ مِنَ الْفِطْرَةِ الْخَلْقَةُ؛ وَهِيَ: الْحَالَةُ الَّتِي جُبِلُوا عَلَيْهَا مِنْ قَبُولِهِمْ لِلتَّوْحِيدِ وَدِينِ الْإِسْلَامِ، وَتَمَكُّنُهُمْ مِنْ إِدْرَاكِهِ، بِحَيْثُ لَوْ خُلُّوا وَمَا جُبِلُوا عَلَيْهِ لَمَا اخْتَارُوا عَلَيْهِ <sup>(٢)</sup> دِينًا آخَرَ، وَشَهِدَتْ عَقُولُهُمْ الْفِطْرِيَّةَ بِهِ، وَمَنْ غَوَى مِنْهُمْ فَبِإِغْوَاءِ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَقَدْ أَفْصَحَ عَنْ هَذَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كُلُّ عِبَادِي خَلَقْتُ حُنَفَاءَ، فَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ عَنْ دِينِهِمْ وَأَمْرُوهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي غَيْرِي» <sup>(٣)</sup>، وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يَكُونَ أَبَوَاهُ هُمَا اللَّذَانِ يَهُودَانَهُ أَوْ يُنَصِّرَانَهُ» <sup>(٤)</sup>.

(١) فِي (ف): «تَبْجَع»، وَفِي (م): «بَنْجَع».

(٢) «عَلَيْهِ» لَيْسَتْ فِي (ف).

(٣) قِطْعَةٌ مِنْ حَدِيثٍ رَوَاهُ بِاخْتِلَافٍ يَسِيرٍ مُسْلِمٌ (٢٨٦٥) عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمَجَاشَعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٣٥٨)، وَمُسْلِمٌ (٢٦٥٨)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويجوز أن يُراد بالفطرة دينُ ملّةِ الإسلام، فيكون معنى: ﴿لَا بُدِيلَ﴾: لا ينبغي أن يُبدّل، وإنّما وُحِدَ الخطابُ أولاً ثم جُمع؛ لأنّ خطابَ الرسول خطابٌ لأمّته، فأفرد تعظيماً للاهتمام، ثم جُمع لأنّ الخطابَ للبيان، وأنّ الدّين له بالأصالة ولهم بالتبعية.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الدّين المأمور بإقامة الوجه له ﴿الَّذِينَ أَقْبَمُوا﴾ المستوي الذي لا عِوَجَ فيه ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ استقامته؛ لعدم تدبّرهم.

\*\*\*

(٣١) - ﴿مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ﴾؛ أي: راجعين إلى الله بآمالكم، مُقبِلين عليه بأعمالكم، من أناب: إذا رجع مرّة بعد أخرى، والمراد من التكرار المبالغة في الرجوع إلى الرضا والانقطاع عن الهوى، أو تضمين التنبيه على قبول التوبة كرّة بعد أولى.

وقيل: الإنابة: الانقطاع إلى الله بالطاعة، وأصله على هذا القطع، ومنه: النائب؛ لأنّه قاطعٌ.

﴿وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ خصّهما بالذكر لأنّهما عمادُ الدين.

﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: ممّن يُشرك به غيره في العبادة، وفيه نهْيٌ عن الرّياء في الصلاة؛ فإنّه شركٌ خفيٌّ.

\*\*\*

(٣٢) - ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ بدلٌ من ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿فَارَّقُوا دِينَهُمْ﴾ تركوا دين الإسلام،

وَأَمَّا عَبْرٌ عَنْ دِينِهِ بِالمفارقة لِمَا عَرَفَتْ أَنَّهُمْ جُبِلُوا عَلَى قَبُولِهِ، فَتَزَلَّ قَبُولُهُ مَنْزِلَةً فَعَلِهِ مَبَالِغَةً فِي قُوَّةِ قَبُولِهِمْ إِيَّاهُ.

وقرئ: ﴿فَرَقُوا دِينَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>؛ أي: جعلوه أدياناً مختلفة؛ لا اختلاف أهوائهم.  
 ﴿وَكَانُوا شِيعَاً﴾: يُشَايِعُ كُلُّ فِرْقَةٍ إِمَامَهَا الَّذِي أَضَلَّهَا، وَالشَّيْعُ: الْفِرْقَةُ الَّتِي يَجْتَمِعُ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهَا عَلَى مَذْهَبٍ خِلَافَ مَذْهَبِ الْفَرِيقِ الْآخَرِ.  
 ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾: مَسْرُورُونَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ، وَالْجُمْلَةُ فِي مُحَلِّ النَّصَبِ صِفَةُ ﴿شِيعَاً﴾، أَوْ: ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ مَبْتَدَأٌ، خَبَرُهُ ﴿مَنْ الَّذِينَ فَارَقُوا﴾ مَنْقَطَعاً عَمَّا قَبْلَهُ، وَ﴿فَرِحُونَ﴾ صِفَةُ ﴿كُلِّ﴾.

\*\*\*

(٣٣) - ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ مَنَّ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾: شِدَّةٌ ﴿دَعَا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ رَاجِعِينَ إِلَيْهِ مِنْ دَعَاءٍ غَيْرِهِ.  
 ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ مَنَّ رَحْمَةً﴾: مِنْ ذَلِكَ الضَّرِّ ﴿رَحْمَةً﴾: خِلَاصاً.

﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ فَاجِئاً فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِالْإِشْرَافِ الَّذِي عَافَاهُمْ.  
 وَفِي عِبَارَةٍ ﴿ثُمَّ﴾ وَلَفْظٍ ﴿أَذَاهُمْ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ مَعَ امْتِدَادِ شِدَّتِهِمْ وَتَأَثُّرِهِمْ مِنْهَا فِي الْغَايَةِ يَشْرِكُونَ كَمَا يَظْهَرُ طَلِيعَةُ الْخِلَاصِ مِنْهَا.

\*\*\*

(١) قرأ حمزة والكسائي: ﴿فارقوا﴾، وقرأ الباقون: ﴿فرقوا﴾. انظر: «التيسير» (ص: ١٠٨).

(٣٤) - ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آٰنَيْنَهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آٰنَيْنَهُمْ﴾ اللام مجازٌ عن العاقبة، وقيل: هي بمعنى التهديد.  
﴿فَتَمْتَعُوا﴾ على الأول أمرٌ للتهديد، كقوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]،  
والفاء للسببية على تقدير شرط محذوف؛ أي: إذا أصررتم على الشرك وتماديتم  
في الكفر فتمتعوا، وعلى الثاني عطفٌ على ﴿لِيَكْفُرُوا﴾، والالتفات من الغيبة إلى  
الخطاب؛ للمبالغة في التهديد.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبال تمتعكم.

\*\*\*

(٣٥) - ﴿أَمْ أَنزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿أَمْ أَنزَلْنَاهُ﴾: ﴿أَمْ﴾ بمعنى (بل) والهمزة للإضراب عن الكلام السابق،  
والهمزة للاستفهام عن الحجة استفهام إنكارٍ وتوبيخ.  
﴿عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ التنكير للتعظيم، وفائدته الدلالة على أن ما ينزل في مثل  
هذا الأمرِ حقه أن يكون برهاناً عظيم الشأن واضح الدلالة، ولهذا عبر عن دلالته  
الواضحة بالنطق في قوله تعالى:

﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ وأتى بالتفريع دون التوصيف.

﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾: بالأمر الذي بسببه يشركون به تعالى في ألوهيته.

\*\*\*

(٣٦) - ﴿وَإِذَا أَدْفَنَّا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا

هُمْ يَقْنَطُونَ﴾.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾: نعمة من صحة وسعة ﴿فَرِحُوا بِهَا﴾: بطروا بسببها.  
 ﴿وَأِنْ تُصِيبْهُمْ سَيْئَةٌ﴾: شدة ﴿يَمَاقِدَتْ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: بشؤم معاصيهم.  
 ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾: قنطوا من الرحمة بالكلية، وإنما جيء بصيغة المضارع على  
 حكاية الحال الماضية؛ استحضاراً لها، واستفظاعاً للقنوط، وتنبهاً على أن ذلك  
 ديدنهم ماضياً ومستقبلاً.

و﴿إِذَا﴾ المفاجأة جواب الشرط، نائب عن الفاء، لتأخيرها في التعقيب.  
 ثم أنكر عليهم بطرهم وقنوطهم؛ بأنهم قد علموا أن الله هو الباسط القابض،  
 فما لهم لا يشكرونه على نعمته، ولا يرجعون إليه تائبين<sup>(١)</sup> عن معصيته كالمؤمنين،  
 حتى يعيدَ عليهم رحمته ويبسطَ عليهم نعمته.

\*\*\*

(٣٧) - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿﴾.  
 وهذا ما أراد بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ عبارة وإشارة.  
 ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فيستدلون به على كمال القدرة والحكمة.  
 لما وبَّخهم على البطر والقنوط، وعلّق السيئة بارتكاب المعاصي والذنوب،  
 حثهم على ما يجب عليهم، وأوعد على ارتكاب ما حرّم، وحرّضهم على ما يجب  
 أن يفعل في حال السّعة، ولذلك جاء بالفاء السببية، وقال:

(٣٨) - ﴿فَإِنَّ ذَٰلَ الْفُرْقَىٰ حَقَّهُ، وَالْمَسْكِينُ وَالْأَسْفَلُ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ  
 وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

(١) في (ع) و(ك) و(م) و(ي): «تائبون»، والمثبت من (ف).

﴿ فَتَاتِذَا الْقُرْنَى حَقَّهُ، وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ إذا فسّر حقّ الأخيرين بالنصيب المسمّى لهما من الزكاة، وجب أن يفسّر حقّ الأول بالنفقة الواجبة؛ لثلاث يلزم استعمال لفظ<sup>(١)</sup> الأمر للوجوب والندب معاً في استعمال واحد.

ولهذا احتجّ أبو حنيفة بهذه الآية في وجوب النفقة للمحارم إذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب، وخصّ الشافعي في وجوبها بالوالدين والأولاد، وقاس سائر القربات على ابن العمّ؛ إذ لا ولاد بينهم.

﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ﴾؛ أي: يقصدون بمعروفهم إيّاه خالصاً.  
﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ حيث حصلوا بما بسط<sup>(٢)</sup> لهم من زخارف الدنيا النعيم المقيم في العقبى.

\*\*\*

(٣٩) - ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبِّ الْيَتِيمَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيوُا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾.

﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا ﴾: زيادة محرمة في المعاملة، وقرئ بالقصر<sup>(٣)</sup>؛ أي: ما جئتم به من إعطاء رباً ﴿لَا يَرِيوُا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾: ليزيد ويزكو في أموالهم ﴿فَلَا يَرِيوُا عِنْدَ اللَّهِ﴾ فلا يزكو، أو: لا يبارك فيه.

وقرئ: ﴿لَا يَرِيوُا﴾<sup>(٤)</sup>؛ أي: لتزيدوا، أو: لتصيروا ذا رباً.

(١) سقط من (ف).

(٢) في (ف) و(م): «يسط».

(٣) أي: «أتيتم»، وقرأ بها ابن كثير. انظر: «التيسير» (ص: ٨١).

(٤) قرأ بها نافع. انظر: «التيسير» (ص: ٨١).

وقيل: هو من الربا الحلال؛ [أي<sup>(١)</sup>]: وما تُعْطونه من الهدية<sup>(٢)</sup> لتأخذوا أكثر منها، ﴿فَلَا يَرْيَوُا عِنْدَ اللَّهِ﴾؛ لأنكم لم تريدوا بذلك وجه الله تعالى.  
 ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ ذِكْوَةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾: تبتغون به وجهه خالصاً ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ المضعف: ذو الضعف، كالمقوي والمؤسر بمعنى: ذي القوة وذو اليسار.

وقرى بفتح العين<sup>(٣)</sup>.

والراجع منه محذوف إن كانت (ما) موصولة، تقديره: المضعفون به، أو: فمؤتوه أولئك هم المضعفون وذوو الأضعاف من الثواب، أو الذين ضعّفوا أموالهم ببركة الزكاة، وفيه النفات حسنٌ للتعظيم؛ كأنه قال لملائكته<sup>(٤)</sup> وخواص خلقه تعريفاً لحالهم: ﴿فَأُولَئِكَ﴾ الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم ﴿هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾، فهو أمدح لهم من أن يقول: وأنتم<sup>(٥)</sup> المضعفون.

وتغيير العبارة والنظم عن سنن المقابلة للمبالغة في المدح، أو للتعميم؛ أي: فمن فعل ذلك فأولئك هم المضعفون، فيكون إثباتاً برهانياً.

\*\*\*

(٤٠) - ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ كَمَنْ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في (ف): «من هدية»، وفي (م): «أي: من الهدية».

(٣) نسبت لمحمد بن كعب. انظر: «مختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٦).

(٤) في (م): «للملائكة».

(٥) في هامش (ي): «وأنتم، كذا في نسخة المؤلف بالواو، وإن كان الفاء أظهر به».

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَذَا مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَكُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ خبره، أو صفة والخبر ﴿هَذَا مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ والرباط للجملة بالمبتدأ: ﴿ذَلِكَ﴾؛ لأنَّ معناه: من أفعاله.

و﴿مَنْ﴾ الأولى والثانية يفيدان شيوعَ الحكم في جنس الشركاء والأفعال، والثالثة لاستغراق النفي، وكلُّ منها مستقلة بتأكيد<sup>(١)</sup> مقررٍ لتعجيز الشركاء وتجهيل عبديتها، فإنَّ معنى الاستفهام: الإنكارُ المستلزم للنفي على سبيل التأكيد، أثبت الله تعالى [له]<sup>(٢)</sup> هذه الأفعال التي هي من لوازم الألوهية وخواصها، ونفاها عن شركائهم من الأصنام وغيرها، لِمَا دَلَّ عليه البرهان والعيانُ ووقع عليه الوفاق، ثم استنتج<sup>(٣)</sup> من ذلك أنَّه منزَّه أن يكون له شركاء.

﴿سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قيل: لِمَا لم يُجيبوا عَمَّا سأل عنه عجزاً<sup>(٤)</sup> قال: ﴿سُبْحَنَهُ،﴾ إلخ.

\*\*\*

(٤١) - ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

(١) في (ف) و(م): «تأكيد».

(٢) من «تفسير البيضاوي» (٢٠٨/٤).

(٣) في (ع): «استقبح» وهو تحريف شنيع، وفي (ف) و(م): «استفتح»، والمثبت من (ك) وهامش (ي).

وقد وقع في متن (ي): «استفتح»، لكنه صحح في الهامش إلى المثبت، وكتب بجانبه: «في نسخة

المؤلف: استفتح، وإن كان استنتج موافقاً لما في القاضي». وهو كما قال.

(٤) سقط من (ف) و(م).

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ مثل: الموتان<sup>(١)</sup> في الناس والدواب، والجذب والقحط، وكثرة الحرق والغرق، وقلة الزرع<sup>(٢)</sup>، وخيبة الصيادين والغاصة<sup>(٣)</sup>، وخسران التجار، واحتباس الأمطار، ومحق البركات، وشمول الآفات.

﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ بشؤم معاصيهم وذنوبهم.

وقيل: ظهر الفساد في البر بقتل ابن آدم أخاه، وفي البحر بأن جُلندى كان يأخذ كل سفينة غصباً.

وعن الحسن: أن المراد بالبحر: المدن والقرى التي على شاطئه.

﴿لِيَذِقَ لَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ أراد: وبأله في الدنيا، فإن جزاءه الموعود في الآخرة، ولما كان ما في الدنيا موجب شامة ما عملوا، ومقتضى شأن ذلك العمل، نُزل منزلته، واللام للعلّة استعيرت هنا لترتب المسبب على السبب.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لإرادة الرجوع عما هم عليه.

\*\*\*

(٤٢) - ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ﴾.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ أمرهم بالسير في الأرض

(١) يعني: كثرة الموت. انظر: «حاشية الشهاب» (١٢٥/٧).

(٢) في (م) زيادة: «والنيل».

(٣) «والغاصة» سقط من (م)، وهو جمع أو اسم جمع لغائص، وهو من ينزل لقعر البحر لإخراج اللؤلؤ

ونحوه. انظر: «حاشية الشهاب» (١٢٥/٧).

والنظر في آثار مَنْ أهلك الله تعالى مِنَ الأمم قبلهم بسبب كفرهم ومعاصيهم؛  
ليشهدوا مصداق ذلك ويتحققوا صدقه.

﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ استئنافٌ للدلالة على أَنَّ منهم مَنْ أهلكهم بسبب  
سائر المعاصي، ولم يكن الشرك وحده سببَ تدميرِ الكلِّ.

\*\*\*

(٤٣) - ﴿فَاقْمِ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ، مِنْ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾.

﴿فَاقْمِ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾: البليغ الاستقامة، الذي لا يتأتَّى فيه عوجٌ، يعني:  
قد بلغ الإنذارُ مبلغه، فلا تهتمَّنْ لإعراض هؤلاء، واقصِدْ أنتَ الطريقَ الذي يُوصِلُك  
إلى الدينِ المستقيم، وهو ما تقدَّم ذكره: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهُ  
لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِي يُقِيمُ﴾ [الروم: ٣٠].

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ، مِنْ اللَّهِ﴾: يومٌ لا يَقْدِرُ أَنْ يَرُدَّهُ أَحَدٌ، أو: يأتي يومٌ لا  
رَادَّ لَهُ مِنْ جِهَةِ اللَّهِ؛ أي: لا يَرُدُّهُ اللَّهُ؛ لتعلُّقِ إرادته القديمة بمجيئه.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾: يتصدَّعون؛ أي: يتفرَّقون تفرُّقَ الأشخاص، على ما  
ورد في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤]، لا  
تفرُّقَ الفريقَيْنِ كما ظنَّه مَنْ قال: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]  
فإنَّ المبالغةَ في التفرُّقِ المستفادِ مِنْ ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾ إنما يناسبُ الأول، ثم  
استأنفَ لبيانِ شأنهم في تلك الحال، فكأنَّه يقول: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ  
يُنْفِئُهُ﴾ [عبس: ٣٧].

\*\*\*

(٤٤) - ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ﴾.

﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾: وبإل كُفْرِهِ، مبالغة في إحاطة جميع المضار به؛ لأنَّ مضرة الكفر ووبالة غاية في المضار لا وراء لها، وهي إحاطة النار به.

﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ﴾؛ أي: يُسَوِّونَ مقرًا في الجنة لا أنعم ولا أجلب للراحة منه، وهو تمثيل لحالهم بحال مَنْ يُمَهِّد فراشه ويوطئه لنفسه في غاية النعومة، بحيث لا يصيبه في مرقده ما ينغصه عليه من أدنى خشونة.

وتقديم الظرف في الموضوعين للاختصاص، وصيغة الأفراد في الكافر للدلالة على انفرادِهِ في زمان عذابه تشديدًا له، فإنَّ الوحشة نقمة أخرى، وصيغة الجمع في المؤمن للدلالة على أنَّ لهم نعمة الأنس زيادةً على ثوابهم الجزيل.

وفي مقابلة ﴿مَنْ كَفَرَ﴾ بـ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ تنبيه على أنَّ العمل الصالح من روادف الإيمان، لا يوجد مع الكفر، ولَمَّا كان العمل الصالح كنايةً عن الإيمان، لم يبقَ قسم آخر مجهول الحال.

\*\*\*

(٤٥) - ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ۚ﴾: ممَّا يَتَفَضَّلُ به عليهم؛ لأنَّ الثواب من الفضل، والعقاب من العدل.

وقوله: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ تعليل لـ ﴿يَصَدَّعُونَ﴾، والاقتصار على جزاء المؤمنين للإشعار بأنه المقصود بالذات، والاكتفاء من جزاء الكافرين بفحوى قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ وتوصيف المؤمنين بالعمل الصالح، ليس للتخصيص، بل للتنبيه على أنَّ الإيمان الخالص شأنه استتباع العمل الصالح.

أول ﴿يَمْهَدُونَ﴾، والموصول مع صلته من باب وضع الظاهر موضع المضمر، والتصريح بالتكرير للمدح والإشعار بأنه هو الموجب للكرامة والاستحقاق والترغيب في الإيمان والصلاح.

وكذا: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ بعد قوله: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ فإنه تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس؛ أي: يُقرّر الأول الثاني وبالعكس، وذلك أن قوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلخ، يدل بمنطوقه على اختصاصهم بالجزاء التكريمي، وبمفهومه على أنهم أهل الولاية والزلفى<sup>(١)</sup>، وقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ لتعليل الاختصاص يدل بمنطوقه على أن عدم المحبة اقتضى حرمانهم، وبمفهومه على أن مقتضى الجزاء لأضدادهم موفور فهو بحب المؤمنين.

\*\*\*

(٤٦) - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾؛ أي: ومن آيات قدرته وحكمته ﴿أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ﴾ هي الجنوب والشمال والصبأ، وهي رياح الرحمة، وأما الدبور فريح العذاب، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»<sup>(٢)</sup>، وذلك أن العرب تقول: لا يُلَقَّح السحاب إلا من رياح مختلفة، يريد: اجعلها لقاحاً للسحاب ولا

(١) في (ف) و(م): «والزلف».

(٢) رواه الشافعي في «مسنده» (ص: ٨١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٤٥٦)، والطبراني في «الكبير»

(١١٥٣٣)، وأبو الشيخ في «العظمة» (١٣٥١/٤)، والبيهقي في «الدعوات» (٣٦٩)، من طريقين

عن ابن عباس كلاهما ضعيف. انظر: «الكافي الشاف» (ص: ١٢٩).

تجعلها عقاباً، وتحقيقاً<sup>(١)</sup> ذلك: مجيء الجمع في آيات الرحمة، والواحد في قصص العذاب.

وقرئ: ﴿الرَّيْحَ﴾ على إرادة الجنس<sup>(٢)</sup>.

ثم عدد الفوائد في إرسالها فقال: ﴿مُبَشِّرَتٍ﴾؛ أي: إرسالها للبشارة في الغيث. ﴿وَلِيَذِيقَكُمْ رَحْمَتَهُ﴾ ولإفاضة الرحمة؛ وهي نزول المطر، وحصول الخصب الذي يتبعه، والروح الذي هو مع هبوب الرياح، وزكاء الأرض، وغير ذلك، عطف على علة أو علل شتى محذوفة دل عليها ﴿مُبَشِّرَتٍ﴾، أو عليها باعتبار المعنى؛ لأنه في معنى التعليل، كأنه قيل: ليبشركم وليذيقكم، أو متعلق بمحذوف دل عليه ﴿أَن يُرْسِلَ﴾ تقديره: وليذيقكم وليكون كذا وكذا أرسلناها.

﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ﴾ عند هبوبها ﴿بِأَمْرِهِ﴾ وَلِتَبْنَعُوا مِنْ فَضْلِهِ. بتجارة البحر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: ولتشكروا نعمة الله فيها.

\*\*\*

(٤٧) - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوا<sup>ط</sup> وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ لَمَّا وَسَّطَ بَيْنَ دَلَائِلِ التَّوْحِيدِ تسليّة الرسول عليه الصلاة والسلام ووعدّه، اقتصر الكلام بإدراج ذِكر الفريقين في طيّ ذكر الانتصار والنصر؛ تقريباً للمقصود وقصر لطريقه، والمعنى: فجاؤوهم بالبينات؛ فمنهم مَنْ آمَنَ ومنهم مَنْ كَفَرَ.

(١) في (ف) و(م): «ومحقق».

(٢) قراءة ابن كثير وحزمة والكسائي، وبإثني السبعة بالجمع. انظر: «التيسير» (ص: ٧٨).

﴿فَأَنقَمْنَا﴾ في الدنيا ﴿مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾؛ أي: كفروا، بالتدمير.  
 ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إشعارٌ بأنَّ الانتقامَ من المجرمين كان لأجلهم،  
 وتعظيمُ لهم، وإظهارُ لكرامتهم عند الله تعالى؛ بأن جعلهم مستحقِّين على الله بنصرهم،  
 مستوجبين لأن يُظهرهم على عدوِّهم، ولذلك قدَّم الخبر على الاسم؛ اعتناءً بهم  
 وبحقِّية نصرهم عليه، وقد يُوقف على ﴿حَقًّا﴾ على أنَّ اسم (كان) ضميرُ الانتقام،  
 ويبدأ ﴿عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ اكتفاءً من معنى الحق بـ: ﴿عَلَيْنَا﴾<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(٤٨) - ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا  
 فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ ۚ مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.  
 ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ﴾؛ أي: يجعله متصلاً تارةً في  
 الجو ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ سائراً وواقفاً، مطبقاً أو غير مطبق، من جانبٍ دون جانبٍ، إلى  
 غير ذلك ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾: قطعاً تارةً أخرى.

وقرئ بالسكون<sup>(٢)</sup> على أَنَّهُ مخفَّف، أو جمع كِسْفَةٍ، أو مصدرٌ وصف به.  
 والمرادُ بالسما جهُهُ العُلُوِّ وسمُّها.  
 ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾: المطر ﴿يَخْرُجُ﴾ في التارتين ﴿مِنْ خِلَالِهِ﴾: وسطه.  
 ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ﴾: بالودق ﴿مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يريد: إصابةً بلادهم وأراضيهم.  
 ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بمجيء الخصب.

\*\*\*

(١) في النسخ عدا (ي): «تغليبا» بدل «بعلينا»، والمثبت من (ي).

(٢) قرأ بها ابن عامر. انظر: «التيسير» (ص: ١٧٥).

(٤٩) - ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾.

﴿وَإِنْ كَانُوا﴾ (إن) هي المخففة من الثقلية، واللام في ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾<sup>(١)</sup> هي الفارق بينها وبين النافية.

﴿مِنْ قَبْلُ أَنْ يُنْزَلَ﴾ المطر ﴿عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾ تكرر للتأكيد كقوله: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الحشر: ١٧]، وللدلالة على بُعد عهدهم بالمطر، واستحكام يأسهم، وتمادي إبلا سهم؛ ليفيد مبالغة في استبشارهم، فإنَّ الفرح بنزول المطر على قَدْرِ اغتنامهم بانقطاعه، ويقوّيه معنى التأكيد، واللام في: ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾؛ أي: آيسين متحيرين من الغم منقبضين، وكذلك معنى السببية في:

(٥٠) - ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ من النبات والأشجار وأنواع الثمار وغير ذلك؛ أي: إذا كان كل الاستبشار في نزوله، وجُلُّ الغم في احتباسه، فانظر إلى آثار<sup>(٢)</sup> رحمته كيف هو واعتبره، والضمير في ﴿فَانْظُرْ﴾ لكل مخاطب.

﴿كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتَىٰ﴾؛ أي: إنَّ ذلك القادر الذي يُحيي الأرض بعد موتها، هو الذي يُحيي الناس بعد موتهم، فهذا استدلالٌ بإحياء الموات على إحياء الأموات.

وفي ﴿إِنَّ﴾ واللام تأكيدٌ وتقويةٌ للدليل في مقابلة إنكارهم، ثم قرره وقوّاه بقوله:

(١) في (ف): «واللام من المبلسين».

(٢) في (ف): «فالنظر أثر».

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ لَأَنَّ نِسْبَةَ قُدْرَتِهِ إِلَى جَمِيعِ الْمُمْكِنَاتِ عَلَى السَّوَاءِ.

\*\*\*

(٥١) - ﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾.

﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ﴾؛ أَي: فَرَأَوْا أَثَرَ رَحْمَةِ اللَّهِ؛ لَأَنَّ الرِّحْمَةَ الْغَيْثُ، وَأَثَرُهُ

النبات.

﴿مُصْفَرًّا﴾ يَابَسًا جَافًا؛ لِأَنَّهُ إِذَا يَبَسَ أَصْفَرَّ، وَقِيلَ: الضَّمِيرُ لِلْسَحَابِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا

كَانَ مُصْفَرًّا لَمْ يُمَطِّرْ، وَاللَّامُ مُوْطِئَةٌ لِلْقَسَمِ دَخَلَتْ عَلَى حَرْفِ الشَّرْطِ، وَقَوْلُهُ:

﴿لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ جَوَابُهُ سَدَّ مَسَدٍّ جَزَاءِ الشَّرْطِ، وَلِذَلِكَ فَسَّرَ

بِالْمُسْتَقْبَلِ؛ أَي: لِيُظَلَّنَ مِنْ بَعْدِ أَصْفَرَارِهِ يَكْفُرُونَ نِعْمَهُ.

وهذه الآياتُ نَاعِيَةٌ عَلَى الْكُفَّارِ قَلَّةً تَثْبِثُهُمْ وَسُرْعَةً تَزْلِزُهُمْ؛ لِعَدَمِ تَدَبُّرِهِمْ

وُسُوءِ رَأْيِهِمْ، فَإِنَّ النَّظَرَ السَّوِيَّ يَقْتَضِي أَنْ يَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا وَلَا

يَضْطَرُّوْا؛ فَيَشْكُرُوا نِعْمَهُ عِنْدَ السَّعَةِ وَالرَّخَاءِ، وَيَصْبِرُوا عِنْدَ الضَّيْقِ وَالْبَلَاءِ، وَلَا

يَكْفُرُوا نِعْمَهُ فِي<sup>(١)</sup> الشَّدَّةِ، وَيَرْضَوْا بِمَا جَرَى مِنَ الْقَضَاءِ؛ فَيَفُوزُوا فِي الدَّارَيْنِ

بِالنِّعْمَاءِ. وَالْفَاءُ فِي:

(٥٢) - ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْوَعْدَ وَلَا تَسْمَعُ الضُّعْفَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾.

﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْوَعْدَ وَلَا تَسْمَعُ الضُّعْفَ الدُّعَاءَ﴾ لِلْسَّبِيْبَةِ؛ أَي: إِذَا كَفَرُوا وَلَمْ يَتَّبِعْهُوا

بِهَذِهِ الْآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ وَلَمْ يَسْمَعُوا<sup>(٢)</sup>، فَهَمَّ مَوْتِي أَوْ صُمٌّ عُمِّي، فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ

الموتى، وَلَا تَسْمَعُ الضُّمَّ، وَلَا تَهْدِي الْعُمِّيَّ، وَتَقْيِيدُ الْحُكْمِ بِقَوْلِهِ:

(١) فِي (ف): «عِنْدَ».

(٢) فِي (ف) وَ(م): «يَسْمَعُوهُ».

﴿إِذَا وَلَّوْا مُدِيرِينَ﴾ للمبالغة في غفلتهم، وتماديهم في جهلهم، وعدم نجع الدعوة فيهم؛ فَإِنَّ الْأَصَمَّ وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ، فإذا كان مقبلاً فربما تَفْطَنَ بالإشارات<sup>(١)</sup> والحركات، وأمّا إذا كان مُدِيرًا فلا إمكانَ لسماعه وفهمه.

\*\*\*

(٥٣) - ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾. ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ﴾ إنّما عدل هنا عن صيغة الفعل إلى صيغة الفاعل؛ لأنه لم يُرَدِّ نفي الهداية أصلاً، فَإِنَّ الْهَدَايَةَ في الجملة ممكنة للأعمى، بل أراد نفي الهداية التامة، ولذلك ضَمَّنَهَا معنى الإذهاب فقال:

﴿عَنْ ضَلَالِهِمْ﴾ يقال: هداؤه عن الضلالة؛ أي: أبعدّه عنها بالهدى، ومن قرأ: ﴿وَمَا أَنْتَ تَهْدِي الْعُمَىٰ﴾<sup>(٢)</sup> فقد اكتفى بما في قوله: ﴿عَنْ ضَلَالِهِمْ﴾ من الدلالة على المراد، والله الهادي إلى سبيل الرشاد.

﴿إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ فَإِنَّ إيمانهم يدعوهم إلى سماع اللفظ وتدبر المعنى فهم منقادون لِمَا تَأْمُرُهُمْ بِهِ ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾: منقادون لأوامر الله.

\*\*\*

(٥٤) - ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾: ابتدأكم منه، وجعل أساس أمركم وما عليه بنيتمكم الضعف، كقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، وذلك حال الطفولية والصبا.

(١) في (ف) و(م): «بالإشارة».

(٢) قرأ بها حمزة. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٩).

وقرى: ﴿ضَعَفٌ﴾ بالفتح والضَّم، وهما لغتان كالفقر والفقر، والثاني أقوى قراءة؛ لما روي أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قرأتها على رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ ضَعَفٌ﴾، فأقرأني<sup>(١)</sup>: ﴿مَنْ ضَعِفٌ﴾<sup>(٢)</sup> بالضم<sup>(٣)</sup>.  
﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾: وهو حال الشبيبة؛ من أوان البلوغ إلى زمان الكهولة.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾: ثم ردكم إلى الضعف والشيوخوخة، وزيادة قوله: ﴿وَشَيْبَةً﴾؛ للتنبيه على أن المراد التبدل بحسب السن، ففيه دفع<sup>(٤)</sup> لذهاب الوهم إلى أن يراد بالجعل الأول الخلق من النطفة، ومن الثاني نفخ الروح في البدن، والتنكير مع التكرير لأن المتأخر غير المتقدم<sup>(٥)</sup>.

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ من ضعف وقوة وشيبة.

﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ فإن هذه الانتقالات في الأحوال المختلفة دالة على أنه تعالى يخلق على مقتضى المشيئة والعلم والقدرة؛ لأن التغيير<sup>(٦)</sup> من صورة إلى صورة، والترديد من حالة إلى حالة، مع إمكان خلاف ذلك، دليل على الإرادة المبنية على العلم والحكمة المفضية إلى القدرة.

\*\*\*

(١) في (ف): «فأقرأني».

(٢) بعدها في (ف): «إلى من ضعف»، وبعدها في (ك): «لا من ضعف».

(٣) رواه أبو داود (٣٩٧٨)، والترمذي (٢٩٣٦) وحسنه.

(٤) في (ف) و(م): «رفع».

(٥) في (ف) و(م): «عين المتقدم»، وفي (ك): «ليس عين المتقدم».

(٦) في (ك): «التغير».

(٥٥) - ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيَشُوْا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ (الساعة) للقيامة من الأسماء الغالبة، كالنجم للثريا، والكوكب للزهرة، سُمِّيت بها لأنها تقوم في آخر ساعةٍ من الدنيا، وقيل: لأنها تقع بغتةً، كما تقول لمن تستعجله: في ساعة.

﴿يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ يحلف الكافرون: ﴿مَا لِيَشُوْا﴾ في الدنيا، أو في القبور، أو في ما بين فناء الدنيا وانقطاع عذابهم، وفي الحديث: «ما بين فناء الدنيا والبعث أربعون»<sup>(١)</sup>، وهو يحتمل الساعات والأيام والأعوام.

﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ الظاهر من القسم أن ما ذكره على زعمهم لنسيانهم، لا أنهم استقلوا مدةً لبثهم إضافةً إلى مدة عذابهم؛ لأن ذلك القول منهم قبل الدخول في زمان عذاب الآخرة والوقوف على مدتها، فلا وجه للإضافة إليها.

﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الصرف عند الصدق والتحقيق ﴿كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ يُصَرَّفون في الدنيا عن الصدق إلى الكذب، ويقولون: ما هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين.

\*\*\*

(٥٦) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَنَكْتُبَنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

(١) قال الحافظ في «الكاف الشاف» (ص: ١٢٩): (لم أجده هكذا). ثم أشار إلى ما رواه البخاري (٤٩٣٥) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون»، قيل: أربعون يوماً يا أبا هريرة؟ قال: أبئت. قيل: أربعون شهراً؟ قال: أبئت. قيل: أربعون سنة؟ قال: أبئت.... الحديث.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾: مِنَ الْمَلِكِ وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ:  
 ﴿لَقَدْ لَيْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فيما كتبه وأوجه لكم على أَنَّ ﴿فِي﴾ للتعليل، كما في  
 قوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ امْرَأَةً دَخَلَتْ النَّارَ فِي هَرَّةٍ حَبَسَتْهَا»<sup>(١)</sup>.  
 ﴿إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ رَدُّوا ما قالوه وحلفوا عليه وأطلعوهم على الحقيقة، ثم  
 وصلوا ذلك بتقريرهم<sup>(٢)</sup> على إنكار البعث بقوله:  
 ﴿فَهَكَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ﴾؛ أي: فقد تبين بطلان قولكم، والفاء فصيحة دخلت  
 جواب شرط محذوف تقديره: إن كنتم مُنْكَرِينَ البعث فهذا يومه.  
 ﴿وَلَا كُنْكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُ حَقٌّ؛ لتفريطكم في النَّظَرِ.

\*\*\*

(٥٧) - ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾.  
 ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ﴾ وقرئ بالياء<sup>(٣)</sup>؛ لأنَّ المعذرة بمعنى  
 العذر، ولأنَّ تأنيثها غير حقيقي، وقد فصل بينهما.  
 ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ الاستعتاب: الاسترضاء، يقال: اسْتَعْتَبَنِي فلانٌ فَأَعْتَبْتُهُ؛  
 أي: أزلت عتبه وأرضيته، والمعنى: لا يُطْلَبُ منهم أن يستعتبوا ربهم بالتوبة والطاعة  
 كما طُلب منهم في الدنيا، ولا يقال لهم: استرضوا ربكم.

(١) رواه البخاري (٢٣٦٥)، ومسلم (٢٢٤٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ولفظه عند  
 البخاري: «عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هَرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جَوْعاً، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارُ»... الحديث.

(٢) في (ف): «بتفريعهم».

(٣) في (ف) و(ك): «بالتاء»، والمثبت من باقي النسخ، وهو الصواب بدلالة اللحاق. وقراءة: «لا ينفَعُ»  
 بالياء؛ قرأ بها عاصم وحزمة والكسائي، وقرأ الباقون بالتاء. انظر: «التيسير» (ص: ١٧٦).

(٥٨) - ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ أُنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾: ولقد بينّا كلّ أمرٍ من أمور الدّين والتوحيد، أو أحوال الآخرة، في هذا القرآن بالتمثيل، أو: وصفنا لهم كلّ صفة هي في التّبيين والغرابة كالمثل لصفة المبعوثين وأحوالهم ومقاولاتهم، وعدم فائدة معذرتهم وتوبتهم واستعتابهم.

﴿وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ أُنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ ولكن لقسوة قلوبهم واحتجاجها<sup>(١)</sup> بمزخرفاتهم، لئن جئتهم بآية عظيمة لنسبوك ومن معك من المؤمنين إلى التزوير<sup>(٢)</sup> والإبطال.

و﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ موضوع موضع الضمير للتصريح بكفرهم ذمًا، وبيان أنّ كفرهم هو الموجب للعناد والإنكار، ونسبة المحقّ إلى التزوير<sup>(٣)</sup> والإبطال.

\*\*\*

(٥٩) - ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الطبع العظيم ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ من باب إجراء المتعدّي مجرى اللازم؛ أي: الذين لا علم لهم ولا يطلبونه ويصرون على معتقداتهم الباطلة حتى طبع على قلوبهم وران<sup>(٤)</sup> بسبب

(١) في (ك): «واحتجاجها».

(٢) في (ف): «الترديد».

(٣) في (ف): «الترديد».

(٤) في (ي): «وزان»، وليست في (ف) و(ك).

الجهل المركَّب المانع من إدراك الحقِّ له ومعرفة المُحقِّ. والفاء في:

\*\*\*

(٦٠) - ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾.

﴿فَاصْبِرْ﴾ للسببية على تقدير شرط؛ أي: وإذا علمت أنهم جهالٌ مطبوعٌ على قلوبهم، فاصبر على أذاهم ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصرتك وإظهار دينك على الدين كله ﴿حَقٌّ﴾ لا بُدَّ من إنجازه.

﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ ولا يحملنك على الخفة والقلق قول هؤلاء الجَهْلَة، فإنَّهم قومٌ شاؤون ضالُّون لا يُستبدَعُ<sup>(١)</sup> ذلك منهم.

وقرئ: (ولا يَسْتَخِفَّنَكَ)<sup>(٢)</sup> من الاستحقاق؛ أي: لا يُزيغوك<sup>(٣)</sup> فيكونوا أحقَّ بك من المؤمنين.

\*\*\*

(١) في (ك) و(م): «لا تستبعد».

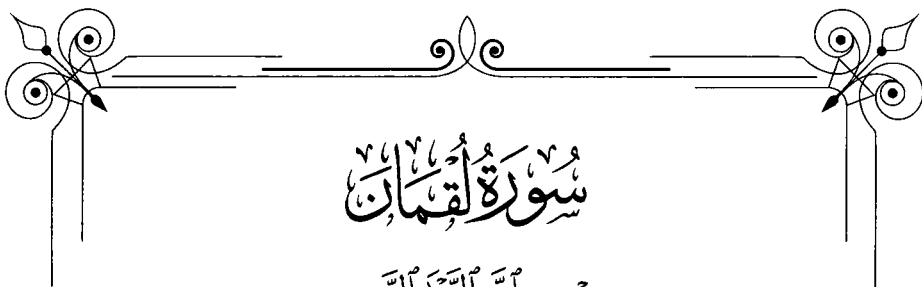
(٢) نسبت لابن أبي إسحاق، ويعقوب في غير المشهور عنه. انظر: «المحتسب» (٢/١٦٦).

(٣) في (ع): «لا يزيغوك»، وفي (ف) و(ك): «لا يزلقونك»، وفي (م): «لا يزيغونك»، والمثبت من (ي) والبيضاوي.



سُورَةُ الْقِيَامَةِ





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٢) - ﴿الَّذِينَ﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿﴾.

﴿الَّذِينَ﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿﴾ سبق بيانه في سورة يونس عليه السلام.

\*\*\*

(٣) - ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ حالان من الآيات، والعامل ما في ﴿تِلْكَ﴾ من معنى الإشارة، وقرئ بالرفع على أنه خبرٌ بعد خبرٍ، أو خبرٌ مبتدأً محذوفٍ.

﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾: الجامعين بين العلم والعمل، وقوله:

(٤) - ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ بيانه، كما قال:

الألمعي الذي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَانَ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا<sup>(١)</sup>  
أو: الذين يعملون الحسنات كلها، وتخصيصُ القائمين بهذه الثلاث<sup>(٢)</sup> بالذكر  
لإنافتها وفضل<sup>(٣)</sup> الاعتداد بها.

---

(١) البيت لأوس بن حجر. انظر: «ديوان أوس بن حجر» (ص: ٥٣)، وانظر: «الغريب المصنف»

للهمروي (١/ ٣٧٧)، و«معجم ديوان الأدب» (١/ ٢٧٣)، و«الكشاف» (٣/ ٤٨٩).

(٢) في (ك): «الثلاثة».

(٣) في (ف) و(ك): «لأن فيها فضل».

وتَكَرَّرُ الضَّمِيرُ لِلتَّوَكِيدِ، وَلِمَّا فَصَلَ <sup>(١)</sup> بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَبْرِهِ.

\*\*\*

(٥) - ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ سبق تفسيره في سورة البقرة.

\*\*\*

(٦) - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ نَزَلَتْ فِي النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ، وَكَانَ يَشْتَرِي أَخْبَارَ الْأَكَاسِرَةِ مِنْ فَارَسٍ، وَيَقُولُ: إِنَّ مُحَمَّدًا يَقْصُ طَرَفًا مِنْ قِصَّةِ عَادٍ وَثَمُودَ، وَأَنَا <sup>(٢)</sup> أَحَدُكُمْ طَرَفًا مِنْ أَحَادِيثِ رِسْتَمٍ وَأُسْفَنْدِيَارٍ، فَيَمِيلُونَ إِلَى حَدِيثِهِ وَيَتْرَكُونَ اسْتِمَاعَ الْقُرْآنِ <sup>(٣)</sup>.

وَقِيلَ: كَانَ يَشْتَرِي الْقَيْنَاتِ وَيَحْمِلُهُنَّ عَلَى مَعَاشِرَةٍ مَّنْ أَرَادَ الْإِسْلَامَ وَمَنْعَهُ عَنْهُ بِشْغَلِهِ بِاللَّهْوِ <sup>(٤)</sup>.

(١) فِي (ك): «حَصَلَ».

(٢) فِي (ف) وَ(م): «فَأَنَا».

(٣) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٧ / ١٨٢)، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٥٩١٤)، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) رَوَاهُ جُوَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَنْزَلَتْ فِي النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ اشْتَرَى قَيْنَةً، فَكَانَ لَا يَسْمَعُ بِأَحَدٍ يَرِيدُ الْإِسْلَامَ إِلَّا انْطَلَقَ بِهِ إِلَى قَيْنَتِهِ فَيَقُولُ: أَطْعَمِيهِ وَاسْقِيهِ وَغَنِّيهِ، هَذَا خَيْرٌ مِّمَّا يَدْعُوكَ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَأَنْ تَقَاتَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَتَزَلَّتْ. انْظُرْ: «الدَّرُ الْمَثُورُ» لِلْسَّيَاطِطِ (٦ / ٥٠٤).

وَاللَّهُ: كُلُّ باطلٍ أُلْهِىَ عن الخير وعمّا يعني<sup>(١)</sup>. ولهو الحديث نحو السمر بالأساطير التي لا أصل لها، والغناء.

والاشتراء من الشراء، كما روي عن النضر، أو من قوله: ﴿أَشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٧٧]؛ أي: استبدلوه منه، واختاروه عليه.

والإضافة بمعنى (من)، وهي تبينية سواء أراد بـ ﴿الْحَدِيثِ﴾ المنكر أو الأعم منه، نعم على الثاني يجيء التبعض باعتبار أن بينهما عموماً وخصوصاً من وجه، ولكن لا يكون من مقتضى الإضافة.

﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ أي: عن دينه، أو عن قراءة القرآن، وقرئ: ﴿لِيُضِلَّ﴾ بفتح الياء<sup>(٢)</sup>؛ أي: ليثبت على الضلال عن الدين ويزيد فيه.

﴿بِعَمَلِهِ﴾ بحال ما يشتريه أو بالتجارة، حيث استبدل الباطل بالحق والضلال بالهدى، حال من ضمير ﴿يَشْتَرِي﴾؛ أي: جاهلاً. والضمير في:

﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ للسبيل؛ لأنها مؤنثة ﴿هُزُوا﴾: سخرية.

وقرئ ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ بالنصب<sup>(٣)</sup> عطفًا على ﴿ليضل﴾.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ لإهانتهم الحق باستئثارهم<sup>(٤)</sup> الباطل عليه.

\*\*\*

(١) في (م): «يفي»، وفي (ف): «بقي».

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. انظر: «التيسير» (ص: ١٣٤).

(٣) قراءة حفص وحزمة والكسائي، وباقي السبعة بالرفع. انظر: «التيسير» (ص: ١٧٦). ووقع في

النسخ بدل: ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾: «يتخذ»، والمثبت هو المطابق للفظ القراءة.

(٤) في (ف) و(ك): «باستئثار».

(٧) - ﴿وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرَاطٌ ۚ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝﴾.

﴿وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا ۝﴾: متكبراً لا يعبأ بها<sup>(١)</sup>.  
 ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۝﴾: مُشْبِهاً حاله في عدم التفاته إليها حال من لم يسمعها.  
 ﴿كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرَاطٌ ۝﴾: ثقلاً لا يقدر أن يسمع.

﴿كَأَن ۝﴾ مخففة من الثقلية، اسمها ضمير الشأن محذوفاً، أصلها: كأنه لم يسمعها، جملة وقعت حالاً من ضمير ﴿وَلَّىٰ ۝﴾، أو ضمير ﴿مُسْتَكْبِرًا ۝﴾، و﴿كَأَن ۝﴾ بدل من الأول، أو حال من ضمير (لم يسمع)، فهما حالان متداخلتان، ويجوز أن يكونا جملتين مستأنفتين.

﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝﴾ تهكم بهم، والمعنى: أعلمه.

\*\*\*

(٨) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ۝﴾  
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ۝﴾ النعيم: جنّة من الجنان الثمانية، كالماوى والعدن، وقد سبق التفصيل<sup>(٢)</sup> في سورة البقرة.  
 والتعبير عن جنّة واحدة بالجنّات للمبالغة.

\*\*\*

(٩) - ﴿خَلِيلِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝﴾.

(١) في (ف): «متكبراً لأثقالها».

(٢) في (ف) و(م): «التفصيل».

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال من الضمير في ﴿لَهُمْ﴾، أو من ﴿جَنَّتْ﴾، والعامل ما تعلق به اللام من معنى الاستقرار.

﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ مصدران مؤكّدان؛ الأوّل لنفسه لأنّ قوله: ﴿لَهُمْ جَنَّتْ النَّعِيمُ﴾ في معنى: وعدهم الله جنّات النعيم، والثاني لغيره لأنّ معناه: الصدق والثبات، وليس كلّ وعد كذلك.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: القوي الذي لا يغلبه أحد فيمنعه عن إنجاز وعده وإنفاذ وعيده. ﴿الْحَكِيمُ﴾: الذي يفعل ما يفعل بمقتضى الحكمة.

\*\*\*

(١٠) - ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ قد سبق في تفسير<sup>(١)</sup> سورة الرعد.

﴿وَالْأَرْضَ فِي الرَواسِيَ﴾: جبالاً شوامخ ﴿أَنْ تَمِيدَ﴾: لئلا تضطرب ﴿بِكُمْ﴾.

قيل: تشابه أجزائها يقتضي تبدّل أحيائها<sup>(٢)</sup> وأوضاعها، وفيه نظر؛ إذ لم يقدّم دليل على تشابه أجزائها، بل الظاهر خلافه.

﴿وَبَثَّ﴾: ونشر ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾.

﴿وَأَنْزَلْنَا﴾ فيه التفات في محز<sup>(٣)</sup> البلاغة؛ لأنّ إنشاء هذه الأمور العظام - خاصّة

(١) في (ف) و (م): «تفسيره في».

(٢) في (ف): «أرضها».

(٣) في (ف): «مجيء»، وفي (م): «نحر».

ما به حياتهم من إنزال الماء وإنبات أصناف النبات - موضع<sup>(١)</sup> للتنبيه، والإيقاظ للعبادة، والشكر على النعمة، والإعراض عن الشرك.

﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾: صنف كثير المنفعة، استدلل بما ذكر من الأشياء الدالة على كمال قدرته وحكمته على ألوهيته وتوحيده واستحقاقه للعبودية، ثم بكتهم<sup>(٢)</sup> بقوله:

\*\*\*

(١١) - ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.

﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾؛ أي: ماذا خلقت ألهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة؟! ف ﴿مَاذَا﴾ نصب بـ ﴿خَلَقَ﴾، أو ﴿مَا﴾ مرتفع بالابتداء، وخبره ﴿ذَا﴾ بصلته، و﴿أَرُونِي﴾ معلق عنه.

ثم أضرب<sup>(٣)</sup> عن تبكيتهم والتهم بهم إلى التسجيل عليهم بالظلم والتورط في ضلال ليس بعده ضلال فقال:

(١١) - ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على أنهم ظالمون بإشراكهم.

\*\*\*

(١) في (ك): «موضع».

(٢) في (ف): «ثم نكبتهم».

(٣) في (ك): «أعرض».

(١٢) - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَنَ الْحِكْمَةَ﴾ الجمهور على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً. والحكمة: هي الكمال العلمي مع العملي؛ أي: العلمُ بحقائق الأشياء على ما هي عليه، والملكةُ التامةُ على الأفعال الفاضلة.

﴿أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ ﴿أَنِ﴾ هي المفسرة؛ لأن إيتاء الحكمة في معنى القول، وإنما فسّر الله الحكمة بالشكر تنبيهاً على أن الحكمة المعتد بها هي المقتضية للعمل الصالح والشكر لله تعالى والعبادة.

﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لأن نفعه عائدٌ إليها، وهو دوامُ النعمة واستحقاقُ مزيدها.

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ حُذِفَ جزاؤه، وهو: فإنما يكفر على نفسه؛ أي<sup>(١)</sup>: ضررُ كفره لا يتعدى عنها، لانفهامه بقرينة قرينه<sup>(٢)</sup>، وأقيم مقامه تعليله، وهو قوله:

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن الشكر؛ لا يتفَعُّ بوجوده، ولا يتضررُ بعدمه.

﴿حَمِيدٌ﴾ بذاته، حقيق<sup>(٣)</sup> بأن يُحمد وإن لم يحمده أحدٌ، أو محمودٌ نطقاً بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال، وهو أنطق<sup>(٤)</sup> من لسان المقال.

\*\*\*

(١) في (ك): «لأن».

(٢) «قرينه» سقط من «ف».

(٣) «حقيق» سقط من «ف».

(٤) في (ك): «أفصح».

(١٣) - ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبَنِيهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۚ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبَنِيهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۚ يَبْنَىٰ﴾ تصغيرُ إشفاقٍ.

﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ قيل: كان كافراً، فلم يزل به حتى أسلم. ومن وقف على ﴿لَا تُشْرِكْ﴾ جعل ﴿بِاللَّهِ﴾ قسماً.

﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لآنه تسوية بين من لا نعمة إلا منه، ومن لا نعمة منه أصلاً.

\*\*\*

(١٤) - ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ ۖ وَهَنَّ عَلَىٰ وَهْنٍ ۖ وَفَصَّلَهُ فِي عَمَلَيْنِ ۖ أَنْ أَشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ آيتان معترضتان في أثناء وصية لقمان لابنه؛ تأكيداً لما فيها من النهي عن الشُّرك، وذكر الوالدين استطراداً، كأنه قال: ووَصَّيْنَا<sup>(١)</sup> بمثل ما وصَّى به، حتَّى إِنَّ الوالدين اللَّذَيْنِ وَصَّيْنَا بتعظيمهما وبرَّهما وطاعتيهما وجعلناهما تَلَوَّ الباري في وجوبِ الشُّكرِ والطَّاعة لهما إنْ أَمَرَا بِالشُّركِ لم تجزُ طاعتُهما وتقليدُهما فيه، مع وجوبِ مصاحبتيهما في الدُّنيا بالمعروف، فما ظنُّكَ بغيرهما؟!

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾ لَمَّا وَصَّى بالوالدين أَكَّدَ الوصية في حقِّ الأمِّ خصوصاً بذكر مصاحبتها الحملَ والفصالَ، وما تكابذه من المشاقِّ والمتاعبِ فيهما<sup>(٢)</sup>،

(١) في (ف) و (م): «ووصيناها».

(٢) في (ف) و (م)، و (ي) و (ع): «فيها».

فاعترض بين المفسّر والمفسّر تذكيراً بحقّها<sup>(١)</sup> العظيم مفرداً، ولذلك قال النبي عليه السلام - لمن قال: مَنْ أَبْرُ؟ -: «أَمَّكَ، ثُمَّ أَمَّكَ، ثُمَّ أَمَّكَ»، ثُمَّ قال بعد الثالثة: «ثُمَّ أَبَاكَ»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَهَنَّا﴾ حال، وهو في الأصل نصبٌ على المصدر من فعلٍ وقع حالاً؛ أي: تَهْنُ وهناً، أو: ذات وهنٍ<sup>(٣)</sup>.

﴿عَلَى وَهْنٍ﴾؛ أي: تضعف ضعفاً فوق ضعفٍ؛ أي: ضعفاً متزايداً؛ لأنَّ الحمل كُلُّما ازدادت مدَّته ازداد ثِقلاً فازداد ضعفاً فوق ضعفٍ.

﴿وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ﴾: وفطامته في انقضاء<sup>(٤)</sup> عامَيْنِ، وكانت ترضعه في تلك المدَّة، وتوقيتُ الفصال بالعامَيْنِ بيانٌ أنَّ هذه المدَّة أقصى غاية الرِّضَاع.

﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا ذَلِكَ﴾ تفسيرٌ لـ ﴿وَوَصَّيْنَا﴾، والجملتان معترضان بين المفسّر والمفسّر، أو بدل من ﴿بَوْلَدَيْهِ﴾ بدل الاشتمال.

﴿إِلَى الْمَصِيرِ﴾ هو ترغيبٌ وترهيبٌ.

\*\*\*

(١) في (ك) و(م): «لحقهما» وفي (ع) و(ف): «لحقها».

(٢) رواه أبو داود (٥١٣٩)، والترمذي (١٨٩٧) وحسنه، من حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه.

وأخرج نحوه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ففي إعرابه ثلاثة وجوه؛ الأول: جعله نفسه حالاً من ﴿أُمُّهُ﴾ مبالغة، والثاني: جعله حالاً بتقدير

مُضاف؛ أي: ذات وهن، والثالث جعله مفعولاً مطلقاً لفعلٍ مقدر؛ أي: تهن وهناً، وتكون هذه

الجملة حال من ﴿أُمُّهُ﴾ أيضاً.

(٤) في (ف): «الفصال»، وفي (ك): «انفصال».

(١٥) - ﴿وَلِنْ جَهْدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعَمُهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ تُمْرَ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ﴿وَلِنْ جَهْدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾؛ أي: باستحقاقه للإشراك. وقيل: أراد بنفي العلم نفي المعلوم؛ أي: أن تشرك بي ما ليس بشيء، كقوله: ﴿مَا يَدْعُونَكَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [العنكبوت: ٢٤].

﴿فَلَا تُطْعَمُهُمَا﴾ في ذلك.

﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ صفة مصدر محذوف؛ أي: صحاباً معروفاً، أو: مصاحباً معروفاً، بخلق حسن وبرٍّ واحتمالٍ وصلَةٍ وحلمٍ وغير ذلك ممّا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم والمروءة.

﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ﴾؛ أي: سبيل المؤمنين في دينك، ولا تتبع سبيلهما فيه.

﴿تُمْرَ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾؛ أي: مرجعك ومرجعهما.

﴿فَأُنَبِّتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: فأجازيك على إيمانك، وأجازيهما على كفرهما.

رُوي أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأمه، وفي القصة أنها مكثت لإسلامه<sup>(١)</sup> ثلاثاً لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاهما بالعود<sup>(٢)</sup>.

(١) «لإسلامه» ليست في (ف) و(م).

(٢) انظر: «الكشاف» (٣/ ٤٩٤)، وفيه: (بعود)، والمثبت من (م)، وسقطت من باقي النسخ. ووقع في (ك): «حتى يرتد فأبى» بدل: «حتى شجروا...». والخبر رواه مسلم (١٧٤٨) كتاب فضائل الصحابة، عقب الحديث (٢٤١٢) من حديث سعد رضي الله عنه، وفيه: (فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاهما بعضاً ثم أوجروها).

ولذلك قيل: مَنْ أَنَابَ إِلَيْهِ تَعَالَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فَإِنَّهُ أَسْلَمَ بِدَعْوَتِهِ.

\*\*\*

(١٦) - ﴿يَبْنِيْ اِيْنَهَا اِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِيْ صَخْرَةٍ اَوْ فِي السَّمٰوٰتِ اَوْ فِي الْاَرْضِ يٰۤاَتِهَا اِنَّ اللّٰهَ لَطِيْفٌ خَبِيْرٌ﴾.

﴿يَبْنِيْ اِيْنَهَا اِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾؛ أي: اِنْ الْخَصْلَةَ مِنَ الْاِسَاءَةِ وَالْاِحْسَانِ اِنْ تَكُ <sup>(١)</sup> مِثْلًا <sup>(٢)</sup> فِي الصَّغَرِ كَحَبَّةِ الْخَرْدَلِ، وَالْمِثْقَالُ <sup>(٣)</sup> مَقْدَارٌ يَسَاوِي غَيْرَهُ فِي الْوِزْنِ. وقرئ: ﴿مِثْقَالٌ﴾ بِالرَّفْعِ <sup>(٤)</sup> عَلَى اَنَّ الضَّمِيرَ لِلْقَصَّةِ، وَ(كَانَ) تَامَّةً، وَتَأْنِيثُ الْمِثْقَالِ لِإِضَافَتِهِ إِلَى الْحَبَّةِ، أَوْ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْحَسَنَةُ أَوْ السَّيِّئَةُ.

﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ اَوْ فِي السَّمٰوٰتِ اَوْ فِي الْاَرْضِ﴾: فِي أَخْفَى مَوْضِعٍ <sup>(٥)</sup> وَأَحْرَزِهِ كَجَوْفِ صَخْرَةٍ، أَوْ أَعْلَى مَكَانٍ كَمَحْدَبِ سَمَاءٍ مِنَ السَّمَاوَاتِ، أَوْ أَسْفَلِهِ كَمَقْعَرِ <sup>(٦)</sup> الْأَرْضِ. وقرئ: ﴿فَتَكُنْ﴾ بِكَسْرِ الْكَافِ <sup>(٧)</sup>، مِنْ وَكَنَ الطَّائِرُ يَكْنُ: إِذَا اسْتَقَرَّ فِي وَكْنَتِهِ؛ أَي: بَيْتِهِ.

(١) فِي (ف): «إِنْ تَكُ»، وَفِي (ك): «وَأِنْ تَكُ».

(٢) فِي (ي) وَ(ع): «مِثْقَالٌ».

(٣) فِي (ك): «أَوْ الْمِثْقَالُ».

(٤) وَهِيَ قِرَاءَةٌ نَافِعٌ. انْظُرْ: «التَّيْسِيرُ» (ص: ١٥٥).

(٥) فِي (م) وَ(ع): «أَخْفَى مَوَاضِعَ»، وَفِي (ك): «أَخْفَى مَكَانٌ».

(٦) فِي النِّسْخِ عَدَا (ي): «كَقَعَرٍ»، وَالْمُثْبِتُ مِنْ (ي)، وَمِثْلُهُ فِي «تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ» (٤/ ٢١٥).

(٧) وَشَدَّ النُّونَ الْمَفْتُوحَةَ، وَقَرَأَ كَذَلِكَ لَكِنْ بِسُكُونِ النُّونِ، وَقَرَأَ: «فَتَكُنْ» بِضَمِّ فَتْحٍ وَنُونٍ مُشَدَّدَةٍ،

وَنَسَبَتْ كُلَّ لِقَوْمٍ، وَجَمِيعُهَا مِنْ وَكَنَ الطَّائِرُ. انْظُرْ: «الْمَخْتَصَرُ فِي شَوَازِ الْقِرَاءَاتِ» (ص: ١١٧)،

و«الْمَحْتَسِبُ» (٢/ ١٦٨)، و«الْمَحْرَرُ الْوَجِيزُ» (٤/ ٣٥٠)، و«رُوحُ الْمَعَانِي» (٢١/ ٦١).

﴿يَأْتِيهَا اللَّهُ﴾: يُحْضِرُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَحَاسِبُ بِهَا عَامِلَهَا.  
 ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾: يَنْفِذُ عِلْمَهُ فِي الْبَوَاطِنِ فَيَصِلُ إِلَى كُلِّ خَفِيٍّ ﴿خَيْرٌ﴾ بِكُنْهِهِ.  
 وعن قتادة: ﴿لَطِيفٌ﴾ باستخراجها، ﴿خَيْرٌ﴾ بمستقرها<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١٧) - ﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ تَكْمِيلًا لِنَفْسِكَ.  
 ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ تَكْمِيلًا لِعَبْدِكَ.  
 ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ مِنَ الشَّدَائِدِ، لَا سِيَّمَا فِي ذَلِكَ.  
 ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى الصَّبْرِ، أَوْ إِلَى مَا كُفِّلَ بِهِ.  
 ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾: مِمَّا<sup>(٢)</sup> عَزَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْأُمُورِ؛ أَي: قَطْعَهُ قِطْعَ إِجْبَابٍ  
 وَالزَّامِ، مُصَدَّرٌ أُطْلِقَ لِلْمَفْعُولِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا عَزَمَ  
 الْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١]؛ أَي: جَدَّ، وَالْمَعْنَى: مِنْ عَازِمَاتِ الْأُمُورِ.

\*\*\*

(١٨) - ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.  
 ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ﴾<sup>(٣)</sup>: وَلَا تَلَوِّ صَفْحَةً وَجْهَكَ<sup>(٤)</sup> كَمَا يَفْعَلُهُ الْمُتَكَبِّرُونَ، مِنْ  
 الصَّعْرِ، وَهُوَ دَاءٌ يَصِيبُ الْبَعِيرَ فَيَلْوِي عُنُقَهُ مِنْهُ.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨ / ٥٥٧).

(٢) فِي (ف): «أَيُّ مَا»، وَفِي (م): «مَا».

(٣) فِي (م): «تَصَاعَرُ»، وَهِيَ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَأَبِي عَمْرٍو وَحَمْزَةُ وَالْكَسَائِيُّ. انْظُرْ: «التَّيْسِير» (ص: ١٧٦).

(٤) فِي (ك): «خَدَّكَ»، وَسَقَطَتْ مِنْ (ف).

﴿لِلنَّاسِ﴾ لم يقل: عن الناس؛ لأنَّ المنهَى ما يكون تصغيراً<sup>(١)</sup> للناس وتحقيراً لهم، لا الميل عنهم مطلقاً، فإنه إذا كان لأمرٍ آخر لا يكون منهياً.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ مصدرٌ في موضع الحال، بمعنى: مَرِحاً، أو مصدرٌ محذوفُ الفعل؛ أي: تمرح مَرِحاً، أو مفعولٌ له؛ أي: للمرح؛ يعني: لأجل البَطْرِ والبطالة<sup>(٢)</sup>، لا لغرضٍ صحيحٍ دينيٍّ أو دنيويٍّ.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾ علةٌ للنهي.

وتأخيرُ الفَخُور وهو في مقابلةِ المقَدَم من المنهيين، وكذا الإتيانُ بصيغة المبالغة؛ لتوافقِ رؤوس الآي، وإنما لم يقل: وفخور، حتَّى تكون المحبةُ مسلوبةً عن كلِّ منهما أصالةً، للتنبيه على أنَّ الدَّخْل<sup>(٣)</sup> في الجملة في عدم محبوبيته تعالى كافٍ في الانتهاء عنه، ومن هنا ظهر الوجه للعدول عن إثبات البغض إلى سلب المحبة، ثمَّ إنَّ سلبَ<sup>(٤)</sup> النَّفْي داخل على أداة السُّور<sup>(٥)</sup> لفظاً وهي داخلة عليه معنًى؛ أي: لا يحبُّ واحداً منهم.

والاختيالُ: مشيةُ المتكبر<sup>(٦)</sup>.

والفخرُ: ذِكْرُ المناقب للتَّطاولِ بها على السَّامع.

\*\*\*

(١) في (ك): «تصغيراً»، وسقطت من (ف).

(٢) في (ف) و(ك) و(م): «والبطارة».

(٣) في (ع): «الداخل».

(٤) «سلب» سقط من (ي) و(ع).

(٥) في (ك): «السوء».

(٦) في (ف): «التكبر».

(١٩) - ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصَوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾.

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾: واعدل فيه؛ أي: توسّطه بين الإسراع والدبيب؛ يعني: لا تَثْبُ وثوب الشُّطَارِ، ولا تَدَبَّ ديبب المتماوتين، قال النبي عليه السلام: «سرعة المشي تذهبُ بهاء المؤمن»<sup>(١)</sup>.

وأما قول عائشة رضي الله عنها في عمر رضي الله عنه: كان إذا مشى أسرع<sup>(٢)</sup>، فإنّما أرادت السرعة المرتفعة عن ديبب المتماوت.

وقرئ بقطع الهمزة<sup>(٣)</sup>، مِنْ أَقْصَدَ الرَّامِي<sup>(٤)</sup>: إذا سدّد<sup>(٥)</sup> سهمه نحو الرّميّة.

﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾: وانقص منه وأقصر، ويجوز أن يكون الغض في الصّوت مستعاراً من غضّ البصر فإنّه خفّض.

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢٩٠ / ١٠) من حديث أبي هريرة، وإسناده ضعيف جداً، وروي من طرق أخرى عن أبي هريرة ومن حديث ابن عمر وأبي سعيد وأسانيدها ضعيفة جداً، وقد فصلنا طرقه ورواياته في تحقيقنا لـ «روح المعاني» (٦٥ / ٢١). وانظر: «الكافي الشاف» (ص: ١٣٠).

(٢) كذا ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤٩٨ / ٣)، وابن الأثير في «النهاية» (٣٧٠ / ٣)، عن عائشة رضي الله عنها. ورواه ابن سعد في «الطبقات» (٢٩٠ / ٣) عن الشفاء بنت عبد الله. وروي من فعل النبي ﷺ، رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣٧٩ / ١) عن يزيد بن مرثد مرسلًا. وصح عنه ﷺ ما رواه الترمذي (٣٦٣٧) من حديث علي رضي الله عنه بلفظ: (كأنما ينحدر من صلب). قال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٧).

(٤) في (ف) و(م): «الرمي».

(٥) في (ف): «صوب»، وفي (م): «سد».

﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾: أوحشها ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ الحمار ونهاقه مثل في الذمّ البليغ، ولذلك يُكنى <sup>(١)</sup> عنه فيقال: طويل الأذنين.

وفي الآية ذمّ بليغ للرافعين أصواتهم، حيث شُبِّهوا بالحمير، وأصواتهم بالنهاق، ثم طرح التشبيه، وأخرج الكلام مخرج الاستعارة، كل ذلك لتهجين رفع الصوت، والتنفير عنه، والحث على الغض، والترغيب فيه. وتوحيد الصوت لأن المراد جنسه الذي هو مثل في النكر، لا أفرادُه.

\*\*\*

(٢٠) - ﴿الَّذِينَ تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾.

﴿الَّذِينَ تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ﴾: لأجلكم ﴿مَآ فِي السَّمَوَاتِ﴾: ما في جهة العلويات من الكواكب وأوضاعها، والسحاب وأمطارها، بأن جعلها أسباباً لمنافعكم. ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: في الجهة السفلية <sup>(٢)</sup>، بأن سلطكم عليها، ومكنكم من الانتفاع بها بواسطة أو بغير واسطة <sup>(٣)</sup>.

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً﴾: محسوسة ﴿وَبَاطِنَةً﴾: معقولة ومخفية عنكم، ما لم تدركوه بعقولكم.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾: في توحيده وصفاته ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ مستفاد من

(١) في (ف) و(ك) و(م): «يكنى».

(٢) في (ف): «جهة السفلى».

(٣) في (ف) و(ي): «بوسط أو بغير وسط».

دليل ﴿وَلَا هُدًى﴾ راجع إلى نبي ﴿وَلَا كِتَابٌ مُنِيرٌ﴾ بل بتقليد صرّف، كما صرّح به في قوله:

(٢١) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ سَعِيرٍ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ وفيه منع صريح عن التقليد في الأصول.

﴿أُولَٰئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ﴾ جواب (لو) محذوف لدلالة ﴿نَتَّبِعُ﴾ عليه؛ أي: لا تتبعوه<sup>(١)</sup>، والواو للحال، والهمزة للإنكار والتعجب، والضّمير لأبائهم ولهم؛ أي: أيتبعونهم<sup>(٢)</sup> في حال دعاء الشيطان آباءهم.

﴿إِلَىٰ عَذَابٍ سَعِيرٍ﴾؛ أي: إلى ما يؤدي إليه من الشرّ والتقليد.

\*\*\*

(٢٢) - ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.

﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ من أسلم<sup>(٣)</sup> إليه المتاع: إذا دفعه إليه، ويؤيده القراءة بالتشديد<sup>(٤)</sup>.

(١) في (ع) و(ف) و(ي): «لا تتبعوهم».

(٢) في النسخ عدا (ك): «أيتبعوهم»، والمثبت من (ك).

(٣) في النسخ عدا (ي): «سلم»، والمثبت من (ي)، وفي هامشها: «في نسخة المؤلف: من سلم، ولا وجه له».

(٤) نسبت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه والسلمي وعبد الله بن مسلم بن يسار. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٧).

وحيث عُدِّي باللام فلتضمين<sup>(١)</sup> معنى الاختصاص؛ أي: مَنْ يجعل ذاته ونفسه سالماً خالصاً لله تعالى.

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في عمله.

﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾: فقد تعلق بأوثق ما يتعلق به<sup>(٢)</sup>، مُثَلِّحاً المتوَكِّلَ المفوضِ نفسه إلى الله تعالى بحالٍ مَنْ أرادَ أَنْ ينزلَ مِنْ شَاهِقٍ فَاحْتَاطَ لِنَفْسِهِ بِأَنْ اسْتَمْسَكَ بِأَوْثَقِ عُرْوَةٍ مِنْ حَبْلِ مَتِينٍ مَأْمُونِ الانْقِطَاعِ.

وتقديم: ﴿وَالِإِلَهِ﴾ للاختصاص؛ أي: صائراً إلى الله لا إلى غيره.

﴿عَقِبَهُ الْأُمُورُ﴾ فيجازي عليها.

\*\*\*

(٢٣) - ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنُكَ كُفْرُهُ﴾ وَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنُكَ كُفْرُهُ﴾: فلا يهْمَنَّكَ كُفْرُهُ وكيدُهُ للإسلام، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وقرئ: ﴿فَلَا يُحْزِنُكَ﴾<sup>(٣)</sup>، والمستفيضُ في الاستعمال أَحْزَنَ فِي الْمَاضِي وَيَحْزُنُ ثَلَاثِيًّا مَجْرَداً فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ خَاصَّةٌ ﴿فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ فَنَعَاقِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

(١) في (ف) و(م): «فلتضمن».

(٢) في (ف) و(ك): «منه».

(٣) بضم الباء وكسر الزاي. قرأ بها نافع. انظر: «التيسير» (ص: ٩١). وفي النسخ: «ولا»، والصواب المثبت.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي صُدُورِ عِبَادِهِ فَيَجَازِيهِمْ عَلَى حَسَبِهِ.

\*\*\*

(٢٤) - ﴿نُمِيعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.  
 ﴿نُمِيعُهُمْ قَلِيلًا﴾: تمتيعاً<sup>(١)</sup> أو زماناً قليلاً، فَإِنَّ الزَّائِلَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الدَّائِمِ قَلِيلٌ.  
 ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ استعارَ الغلظَ مِنَ الإِجْرَامِ الغليظة لِثِقَلِ العذابِ عَلَيْهِمْ، وَشَبَّهَ إِلْزَامَهُمُ الْعَذَابَ بِاضْطِرَارِ الْمَضْطَرِّ إِلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِنْفِكَاحِ مِنْهُ<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(٢٥) - ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.  
 ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ لَوْضُوحُ الْبَرَهَانِ الْمُلْجِئِ إِلَى الْإِذْعَانِ بِهِ.  
 ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إِلْزَامٌ لَهُمْ عَلَى إِقْرَارِهِمْ بِأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ، وَأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْحَمْدُ، وَأَنْ لَا يُعْبَدَ مَعَهُ غَيْرُهُ.  
 ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّ إِقْرَارَهُمْ يُلْزِمُهُمْ، وَ﴿بَلْ﴾ إِضْرَابٌ عَنْ دَعْوَتِهِمْ لَجَهْلِهِمْ، وَأَنَّهُمْ لَا يَتَنَبَّهُونَ بِالتَّنْبِيهِ<sup>(٣)</sup>، وَلَا يَتَفَطَّنُونَ أَنَّ قَوْلَهُمْ عَلَيْهِمْ.

(١) فِي النسخ عدا (ي): «تمتعا»، والمثبت من (ي).

(٢) فِي (ف): «عنه».

(٣) فِي (ف) و(م): «بالتنبه».

(٢٦) - ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تقريرٌ للتَّوْحِيدِ باختصاص الملك به، ودخولِ  
آلهتهم في ملكه.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عنهم وعن إسلامهم وحمدهم.

﴿الْحَمِيدُ﴾: المستحقُّ للحمد، المحمودُ منك<sup>(١)</sup> وَمِنْ كُلِّ عَارِفٍ وَإِنْ لَمْ  
يحمدوه.

\*\*\*

(٢٧) - ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا  
نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ توحيدٌ ﴿شَجَرَةٍ﴾ لتفصيل الجنس<sup>(٢)</sup>،  
وتقصي كلِّ واحدةٍ من جنس الشَّجَرِ، واستغراقِ عمومها؛ أي: جميع ما في الأرضِ  
من شجرةٍ شجرةٍ<sup>(٣)</sup> حَتَّى لَا يَبْقَى واحدةٌ منها إِلَّا كَانَتْ قَلَمًا.

﴿وَالْبَحْرُ﴾ بالرفعِ عطفاً على محلِّ (أَنْ) ومعمولها، و﴿يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾  
حالٌ، أو الابتداء<sup>(٤)</sup> على أَنَّهُ مستأنفٌ والواو للحال.

(١) في (ف) و(م): «منه».

(٢) في (ف): «لتفصيل الخبر»، وفي (ك) و(م): «لتفضل الجنس». ولفظ الزمخشري: (تفصيل الشجر  
وتقصيها شجرة شجرة)، ولفظ البيضاوي (تفصيل الآحاد). انظر: «الكشاف» (٣/ ٥٠١)، و«تفسير  
البيضاوي» (٤/ ٢١٦).

(٣) «شجرة» سقط من (ف) و(م).

(٤) أي: أو (البحر) مرفوع على الابتداء، وتكون جملة ﴿يَمُدُّهُ﴾ هي الخبر، والواو للحال. واستظهر =

وبالنَّصْب عطفاً على اسم (أَنَّ)، أو إضمار<sup>(١)</sup> فعلٍ يفسِّره ﴿يَمُدُّهُ﴾؛ أي: ولو ثبت كونُ أشجار الأرض كلها أقلاماً، وكونُ البحر ممدوداً<sup>(٢)</sup>.

﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾<sup>(٣)</sup> أو على الابتداء، والواو للحال<sup>(٤)</sup>؛ أي: ولو أنَّ الأشجار أقلامٌ في حال كون البحر ممدوداً، واستغنى بالواو عن الضمير لكون أمثال هذه الأحوال جارية مجرى الظُروف.

ويجوز أن تكون اللَّام بدل الإضافة؛ أي: وبحرها، والضمير للأرض. وقرئ: (وبحرٌ يمدُّه) على التَّنْكِير<sup>(٥)</sup>، ولا وجه له إلاَّ العطف على محلِّ (أَنَّ) واسمها.

= هذا الوجه أبو حيان. انظر: «البحر» (١٧/ ٢٣٢)، والجملة كما قال الألوسي حال من الموصول أو الضمير الذي في صلته. انظر: «روح المعاني» (٨٢/ ٢١).

(١) في النسخ: «وإضمار»، والمثبت هو الصواب، حيث جاء في هامش (ي): «كذا في نسخة المؤلف، والموافق للقاضي - وهو الظاهر - أن يقال: أو إضمار». وانظر: «تفسير البيضاوي» (٤/ ٢١٦).  
(٢) في (ع) و(ي): «مدوداً».

(٣) في (ي): «بسبعة أبحر». وفي هامشها: «كذا في بعض [نسخ] المؤلف، والظاهر أن يكتب ﴿سَبْعَةُ﴾ إلخ فيما تقدم عند قوله: ﴿يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ على أنه من الآية؛ لأنه بالباء، والموجه لأن يكون الباء غلطاً؛ لأنه لا وجه لذكر القرآن هنا، فالظاهر أن يكون هنا بالباء ولا يكون من القرآن». قلت: وملخص الكلام: أنه كان يجب كتابة ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ فيما تقدم من الآية، وتكون هنا: (بسبعة أبحر) على أنها من تنمة الكلام الذي قبلها.

(٤) في هامش (ي): «كذا في نسخة المؤلف، ولا يخفى أنه تكرر، وبالجملة: في هذا المحل غلط كثير إلا أنا اتبعنا أثر المؤلف».

(٥) نسبت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٢٩)، و«المحتسب» (٢/ ١٦٩)، و«الكشاف» (٣/ ٥٠١).

وقرى: ﴿يُمْدُهُ﴾ و(يُمدّه)<sup>(١)</sup> من مدّ الدواة وأمدّها.

وأغنى عن ذكر المداد بقوله: ﴿يُمْدُهُ﴾.

﴿مَا نَفَدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾ اختار جمع القلة على جمع الكثرة - وهي الكلم - للإشعار بأنها لا تنفي بالقليل منها فضلاً عن الكثير، والتقدير: ولو أن أشجار الأرض كلّها أقلامٌ، والبحر المحيط دوائه، فجعل البحر بمنزلة الدواة والأبحر السبعة مملوءة مداداً تمدّها أبداً، وكُتِبَتْ بها كلماتُ الله، ما نفدت كلمات الله ونفدت الأقلام والمداد؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتِ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩].

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: لا يعجزه شيء، ولا يخرج عن علمه وحكمته أمر، ومن كان كذلك لا تنفذ كلماته وحكمته.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها نزلت جواباً لليهود لما قالوا: قد أوتينا التوراة وفيها كلّ الحكمة<sup>(٢)</sup>.

(١) الأولى قراءة الجمهور، والثانية نسبت لابن مسعود والحسن وابن مصرف وغيرهم. انظر: «المحتسب» (١٦٩/٢)، و«البحر» (٢٣٣/١٧).

وقد وقع في كلام المؤلف في تفسير هذه الآية اضطراب كثير كما أشير إليه في هامش (ي)، ويوضحه بل ويغني عنه ما جاء في «الكشاف» (٣/٥٠٠ - ٥٠١)، و«تفسير البضاوي» (٢١٦/٤). كما أن في «البحر» (١٧/٢٤٢)، و«روح المعاني» (٨١/٢١) مناقشات حسنة وتفصيل وبيان.

(٢) رواه مطولاً الطبري في «تفسيره» (١٨/٥٧٢ - ٥٧٣). وهذا الخبر يدل على أن الآية مدنية، ومن قال: إنها مكية، علله بأن اليهود أمروا وقد قرئ أن يسألوا عنه النبي عليه الصلاة والسلام، وهو ما سيأتي بعده. انظر: «روح المعاني» (٨٧/٢١).

وقيل: أمر وفد قريش أن يقولوا لرسول الله ﷺ: أَلَسْتَ تَتْلُو فِيمَا أُنزِلَ عَلَيْكَ أَنَا قَدْ أُوتِينَا التَّوْرَةَ وَفِيهَا عِلْمٌ كُلِّ شَيْءٍ.

وأما ما قيل: إنها نزلت حين سألوا عن قوله: ﴿وَمَا أُوتِشُمْنَ الْعِلْمَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، ومخالفته لنزول التوراة وفيها علم كل شيء<sup>(١)</sup>.

فَيرد<sup>(٢)</sup> عليه أنه لا يصلح سبباً للنزول؛ إذ ليس فيما نزل تعرض لوجه التوفيق بينهما.

\*\*\*

(٢٨) - ﴿مَا خَلَقْنَاكُمْ وَلَا بَعَثْنَاكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

﴿مَا خَلَقْنَاكُمْ وَلَا بَعَثْنَاكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: إلّا كخلقها وبعثها؛ لأنه لا يشغله شأن عن شأن، فلا يتفاوت عنده القليل والكثير؛ لأنه يكفي في وجود الكل تعلّق إرادته القديمة منضمة إلى قدرته الذاتية كما قال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لكل مسموع.

﴿بَصِيرٌ﴾ لكل مُبْصِرٍ، فلا يشغله إدراك بعضها عن بعض، وكذلك الخلق والبعث.

\*\*\*

(١) هو خير ابن عباس الذي تقدم قريباً، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦٨ / ١٥) أيضاً عن عكرمة، و(٧٢ / ١٥) عن عطاء بن يسار.

(٢) في النسخ: «ويرد»، والصواب المثبت، فقد جاء في هامش (ي): «في نسخة المؤلف: ويرد، بالواو ولا وجه له».

(٢٩) - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ مِنْ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ﴾ (يَجْرِي) ﴿فِي فَلَكِهِ﴾ (إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) ﴿إِلَى مُتَهَيِّ مُعَيَّنٍ؛ الشَّمْسُ إِلَى آخِرِ السَّنَةِ، وَالْقَمَرُ إِلَى آخِرِ الشَّهْرِ.

وقيل: إلى يوم القيامة؛ لأنه مُتَهَيَّ جَرِيهَما ومنقطعه.

استُعْمِلَ الجري هاهنا مع حرف الانتهاء، وفي (فاطر) مع حرف الاختصاص؛ أي: يجري لإدراك أَجَلٍ مُّعَيَّنٍ؛ لأنَّ بلوغَ الجري إلى مُتَهَاها يوافق اختصاصَ الجري بإدراك الأجل المُعَيَّن في المعنى، فكِلَا المُعَيَّنَيْن يتوافقان في إفادة المقصود.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿عَالِمٌ بِكُنْهِهِ﴾.

\*\*\*

(٣٠) - ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ ﴿الوصفُ الَّذِي وُصِفَ بِهِ مِنْ كَمَالِ الْقُدْرَةِ وَالْحِكْمَةِ﴾ ﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾ بسببِ أَنَّ اللَّهَ.

﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ ﴿الثَّابِتُ فِي ذَاتِهِ، أَوِ الثَّابِتُ الْأُلُوْهِيَّةِ.

﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ﴾ ﴿الْمُنْتَفِي الْأُلُوْهِيَّةِ، أَوِ الْمَعْدُومُ فِي حَدِّ ذَاتِهِ.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ ﴿الشَّانِ﴾ ﴿الْكَبِيرُ﴾ ﴿السُّلْطَانِ، أَوِ الْمَتَرَفِّعُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْكَبِيرُ عَنْ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ.

\*\*\*



﴿دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ لزوال ما يخالف الفطرة من الهوى والتقليد، بما دهاهم من الخوف الشديد.

﴿فَلَمَّا بَجَحْتُهُمْ إِلَى الْبِرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْنَصِدٌ﴾: ثابت على الطريق القصد الذي هو التوحيد؛ أي: باق على الإخلاص الحادث في البحر، وقليل ما هم. أو متوسط في الكفر لانزجاره بعض الانزجار، وانخفاضه عن غلوائه<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾: مبالغ في الغدر، ناقض للعهد الفطري، أو لما عاهد الله<sup>(٢)</sup> عليه في البحر، والختر: أشد الغدر.

﴿كَفُورٍ﴾ بنعمة الله.

\*\*\*

(٣٣) - ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا﴾ التنكير للتفخيم والتهويل.

﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ﴾: لا يقضي عنه، وقرئ: (لا يُجْزِي)<sup>(٣)</sup>؛ أي: لا يُغني، والجملة صفة ﴿يَوْمًا﴾، والعائد محذوف؛ أي: لا يجزي فيه.

﴿وَلَا مَوْلُودٌ﴾ عطف على ﴿وَالِدٌ﴾، أو مبتدأ خبره:

(١) في (ف) و(م): «غلوائه».

(٢) لفظ الجلالة ليس في (ف) و(م).

(٣) نسبت لأبي السمال وغيره. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٧).

﴿هُوَ جَازٍ عَنِ الْوَلَدِ شَيْئًا﴾ وتغيير النظم بالعدول عن الجملة<sup>(١)</sup> الفعلية إلى الجملة الاسمية للتوكيد، والدلالة على أن الولد أولى بأن لا يجزي شيئاً عن والده، وحسم أطماع المؤمنين أن ينفعوا آباءهم الكفار في الآخرة، فإنهم كانوا يتوقعون ذلك.

وللمبالغة في التأكيد جيء بلفظ ﴿هُوَ﴾ و﴿مَوْلُودٌ﴾ دون (ولد)؛ لأن الولد يطلق على ولد الولد بخلاف المولود؛ فإنه لا يُطلق على ولد الولد إلا بالنسبة إلى الذي وُلِدَ منه؛ أي: لو قصد النفع لِمَنْ وُلِدَ منه لم يقدر عليه، فضلاً أن ينفع لأجداده. كذا قيل، ومبناه على تخصيص الخطاب والحكم، والظاهر العموم، فالوجه أن يُقال: إن الابن من شأنه أن يكون جازياً عن والده؛ لما عليه من الحقوق، والوالد يجزي لما فيه من الشفقة، فليس الثاني كالأول.

﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالثواب والعقاب ﴿حَقٌّ﴾ لا يمكن خلفه.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ بزيئها؛ فإن نعيمها ذاهب<sup>(٢)</sup>، ولذاتها فانية. ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾: الشيطان. وقرئ بضم الغين<sup>(٣)</sup>، فجعل الغرور غاراً للمبالغة، أو إرادة زينة الدنيا لأنها غرور؛ إطلاقاً لاسم المسبب على السبب.

\*\*\*

(١) «الجملة» سقط من (ك).

(٢) في (ف) و(م) و(ي) و(ع): «دانية»، والمثبت من (ك).

(٣) نسبت لسماك بن حرب وأبي حيوه. انظر: «المحتسب» (٢/ ١٧٢)، و«البحر المحيط» (١٧/

(٣٤) - ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ علم وقت قيامها؛ لِمَا رُوِيَ أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ عَمْرِو أُنِيَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ: مَتَى قِيَامُ السَّاعَةِ؟ وَإِنِّي قَدْ أَلْقَيْتُ حَبَّاتِي فِي الْأَرْضِ فَمَتَى تَمُطِرُ السَّمَاءُ؟ وَحَمَلْتُ امْرَأَتِي ذَكَرٌ أَمْ أَنْثَى؟ وَمَا أَعْمَلُ غَدًا؟ وَأَيْنَ أَمُوتُ؟ فَتَرَكْتُ<sup>(١)</sup>.

أي: محفوظة علمها من جهته تعالى، لا يصل إليه غيره، فَإِنَّ كَوْنَ الشَّيْءِ عِنْدَهُ عبارة عن كمال حفظه، وبهذا الوجه يظهر اختصاص العلم المذكور به تعالى.

﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾؛ أي: يرسل المطر النافع بحسب المصالح على التدرج في أوقات متعددة.

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ أذكر أم أنثى، أحي أم ميت، أنا أم ناقص.

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ﴾ آية نفس كانت، وإنما جعل العلم لله تعالى، والدراية للعبد؛ لِمَا فِي الدَّرَايَةِ مِنْ مَعْنَى الْخَتْلِ<sup>(٢)</sup> والحيلة، والمعنى: أَنَّهَا لَا تَعْرِفُ وَإِنْ أَعْمَلْتُ حِيلَهَا.

(١) رواه ابن المنذر في «تفسيره» عن عكرمة، كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٣٠) وسمى الرجل: الوارث من بني مازن. وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٣/ ٤٤٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٢٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٧)، وذكره الواحدي أيضاً في «البيضا» (١٨/ ١٢٨) وعزاه لمجاهد ومقاتل، واسم صاحب القصة عندهم عدا «أسباب النزول»: عبد الوارث بن عمرو. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٨٥) عن مجاهد ولم يسمه. فهذا الخبر لم يرو بسند متصل إلى النبي ﷺ، وإنما هي مراسيل عن عكرمة ومجاهد ومقاتل.

(٢) (ع): «المثل»، وفي (ف) و(م) و(ك): «الحيل».

﴿مَاذَا تَكْسِبُ عَذَابًا﴾ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَرَبَّمَا كَانَتْ عَازِمَةً عَلَى خَيْرٍ فَعَمَلْتُ شَرًّا، أَوْ عَازِمَةً عَلَى شَرٍّ فَعَمَلْتُ خَيْرًا.

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾؛ أَي: أَيْنَ تَمُوتُ، وَرَبَّمَا أَقَامَتْ بِأَرْضٍ، وَضَرَبَتْ أَوْتَادَهَا، وَقَالَتْ: لَا أَبْرَحُهَا، فَتَرْمِي بِهَا مَرَامِي الْقَدَرِ حَتَّى تَمُوتَ فِي مَكَانٍ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهَا.

وَقَرَأَ: (بِأَيَّةِ أَرْضٍ)<sup>(١)</sup>، وَشَبَّهَ سَيَبُوهَ تَأْنِيثَ (أَيٍّ) بِتَأْنِيثِ (كُلِّ) فِي: (كُلْتِهِنَّ)<sup>(٢)</sup>.

وَعَلِمَ: أَنَّ الْإِنْطِبَاقَ عَلَى سَبَبِ النُّزُولِ الْمَذْكُورِ، وَالِاتِّفَاقَ بِمَا رَوَى فِي «صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ» عَنْ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مِفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسَةٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾... الْآيَةُ»<sup>(٣)</sup> = إِنَّمَا يَكُونَانِ عَلَى تَقْدِيرِ أَنْ يَظْهَرَ [اِخْتِصَاصُ] عِلْمِ أَوْقَاتِ نَزُولِ الْغَيْثِ وَعِلْمِ أَحْوَالِ الْحَمْلِ بِهِ [تَعَالَى]<sup>(٤)</sup>، وَذَلِكَ بِأَنْ يَكُونَ تَقْدِيرُ قَوْلِهِ: ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾: وَأَنْ يَنْزِلَ الْغَيْثُ، عَطْفًا عَلَى ﴿السَّاعَةِ﴾، يَعْنِي: عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَعِلْمُ إِنْزَالِ الْغَيْثِ، فَحَذَفَ (أَنْ) كَقَوْلِهِ:

(١) نَسَبَ لِمُوسَى الْأَسْوَارِيِّ وَابْنِ أَبِي عُبَيْلَةَ. انْظُرْ: «الْمَخْتَصَرُ فِي شَوَازِ الْقِرَاءَاتِ» (ص: ١١٧)، وَ«الْمَحْرُورُ الْوَجِيزُ» (٤/ ٣٥٦).

(٢) فِي النُّسخِ: «كُلْهِنَّ»، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ «الْكِتَابِ». انْظُرْ: «الْكِتَابُ» لِسَيَبُوهِ (٢/ ٤٠٧).

(٣) رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ (٤٦٢٧).

(٤) مَا بَيْنَ مَعْكَوْفَتَيْنِ مِنْ رِسَالَةٍ لِلْمُؤَلِّفِ بِعَنْوَانِ: «رِسَالَةٌ فِي تَحْقِيقِ الْغَيْبِ»، وَمَا ذَكَرَ هُنَا هُوَ بَعْضُ مَا جَاءَ فِي تِلْكَ الرِّسَالَةِ الْمُفِيدَةِ، وَهِيَ مَطْبُوعَةٌ ضَمِنَ مَجْمُوعَ رِسَائِلِهِ، وَقَدْ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا بِتَحْقِيقِهَا فِي جُمْلَةٍ مَا حَقَّقْنَاهُ مِنْ رِسَائِلِهِ.

أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرِيُّ<sup>(١)</sup> أَحْضِرْ الْوَعَى<sup>(٢)</sup>

والمعنى: أنْ أَحْضِرْ الْوَعَى.

وَقَسْ عَلَى هَذَا قَوْلَهُ: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

\*\*\*

(١) في (م): «اللائمي»، وهي رواية. انظر التعليق الآتي.

(٢) صدر بيت لطرفة بن العبد، وهو في ديوانه (ص: ٣٢)، وورد بلفظ: (اللائمي) في «جمهرة أشعار العرب» لأبي زيد القرشي (ص: ١٣٠)، و«الجمل في النحو» للخليل (ص: ١٦٥). وقوله: (أحضر) روي بالرفع والنصب، كما قال السمين في «الدر المصون» (١/ ٤٦٠)، لكن الاستشهاد به هنا على وجه الرفع، لأن الفعل في الآية مرفوع. وعجز البيت:

وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلَدِي





# سُورَةُ السَّجْدَةِ





## سُورَةُ السَّجْدَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٢) - ﴿الْعَلَمُ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾.

﴿الْعَلَمُ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ إِنَّ جُعِلَ ﴿الْعَلَمُ ١﴾ اسماً  
للسورة فهو مبتدأ ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ خبره على أن التَّنْزِيلَ بمعنى المنزل، و﴿مِنْ  
رَبِّ﴾ صلة ﴿تَنْزِيلُ﴾ أو خبر ثانٍ.

وإن جعل تعديداً للحروف ف﴿تَنْزِيلُ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ خبره  
﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ اعتراض لا محل له من الإعراب، والضمير  
في ﴿فِيهِ﴾ راجع إلى مضمون الجملة؛ أي: لا ريب في ذلك، يعني: في كونه  
منزلاً من رب العالمين، أو الخبر ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ و﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خبر ثانٍ، أو  
حال من الضمير في ﴿فِيهِ﴾ على أنه للتنزيل أو للكتاب.

\*\*\*

(٣) - ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِمَّنْ  
قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

﴿أَم يَقُولُونَ أَفَرَّغْتَهُ﴾ مؤيدٌ لرجوع الضمير في ﴿فِيهِ﴾ لمضمون<sup>(١)</sup> الجملة، وكذا قوله:

﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ لأن قولهم: هذا مفترى، إنكارٌ لأن يكون من رب العالمين.

والهمزة في ﴿أَم يَقُولُونَ﴾ إنكارٌ لقولهم وتعجبٌ منه، فيكون الكلام مصدراً بإعجازه وإثبات أنه من رب العالمين، مقررّاً بأنه لا ريب في ذلك، ثم مقفياً بالإضراب عن ذلك إلى إنكار قولهم: ﴿أَفَرَّغْتَهُ﴾ والتعجب منه؛ لظهور أمره في الإعجاز، ثم بالإضراب عن الإنكار إلى تقرير المقصود، بعد ردّ قولهم وإثبات أنه الحق من ربك، ثم بيان الغرض منه بقوله:

﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَانَهُمْ مِنْ نَذِيرٍ﴾ ولا يُشْكِلُ هذا بقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]؛ لأنهم لم يخل عن الوقوف بشريعة<sup>(٢)</sup> تنذرهم وإن لم يأتهم نذير.

﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾ لأنهم كانوا أهل الفترة.

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بإنذارك إياهم.

\*\*\*

(١) في (ف): «للتنزيل أو إلى مضمون»، بدل: «لمضمون»، والمثبت من باقي النسخ، وهو الصواب. انظر: «الكشاف» (٥٠٦/٣)، و«تفسير البضاوي» (٢١٩/٤)، قال الزمخشري: (والوجه أن يرتفع [أي: ﴿تَنَزَّلُ﴾] بالابتداء، وخبره ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ اعتراض لا محل له، والضمير في ﴿فِيهِ﴾ راجع إلى مضمون الجملة، كأنه قيل: لا ريب في ذلك، أي: في كونه منزلاً من رب العالمين، ويشهد لوجهه قوله: ﴿أَم يَقُولُونَ أَفَرَّغْتَهُ﴾ لأن قولهم: هذا مفترى، إنكار لأن يكون من رب العالمين، وكذلك قوله: ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ (...).

(٢) في (ي): «من الوقوف بشريعة»، وفي (ع) و(م): «عن الوقوف بشريعة»، وسقطت من (ف) و(ك).

(٤) - ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ سبق تفسيره في سورة الأعراف.

﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾: ما لكم إذا جاوزتم رضا الله تعالى أحد ينصركم أو يشفع لكم.  
﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ بمواعظ الله.

\*\*\*

(٥) - ﴿يُدَبِّرُ الْأُمُورَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾.

﴿يُدَبِّرُ الْأُمُورَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾: يدبر أمر الدنيا كلها بأسباب سماوية نازلة آثارها إلى الأرض لكل يوم من أيام الله، وهو ألف سنة كما قال: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

﴿ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ﴾؛ أي: يصير إليه ويكتب عنده في صحف ملائكته ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ كل وقت من أوقات هذه المدة ما<sup>(١)</sup> يرتفع من ذلك

(١) قوله: «ما» اسم موصول في محل رفع لـ «يصير» أو لـ «يكتب» على التنازع، وقوله: «كل يوم..» ظرف لهما، والمعنى: (ثم يصير إليه تعالى ويثبت عنده عز وجل ويكتب في صحف ملائكته جلّ وعلا كل وقت من أوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الأمر...)، هذا ما وفق الله إليه في شرح عبارة المؤلف، وهي منقولة عن الزمخشري ولم أجد من شرحها، والعبارة التي أوردتها هي عبارة الألويسي، والله أعلم بالصواب. انظر: «الكشاف» (٥٠٨/٣)، و«روح المعاني» (١٣٢/٢١).

الأمر ويدخل تحت الوجود، إلى أن تبلغ المدة آخرها، ثم يدبر أيضاً ليوم آخر، وهلمَّ جرّاً إلى أن تقوم الساعة.

وقيل: يُنزل الوحي مع جبريل عليه السلام من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه في زمان هو في الحقيقة ألف سنة؛ لأن المسافة مسيرة ألف سنة، فإن ما بين السماء والأرض مسيرة خمس مئة عام.

وفيه نظر؛ إذ لا يلزم من قطع المسافة الطويلة في مدة قصيرة أن تكون تلك المدة طويلة في الحقيقة، وذلك ظاهر.

نعم لو قيل: في قوله: ﴿مَقْدَارُهُ﴾ تجوُّز، فإن المقدار المذكور للمسافة باعتبار قطعها المعتاد، لكان له وجه.

\*\*\*

(٦) - ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ فيدبر على <sup>(١)</sup> وفق علمه.

﴿الْعَزِيزُ﴾: القوي بإنفاد أمره.

﴿الرَّحِيمُ﴾ على العباد في تدبيره على وفق مصالحهم تفضلاً وامتناناً.

\*\*\*

(٧) - ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾.

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾: حسَّنه على وفق الحكمة والمصلحة موفوراً

عليه ما يستعده ويليق به، وإن تفاوت إلى حسنٍ وأحسن، و﴿خَلَقَهُ﴾ بدلٌ من ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ بدل الاشتمال.

(١) «على»: ليست في (م).

وقيل: عَلِمَ كيف يخلقه، من قوله: قِيمَةُ المرء ما يُحْسِنُهُ؛ أي: يُحَسِّنُ معرفته، و﴿خَلَقَهُ﴾ مفعول ثانٍ.

وقرئ بفتح اللام<sup>(١)</sup>، فالشيء على الأول مخصوص بمنفصل، وعلى الثاني بمتصل.

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَنِ﴾ يعني: آدم عليه السلام ﴿مِنْ طِينٍ﴾.

\*\*\*

(٨) - ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ﴾ النسل: الذرية، سميت به لأنها تنسل منه؛ أي: تنفصل وتخرج من ضلبيه، والسلالة: ما يسُلُّ من الشيء ويُخرج. ﴿مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾: ضعيفٍ حقير.

\*\*\*

(٩) - ﴿ثُمَّ رَسَوْنَهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

﴿ثُمَّ رَسَوْنَهُ﴾: قَوَّمَهُ بتصوير<sup>(٢)</sup> أعضائه على ما ينبغي.

﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ أضافه إلى نفسه تشريفاً وإظهاراً بأن له خلقاً عجيباً، وأن له شأناً له مناسبة ما إلى حضرة الربوبية، قال عليه السلام: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ<sup>(٣)</sup>.

(١) هي قراءة عاصم وحزمة والكسائي ونافع، وباقي السبعة بسكون اللام. انظر: «التيسير» (ص: ١٧٧).

(٢) في (ك): «بتقدير».

(٣) قال أبو المظفر ابن السمعاني: لا يعرف مرفوعاً، وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي يعني من =

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ خصوصاً لتسمعوا وتُبصروا وتَعقلوا، وإنما قَدَّم السمع على البصر لخساسته نظراً إلى البصر، فإن الكلام على أسلوب الترقّي من الشريف إلى الأشرف فالأشرف.

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: تشكرون شكراً قليلاً.

\*\*\*

(١٠) - ﴿وَقَالُوا إِنْ دَاخَلْنَاهُ فِي الْأَرْضِ أَيْنَا لَنَجِيَّ خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا﴾ قيل: القائل أبي بن خلف، ولا حاجة إلى رضاهم بقوله في الإسناد إليهم، بل يكفي وجود القول بينهم كقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا نَفَسَا﴾ [البقرة: ٧٢].

﴿إِنْ دَاخَلْنَاهُ﴾ بالفتح والكسر<sup>(١)</sup>.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: صرنا تراباً مختلطاً بتراب الأرض بحيث لا امتياز فيه، أو: غبنا فيها.

وقرئ: (صَلَّنَا)<sup>(٢)</sup> من صَلَّ اللحم: إذا أَتَنَ، وقيل: صرنا من جنس الصَّلَّة وهي الأرض.

= قوله، وكذا قال النووي: إنه ليس بثابت. انظر: «المقاصد الحسنة» (ص: ٦٥٧). وذكره السلمي في «تفسيره» (٨٦/٢) من قول علي رضي الله عنه.

(١) بالفتح قراءة الجمهور، ونسبت قراءة ليحيى بن يعمر وابن محيصن وأبي رجاء وغيرهم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢٩٣/٣).

(٢) قيدها بعضهم بفتح اللام وآخرون بكسرها، ونسبت لعلي وابن عباس والحسن وغيرهم. انظر: «معاني القرآن» للفرّاء (٣٣١/٢)، و«المحتسب» (١٧٣/٢)، و«الكشاف» (٥٠٩/٣)، و«المحرر الوجيز» (٣٦٠/٤)، و«روح المعاني» (١٤١/٢١).

وقرى: ﴿إِذَا﴾ على الخبر<sup>(١)</sup>، والعامل فيه ما دل عليه:

﴿أَنَّا لِنَبْلَغُ مِنْكُمْ بِأَبْصَارٍ﴾ وهو: نُبعث، أو: يجدد خلقنا.

وقرى: ﴿إِنَّا﴾ على الخبر<sup>(٢)</sup>.

﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ لَمَّا ذكر<sup>(٣)</sup> كفرهم بالبعث أعرض عنه إلى ما هو أبلغ

في الكفر بما بعد الموت من الرجوع إلى الله والجزاء<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(١١) - ﴿قُلْ يَتُوبُ إِلَهُكُمْ مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿قُلْ يَتُوبُ إِلَهُكُمْ﴾ التَّوْبَى: استيفاء النفس، من قولك: تَوَفَّيْتُ حَقِّي من فلان

واستوفيته: إذا أخذته وافياً كاملاً؛ أي: يقبض نفوسكم بتمامها.

﴿مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾؛ أي: يقبض<sup>(٥)</sup> أرواحكم عند انتهاء مدد أعماركم،

وفي عبارة ﴿وُكِّلَ بِكُمْ﴾ إشارة إلى وجه التوفيق بين هذه الآية وقوله تعالى: ﴿يَتَوَفَّى

الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] وهو أن فِعْلَ الوكيل فِعْلُ الموكل.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ للحساب والجزاء.

\*\*\*

(١) قراءة ابن عامر، والباقون على الاستفهام. انظر: «التيسير» (ص: ١٣٢).

(٢) قراءة نافع والكسائي، والباقون على الاستفهام. انظر: «التيسير» (ص: ١٣٢).

(٣) في (ف) و(ك): «رد».

(٤) انظر: «تفسير النسفي» (٧/٣)، ولفظه: (لما ذكر كفرهم بالبعث أضرب عنه إلى ما هو أبلغ، وهو

أنهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالبعث وحده).

(٥) في (ك): «يقبض».

(١٢) - ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ الأوضح أن يكون الخطاب لكلِّ أحدٍ ممن يَتَأَتَّى له الرؤية<sup>(١)</sup> ولا يقدَّر له ﴿تَرَىٰ﴾ مفعولٌ؛ لأن المعنى: لو يكون منك الرؤية في هذا الوقت.

﴿إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾ من الذل والحياء والندم.  
﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: عند حساب ربهم<sup>(٢)</sup>، ويوقف عليه لحق الحذف؛ إذ التقدير: قائلين.

﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ صدق وعدك ووعدك ﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديق رسلك، أو: كنا عمياً وصماً أبصرنا وسمعنا.

﴿فَارْجِعْنَا﴾ إلى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا﴾؛ أي: الإيمان والطاعة.  
﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ بالبعث<sup>(٣)</sup> والحساب الآن.  
وجواب (لو) محذوف تقديره: لرأيت أمراً فظيعاً، والمضي فيها وفي ﴿إِذ﴾ لأن المترقب من الله تعالى بمنزلة الواقع.

\*\*\*

(١٣) - ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

(١) في (ك): «القدرة».

(٢) في (ف) و(م): «حسابهم».

(٣) في (ف): «بالغيب».

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾: ما تهتدي به إلى الإيمان والعمل الصالح بالتوفيق له.

﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾: سبق حُكمي وقضائي، وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْإِنْسَانِ﴾ إنما قدّم الجنّ لأنّ المقام مقام التحقير ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: ولكن اقتضى الحكمة خلاف ذلك، وما ذكر من سبق القضاء به كناية عن ذلك الاقتضاء، فليس فيه تسبّب عدم إيمانهم عن سبق التقدير الأزلي به كما سبق إلى بعض الأوهام.

\*\*\*

(١٤) - ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَذُوقُوا﴾ يعني: ما أنتم فيه من الخزي والغم.

﴿بِمَا نَسِيتُمْ﴾: بسبب نسيانكم ﴿لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أو: بترككم العمل لهذا اليوم كأنكم نسيتموه فلم تذكروه.

﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾؛ أي: تركناكم في العذاب، أو: جازيناكم على نسيانكم، وفي استئنافه وبناء الفعل على (إِنَّ) واسمها تشديد في الانتقام منهم.

﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾؛ أي: واعلموا أن هذا العقاب خالد لكم غير زائل عنكم.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بأعمالكم من الكفر والمعاصي، وإنما كرّر الأمر<sup>(١)</sup>

(١) «الأمر»: ليست في (م).

للتأكيد، وَلَمَّا نِيطَ به من التصريح بمفعوله، وتعليقه بأفعالهم السيئة كما علَّه بتركهم تدبُّر أمر العاقبة والتفكُّر فيها دلالةً على أن كلاً منها يقتضي ذلك، وهذا منادٍ ينادي على أنه لا عذر لهم في ذلك<sup>(١)</sup> من جهة القضاء الأزلي.

\*\*\*

(١٥) - ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا﴾: وعظوا بها.

﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾: خوفاً من عذاب الله تعالى.

﴿وَسَبَّحُوا﴾: نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث.

﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: حامدين له شكراً على ما وفقهم للإسلام وآتاهم الهدى.

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن<sup>(٢)</sup> الإيمان والطاعة.

\*\*\*

(١٦) - ﴿نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

﴿نَتَجَافَى﴾: ترتفع وتنحى ﴿جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾: الفرش ومواضع النوم،

مبالغة في الاعتقاد<sup>(٣)</sup> بقيام الليل، كأنهم يقومون بالطبع لا بالاختيار كما يقومون لحاجاتهم الطبيعية.

(١) في هامش (م): «ولكن لا حياة لمن ينادى منه».

(٢) في (م): «على».

(٣) في (م): «الاعتبار».

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾: داعين إياه ﴿خَوْفًا﴾ من سَخَطِهِ ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته، وعن النبي عليه السلام في تفسيرها: قيامُ العبد من الليل <sup>(١)</sup>.

وقيل: كان ناسٌ من الصحابة يصلُّون من المغرب إلى العشاء، فنزلت فيهم <sup>(٢)</sup>.  
﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ في وجوه الخير.

\*\*\*

(١٧) - ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ واحدةٌ من النفوس، لا مَلَكٌ مقربٌ ولا نبيٌّ مرسل.

﴿مَّا أُخْفِيَ لَهُم﴾ على البناء للمفعول والفاعل، وقرئ: ﴿مَّا أُخْفِيَ﴾ على أنه مضارع أَخْفَيْتُ <sup>(٣)</sup>.

و: (ما نخفي)، و: (ما أخفيت) <sup>(٤)</sup>.

والفاعل في الكل هو الله تعالى، و﴿مَّا﴾ موصولةٌ والعلم بمعنى المعرفة، أو استفهامية <sup>(٥)</sup> بمعنى: أيُّ شيء؟ علَّقَ عنها الفعل.

(١) رواه الترمذي (٢٦١٦) وصححه، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٣٠)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والطبري في «تفسيره» (٦١٤/١٨)، من حديث معاذ رضي الله عنه.

(٢) رويت فيه أخبار كثيرة تنظر في «الدر المنثور» (٥٤٦/٦)، وروى نحوه أبو داود (١٣٢١) و(١٣٢٢)، والترمذي (٣١٩٦) وصححه، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) هذه قراءة حمزة، وقرأ باقي السبعة: ﴿أُخْفِيَ﴾ بالبناء للمفعول. انظر: «التيسير» (ص: ١٧٧). وقراءة (أُخْفِيَ) بالماضي المبني للفاعل نسبت لمحمد بن كعب. انظر: «الكشاف» (٥١٢/٣)، و«المحرر الوجيز» (٣٦٢/٤).

(٤) نسبت الأولى لابن مسعود والثانية للأعمش. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٨)، و«الكشاف» (٥١٢/٣)، و«المحرر الوجيز» (٣٦٢/٤).

(٥) في (ف) و(م): (الاستفهامية).

﴿مَنْ قُرَّهَ أَعْيُنٌ﴾: مِمَّا تَقَرَّبَ بِهِ أَعْيُنُهُمْ، وقرئ: (مَنْ قُرَّاتٍ أَعْيُنٍ) <sup>(١)</sup> لاختلاف الأنواع.

﴿جَزَاءً يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مفعولٌ له؛ أي: أُخْفِيَ للجزاء، أو مصدر؛ أي: جُزُوا جزاءً، أو حال على التسمية بالمصدر. والفاء للسببية؛ أي: إذا لقينا مَنْ كانوا يُخفون عبادتنا بالليل فلا تعلم نفسٌ ما أخفينا لهم.

وفي الإبهام ثم التوضيح والتفسير لـ ﴿قُرَّهَ أَعْيُنٌ﴾ تفخيم لشأن جزائهم وتعظيمٌ له، وإن جُعل <sup>(٢)</sup> ﴿مَّا﴾ استفهاميةٌ زيدَ تعظيمٌ على تعظيم.

\*\*\*

(١٨) - ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾.

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ الفاء للتعقيب والهمزة للإنكار؛ أي: أَبْعَدَ ما ذُكر من ثواب المؤمن وكرامته هل يكون مساوياً للفاسق الخارج عن الإيمان في الشرف والمثوبة.

﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ تأكيد وتصريحٌ، والجمع للحمل على المعنى.

\*\*\*

(١٩) - ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى﴾؛ أي: المأوى الحقيقي الأبديُّ فَإِنَّ الدنيا منزلٌ مرتحلٌ عنها، وقيل: نوع من الجنان كما في قوله تعالى:

(١) نسبت لابن مسعود وأبي الدرداء وأبي هريرة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٨)، و«المحتسب» (١٧٤/٢)، و«الكشاف» (٥١٢/٣)، و«المحرر الوجيز» (٣٦٣/٤).

(٢) في (ف) و(م): «يجعل».

﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَ هَاجَةِ الْمَأْوَى﴾ [النجم: ١٤] عن ابن عباس رضي الله عنهما: تأوي إليها أرواح الشهداء.

﴿نَزَلًا﴾ سبق تفسيره في آل عمران.

﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: بأعمالهم.

\*\*\*

(٢٠) - ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ﴾ فجنة مأواههم النار؛ أي: النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين؛ كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١].

﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ قد سبق تفسيره.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ إهانة لهم وزيادة في غيظهم.

\*\*\*

(٢١) - ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾: عذاب الدنيا مما محنوا به من الأسر والقتل والقحط سبع سنين.

﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾: عذاب الآخرة.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: لعل من بقي منهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾: يتوبون عن الكفر.

رُوي أن الوليد بن عقبة فاخر علياً رضي الله عنه يوم بدر، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(٢١) - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ، ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ، ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ ولم يتفكر فيها، و﴿ثُمَّ﴾ مستعار للاستبعاد؛ لأن الإعراض عن مثل هذه الآيات مع وضوحها وإنارة برهانها وإرشادها إلى الفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعدٌ عقلاً؛ كما تقول لصاحبك: وجدت مثلاً هذه الفرصة ثم لم تنتهزها! ومنه ما في بيت الحماسة:

ولا يكشف الغمَاء إلا ابن حُرَّةٍ      يرى غمرات الموت ثم يزورها<sup>(٢)</sup>

﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ استئناف مؤذن بأن الانتقام منهم هو أشدُّ الانتقام؛ لأنه لما بين أنه أظلم من كل ظالم، ثم دلَّ على أنه ينتقم من كل مجرم والظالم

(١) انظر: «الكشاف» (٣/ ٥١٤). قال الحافظ في «الكاف الشاف» (ص: ١٣١) ونقله عنه الشهاب في «الحاشية» (٧/ ١٥٤) مع بعض زيادة: (قوله: إن ذلك شجر بينهما يوم بدر، غلط فاحش، فما كان الوليد حينئذ رجلاً، بل طفلاً لا يتصور منه حضور بدر وصدور ما ذكره الزمخشري من مشاجرته لعلي رضي الله عنه). قلت: قدر رويت القصة دون تعيين يوم بدر، رواها عن ابن عباس رضي الله عنهما الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٠٤٣)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٣٢١). وكذا أوردها في تفاسيرهم السمرقندي والثعلبي والواحدي والبغوي وابن عطية وابن الجوزي، لكن نقل ابن عطية عن الزجاج والنحاس وغيرهما أنها نزلت في علي وعقبة بن أبي معيط، قال: وعلى هذا يلزم أن تكون الآية مكية، لأن عقبة لم يكن بالمدينة وإنما قتل في طريق مكة منصرف رسول الله ﷺ من بدر. قلت: ولعله على هذا يكون لما ذكره الزمخشري وجه إلا أنه وهم فذكر الوليد بدل أبيه.

(٢) البيت لجعفر بن عُلْبَةَ - بضم العين وسكون اللام بعدها باء - الحارثي. انظر: «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي (١/ ٤٩)، و«الحماسة البصرية» (١/ ٤٦٤)، و«الكشاف» (٣/ ٥١٥).

مجرم، كان ممن<sup>(١)</sup> هو أظلم أشد انتقاماً، فلهذا المعنى وَضَعَ ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ موضع الضمير<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(٢٣) - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ كما آتيناك.

﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾: في شكٍّ ﴿مِّنْ لِّقَائِهِ﴾: من لقاءك الكتاب؛ لقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَلتَّلَقَّى الْقُرْآنَ﴾ [النمل: ٦]؛ أي: إنك أوتيت ما أوتيت<sup>(٣)</sup> مثل ما أوتيه، كقوله: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤].

أو: من لقاء موسى الكتاب، ويؤيده انتظام قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾؛ أي: المنزل على موسى عليه السلام ﴿هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾.

وأما عود الضمير إلى موسى عليه السلام؛ أي: من لقاءك موسى، فيأباه تصدير النهي بأداة التفریع.

\*\*\*

(٢٤) - ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ﴾ الناس إلى ما فيه من الحكم والأحكام.

(١) في النسخ: «من»، والصواب المثبت.

(٢) بعدها في (ف) و(م): «له»، ولا وجه لها.

(٣) «ما أوتيت» من (ف) و(ك).

﴿يَأْمُرُنَا﴾<sup>(١)</sup> إياهم به، أو بتوفيقنا له.

﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾: لصبرهم، وقرئ: ﴿لَمَّا﴾<sup>(٢)</sup>؛ أي: حين صبروا.

﴿وَكَاثِبَاتٍ يَتَتَابِعْنَ فِي النَّظَرِ﴾: لِمَعَانِهِمْ فِي النَّظَرِ.

\*\*\*

(٢٥) - ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ يقضي فَيَمِيزُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ بِتَمْيِيزِ

الْمَحَقِّ مِنَ الْمَبْطُلِ.

﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين.

\*\*\*

(٢٦) - ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي

ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ الواو للعطف على مقدّر من جنس المعطوف؛ أي: ألم

يؤمنوا - أو: ألم تدعهم - ولم يَهْدِ لَهُمْ، والفاعل ما دل عليه:

﴿هُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾؛ أي: كثرة إهلاكنا القرون، أو هذا

الكلام كما هو بمضمونه كقولك: تعصم لا إله إلا الله<sup>(٣)</sup> الدماء والأموال، أو ضميرُ

﴿رَبِّكَ﴾ بدلالة قراءته بالتون<sup>(٤)</sup>.

(١) بعدها في (ك): «بآياتنا».

(٢) قراءة جمهور السبعة، وقرأ حمزة والكسائي بكسر اللام وتخفيف الميم. انظر: «التيسير» (ص: ١٧٧).

(٣) في (ك): كتب فوق لفظ الجلالة: (هو).

(٤) نسبت لعلي وابن عباس وأبي عبد الرحمن السلمي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» =

﴿يَمْشُونَ فِي مَسْكِهُمْ﴾ يعني: أهل مكة يمشون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ قد سبق في تفسير سورة الروم وجه توصيف القوم بالسمع وكان الظاهر توصيفهم بالإبصار.

\*\*\*

(٢٧) - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ الواو لعطف الاستفهام على نظيره، وتأخيرُه عن أداها لصدارتها.

﴿أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾؛ أي<sup>(١)</sup>: التي جُرز نباتها؛ أي: قطع؛ إما لعدم الماء، أو لأنه أُزيل أو رُعي، ولا يقال للتي لا تُنبِت كالسباخ: جُرز، بدليل قوله:

﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾ وقيل: اسمُ موضع في اليمن.

﴿نَأْكُلُ مِنْهُ﴾؛ أي: من الزرع ﴿أَنْعَمُهُمْ﴾ من عَصَفِهِ وَتَيْنِهِ ﴿وَأَنْفُسُهُمْ﴾ من حَبِّهِ وَثَمَرِهِ، قَدَّمْ أَكْلُهَا عَلَى أَكْلِهِمْ لِأَنَّمَا تَأْكُلُهُ مِنَ الْوَرَقِ وَالْقَصِيلِ<sup>(٢)</sup> يحصل مقدماً. ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ فيستدلون به على كمال فضله وقدرته.

\*\*\*

= (ص: ١١٨)، و«الكشاف» (٣/ ٥١٦)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٣٦٥).

(١) «أي» من (ف) و(ك).

(٢) القصيل: ما اقتُصل من الزرع أخضر. انظر: «القاموس» (مادة: قصيل).

(٢٨) - ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾: النصر، أو الفصل بالحكومة، من قوله: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [النبا: ١٩] لا من قوله: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا﴾ [الأعراف: ٨٩]، فإن إطلاق يوم الفتح على يوم القيامة لانفتاح أبواب السماء حينئذ، لا لانتصار المسلمين على الكفار.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في الوعد به.

\*\*\*

(٢٩) - ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾.

﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يوم الفتح: يوم القيامة لأنه يُفْتَحُ فيه بين المؤمنين وبين أعدائهم ويُنْصَرُونَ عليهم. وقيل: هو يوم بدر، أو يوم فتح مكة، والمراد بالذين كفروا: المقتولون في أحد اليومين، فإنه لا ينفعهم إيمانهم حال القتل ولا يُمَهَّلُونَ.

وتطبيق الجواب على سؤالهم من حيث المعنى؛ لأن غرضهم من الاستفهام لم يكن طلب تعيين الوقت بل الاستعجال، كأنه قيل: لا تستعجلوا به فإنه إذا جاء لا ينفعكم الإيمان إن آمتتم ولا تُنْظَرُونَ إن استنظرتم، و﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من باب وضع الظاهر موضع المضمَر للتسجيل عليهم بالكفر، وأن الكفر المستمر إلى وقت العذاب هو الذي يُوجِبُ عدم نفع الإيمان وينفي<sup>(١)</sup> الإنظار.

\*\*\*

(١) في (ف) و (م): «ونفي».

(٣٠) - ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تبال بتكذيبهم، وقيل: هي منسوخة بآية السيف.

﴿وَانْتَظِرْ﴾ النصرَةَ عليهم وهلاكهم.

﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾ الغلبة عليكم وهلاككم.

وَقُرئ: (منتظرون) بفتح الظاء<sup>(١)</sup>؛ أي إنهم أحقَاء بأن ينتظر هلاكهم أي إن الملائكة ينتظرون هلاكهم فإنهم هالكون لا محالة.

\*\*\*

(١) نسبت لمحمد بن السميعة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٨)، و«المحتسب»

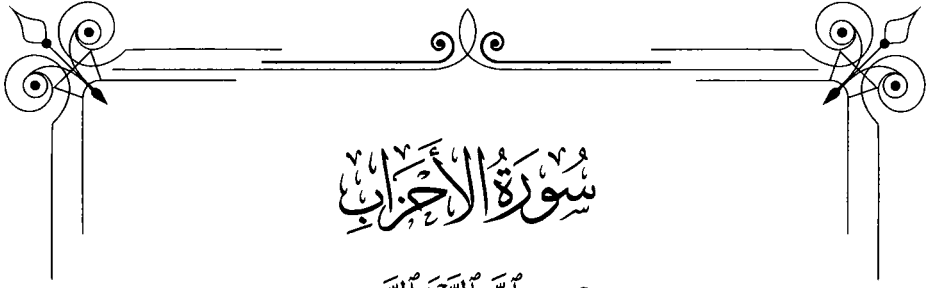
(٢/ ١٧٥)، و«الكشاف» (٣/ ٥١٧)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٣٦٦).





سُورَةُ الْأَنْجِبِ





## سُورَةُ الْأَحْزَابِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - ﴿يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ أَنْتَى اللَّهِ وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُتَفَقِّينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ﴾ نودي عليه السلام في جميع القرآن: ﴿يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ﴾ و﴿يَتَأَيَّأُهَا الرَّسُولُ﴾ تعظيماً له وتعليماً للعباد كيف ينادونه.

﴿أَنْتَى اللَّهِ﴾ أمره بالتقوى تعظيماً للتقوى، وإعلاماً للأمة بأنه بابٌ عظيمٌ يجب أن يُعتدَّ به ويُحافظ عليه، والمرادُ الأمرُ بالثبات على ما هو عليه ليكون مانعاً له عما نُهيَ عنه بقوله:

﴿وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُتَفَقِّينَ﴾؛ أي: لا تساعدكم على شيء يعودُ لوهمٍ في الدين<sup>(١)</sup>، ولا تقبل لهم رأياً في ذلك.

روي أن أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا المدينة بعد قتال أحدٍ فنزلوا على عبد الله بن أبيّ، وأعطاهم رسول الله عليه السلام الأمان على أن يكلموه، فقالوا له: ارفض ذكرَ آلهتنا، وقل: إنها تشفعُ وتنفعُ، وندعك وربك، وآزرهم المنافقون على ذلك، فهَمَّ المسلمون بقتلهم، فنزلت<sup>(٢)</sup>.

(١) في (ف): «يعود لتزيين في الدنيا»، وسقطت من (ك): «لوهم».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٥ / ٧٦)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٦٩)، و«الكشاف» (٣ / ٥١٩).

أي: أتق الله في نقض العهد<sup>(١)</sup>، ولا تطع الكافرين من أهل مكّة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا منك.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بِخُبْرِ أَعْمَالِهِمْ ﴿حَكِيمًا﴾ فِي تَأْخِيرِ الْأَمْرِ بِقَتَالِهِمْ.

\*\*\*

(٢) - ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فَمَوْحٍ إِلَيْكَ مَا يَصْلَحُهُ وَمَغْنٍ مِنَ الْاسْتِمَاعِ إِلَى الْكُفْرِ.

وقرئ بالياء<sup>(٢)</sup>؛ أي: إن الله خبيرٌ بمكايدهم يدفعها عنك.

\*\*\*

(٣) - ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: وَفَوَّضْ أَمْرَكَ إِلَيْهِ.

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: مُوَكَّلًا إِلَيْهِ كُلُّ أَمْرٍ، قَالَ الزَّجَّاجُ: وَلَفْظُ (كَفَى) وَإِنْ

كَانَ [لَفْظُهُ لَفْظُ] الْخَبَرِ فَالْمَعْنَى: اكَتَفَى بِاللَّهِ<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) في (ك) و(م): «العهود».

(٢) وهي قراءة أبي عمرو. انظر: «التيسير» (ص: ١٧٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢١٣)، وما بين معكوفتين منه.

(٤) - ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۖ﴾.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ﴾ تنكيره وزيادة ﴿مِّن﴾ في قول: ﴿مِّن قَلْبَيْنِ﴾ بعد النفي؛ للتعميم والاستغراق؛ أي: ما جعل الله لفرد واحد من جملة الرجال فضلاً عن الصبيان والنسوان قلبين ألبته بوجه من الوجوه.

و﴿فِي جَوْفِهِ﴾ تأكيد<sup>(١)</sup>، وزيادة تصوير للسامع ليكون إذا سمع تصوير جوف إنسانٍ مشتتلاً على قلبين، فيكون أسرع إلى الإنكار.

﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ ما جعل الزوجية والأمومية في أنثى ولا الدعوة والبنوة في ذكرٍ، جعل نفي اجتماع القلبين في جوف أصلاً لا انتفاء<sup>(٢)</sup> الاجتماعين الآخرين.

وذلك أنَّ العربَ تزعم أنَّ اللَّيْبَ له قلبان، ولذلك قيل لأبي معمر جميل بن أسد الفهري: ذو القلبين، وكان رجلاً من أحفظ العرب وأرواهم، وكان يقول: إن لي قلبين؛ أفهم بأحدهما أكثر ممَّا يفهم محمدٌ، فأكذب الله تعالى قوله وقولهم<sup>(٣)</sup>.

وضربه مثلاً في الظَّهَارِ والتَّبْنِي، فإنَّهم كانوا يقولون: المرأة المظَاهِر عنها أمٌ، ودَعِي الرَّجُلِ ابنُه.

(١) في (م): «توكيد».

(٢) في (ف) و(ي) و(ع): «لا انتفاء».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٨ / ٦)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٩ / ٧ - ٨) عن ابن عباس

رضي الله عنهما وقتادة وعكرمة بإبهام اسم الرجل.

والمعنى: كما لم يجعل الله قلبين في جوفٍ لأدائه<sup>(١)</sup> إلى التناقص - وهو أن يكون كلُّ منهما أصلاً لكلِّ القوى وغير أصلٍ - لم يجعل الزوجة والدَّعيَّ اللذين لا ولادة بينهما وبين أمه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة.

ومعنى الظَّهار: أن يقولَ للزوجة: أنتِ عليّ كظهر أمِّي، مأخوذاً من الظَّهر باعتبار اللَّفظ، كالتَّلبية من لبيك، وتعديته بـ (من) لتضمُّنه معنى التَّجنب؛ لأنَّ الظَّهار كان في الجاهلية طلاقاً، فكانوا يجتنبون المرأة المظاهر عنها كما يجتنبون المطلقة.

ونظيره: ألى من امرأته، فإنه عُدِّي بـ (من) لتضمُّنه معنى التَّباع، وإلا فـ (آلى) بمعنى: حلف، فلا يُعدَّى بـ (من).

وذكرُ الظَّهر في تشبيههم كنايةً عن البطن في التَّحريم، كأنَّهم تحاشوا عن ذكره لأنَّه يُقارب ذكرَ الفرج، فكُنوا بالظَّهر عنه لأنَّه عمود البطن<sup>(٢)</sup>، أو للتَّغليظ في التَّحريم، فإنَّهم كانوا يحرمون إتيان المرأة وظهرها إلى السَّماء.

والأدعياء: جمع دَعيٍّ، وهو المَدْعُوُّ ولدًا<sup>(٣)</sup>، فعيل بمعنى مفعول، وحقُّه أن يجمع على فعلى كجرحى وقتلى، والجمع على أفعلاء إنَّما يكون للفعيل بمعنى الفاعل، كتنقيٍّ وأتقياء، وشقيٍّ وأشقياء، فهو شاذٌّ عن القياس كقتلاء وأسراء، ووجهه التَّشبيه اللَّفظي.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر، أو إلى الأخير.

(١) في (ف): «لأدى».

(٢) «البطن» زيادة من (ي) و(ع).

(٣) في (ك): «وكذا».

﴿قُولُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾؛ أي: لا حقيقة له ولا يطابق الواقع.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ ما له حقيقة عينية مطابقة<sup>(١)</sup> له.

﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾: سبيل الحق.

وفي فصل بعض الجمل الواقعة في هذه الآية ووصل بعضها ما لا يخفى على العالم بعلم المعاني المتدرّب في طريق<sup>(٢)</sup> النظم.

\*\*\*

(٥) - ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾؛ أي: انسبواهم إليهم، وهو أفراد للمقصود من أقواله الحقّة، وقوله:

﴿هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ تعليل له، والضّمير لمصدر (ادع).

و﴿أَقْسَطُ﴾ أفعل المستعمل لمطلق الزيادة، من القسط بمعنى العدل، ومعناه: البالغ في الصدق.

﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ﴾؛ أي: إن لم تعرفوا آباءهم حتى تنسبواهم إليهم.

﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾: فهم إخوانكم في الدين.

﴿وَمَوَالِيكُمْ﴾: وأولياؤكم فيه، فقولوا: هذا أخي، و: هذا مولاي.

(١) في (ف)، و(ك) و(م): «مطابق»، وفي (ف): «غنية» بدل: «عينية».

(٢) في (م): «بطريق».

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: إِنْكُمْ ﴿فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾ قَبْلَ النَّهْيِ أَوْ بَعْدَهُ عَلَى سَبِيلِ النَّسِيَانِ أَوْ سَبْقِ اللِّسَانِ.

﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ وَلَكِنَّ الْجُنَاحَ فِيمَا تَعَمَّدَتْهُ بَعْدَ النَّهْيِ.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾: يَغْفِرُ لِلْمَخْطِئِ وَيَعْفُو عَنْهُ، وَعَنِ الْعَامِدِ إِذَا تَابَ.

\*\*\*

(٦) - ﴿الَّذِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجَهُمْ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾.

﴿الَّذِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، فَإِنَّهُ لَا يَأْمُرُهُمْ وَلَا يَرْضَىٰ مِنْهُمْ إِلَّا بِمَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ وَفَلَاحُهُمْ، بِخِلَافِ أَنْفُسِهِمْ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَأَمْرُهُ أَنْفَذَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِهَا، وَشَفَقَتُهُمْ عَلَيْهِ أَتَمَّ وَأَقْدَمَ مِنْ شَفَقَتِهِمْ عَلَيْهَا، وَحَقُّهُ أَثَرٌ لَدَيْهِمْ مِنْ حَقِّقِهَا، وَأَنْ يَبْذُلُوهَا دُونَهُ، وَأَنْ يَتَّبِعُوا<sup>(١)</sup> كُلَّ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَصَرَفَهُمْ عَنْهُ.

رَوَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ غَزْوَةَ تَبُوكَ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالْخُرُوجِ، فَقَالَ نَاسٌ: نَسْتَأْذِنُ آبَاءَنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَفَزَلَّتْ<sup>(٢)</sup>.

وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (الَّذِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَهُوَ أَبُّ لَهُمْ)<sup>(٣)</sup>؛ أَيُّ: فِي الدِّينِ.

(١) فِي (ف): «سَبَقُوا»، وَفِي (ك): «يَسْبِقُوا»، وَفِي (ي) وَ(ع): «يَتَّبِعُوا».

(٢) انْظُرْ: «تَفْسِيرُ الْمَوَارِدِي» (٤/ ٣٧٣)، وَ«أَحْكَامُ الْقُرْآنِ» لِابْنِ الْعَرَبِيِّ (٣/ ١٤٩٥)، وَ«تَفْسِيرُ

الْبِيضَاوِي» (٤/ ٢٢٥). قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: مَوْضُوعٌ.

(٣) انْظُرْ: «مَعَانِي الْقُرْآنِ» لِلْفَرَّاءِ (٢/ ٣٣٥)، وَرَوَيْتُ عَنْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «تَفْسِيرِ =

وقال مجاهد: كلُّ نبيٍّ فهو أبو أمته<sup>(١)</sup>. من حيث إنَّه أصلٌ فيما به الحياة الأبدية، ولذلك صار المؤمنون إخوة.

﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ كناية عن التحريم خاصّة - ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: لسنا أمّهات النساء<sup>(٢)</sup> - لا عنه وعن استحقاق التعظيم؛ إذ حينئذٍ يتنظّم النساء، ويردّه الأثر المذكور.

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾: وذوو<sup>(٣)</sup> القربات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في التّوارث، وهو نسخٌ ما كان في صدر الإسلام من التّوارث بالموالاة في الدّين وبالهجرة. ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾؛ أي: في اللّوح، أو: فيما أوحى إلى النّبيّ عليه السلام، وهو في هذه الآية، أو آية الموارث، أو فيما فرض الله تعالى.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ بيان لـ (أولي الأرحام)، وتخصيص المهاجرين بالذكّر بعد التّعميم لدفع ما عسى أن يسبق إلى الوهم من عدم تناول الحكم لهم لما فيهم من فضيلة الهجرة.

أو صلة لـ (أولي)؛ أي: وأولو الأرحام لحقّ القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحقّ الولاية في الدّين، ومن المهاجرين بحقّ الهجرة.

﴿لَا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَّأَ أُولِيَاءَكُمْ مَعْرُوفًا﴾ استثناء مفرغٌ من أعمّ العام من معنى

= عبد الرزاق «(٢ / ٢١١)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في «المستدرک» (٣٥٥٦).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢ / ٥٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦ / ٢٠٣٥).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨ / ٦٥ و٦٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧ / ٧٠).

(٣) في (ف) و(م): (وذو).

النَّفْعَ وَالْإِحْسَانَ. وَانْتِصَابٌ ﴿أَنْ تَفْعَلُوا﴾ عَلَى الظَّرْفِ؛ أَي: إِلَّا وَقْتَ أَنْ تَفْعَلُوا، وَعَدِّي بِ(إِلَى) لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى: أَنْ تُسَدُّوا<sup>(١)</sup>.

وَالْمَرَادُ بِفَعْلِ الْمَعْرُوفِ: التَّوَصِيَّةُ، وَبِالْأَوْلِيَاءِ: الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُهَاجِرُونَ؛ لِمَا بَيْنَهُمْ مِنَ الْوَلَايَةِ فِي الدِّينِ؛ أَي: الْأَقْرَبَاءُ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ مِنَ الْأَجَانِبِ فِي كُلِّ نَفْعٍ مِنْ مِيرَاثٍ وَهَدِيَّةٍ وَهَبَةٍ وَصَدَقَةٍ وَمَعَاوَنَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، إِلَّا فِي التَّوَصِيَّةِ<sup>(٢)</sup>.

﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ إِنْشَارَةٌ إِلَى مَا ذُكِرَ فِي الْآيَتَيْنِ جَمِيعاً ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، أَوْ فِي الْقُرْآنِ، وَقِيلَ: فِي التَّوْرَةِ. ﴿مَسْطُورًا﴾ مُثَبَّتًا، أَوْ مَذْكُورًا.

\*\*\*

(٧) - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾ مَقْدَرَب (اذْكُرْ) ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ﴾: عَهودَهُمْ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى الدِّينِ الْقَيِّمِ.

﴿وَمِنْكَ﴾ خُصُوصاً ﴿وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ تَخْصِيصٌ لِلْمَشَاهِيرِ وَأَصْحَابِ الشَّرَائِعِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالذِّكْرِ؛ لِيَبَانَ شَرَفُهُمْ وَفَضِيلَتُهُمْ، وَلِذَلِكَ قَدَّمَ مُحَمَّدًا<sup>(٣)</sup> عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْجَمِيعِ لِكَوْنِهِ أَفْضَلَهُمْ، وَإِنَّمَا قَدَّمَ عَلَيْهِ نُوحًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا

(١) فِي (ف) وَ(م): «أَنْ سَدُّوا»، وَفِي (ك): «أَسَدُّوا»، وَبِالْهَامِشِ: «الْإِسْدَاءُ: الْإِحْسَانُ».

(٢) فِي (ك): «الْوَصِيَّةُ».

(٣) فِي (ف) وَ(م): «مُحَمَّدٌ».

إِلَيْكَ ﴿الشورى: ١٣﴾ لَأَنَّ الْغُرُصَ مِنْ مَسَاقِ الْكَلَامِ ثَمَّةٌ بَيَانُ أَصَالَةِ الدِّينِ وَقَدَمِهِ وَاسْتِقَامَتِهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: شَرَعَ لَكُمْ الدِّينَ الْأَصِيلَ الْقَدِيمَ الَّذِي وَصَّيْنَا بِهِ نَوْحًا فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ فِي الْعَهْدِ الْحَدِيثِ، وَوَصَّيْنَا بِهِ مَنْ تَوَسَّطَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْمَشَاهِيرِ، فَهُوَ دِينٌ أَصِيلٌ قَدِيمٌ، اتَّفَقَ عَلَيْهِ وَعَلَى إِقَامَتِهِ <sup>(١)</sup> الْأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ وَلَمْ يَتَفَرَّقُوا فِيهِ.

﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ تَكْرِيرٌ لِلتَّوَكِيدِ، وَزِيَادَةٌ وَصِفٌ لِلْمِثَاقِ بِالْعِظَمِ وَفَخَامَةِ الشَّأْنِ، وَلِذَلِكَ نَكَّرَهُ وَغَلَّظَهُ؛ أَي: مِثَاقًا مُوثِقًا بِالْإِيمَانِ الْغِلَظِ. وَسَمَّاهُ ﴿مِثَاقًا﴾ لَا عَهْدًا دَلَالَةً عَلَى تَوْثِيقِهِ بِالْيَمِينِ.

وَالْغِلَظُ اسْتِعَارَةٌ مِنْ وَصْفِ الْأَجْرَامِ لِتَصْوِيرِ مَعْنَى الْقُوَّةِ وَالْوَثَاقَةِ فِي الْحَسِّ.

\*\*\*

(٨) - ﴿لَيْسَ لَ الصَّدِيقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿لَيْسَ لَ الصَّدِيقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ تَعْلِيلٌ لـ ﴿أَخَذْنَا﴾؛ أَي: أَخَذْنَا مِثَاقَهُمْ لِيَسْأَلَ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ مَوَاقِفِ الْأَشْهَادِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ صَدَقُوا عَهْدَهُمْ حِينَ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ عَنْ صِدْقِ عَهْدِهِمْ، أَوْ <sup>(٢)</sup> الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ صَدَقُوا عَهْدَهُمْ عَمَّا قَالُوهُ لِقَوْمِهِمْ، أَوْ تَصَدِيقَهُمْ إِيَّاهُمْ تَبَكُّيتًا لَهُمْ، أَوْ الْمَصَدِّقِينَ لَهُمْ عَنْ <sup>(٣)</sup> تَصَدِيقِهِمْ، فَإِنَّ مَصَدَّقَ الصَّادِقِ صَادِقٌ.

(١) فِي (ف): «اتَّفَقَ عَلَيْهِ إِقَامَةً».

(٢) فِي (ف) وَ(ك): «و».

(٣) تَحَرَّفَتْ فِي (ف) وَ(ك) وَ(م) إِلَى: «عِنْدَ».

﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ عطفٌ على ﴿أَخَذْنَا﴾؛ لأنَّ المعنى: أَكَّدَ على الأنبياء الدعوةَ إلى دينه لإثابة المؤمنين وأعدَّ للكافرين، أو على ما دلَّ عليه لـ ﴿لَيْسَ لَكَ﴾؛ أي: فأثاب المؤمنين، وأعدَّ للكافرين.

\*\*\*

(٩) - ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ يعني: الأحزاب، وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير، وكانوا زهاء اثني عشر ألفاً.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ هي الصَّبا، قال عليه السلام: «نُصِرْتُ بالصَّبا، وأُهلِكَتُ عادٌ بالدَّبُور»<sup>(١)</sup>.

﴿وَجُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ هي الملائكة، رُوِيَ أَنَّهُ عليه السلام لَمَّا سَمِعَ بِإِقْبَالِهِمْ ضَرَبَ الْخَنْدَقَ عَلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمْ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ، فَضَرَبَ مُعَسِكَرَهُ<sup>(٢)</sup> وَالْخَنْدَقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَوْمِ، وَمَضَى عَلَى الْفَرِيقَيْنِ قَرِيبٌ مِنْ شَهْرٍ لَا حَرْبَ بَيْنَهُمْ إِلَّا التَّرَامِي بِالنَّبْلِ وَالْحِجَارَةِ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ صَبًا بَارِدَةً فِي لَيْلَةٍ شَاتِيَةٍ، فَأَخْصَرَتْهُمْ<sup>(٣)</sup> وَسَفَتِ التُّرَابُ فِي وَجُوهِهِمْ، وَأَطْفَأَتْ نِيرَانَهُمْ، وَقَلَعَتْ خِيَامَهُمْ، وَمَا جَتِ الْخَيْلُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، وَقُذِفَ فِي قُلُوبِهِم الرُّعْبُ، وَكَبُرَتْ

(١) رواه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (ف) و(ك): «بعسكره».

(٣) أي: أوقعتهم في الخَصَرِ؛ وهو البرد، في «الصحاح» (مادة: خصر): الخَصَرُ بالتحريك: البرد، وقد خَصَرَ الرجل: إذا ألمه البرد في أطرافه.

الملائكة في جوانب العسكر، فقال طليحة بن خويلد الأسدي: أمّا محمد فقد بدأكم بالسحر، فالنجاء النجاء، فانهزموا من غير قتال<sup>(١)</sup>.

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: مِنْ ضَرْبِ الْخَنْدَقِ وَغَيْرِهِ ﴿بَصِيرًا﴾.

وقرى بالياء<sup>(٢)</sup>؛ أي: بما يعمل المشركون واليهود من التحزب والتضام<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١٠) - ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾.

﴿إِذْ جَاءُوكُمْ﴾ بدل من ﴿إِذْ جَاءَ ثَكُمُ﴾.

﴿مِنْ فَوْقِكُمْ﴾: مِنْ أَعْلَى الْوَادِي مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ بَنُو غَطَفَانَ.

﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾؛ أي: مِنْ أَسْفَلَ<sup>(٤)</sup> الْوَادِي مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ<sup>(٥)</sup> قَرِيْشُ.

لم يقل: ومن تحتكم، مع ما فيه من رعاية المقابلة والاختصار؛ إظهاراً لِمَا فِي مَقَابِلِهِ مِنَ التَّجَوُّزِ، وإِنَّمَا اخْتِيرَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ أَحْسَنُ لَفْظاً وَمَعْنَى مِنْ: أَعْلَى مِنْكُمْ<sup>(٦)</sup>.

﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾: مَالَتْ عَنْ مُسْتَوَى نَظَرِهَا حَيْرَةً وَشَخْوصاً.

(١) انظر: «الكشاف» (٣/ ٥٢٦)، و«تفسير الماوردي» (٤/ ٣٧٩).

(٢) وهي قراءة أبي عمرو. انظر: «التيسير» (ص: ١٧٧).

(٣) في (ف): «الخير والتضار»، وفي (م): «من الحرب والتضام»، وفي (ك): «الحرب والترامي».

(٤) «من أسفل» سقط من (ك).

(٥) في (ك): «الغرب».

(٦) في (ع): «ومن أعلى منكم»، وسقطت من (ف) و(ك).

﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ رُعباً، فَإِنَّ الرِّثَّةَ تَنْتَفِخُ عِنْدَ شِدَّةِ الْخَوْفِ، فَتَرَبُّو  
ويرتفع القلبُ بارتفاعها.

بلوغ القلبِ الحنجرة مثلُ في شِدَّةِ الْخَفَقَانِ واضطرابِ القلبِ؛ فَإِنَّ صَاحِبَ  
الْخَفَقَانِ الشَّدِيدِ يَتَوَهَّمُ مِنْ شِدَّةِ انْتِفَاحِ الرِّثَّةِ أَنَّ قَلْبَهُ بَلَغَ الْحَنَجْرَةَ، وَهِيَ رَأْسُ قَصْبَةِ  
الرِّثَّةِ، وَهِيَ مَخْرَجُ النَّفْسِ.

﴿وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾: الظُّنُونُ الْمُخْتَلِفَةُ، وَالْخَطَابُ<sup>(١)</sup> لِلْمُؤْمِنِينَ، فَمِنْهُمْ  
الْأَقْوِيَاءُ الثَّبَتُ الْأَقْدَامُ، يَظُنُّونَ الْإِبْتِلَاءَ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَإِنْجَازَ وَعْدِهِ بِالنَّصْرِ، وَمِنْهُمْ  
مَنْ يَخَافُ الزَّلَلَ وَضَعْفَ الْإِحْتِمَالِ، وَمِنْهُمْ الضُّعَفَاءُ<sup>(٢)</sup> الَّذِينَ يَشْكُونُ فِي أَمْرِهِمْ  
وَيَسْتَأْذِنُونَ، وَالْمَنَافِقُونَ - عَلَى مَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ - يَظُنُّونَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ  
يُسْتَأْصِلُونَ.

\*\*\*

(١١) - ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾.

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾: اخْتَبِرُوا لِيَتَمَيَّزَ الْمُخْلِصُ مِنَ الْمَنَافِقِ وَالثَّابِتُ مِنَ  
الْمُتَزَلِّزِ.

﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾: وَأُزْعِجُوا أَشَدَّ إِزْعَاجٍ<sup>(٣)</sup> مِنْ شِدَّةِ الْفَزَعِ، فَالزَّلْزَالُ:  
الاضطرابُ الْعَظِيمُ.

\*\*\*

(١) فِي (ك): «الْخَطَابُ».

(٢) فِي (ف): «الضُّعَفَاءُ».

(٣) فِي (ف): «إِزْعَاجًا»، وَفِي (ك): «إِزْعَاجٌ».

(١٢) - ﴿وَلَا يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

﴿وَلَا يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: ضعفُ اعتقادٍ.

﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾: وعداً باطلاً، أرادوا به ما وعده الله تعالى من إعلاء الدين والظفر على المشركين.

\*\*\*

(١٣) - ﴿وَلَا قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾.

﴿وَلَا قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ هم <sup>(١)</sup> أوس بن قَيْظِي وَمَنْ وافقه.

﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾: اسم المدينة، وقيل: اسم أرضٍ وقعت المدينة في ناحيةٍ منها.

﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾: لا موضع قيامٍ لكم ها هنا.

وقرئ بالضم <sup>(٢)</sup> على أنه مكانٌ أو مصدرٌ من أقام.

﴿فَارْجِعُوا﴾ إلى المدينة، وانخزلوا <sup>(٣)</sup> عن معسكر الرسول إلى منازلكم.

وقيل: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ بالمدينة أن نقيم على دين محمدٍ، ﴿فَارْجِعُوا﴾ كفاراً

مشركين، وأسلموا محمداً حتى يمكنكم المقام بها.

﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ للرجوع.

(١) في (م): «هو».

(٢) أي: بضم الميم، وهي قراءة حفص، وقرأ باقي السبعة بفتحها. انظر: «التيسير» (ص: ١٧٨).

(٣) في (ف): «وانخربوا».

﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ بسكون الواو وبكسرها<sup>(١)</sup>، فالعورة بالشكون: الخلل، مبالغة في وصفها بالعور، كأن أنفسيها عورة، وبالكسر: ذات العور؛ يقال: عور المكان عوراً: إذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق، ويجوز أن يكون (عورة) مخفف (عورة).

﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ بل هي حصينة.

﴿إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾: وما يريدون بذلك إلا الفرار من القتال.

\*\*\*

(١٤) - ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا﴾.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ﴾: دُخِلَتِ المدينة أو بيوتهم.

﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾: من جوانبها، وحذف الفاعل للإيماء بأن دخول هؤلاء المتحزبين عليهم، ودخول غيرهم من العساكر، سيان في اقتضاء الحكم المترتب عليه.

﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾: الردة ومقاتلة المسلمين.

﴿لَآتَوْهَا﴾: لأعطوها؛ وقرئ بالقصر<sup>(٢)</sup>؛ أي: لجأؤوها وفعلوها.

﴿وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا﴾؛ أي: بالفتنة، أو: بإعطائها ﴿إِلَّا بَسِيرًا﴾ ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف.

(١) بالسكون قراءة الجمهور، ونسبت قراءة الكسر لابن عباس وغيره. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٨).

(٢) وهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر. انظر: «التيسير» (ص: ١٧٨).

أو: بالمدينة؛ أي: ما لبثوا بها بعد الارتداد إلا زماناً يسيراً، أو لبثاً يسيراً؛ لأن الله تعالى يهلكهم ويستأصلهم.

\*\*\*

(١٥) - ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّوهُ إِلَّا الذَّبْرُ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾.  
 ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّوهُ إِلَّا الذَّبْرُ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما:  
 عاهدوا رسول الله عليه السلام ليلة العقبة أن يمنعوه ممّا يمنعون منه أنفسهم<sup>(١)</sup>.  
 وقيل: قوم غابوا عن بدرٍ، فقالوا: لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلن<sup>(٢)</sup>.  
 وعن محمد بن إسحاق هم بنو حارثة، عاهدوا يوم أحد رسول الله عليه السلام  
 حين فشلوا، ثم تابوا أن لا يفروا<sup>(٣)</sup> بعد أن نزل فيهم ما نزل.  
 ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ عن الوفاء به، مجازى عليه؛ أي: شأنه<sup>(٤)</sup> ذلك.

\*\*\*

(١٦) - ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.  
 ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾ نفعاً تاماً في دفع الأمرين

(١) انظر: «الكشاف» (٣/ ٥٢٨). وذكره السمعاني في «تفسيره» (٤/ ٢٦٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٩٢)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٥١٧) عن مقاتل والكلبي. قال السمعاني والبغوي: وهذا القول ليس بمرضي؛ لأن الذين بايعوا النبي ﷺ ليلة العقبة لم يكن فيهم شك ولا من يقول هذا القول.

(٢) في (م): «لنقابل»، وفي باقي النسخ: «لنقاتل»، والمثبت من «الكشاف» (٨/ ٥٢٨).

(٣) في (ك): «يعيدوا»، وفي (م): «يغزوا»، وفي (ف): «يعدوا».

(٤) في (ف) و(م): «أن شأنه».

المذكورين بالكلية؛ إذ لا بُدَّ لكلِّ شخصٍ من حَنْفِ أنفٍ أو قتلٍ في وقتٍ، لا لأنه سبق به القضاء لأنه تابع للمقتضى<sup>(١)</sup> فلا يكون باعثاً له، بل لأنه مقتضى ترتُّب الأسباب والمسببات بحسب العادة على مقتضى الحكمة، فلا دلالة فيه على أنَّ الفرارَ لا يغني شيئاً حتى يُشكِّلَ هذا بالنَّهي الواقع في الكتاب عن إلقاء النفس بالتهلكة وبالأمر الواقع في السُّنة بالفرار عن المضارِّ، كيف وقد دَلَّ<sup>(٢)</sup> قوله:

﴿وَإِذَا لَاتَمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ على أنَّ في الفرارِ نفعاً<sup>(٣)</sup> في الجملة؛ إذ المعنى: لا تمتنعون على تقدير الفرارِ إلا متاعاً قليلاً أو زماناً قليلاً<sup>(٤)</sup>.

وعن بعض المروانيَّة: أنَّه مرَّ بحائط مائل فأسرع، فتليت له هذه الآية، فقال: ذلك القليل نطلب<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(١٧) - ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَحِذُّونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنْ اللَّهِ﴾؛ أي: ممَّا أَرَادَ اللهُ إِنْزَالَهُ بِكُمْ ﴿اللَّهُ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ

(١) في هامش (ف) و(ي): «لأنه تابع للإرادة التابعة للعلم التابع للمعلوم وهو المقتضى. منه».

(٢) في (م) زيادة: «في».

(٣) في (ع) و(ي): «نفع»، والمثبت من باقي النسخ.

(٤) انظر: «حاشية الشهاب» (١٦٤/٧)، و«روح المعاني» (٢٢٤/٢١). وقد عزاه الآلوسي لبعض

الأجلة، وبينما أطال الشهاب في تعقبه، اقتصر الآلوسي على القول: (وفيه ما فيه، فتأمل).

(٥) انظر: «الكشاف» (٥٢٩/٣). وسماه ابن عبد ربه في «العقد» (١٥٢/٣): الوليد بن عبد الملك.

سَوْءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴿١﴾ الْعَصْمَةُ: هي المحافظةُ من السُّوءِ فلا يكون من الرَّحمةِ، فافترائُها بالسُّوءِ في حكمِ العصمةِ على طريقةِ عطفِ عاملٍ حُذِفَ وبقي معمولُه على عاملٍ آخر يجمعُهما معنى واحدٌ اختصاراً؛ أي: أو يصيبكم بسوءٍ إن أرادَ بكم رحمةً.

ويجوز أن تكون الرَّحمةُ قرينةُ السُّوءِ في العِصْمَةِ؛ لأنَّها في معنى المنعِ، كما كان الرُّمَحُ قرينَ السِّيفِ في قوله:

مَتَقَلَّدًا سَيْفًا وَرَمَحًا<sup>(١)</sup>

فِي التَّقَلُّدِ؛ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْحَمْلِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيرٍ: وَمَعْتَقِلًا<sup>(٢)</sup>.  
﴿وَلَا يَحِدُّونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾ يَنْفَعُهُمْ ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يَدْفَعُ الضَّرَرَ عَنْهُمْ.

\*\*\*

(١٨) - ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ﴾ قَدْ هُنَا لِلتَّحْقِيقِ، وَإِنْ دَخَلَ عَلَى الْمَضَارِعِ.

﴿الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾: الْمُثَبِّطِينَ النَّاسَ عَنِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُمْ الْمَنَافِقُونَ.

﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾ مِنْ سَاكِنِي الْمَدِينَةِ:

﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ قَدْ سَبَقَ تَفْسِيرُهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ.

(١) عجز بيت لعبد الله بن الزبيري، وهو في ديوانه (ص: ٣٢)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٦٨/٢)،

و«الخصائص» لابن جني (٤٣١/٢)، وغيرها، وصدوره:

يَا لَيْتَ زَوْجَكَ قَدْ غَدَا

(٢) فِي (م) وَ(ك): «وَمَقْتُولًا»، وَفِي هَامِش (ك): «وَمَعْتَقَلًا».

﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: إتياناً قليلاً، أو: زماناً قليلاً، أو: ناساً قليلاً؛ أي: يخرجون معكم يوهمون المؤمنين أنهم معهم ولا يقاتلون إلا قتلاً قليلاً إذا اضطروا إليه، لقوله: ﴿مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٠] <sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١٩) - ﴿أَشْحَةً عَلَيْكُمْ﴾ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوا سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ جَدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أَوْلَيْكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا.

﴿أَشْحَةً عَلَيْكُمْ﴾: بخلاء عليكم <sup>(٢)</sup> وقت الأمن، أو بالمعاونة، أو النفقة في سبيل الله، أو <sup>(٣)</sup> الغنيمة عند الظفر.

جمعٌ شحيح، نصب على الحال من فاعل ﴿يَأْتُونَ﴾، أو ﴿الْمُعَوِّقِينَ﴾، أو ﴿وَالْقَائِلِينَ﴾، أو على الدَّم.

﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ﴾؛ أي: وقت الحرب ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ لواداً بك ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ في موضع الحال؛ أي: دائرة أعينهم. والكاف في:

(١) قوله: «أو ناساً قليلاً أي يخرجون معكم يوهمون المؤمنين أنهم معهم ولا يقاتلون إلا قتلاً قليلاً» سقط من (ي)، وقوله: «أو ناساً قليلاً» سقط من (ع)، والعبارة كلها سقطت من (ف) و(ك)، والمثبت من (م).

وفي (ي): «أو زماناً قليلاً إذا اضطروا إليه لقوله وما قاتلوا إلا قليلاً».

وفي (ع): «أو زماناً قليلاً أي يخرجون معكم يوهنون المؤمنون أنهم معهم ولا يقاتلون إلا قتلاً قليلاً إذا اضطروا إليه لقوله وما قاتلوا إلا قليلاً».

(٢) «عليكم» ليست في (ف) و(ك).

(٣) في (ف): «و».

﴿كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ﴾ في موضع النَّصَب على المصدر: إِمَامٍ مِنْ ﴿يَنْظُرُونَ﴾؛  
أي: نظراً مثلَ نظر الذي يُغْشَى عليه، أو مِنْ ﴿تَدُورُ﴾؛ أي: دوراناً مثلَ دوران عَيْنِ  
الذي يُغْشَى عليه.

﴿مِنَ الْمَوْتِ﴾: مِنْ شِدَّةِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ خَوْفاً أَوْ جُبْنًا<sup>(١)</sup>.

﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾ وحيزت الغنائم ﴿سَلَفَوْكُمْ﴾: ضربوكم ﴿بِالسِّنَةِ حِدَادٍ﴾:  
ذرية يطلبون الغنيمة، بعد أن كانت حصرةً بالخوف.

قال قُطْرُب: سَلَقْتُ الْمَرْءَ وَصَلَقْتُ؛ أي: صَحْتُ بِهِ، وَأَصْلُهُ: رَفَعُ الصَّوْتِ.  
قال عليه السلام: «لَيْسَ مَنَّا مَنْ خَلَقَ أَوْ سَلَقَ»<sup>(٢)</sup>؛ أي: خَلَقَ شَعْرَهُ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ،  
أو رفع صوته بالنياحة.

﴿أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ ﴿سَلَفَوْكُمْ﴾، أو نصب على الذَّمِّ، ويؤيده  
مَنْ قَرَأَهُ بِالرَّفْعِ<sup>(٣)</sup>، وليس بتكرير؛ لِأَنَّ كَلًّا مِنْهُمَا يَفِيدُ فَائِدَةً أُخْرَى.

﴿أُولَئِكَ لَمْ يَزِنُوا﴾ إخلاصاً والفاء في: ﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ لِلْسَّبِيَّةِ؛ أي:  
أَبْطَلَ اللَّهُ تَعَالَى مَا عَمَلُوهُ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ بِسَبَبِ نِفَاقِهِمْ وَعَدَمِ إِيمَانِهِمْ حَقِيقَةً، فَإِنَّهُ  
شَرَطُ صَحَّةِ الْعِبَادَةِ وَقَبُولُهَا.

﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ الْإِحْبَاطُ ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾: هَيَّئاً؛ لِتَعَلُّقِ إِرَادَتِهِ مِنْ غَيْرِ مَانِعٍ يَمْنَعُهُ.

\*\*\*

(١) في (ف): «خَوْفاً وَحَسًّا»، وفي (م): «خَوْفاً وَجُبْنًا».

(٢) رَوَى نَحْوُهُ الْبُخَارِيُّ (١٢٩٦)، وَمُسْلِمٌ (١٠٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) نَسَبَ لَابْنُ أَبِي عُبَلَةَ. انْظُرْ: «الْمَحْرَرُ الْوَجِيزُ» (٤/ ٣٧٦)، و«الْبَحْرُ الْمَحِيطُ» (١٧/ ٢٩٩).

(٢٠) - ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوتُ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ مِنْ شِدَّةِ الْجَبَنِ وَالْخَوْفِ، فَفَرُّوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَدْ انْهَزَمَ الْأَحْزَابُ، وَهُمْ مِنْ اسْتِيلَاءِ الْفَرْعِ عَلَيْهِمْ لَا يَصْدُقُونَ بِذَلِكَ.

﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾ كَرَّةً أُخْرَى ﴿يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوتُ فِي الْأَعْرَابِ﴾ تَمَنَّوْا أَنَّهُمْ خَارِجُونَ إِلَى الْبَدْوِ بَيْنَ<sup>(١)</sup> الْأَعْرَابِ ﴿يَسْأَلُونَ﴾ كُلٌّ قَادِمٍ مِنْ جَانِبِ الْمَدِينَةِ ﴿عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾ وَمَا جَرَى عَلَيْكُمْ.

﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ﴾ هَذِهِ الْكَرَّةُ، وَلَمْ يَفَرُّوا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَوَقَعَ قِتَالٌ ﴿مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾: إِلَّا قِتَالًا قَلِيلًا؛ رِيَاءً وَخَوْفًا مِنَ التَّعْيِيرِ.

\*\*\*

(٢١) - ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كَبِيرًا﴾.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ﴾: خَصْلَةٌ ﴿حَسَنَةٌ﴾ يَجِبُ أَنْ يُؤْتَسَى بِهِ، وَهِيَ

المصابرة على الجهاد، والثبات في المحاربة، ومقاساة الشدائد.

والأولى بفصاحة القرآن أن تكون ﴿فِي﴾ [فِي]<sup>(٢)</sup> قوله: ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ﴾

للتَّجْرِيدِ؛ أَي: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ بِنَفْسِهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ؛ أَي: هُوَ قُدْوَةٌ يَجِبُ أَنْ

يُقْتَدَى بِهِ، كَمَا تَقُولُ: لِي مِنْ فُلَانٍ صَدِيقٌ صَادِقٌ، وَمَعْنَاهُ: الْمُبَالِغَةُ فِي الصَّدَاقَةِ؛ كَأَنَّ

فِيهِ مِنْ كَمَالِ صَدَاقَتِهِ صَدِيقٌ آخَرُ.

(١) فِي (ف) وَ(م): «إِلَى الْبَدْوِيِّينَ»، وَفِي (ي): «إِلَى الْمَدِينَةِ».

(٢) زِيَادَةُ يُقْتَضِيهَا السِّيَاقُ.

﴿لَمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ يرجو ثواب الله، أو لقاءه والعاقبة المحمودة، وهي نعيم الآخرة، أو أيام الله واليوم الآخر خصوصاً.

ويجوز أن يكون ﴿يَرْجُوا اللَّهَ﴾ من باب التَّوَطُّعِ، كما تقول: رجوتُ زيداً وفضلَه<sup>(١)</sup>؛ أي: فضل زيد.

والرَّجَاءُ هاهنا يجوز أن يكون بمعنى الأمل، وبمعنى الخوف.

و﴿لَمَن كَانَ﴾ صفة لـ ﴿حَسَنَةً﴾، أو صفة لـ ﴿أَسْوَةً﴾، وقيل: بدل من ﴿لَكُمْ﴾، كقوله: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَن ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ٧٥]، والأكثر على<sup>(٢)</sup> أن ضمير المخاطب لا يُبدل منه.

﴿وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا﴾ قرَنَ الرَّجَاءَ بالذكرِ الكثيرِ المؤدِّي إلى ملازمة الطَّاعَةِ؛ لئلا يكون رجاءه طمعاً فارغاً؛ فَإِنَّ الْمُقْتَدِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَن كَانَ كَذَلِكَ.

\*\*\*

(٢٢) - ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾.

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ لأنَّهم وُعدوا أن يُزَلَّزَلُوا<sup>(٣)</sup> حتى يستغيثوا ويستنصروه في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ الآية [البقرة: ٢١٤]، وفي قوله عليه السلام: «سَيُشْتَدُّ<sup>(٤)</sup> الأمرُ باجتماعِ الأحزابِ عليكم، والعاقبةُ لكم

(١) في (ف): «فضله»، والمثبت من باقي النسخ و«الكشاف» (٣/ ٥٢٩).

(٢) «على» سقط من (م).

(٣) في (ك) و(م): «ينزلوا»، وفي (ف): «ينزلُّوا».

(٤) في (ك) و(م): «سَيُشْتَدُّ»، وفي (ف): «يُشْتَدُّ».

عليهم»<sup>(١)</sup>، وقوله عليه السلام: «إن الأحزاب سائرون إليكم بعد تسع أو عشر» - أي: في آخر تسع ليالٍ أو عشرٍ - فلَمَّا رأوهم قد أقبلوا للميعاد قالوا ذلك<sup>(٢)</sup>.

و﴿هَذَا﴾ إشارة إلى الخطبِ أو البلاءِ، إيماناً بالله وبوعده، وتسليماً لقضائه وقدره.

وإظهارُ الاسمين في قوله: ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ للتعظيم؛ أي: ظهر صدق خبرهما، أو صدقاً في النصر والثواب كما صدقاً في البلاء.

﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ ضمير الفاعل فيه لِمَا رَأَوْا، أو لِلْمُشَارِ إليه بـ ﴿هَذَا﴾ مِنَ الْخَطْبِ أو البلاء.

﴿إِلَّا إِيْمَانَنَا﴾ بالله ومواعيده ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لأوامره وتقديره.

\*\*\*

(٢٣) - ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَّلُوا بَدِيلًا﴾.

﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ التنكير للتفخيم.

﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾؛ أي: صدقوا فيما عاهدوا عليه من الثبات مع الرسول، والمصابرة على قتال أعداء الدين، فحذف الجار كما في المثل: صدقني سنَّ بكره<sup>(٣)</sup>؛ أي: صدقني في سنِّ بكره.

(١) ذكره البيضاوي في «تفسيره» (٤ / ٢٢٩)، ولم يتكلم عليه المناوي في «الفتح السماوي» (٣ / ٩٢٨).

(٢) قال ابن حجر: لم أجده. انظر: «الكاف الشاف» (ص: ١٣٣).

(٣) انظر: «الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٤٩)، و«جمهرة الأمثال» للعسكري (١ / ٥٧٥)، و«فصل =

نَذَرَ رَجَالٌ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ إِذَا لَقُوا حَرِبًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَبَتُوا وَقَاتَلُوا حَتَّى يُسْتَشْهَدُوا، وَهُمْ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَطَلْحَةُ، وَسَعْدُ بْنُ زَيْدٍ، وَحَمْزَةُ، وَمُصْعَبٌ، وَغَيْرُهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ<sup>(١)</sup>.

وَيَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ الْمَعَاهِدُ عَلَيْهِ مَصْدُوقًا عَلَى الْمَجَازِ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ: سَنَفِي بِكَ، فَإِذَا وَفَا بِهِ فَقَدْ صَدَّقُوهُ، مِنْ قَوْلِكَ: صَدَّقَنِي أَخُوكَ: إِذَا قَالَ لَكَ الصَّدَقَ. ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ مَحَبَّتَهُ﴾: نَذَرَهُ<sup>(٢)</sup> بِأَنْ قَاتَلَ حَتَّى اسْتُشْهِدَ كَحَمْزَةَ وَمُصْعَبٍ وَأَنْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قِيلَ: وَالنَّحْبُ اسْتِعَارَةٌ لِلْمَوْتِ؛ فَإِنَّ الْمَوْتَ لَازِمٌ لِكُلِّ حَيَوَانٍ، فَكَأَنَّهُ نَذَرُ لَازِمٌ فِي رَقَبَتِهِ، إِذَا مَاتَ قَضَىٰ نَحْبَهُ.

كَأَنَّ هَذَا الْقَائِلَ غَافِلٌ عَنِ النَّذْرِ الْمَذْكُورِ فِي سَبَبِ التَّزْوِيلِ؛ لِأَنَّ مُوجِبَهُ أَنْ يَكُونَ النَّحْبُ عَلَى حَقِيقَتِهِ، وَقَضَاءُ نَذَرِهِمْ<sup>(٣)</sup> يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَنَائَةً عَنْ شَهَادَتِهِمْ.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ كَعَثْمَانَ وَطَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

﴿وَمَا بَدَلُوا﴾ الْعَهْدَ، وَلَا غَيْرَهُ، لَا الْمُسْتَشْهَدُ وَلَا مَنْ انتَظَرَ الشَّهَادَةَ.

= المقال «البكري (ص: ٤١). وقوله: (سن) يجوز فيه الرفع والنصب، فالنصب على المعنى الذي ذكره المصنف، والرفع بجعل الصدق للسن توسعاً. وأصل المثل يدل عليه. انظر: «القاموس» (مادة: بكر).

(١) انظر: «الكشاف» (٣/ ٥٣٢). وقد ثبت في السنة أنها نزلت في أنس بن النضر، وقد نذر كما نذر الصحابة المذكورون، رواه البخاري (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) «نذره» زيادة من (م) و(ي) و(ع).

(٣) في (ف): «وقضائه».

ولقد ثبت طلحة مع رسول الله ﷺ يوم أحد حتى أصيبت يده، فقال رسول الله ﷺ: «أوجب طلحة»<sup>(١)</sup>؛ أي: الجنة.

﴿تَبْدِيلًا﴾: شيئاً من التبديل، تعريضاً لمن بدل من أهل النفاق وتبديلهم، ولذلك قال:

\*\*\*

(٢٤) - ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾ تعليلاً للمنطوق، والمعرّض به جعل المنافقين كأنهم قصدوا بالتبديل عاقبة الشؤ كما قصد الصادقون بوفائهم عاقبة الصّدق، فاللّام مجازٌ للعاقبة، فإنّها وإن أمكن حملها على الحقيقة بالنسبة إلى الصادقين، لكن لا يمكن حملها عليها بالنسبة إلى المنافقين؛ لأنّ التعذيب لم يكن غرضاً لهم، ولا يستعمل اللفظ الواحد حقيقةً ومجازاً في استعمال واحد، فيجب حملها على المجاز؛ لأنّ كلا الفريقين مَسْوقٌ إلى عاقبته<sup>(٢)</sup> من الثواب والعقاب.

﴿إِنْ شَاءَ﴾ إذا لم يتوبوا ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ إذا تابوا، ويجوز أن يُراد: يعذبهم إن شاء أو يوفقهم للتوبة.

(١) رواه الترمذي (٣٧٣٨) من حديث الزبير رضي الله عنه قال: كان على رسول الله ﷺ يوم أحد درعان منهض إلى صخرة، فلم يستطع فأقعد تحته طلحة، فصعد النبي ﷺ حتى استوى على الصخرة، فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أوجب طلحة». قال: حسن صحيح غريب.

(٢) في (ك): «عاقبة».

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ بِقَبُولِ التَّوْبَةِ ﴿رَحِيمًا﴾ يَغْفِرُ الْحَوْبَةَ<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(٢٥) - ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمَنَّا لَوَ أَخِيرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾.

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: الأحزاب.

﴿بِغَيْظِهِمْ لَمَنَّا لَوَ أَخِيرًا﴾ حالان متداخلان أو متعاقبان<sup>(٢)</sup>؛ أي: متغيظين<sup>(٣)</sup> غير ظافرين، ويجوز أن تكون الثانية بياناً للأولى، واستئنافاً<sup>(٤)</sup>.

﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بالرَّيْحِ والملائكة، و﴿وَكَفَى﴾ هنا بمعنى: وقى، يتعدى لاثنتين، وإذا كانت بمعنى (حسب) فالأكثر في لسان العرب أن يكون الفاعل مصحوباً بالباء نحو: كفى بالله.

﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا﴾ على إحداث ما يريدُه ﴿عَزِيزًا﴾: غالباً على كل شيء.

\*\*\*

(٢٦) - ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾.

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ﴾: ظاهروا الأحزاب<sup>(٥)</sup> ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني: قريظة.

(١) في (م): «يعفو الحوبة»، وفي (ي): «بعفو الحوبة»، وفي (ع): «يعف الحوبة».

(٢) في (ع): «متداخلتان أو متعاقبتان»، وفي (ف) و(ي): «متداخلتان أو متعاقبان».

(٣) في (ف) و(م) و(ع): «مغيظين»، وفي (ي): «يغظين».

(٤) في (ف) و(ك): «أو استئنافاً».

(٥) في (ف): «هم الأحزاب».

﴿مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾؛ أي: مِنْ حصونهم، جمع صَيْصِيَّةٍ، وهي ما يُتَحَصَّنُ به مِنْ حصنٍ وغيره.

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾: الفرع والخوف.

﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ إِنَّمَا أَخْرَهُ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَتَأْسِرُونَ﴾ وَغَيْرِ النَّظْمِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْكُلَّ مَنْحَصِرٌ فِي الْفَرِيقَيْنِ.

قيل: كان بنو قريظة ذمَّة<sup>(١)</sup> رسول الله ﷺ، فنقضوا العهدَ باستدعاء أبي سفيان، وجاءوا لمحاربة المسلمين، فلَمَّا فرَغَ رسولُ الله ﷺ من قريش، ودخل الحُجْرَةَ، ووضع<sup>(٢)</sup> السِّلَاحَ، سَمِعَ وَجْهَ عَلَى بابِ الحِجْرَةِ، فنظَرَ فإذا هي جبريلُ عليه السلام على فرسٍ أبلقٍ وعلى ثيابه<sup>(٣)</sup> النَّقْعَ، فقال: يا رسول الله، وضعت السِّلَاحَ ونحنُ ما وضعنا أسلحتنا بعدُ! إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْمُرُكَ أَنْ لَا تَصْلِيَ الْعَصْرَ إِلَّا بِنِي قَرِظَةَ، فنَادَى رسولُ الله ﷺ بذلك<sup>(٤)</sup> فِي الْمُسْلِمِينَ، فخرجوا إِلَيْهِ، وَلَحِقَ بِهِمْ رسولُ الله ﷺ، وَحَاصَرَهُمْ أَحَدًا وَعِشْرِينَ يَوْمًا، ثُمَّ نَزَلُوا عَلَى حَكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَحَكَمَ بِأَنْ يُقْتَلَ مُقَاتِلُهُمْ وَيُسَبَى ذُرَارِيُّهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ، وَتُغْنَمَ أَمْوَالُهُمْ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَقَدْ حَكَمْتَ بِحَكْمِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمْ»، ففعل ذلك، وَمَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِذَلِكَ<sup>(٥)</sup>.

(١) فِي (ك): «فِي ذِمَّة».

(٢) فِي (ي): «فَوْضَعَ».

(٣) فِي (ك): «ثَنِيَاة».

(٤) فِي (ك) وَ(م): «لِذَلِكَ».

(٥) انظر القصة بتمامها في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٣٣)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٤/ ٥)،

و«تفسير الطبري» (١٩/ ٧٢).

(٢٧) - ﴿وَأَوْزَكْنَكُمْ أَرْضَهُمْ وَيَدِينَهُمْ وَأَمُولَهُمْ وَأَرْضَانَكُمْ تَطْعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

﴿وَأَوْزَكْنَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾: مزارعهم ﴿وَيَدِينَهُمْ﴾: حصونهم ﴿وَأَمُولَهُمْ﴾: نقودهم ومواسيهم وأثاثهم؛ أي: جعلها لكم بعدهم. ﴿وَأَرْضَانَكُمْ تَطْعُوهَا﴾؛ أي: لم تصيروا إليها بعد قاصدين قتال أهلها، وهذا وعد لهم بإحراز أرض أخرى، قيل: هي أرض فارس والروم، وقيل: هي مكة، وقيل: هي خيبر وفدك.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ فيقدر على ذلك.

\*\*\*

(٢٨) - ﴿يَتَأَيَّمُوا النَّبِيَّ قُلْ لَا زَوْجَكَ إِن كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْتَ أُمْتِعْكَ وَأُزْهِقْكَ سَرَلًا جَمِيلًا﴾.

﴿يَتَأَيَّمُوا النَّبِيَّ قُلْ لَا زَوْجَكَ إِن كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ ذكر ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ توطئة وتمهيد<sup>(١)</sup> للاختصاص؛ أي: إن كنت تردن زينة الحياة الدنيا، وكذا ذكر ﴿اللَّهُ﴾ في ﴿تُرِيدُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ فإنه لاختصاص الرسول به.

= وروى الإمام أحمد في «مسنده» (٢٤٩٩٢): عن عائشة، أن رسول الله ﷺ لما فرغ من الأحزاب، دخل المغتسل ليغتسل، فجاء جبريل عليه السلام، فقال: أوقد وضعتم السلاح، ما وضعنا أسلحتنا بعد، انهذ إلى بني قريظة.

وقول النبي ﷺ لما رجع من الأحزاب: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» رواه البخاري (٤١١٩)، ومسلم (١٧٧٠)، عن ابن عمر رضي الله عنهما. ونزول قريظة على حكم سعد رضي الله عنه وما جاء بعده رواه البخاري (٤١٢١)، ومسلم (١٧٦٨)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(١) في (ف) و(ي) و(ع): «وتمهيداً».

﴿فَتَعَالَى﴾ أصل تعال: أن يقولَه مَنْ في المكان المرتفع العالي لمن في المكان المستوطي، ثم كثر حتى استوت في استعماله الأمكنة.

ومعنى (تعالين) هنا: أقبلن بإرادتكن واختياركن لأحد أمرين، ولم يُرد نهوضهن إليه بأنفسهن، كقولك: قام يهدّني.

﴿أُمْتَعَكُنَّ﴾: أُعْطِكُنَّ<sup>(١)</sup> متعة الطلاق.

﴿وَأُسْرِيكُنَّ﴾ التّسريحُ كناية عن رفع النّكاح، وذلك بوقوع البيّنة.

﴿سَرَحًا جَمِيلًا﴾: لا ضرار فيه، أردن شيئاً من الدُّنيا من ثيابٍ وزيادة نفقة، وتغيّرن، فغمّ ذلك رسول الله ﷺ فنزلت، فبدأ بعائشة رضي الله عنها، وكانت أحبهنّ إليه فخيرها، وقرأ عليها القرآن، فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة، فرُئي الفرح في وجه رسول الله ﷺ، ثم اختارت جميعهنّ اختيارها<sup>(٢)</sup>، فشكر لهنّ الله فأنزل: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ﴾ الآية [الأحزاب: ٥٢]<sup>(٣)</sup>.

وتعليق التّسريح بإرادتهنّ زينة الدُّنيا وجعلها قسيمة إرادتهنّ<sup>(٤)</sup> الرّسول دليل على أنّها إذا اختارت زوجها لا تقع البيّنة، وأمّا أنّه لا يقع الطّلاق أصلاً فلا دلالة فيما ذكّر عليه؛ لما نبّهت عليه آنفاً أنّ التّسريح ينبى عن البيّنة.

(١) في (ف) و(م): «أعطيكُن».

(٢) رواه بنحوه رواه البخاري (٤٧٨٥) ومعلقاً بصيغة الجزم (٤٧٨٦)، ومسلم (١٤٧٥)، والترمذي (٣٢٠٤)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/٨٦-٨٧) عن قتادة والحسن. ورواه بنحوه دون عبارة: «فشكر...» البخاري (٤٧٨٥) - ومعلقاً بصيغة الجزم (٤٧٨٦) -، ومسلم (١٤٧٥)، والترمذي (٣٢٠٤)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) في (م): «لإرادتهن».

وتقديم التمتع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق.  
وقرى: (أمتعن وأسرحكن) بالرفع على الاستئناف<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(٢٩) - ﴿وَلِنْ كُنْتُمْ تُرْذِبُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذَارِ الْأَخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿وَلِنْ كُنْتُمْ تُرْذِبُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذَارِ الْأَخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ تنكير ﴿أَجْرًا﴾ للتعظيم؛ أي: أجراً عظيماً يستحقّر دونه الدنيا وزينتها، و(من) للتبيين لأنهنّ كلّهنّ محصنات، وإنّما عدل فيه عن مقتضى الظاهر للدلالة على سبب استحقاقهنّ لأصل الأجر، وللمزية فيه على سائر المحصنات.

\*\*\*

(٣٠) - ﴿يُنْسَاءُ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحْشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

﴿يُنْسَاءُ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحْشَةٍ﴾: سيئة بليغة في القبح.

﴿مُبَيَّنَةٍ﴾: ظاهر<sup>(٢)</sup> فحشها، من بين بمعنى: تبيين.

﴿يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾: ضعف عذاب غيرهنّ من النساء؛ أي: مثليه؛ لأنّ ما قبح من سائر النساء كان أقبحّ منهنّ، فزيادة قبح المعصية يتبع زيادة فضل

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٩).

(٢) في (ك) و(ي) و(ع) و(م): «ظاهرة».

العاصي، وزيادة العقاب تتبع زيادة قبح المعصية، ولذا فضل<sup>(١)</sup> حدُّ الأحرارِ على العبيد، ولا يَرجم<sup>(٢)</sup> الكافر، وعُوتِبَ الأنبياءُ عليهم السلام بما<sup>(٣)</sup> لا يُعَاتَبُ به غيرُهم مِنَ الصَّغَائِرِ.

﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾؛ أي: التضعيف ﴿عَلَى اللَّهِ سَيْرًا﴾ لا يمنعه عنه كونهن نساء النبي عليه السلام، بل هو السَّبَبُ له، فكيف يصير صارفًا عنه.

\*\*\*

(٣١) - ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾.

﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ﴾ تدم<sup>(٤)</sup> على الطَّاعَةِ ﴿لِلَّهِ﴾ تعالى ﴿وَرَسُولِهِ﴾ عليه السلام، وذكر (الله) هنا كَذِكْرِهِ في قوله: ﴿تُرِيدُكَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾؛ لَأَنَّ طَاعَتَهُ طَاعَةُ اللَّهِ، كما قال: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

﴿وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾: مَرَّةً على الطَّاعَةِ، ومَرَّةً على طلبهنَّ رضا النبي عليه السلام بالقناعة وحُسن المعاشرة.

وقرئ: ﴿وَيَعْمَلُ﴾<sup>(٥)</sup> أيضاً بالياء حملاً على لفظ (من)، و﴿يُؤْتِهَا﴾ على أن فيه ضميراً اسم الله<sup>(٦)</sup>.

(١) في (ف): «وكذا فصل».

(٢) في (ف) و(ك) و(م): «فلا يَرجم».

(٣) في (ف): «مما».

(٤) في النسخ عدا (ك): «تديم»، والمثبت من (ك).

(٥) في (ك): «يعمل».

(٦) وهي قراءة حمزة والكسائي. انظر: «التيسير» (ص: ١٧٩).

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمَ زُرْقًا كَرِيمًا﴾ في الجنة زيادةً على أجرها.

\*\*\*

(٣٢) - ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسْتَنَ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾.

﴿يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسْتَنَ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ في الفضل.

و(أحد) في الأصل: وَحَدٌّ بمعنى واحد، واستعمل في النفي العام مستويًا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما فوقه، ولذلك جاء هاهنا بمعنى جماعة واحدة من جماعات النساء.

﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ الظاهر أنه بمعنى: استقبلتنَّ<sup>(١)</sup> أحدًا.

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾: فلا تقلنَّ قولًا خاضعًا لينا حسنًا، كقول المربيات<sup>(٢)</sup>.

واتقى بمعنى استقبل معروف في اللغة؛ قال النابغة:

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرْدِ إِسْقَاطُهُ      فَتَنَاوَلَتْهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ<sup>(٣)</sup>

أي: استقبلتنا باليد، وهذا المعنى أبلغ في مدحهن؛ إذ لم يُعلّق فضيلتهن على التقوى، ولا علّق نهيهن عن الخضوع بها؛ إذ هنّ مُتَّقِيَاتٌ في أنفسهنّ، والتعلّق ظاهره يقتضي أنهنّ لسنّ مُتَحَلِّياتٌ بالتقوى<sup>(٤)</sup>.

(١) في (ك): «استقبلن».

(٢) في (م): «كقولة المربيات»، وفي (ف): «كقول المربيات»، وفي (ك): «كقول المربيات».

(٣) انظر: «ديوان النابغة - بشرح ابن السكيت» (ص: ٣٤). والنصيف: الخمار.

(٤) هذا الوجه في تفسير الآية ذكره أبو حيان في «البحر» (١٧/٣١٨) واختاره، لكن تعقبه الألوسي في «روح المعاني» (٢١/٢٨٠) بقوله: (وفيه: أن اتقى بمعنى: استقبل، وإن كان صحيحاً لغةً، وقد ورد =

﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾: ريبةٌ وفجورٌ. وقرئ بالجزم<sup>(١)</sup> عطفاً على محلّ النهي على أنّه نهى لمریض<sup>(٢)</sup> القلب عن الطَّمع عقیب نهی عن الخضوع بالقول؛ أي: لا يخضعن فلا يطمع الفاجر.

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾: حسناً مع كونه خشناً بعيداً عن الرّيبة.

\*\*\*

(٣٣) - ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ من وَقَرَّ يَقْرُ وقاراً، أو من قَرَّ يَقْرُ قراراً بحذف الأوّل من راءٍ إقْرَرْنَ ونقل كسرتها إلى القاف، والاستغناء بها عن همزة الوصل، كقولك: ظَلَنَ، بكسر الظاء.

وقرئ: ﴿وَقَرْنَ﴾ بفتح القاف<sup>(٣)</sup>، وأصله إقْرَرْنَ، فحذفتِ الرَّاءُ، ونُقِلَتْ فتحتها إلى القاف، كقولك: ظَلَنَ<sup>(٤)</sup> بالفتح.

= في القرآن كثيراً كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَتَّبِعِ بَوَجهَهُ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الزمر: ٢٤]، إلا أنه لا يتأتى هاهنا؛ لأنه لا يستعمل في ذلك المعنى إلا مع المتعلق الذي تحصل به الوقاية، كقوله سبحانه: ﴿بَوَجهَهُ﴾ وقول النابغة: باليد، وما استدلل به أمره سهل).

(١) نسبت لأبي السمال وأبان بن عثمان وابن هرمز. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٩)، و«(١٨١/٢)، و«البحر» (٣١٩/١٧).

(٢) في (ك): «لمریض».

(٣) قراءة نافع وعاصم، وباقي السبعة بكسرها. انظر: «التيسير» (ص: ١٧٩).

(٤) في (ك) و(م): «ظَلَنَ».

وقيل: مِنْ قَارٍ يَقَارُ: إذا اجتمع، ومنه: القَارَةُ للخليل لاجتماعه.

﴿وَلَا تَبَرَّجْ﴾ التَّبَرُّجُ: الخروج بالزينة.

﴿تَبَرَّجَ الْجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى﴾: تَبَرَّجاً مثل تَبَرَّجِ النِّسَاءِ فِي أَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ الْقَدِيمَةِ<sup>(١)</sup>، التي يُقَالُ لها: الجاهلية الجاهلاء، وهي الزَّمَنُ الذي وُلِدَ فيه إبراهيم عليه السلام، كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْبَسُ الدَّرْعَ مِنَ اللَّوْلُو، فتمشي وسط الطريق تعرضُ نَفْسَهَا عَلَى الرِّجَالِ.

وقيل: ما بين آدم ونوحٍ عليهما السلام.

وقيل: بين إدريس ونوحٍ عليهما السلام.

وقيل: زمن<sup>(٢)</sup> داود وسليمان.

والجاهليةُ الأخرى: ما بين عيسى ومحمدٍ عليهما السلام.

ويجوز أن تكون الجاهليةُ الأولى: جاهليَّةُ الْكُفْرِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، والجاهليةُ الأخرى: الْفُسُوقُ فِي الْإِسْلَامِ؛ أي: لَا تُحَدِّثَنَّ بِالتَّبَرُّجِ جَاهِلِيَّةً<sup>(٣)</sup> فِي الْإِسْلَامِ تَتَشَبَّهَنَّ بِهَا بِأَهْلِ جَاهِلِيَّةِ الْكُفْرِ.

ويعضده ما رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ فِيكَ جَاهِلِيَّةً»، قَالَ: جَاهِلِيَّةٌ كُفْرٌ أَمْ إِسْلَامٌ؟ قَالَ: «بَلْ جَاهِلِيَّةٌ كُفْرٌ»<sup>(٤)</sup>.

(١) فِي (ف) وَ(ك): «وَلَا تَبَرَّجَنَّ التَّبَرُّجَ مِثْلَ تَبَرُّجِ النِّسَاءِ فِي أَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى الْقَدِيمَةِ».

(٢) «زمن» مِنْ (ي) وَ(ع).

(٣) فِي (ك): «الجاهلية».

(٤) انظر: «الكشاف» (٥٣٧/٣) عَنْ ابْنِ زَيْدٍ مَرْسَلًا. رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تفسيره» (٩٩/١٩). وَهُوَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ. وَلَمْ يَقُلْ: جَاهِلِيَّةٌ كُفْرٌ... إِلَى آخِرِهِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٠)، وَمُسْلِمٌ (١٦٦١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في سائر ما أمر به ونهى عنه، أمرهنَّ بالصلاة والزكاة على الخصوص، ثمَّ بالطاعة على العموم؛ اعتناءً بشأنيهما، وإيماءً إلى أنَّهما أصلُ جميع الطاعات البدنية والمالية، من اعتنى بهما حقَّ الاعتناء جرَّاه إلى جميعها.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ استثناءً لتعليل أمرهنَّ ونهيهنَّ بما أمرهنَّ به ونهاهنَّ عنه.

﴿لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ﴾: الذَّنْبُ المدنُّس لعرضكم.

﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ نصب على النداء أو على المدح.

﴿وَيُطَهِّرُهُمْ﴾ عن المعاصي ﴿تَطْهِيرًا﴾ استعارة الرِّجْسَ للمأثم، والطُّهْرَ للتَّقْوَى؛ للتَّنْفِيرِ عن القبائح، والترغيب في المحاسن.

وفي <sup>(١)</sup> التَّصْرِيحِ والتَّخْصِصِ بأهل البيت تعظيمٌ للنبي عليه السلام وبيانٌ لشرف أهل بيته.

\*\*\*

(٣٤) - ﴿وَأَذْكُرْتَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

لَطِيفًا خَبِيرًا﴾.

﴿وَأَذْكُرْتَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ لَمَّا وعظهنَّ بما يزكي نفوسهنَّ جمع إلى أعمال التزكية ما يحلِّي قلوبهنَّ من العلم والحكمة، فذكرهنَّ ما يُتْلَى في بيوتهنَّ من الكتاب الجامع بين الآيات الدالة على التوحيد والنُّبوة، وبين الحُكْم والشَّرَائِعِ الْمُقَنَّنَةِ <sup>(٢)</sup>.....

(١) في (ف): «ومن».

(٢) في (ف): «المتقنة».

بقوانين العدالة في مهبط الوحي ومنازل العلم والهداية، فيجب عليهنَّ أن يحفظنه ولا يغفلنَّ عنه.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ ﴿حَيْثُ حَثَّ عَلَى<sup>(١)</sup> مَا يَصْلَحُكُمْ وَيَنْفَعُكُمْ، فَأَنْزَلَ عَلَيْكُمْ وَأَخْبَرَكُمْ بِهِ، وفيه تحريضٌ على الائتمار والانتهاز.

\*\*\*

(٣٥) - ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾: الداخلين في السلم<sup>(٢)</sup>، المتقادين لحكم الله.

﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: المصدقين بما يجب أن يصدق به.

﴿وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ﴾: المداومين على الطاعة.

﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾: في نيّاتهم وأحوالهم وأعمالهم.

﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾: على الطاعات وعن المعاصي.

﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾: المتواضعين لله، المخبتين إليه بقلوبهم وجوارحهم.

﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾: بما وجب في مالهم.

﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾: الصّوم المفروض.

(١) في (ي) و(ع): «حيث على»، وفي (ف) و(م): «حيث علم».

(٢) في (م): «الداخلين في السلام»، وفي (ي): «الداخلين في المسلم»، وسقطت من (ف) و(ك).

﴿وَالْحَفِظَاتِ قُرُوجَهُمْ وَالْحَفِظَاتِ﴾ عن الحرام.  
 ﴿وَالذَّكِرَاتِ أَلَلَّهُ كَثِيرًا وَذَكَرَاتٍ﴾ بقلوبهم وألسنتهم.  
 ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً﴾ لِمَا اقترفوا مِنَ الصَّغَائِرِ التي لا يخلو الإنسان منها بحكم  
 البشرية؛ لَأَنَّهُا مَكْفُرَاتٌ ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ على الطَّاعَاتِ.  
 رُوي أَنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ عليه السلام قُلْنَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَكَرَ اللَّهُ الرِّجَالَ فِي الْقُرْآنِ  
 بِخَيْرٍ، فَمَا فِيْنَا خَيْرٌ نَذْكُرُ بِهِ؟ إِنَّا نَخَافُ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنَّا طَاعَةٌ، فَنَزَلَتْ (١).  
 وقيل: لَمَّا نَزَلَ فِيهِنَّ قَالَ نِسَاءُ الْمُسْلِمِينَ: فَمَا نَزَلَ فِيْنَا شَيْءٌ؟ فَنَزَلَتْ (٢).  
 وعطفُ الْإِنَاثِ عَلَى الذُّكُورِ ضروريٌّ؛ لكونهما صنفَيْنِ مختلفَيْنِ تحتَ جنسٍ  
 واحدٍ، فلا بُدَّ مِنْ تَوْسِيطِ (٣) الْعَاطِفِ، وَأَمَّا عَطْفُ الزَّوْجَيْنِ عَلَى الزَّوْجَيْنِ لِتَغَايُرِ  
 الْوُصْفَيْنِ فَلَيْسَ بِضَرُورِيٍّ، وَإِلَّا لَمَّا تَرَكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ﴾ [التَّحْرِيم: ٥]،  
 وَفَائِدَتُهُ الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ إِعْدَادَ (٤) الْمُعَدِّ لَهُمْ لِلْجَمْعِ بَيْنَ هَذِهِ الصِّفَاتِ (٥).

(١) روى الإمام أحمد في «مسنده» (٢٦٦٠٣) عن أم سلمة زوج النبي ﷺ، تقول: قلت للنبي ﷺ: ما  
 لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال؟ قالت: فلم يرعني منه يومئذ إلا ونداؤه على المنبر، قالت:  
 وأنا أسرح شعري، فلففت شعري، ثم خرجت إلى حجرة من حجر بيتي، فجعلت سمعي عند  
 الجريد، فإذا هو يقول عند المنبر: «يا أيها الناس، إن الله يقول في كتابه: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ  
 وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، إلى آخر الآية، ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾. ورواه بنحوه النسائي  
 في «الكبرى» (١١٣٤٠) و(١١٣٤١).

(٢) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٦ / ٣)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢٠٠ / ٨)  
 عن قتادة.

(٣) في (ف): «توسط».

(٤) في (م): «ما أعد لهم المعد لهم».

(٥) في هامش (ع) و(ف) و(م) و(ي): «فهو من باب ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾، لا من باب: ﴿فَأَنَّ =

(٣٦) - ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾.

﴿وَمَا كَانَ﴾: وما صحَّ ﴿لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ أتى بأداة الجمع دون التفريق للدلالة على أن أحد القضاءيين لا ينفك عن الآخر، فإن قضاء الله لا يظهر إلا من جهة الرسول، وقضاؤه لا يكون إلا بأمر الله.

﴿أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ وهي<sup>(١)</sup> ما يُتخير، وجمع الضمير على المعنى، فإن النكرة في سياق النفي تفيد العموم.

﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ وهذا الجمع للتعظيم؛ أي: لا يجوز لهم أن يختاروا من أمرهم شيئاً، بل يجب عليهم أن يجعلوا اختيارهم تبعاً لاختيار الله ورسوله.

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾: بين الانحراف عن الصواب.

وسبب نزوله: أنه خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش بنت عمته على مولاه زيد بن حارثة، فأبت وأبى أخوها عبد الله، فزكت، فقالا: رضينا يا رسول الله، فأنكحها إياه<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

= لِلَّهِ حُكْمُهُ، وَلِلرَّسُولِ. منه. وفيها عدا (م): «ترضوه».

(١) في (ف) و(ك): «هي».

(٢) انظر: «الكشاف» (٣/ ٥٣٩). وروى نحوه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٣٩)، والدارقطني

في «سننه» (٣/ ٣٠١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٤٧): رواه الطبراني وفيه حفص بن

سليمان وهو متروك وفيه توثيق لين. ووقع في النسخ: «فحكها»، والمثبت من «الكشاف».

(٣٧) - ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بتوفيقه للإسلام، وتوفيقك لعتيقه<sup>(١)</sup> واختصاصه.  
﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بعتيقه وتربيته، وما وفَّقك الله في حقِّه؛ يعني: زيدا.

﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ يعني: زينب، وذلك أن رسول الله ﷺ أبصرها بعد ما أنكحها إياها، ف وقعت في نفسه، فقال: سبحان الله مقلب القلوب، وسمعت زينب التَّسْبِيحَةَ فذكرتها لزيد، ففطن لذلك، وألقى الله في نفسه كراهة صحبتها، فأتى النبي ﷺ فقال: أريد أن أفارق صاحبتني، فقال: «ما لك؟ أرباك منها شيء؟»، فقال: لا والله ما رأيْتُ منها إلَّا خيراً، ولكن لشرفها تتعظَّم<sup>(٢)</sup> عليّ، فقال له: «أمسك عليك زوجك»<sup>(٣)</sup>، أمره بإمساكها.

(١) في (م): «بعتيقه».

(٢) في (ف): «تعاظم».

(٣) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣ / ١١١): غريب بهذا اللفظ. وقال ابن حجر في «الكاف الشاف» (ص: ١٣٤): ذكره الثعلبي بغير سند، وأخرج الطبري [في «تفسيره» (١٩ / ١١٦)] معناه من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قوله.

وانظر كلام القاضي عياض في الرد على أمثال هذه الأخبار في كتابه «الشفاء»، وقد نقل عن القشيري قوله: وكيف يقال: رآها فأعجبته، وهي بنت عمته، ولم يرزل يراها منذ ولدت، ولا كان النساء يحتجبن منه عليه السلام؟ وهو زوجها لزيد، وإنما جعل الله تعالى طلاق زيد لها، وتزوج النبي ﷺ إياها؛ لإزالة حرمة التَّبْنِي وإبطال سنته؛ كما قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ الآية [الأحزاب: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٧].

وزيادة ﴿عَلَيْكَ﴾ لتضمنين<sup>(١)</sup> معنى الحبس؛ أي: احبسها ولا تطلقها<sup>(٢)</sup>.  
 ﴿وَأَتَى اللَّهَ﴾ في أمرها، ولا تطلقها تعللاً بتعظيمها<sup>(٣)</sup> وتكبرها.  
 ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ من نكاحها إن طلقها زيد، وهو الذي  
 أبداه الله تعالى ﴿وَتُخْفِي النَّاسَ﴾؛ أي: قالة<sup>(٤)</sup> الناس بأنه نكح امرأة ابنه.  
 و(تخفي) عطف على ﴿تَقُولُ﴾.  
 ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ حال؛ أي: حقيقة في ذلك أن تخشى الله، أو اعتراض؛  
 أي: والله أحق أن تخشاه في كل حال.  
 ويجوز أن يكون الواو في ﴿وَتُخْفِي﴾ واو الحال على: وأنت تُخفي؛ أي: تقول:  
 أمسك مُحْفِيًّا في نفسك ما الله مبديه.  
 وكذا في ﴿وَتُخْفِي﴾ يحتمل العطف؛ أي: تجمع بين أن تقول وتُخفي وتُخشي،  
 والحال؛ أي: تخفي في نفسك خاشياً قالة<sup>(٥)</sup> الناس فيك.

= وقال أيضاً: وأصح ما في هذا ما حكاه أهل التفسير عن علي بن الحسين رضي الله عنهما: أن الله تعالى  
 كان أعلم نبيه عليه السلام أن زينب ستكون من أزواجه، فلما شكها إليه زيد قال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ  
 زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٧]، وأخفى في نفسه ما أعلمه الله تعالى به من أنه سيتزوجها مما الله  
 مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها. قلت: رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/١١٦ - ١١٧)،  
 والبيهقي في «الدلائل» (٣/٤٦٦).

(١) في (ف): «لتضمن».

(٢) في هامش (ف) و(ي): «كما في قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٤]. منه».

(٣) في (ف) و(ك) و(ي): «بتعظيمها».

(٤) في (ك): «قال».

(٥) في (ك) و(م): «مقالة»، وفي (ف): «حالة».

وليس العتابُ في الإخفاءِ وحده؛ فإنه أحسن، بل في الإخفاءِ مخافةُ قَالَةِ النَّاسِ فيه، وإظهارِ ما ينافي إضماره، فإنَّ الأولى أن يصمَّتَ فيه أو يفوض الأمر إلى رأيه<sup>(١)</sup>، حتى لا يخالف سرُّه علانيته؛ لأنَّ الأنبياء عليهم السلام كذلك.

وعن عائشة رضي الله عنها: لو كنتم رسولُ الله ﷺ ممَّا أوحى إليه لكنتم هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ إذا تعلَّقت<sup>(٣)</sup> همَّةُ الرَّجُلِ بشيءٍ وبلغ حاجته منه قيل: قضى منه وطره؛ أي: فلما لم يبقَ لزَيْدٍ فيها حاجةٌ، وطابت عنها نفسه، وطلَّقها، وانقضت عدَّتُها.

وقيل: قضاء الوطر كنايةٌ عن الطلاق نحو: لا حاجة لي فيك<sup>(٤)</sup>.

﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾، وقرئ: (زَوَّجْتُكَهَا)<sup>(٥)</sup>؛ أي: أمرنا بتزويجها منك، أو: تولَّينا تزويجها منك، ويؤيِّده أنها كانت تقول لنساء النبي عليه الصلاة والسلام:

(١) كذا في جميع النسخ، وفي «تفسير البيضاوي» (٤ / ٢٣٣): (ربُّه)، وفي «روح المعاني» (٣٢١ / ٢١): (رأي زيد).

(٢) رواه البخاري (٣٢٠٧)، والطبري في «تفسيره» (١٩ / ١١٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤ / ٤١). ولفظ البخاري: (لو كان النبي ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكنتم هذه الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٧]).

(٣) في (ك): «ابتلغت».

(٤) في (ف) و(م) و(ك) وقع قوله: «وقيل: قضاء الوطر كناية عن الطلاق نحو لا حاجة لي فيك» بعد قوله: «زواجناكها».

(٥) نسبت لعلي بن أبي طالب والحسن والحسين رضي الله عنهم. انظر: «الكشاف» (٣ / ٥٤٣)، و«المحرر الوجيز» (٤ / ٣٨٧).

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَوَلَّى إِنْكَاحِي، وَأَنْتُنَّ زَوْجُكُنَّ أَوْلِيَاؤُكُنَّ<sup>(١)</sup>.

إِلَّا أَنْ انْطَبَاقَ التَّعْلِيلِ الْآتِي ذَكَرَهُ عَلَى الْأَوَّلِ.

وقيل: كان السَّفير في خطبتها زيد<sup>(٢)</sup>، وذلك ابتلاءً عظيمًا، وشاهدٌ بينٌ على قوَّةِ

إيمانه.

﴿لَيْكُنَّ لَا يَكُونَنَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجٍ أَدْعِيَايَهُمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ تعليلٌ للتزويج، وهو دليلٌ على أَنَّ حكمه عليه الصلاة والسلام وحكم المؤمنين واحدٌ إلا ما خصَّه<sup>(٣)</sup> الدليل.

وقضاءُ الوطَر هنا كنايةٌ عن الطَّلَاق؛ لأنَّ الحكم المذكور غير مشروطٍ ببلوغ الحاجةِ منهنَّ.

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ جملة اعتراضيةٌ؛ أي: وكان أمره الذي يريدُ تكوينه مكوَّنًا لا محالة، كما كان تزويجُ زينبَ.

\*\*\*

(٣٨) - ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾.

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾؛ أي: قسم له وقدر، من قولهم: فرضَ له في الديوان كذا، ومنه فروض العسكر لأرزاقهم.

(١) روى نحوه البخاري (٧٤٢٠)، والترمذي (٣٢١٣).

(٢) رواه مسلم (١٤٢٨).

(٣) في (ف) و(ك): «خصصه».

﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾: اسمٌ موضوعٌ موضعَ المصدر، وهو مؤكِّدٌ لِمَا تقدَّمَ؛ أي: سنَّ الله سنَّةً.

﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾ في الأنبياء الماضين عليهم السلام، وهو نفْيُ الحرج عنهم فيما أباح لهم، وتوسعةٌ عليهم في باب النِّكاح وغيره، وقد كان لداود عليه السلام مئة امرأةٍ وثلاث مئة سرِّيَّة، ولسليمان عليه السلام ثلاث مئة حرَّة وسبع مئة سرِّيَّة<sup>(١)</sup>.

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾: قضاءٌ مقضياً وحكماً مقطوعاً.

\*\*\*

(٣٩) - ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾.

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾ معرور، وصفٌ لـ ﴿الَّذِينَ خَلَوْا﴾، أو نصبٌ على المدح، أو رفعٌ عليه.

﴿وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ تعريضٌ بعد التَّصريح في قوله: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾: كافياً للمخاوف، أو محاسباً للصَّغيرة والكبيرة، فيجب أن لا يُخشى حقَّ الخشية إلا منه.

(١) وقال القاضي ابن العربي في «أحكام القرآن» (٤ / ٥٥) مشيراً إلى تضعيف هذه الرواية: قفوا حيث وقف بكم البيان بالبرهان دون ما تتناقله الألسنة من غير تثقيف للنقل والله أعلم.

والذي ورد في الصحيح كما رواه البخاري (٣٤٢٤) ومسلم (١٦٥٤) عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: قال: سليمان بن داود: لأطوفنَّ اللَّيْلَةَ على سبعين امرأة، تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل، ولم تحمل شيئاً إلا واحداً، ساقطاً أحد شِقِيه.

(٤٠) - ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾؛ أي: لم يكن أبا رجلٍ منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما بين الأب وابنه من حرمة المصاهرة وغيرها.

ولا يَنْتَقِضُ عمومُه بكونه عليه السلام أبا للطاهر والطيب والقاسم وإبراهيم؛ لأنَّهم لم يبلغوا مبلغ الرجال.

قيل: ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم. ولا وجه له لِمَا ستقفُ أنَّ التأكيد بقوله: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ لا يَنْتَظِمُ معه.

ولا بكونه أبا للحسين؛ لأنَّه قُصِدَ المولودُ منه، لا وَلَدُ الولدِ.

﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾ <sup>(١)</sup> بالنصب عطفًا على ﴿أَبَا أَحَدٍ﴾.

وكلُّ نبيٍّ أبو أمته من حيث إنَّه يعلمهم ويربيهم، ويجب عليهم تعظيمه وتوقيره، وعليه شفقتهم ونصيحتهم، لا في سائر الأحكام، وزيدٌ منهم، وحكمه حكمهم فيما ذُكِرَ، لا أنَّه وَلَدٌ منه، والادِّعاء والتبني من باب الاختصاص والتَّقريب لا غير.

وقرئ: (رسول الله) بالرفع <sup>(٢)</sup> على أنَّه خبرٌ محذوفٌ؛ أي: ولكن هو رسول الله.

وقرئ: (ولكن) بالتشديد <sup>(٣)</sup> على حذف الخبر، تقديره: ولكن رسول الله من عرفتموه؛ أي: لم يعيش له وَلَدٌ ذَكَرٌ.

(١) في (م) و(ع): «ولكن كان».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٠).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٠)، وقال: عن أبي عمرو، ذكره ابن مجاهد.

﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾؛ أي: وكان خاتمَ النَّبِيِّينَ وآخرهم الذين<sup>(١)</sup> ختمهم على قراءة الكسر، أو خُتِمُوا به على قراءة الفتح<sup>(٢)</sup>، بمعنى الطَّابِع.

ولو كان له ابنٌ بالغٌ لكان نبياً؛ لِمَا رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال حين توفي إبراهيم: «لو عاش لكان نبياً»<sup>(٣)</sup>، فلم يكن هو خاتماً<sup>(٤)</sup>، فهو مؤكَّد لكونه ليس أبا أحدٍ من الرِّجال.

ولا يقدح في ذلك نزول عيسى عليه السلام، لا لأنَّه إذا نزل كان على دينه؛ لأنَّه لا ينافي استقلاله في النبوة، إنَّما ينافي استقلاله في الرِّسالة، بل لأنَّه عليه السلام كان نبياً قبله - عليه السلام - لا بعده، فلا ينافي كونه خاتماً للأنبياء على أَنَّهُ آخرهم بعثته. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ فيعلم مَنْ يليق بأن تُختم به النبوة، وكيف ينبغي شأنه.

\*\*\*

(٤١) - ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾.

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾: اذكروا الله بأصنافِ الذِّكرِ مِنَ التَّقْدِيسِ والتَّعْجِيدِ والتَّكْبِيرِ والتَّهْلِيلِ، وكلُّ ما هو أَهْلُهُ مِنْ أنواعِ الثَّنَاءِ.

\*\*\*

(١) «الذين» سقط من (ك).

(٢) قرأ عاصم بفتح التاء وباقي السبعة بكسرها. انظر: «التيسير» (ص: ١٧٩).

(٣) قال عنه النووي في «تهذيب الأسماء واللغات» (١ / ١١٦): باطلٌ وجَسارةٌ على الكلام في المغيَّبات، ومجازفةٌ وهجومٌ على عظيمِ مِنَ الرِّلات.

(٤) في (م): «خاتم».

(٤٢) - ﴿وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

﴿وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ تخصيصُ التَّسْبِيحِ بالذكرِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَذْكَارِ بَيَانٌ لِفَضْلِهِ وَاختِصَاصِهِ بِالشَّرَفِ؛ لِأَنَّ التَّزْيِيهَ أَفْضَلُ <sup>(١)</sup> الْأَذْكَارِ، مَقْدَمٌ عَلَى كُلِّ حَمْدٍ وَثَنَاءٍ.

والتَّحْقِيْدُ بِالْوَقَّتَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ لِدَلَالَتِهِ أَيْضًا؛ أَي: لِبَيَانِ فَضْلِهِمَا وَشَرَفِهِمَا؛ لَكُونِهِمَا طَرَفِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمَجْتَمَعِ الْمَلَائِكَةِ وَمُخْتَلَفَهُمَا <sup>(٢)</sup>، وَيَجُوزُ أَنْ <sup>(٣)</sup> يُرَادَ بِهِمَا الدَّوَامُ.

\*\*\*

(٤٣) - ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾: بِالرَّحْمَةِ ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾: بِالِاسْتِغْفَارِ وَالِاهْتِمَامِ بِمَا يَصْلَحُكُمْ.

وَالصَّلَاةُ الْمَشْتَرَكَةُ بَيْنَ <sup>(٤)</sup> اللَّهِ تَعَالَى وَمَلَائِكَتِهِ هِيَ إِقَامَةُ الْخَيْرَاتِ وَالْكَمَالَاتِ مِمَّا <sup>(٥)</sup> يُسَعِّدُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدَّارَيْنِ وَيَكْمُلُهُمْ، أَوْ الْعَنَاءُ بِذَلِكَ، مُسْتَعَارَةٌ مِنَ الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ شَرَفٌ وَكَمَالٌ لَهُمْ، وَلِهَذَا عَلَّلَهُ بِقَوْلِهِ:

﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾: مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي.

(١) فِي (ي) وَ(ع): «أَصْل».

(٢) فِي (ف) وَ(ك): «وَمُحْتَفِلُهُمَا».

(٣) فِي (ف) زِيَادَةٌ: «يَكُون».

(٤) فِي (ف) وَ(ك): «مِنْ».

(٥) فِي (ف) وَ(ك): «بِمَا».

﴿إِلَى النُّورِ﴾ إلى نور الإيمان والطاعات.

ولَمَّا كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ وَاسِطَةَ الْفَيْضِ كَانَ لَهُمْ مَدْخُلٌ فِي الْأُمْدَادِ النُّورِيَّةِ الْكَمَالِيَّةِ.

وقيل: هي الرَّحْمَةُ وَالرَّأْفَةُ وَالتَّعَطُّفُ الْمَعْنَوِيَّةُ اسْتُعِيرَتْ مِنَ الصَّلَاةِ الْمَشْتَمِلَةِ عَلَى الْحَنَوِّ وَالْإِنْعَاطِافِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ لِلْحَنَوِّ وَالْإِنْعَاطِافِ الصُّورِيِّ، كَانْعَاطِافِ الْعَائِدِ عَلَى الْمَرِيضِ، وَالْمَرْأَةِ عَلَى وَلَدِهَا، ثُمَّ نُقِلَ بِكَثْرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ إِلَى التَّرْحَمِ<sup>(١)</sup> وَالتَّرَوُّفِ الْمَعْنَوِيَّيْنِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ<sup>(٢)</sup>؛ أَي: تَرَحَّمْ وَتَرَأَّفْ؛ وَلِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ وَسَائِطَ الرَّحْمَةِ وَمُسْتَجَابِي الدَّعْوَةِ فِي الْإِسْتِغْفَارِ لَهُمْ نُسِبَتْ الرَّحْمَةُ إِلَيْهِمْ، كَمَا نُسِبَتْ إِلَى اللَّهِ عَلَى أَنَّ الْإِسْتِغْفَارَ تَرَحُّمٌ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ:

﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ حَيْثُ اعْتَنَى بِصَلَاحِ أَمْرِهِمْ، وَإِنَافَةً<sup>(٣)</sup> قَدَرِهِمْ، وَاسْتَعْمَلَ فِي ذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ.

\*\*\*

(٤٤) - ﴿يَحْيَتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ، سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾.

﴿يَحْيَتُهُمْ﴾ مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى الْمَفْعُولِ؛ أَي: يُحْيَوْنَ.

﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْ عِنْدَ الْمَوْتِ، أَوْ الْخُرُوجِ مِنَ الْقَبْرِ، أَوْ دُخُولِ الْجَنَّةِ.

﴿سَلَامٌ﴾ بِإِخْبَارِ السَّلَامَةِ عَنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَآفَةٍ، وَالتَّنْكِيرُ لِلتَّعْظِيمِ.

(١) فِي (ك): «إِلَى التَّرْحَمِ».

(٢) فِي (م): «ﷺ عَلَيْكَ».

(٣) فِي (ف) زَادَ: «أَمْرِهِمْ».

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ في الجنة، وتغيير النظم في ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ و﴿وَأَعَدَّ﴾ للمبالغة فيما هو أهم وأدُل على الكرامة، وللمحافظة على الفاصلة.

\*\*\*

(٤٥ - ٤٦) - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ على مَنْ بُعِثَ عليهم بقبول القول في تصديقهم وتكذيبهم، وطاعتهم ومعصيتهم، وهو حال مقدرة.

﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾؛ أي: الإقرار به وتوحيده<sup>(١)</sup> وبما يجب الإيمان به من صفاته.

﴿بِإِذْنِهِ﴾: بتيسيره، لَمَّا كَانَ التَّصَرُّفُ لِلغَيْرِ فِي حَقِّ الْمَالِكِ مُتَعَذِّرًا إِنَّمَا يَتَسَّرُ بِالِإِذْنِ، اسْتُعِيرَ الْإِذْنُ لِلتَّيْسِيرِ وَالتَّسْهِيلِ؛ إِذْنًا بِأَنْ دَعَاءَ أَهْلِ الشُّرْكِ وَالْجَاهِلِيَّةِ إِلَى التَّوْحِيدِ وَالْإِسْلَامِ أَمْرٌ صَعْبٌ مُتَعَذِّرٌ لَا يُسْتَطَاعُ<sup>(٢)</sup> إِلَّا إِذَا سَهَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَيَسَّرَهُ، وَلَا يَصِحُّ حَمْلُهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: (أَرْسَلْنَاكَ دَاعِيًا) يَغْنِي عَنِ الْإِذْنِ بِمَعْنَاهِ الْوَضْعِي.

﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ شَبَّهَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالسَّرَاجِ لَا اسْتِضَاءَةَ مَنْ تَحِيرَ<sup>(٣)</sup> فِي ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ بِنُورِهِ، وَاهْتِدَاءٍ مَنْ ضَلَّ بِضَوْئِهِ، وَلِأَنَّهُ قَدْ جَلَّى اللَّهُ تَعَالَى ظُلُمَاتِ الشُّرْكِ بِنُورِ تَوْحِيدِهِ، أَوْ نَوَّرَ الْبَصَائِرَ بِنُورِ هِدَايَتِهِ، كَمَا يَنْوِّرُ الْأَبْصَارَ بِنُورِ السَّرَاجِ.

(١) في (ف) و(ك): «بتوحيده».

(٢) في (ك): «متعذر الاستطاعة».

(٣) في (ك): «من هو».

وبولغ في وصفه بالإشارة لأن<sup>(١)</sup> من السُّرَج<sup>(٢)</sup> ما لا ينير.  
وقيل: ذا سراج منير، على أن السُّراج<sup>(٣)</sup> مستعارٌ للقرآن.

\*\*\*

(٤٧) - ﴿وَنَشَرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾.

﴿وَنَشَرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾؛ أي: عطاءً واسعاً، أو ثواباً جزيلاً، أو فضيلة<sup>(٤)</sup> على سائر الأمم.

وصفه بخمس صفات، ثم قابل كلاً منها بخطابٍ يناسبه:  
وصفه بكونه ﴿شَهِيدًا﴾ وأضمر ما يقابله بدلالة عطف ﴿بَشْرًا﴾ عليه، فإنه  
مقابل لـ ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ فيجب أن يكون معطوفاً على ما يناسب الوصف الذي عطِفَ  
عليه ﴿وَمُبَشِّرًا﴾، وهو: فراقب أمتك.

\*\*\*

(٤٨) - ﴿وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾.

وقابل ﴿وَنَذِيرًا﴾ بالنهي عن موافقة<sup>(٥)</sup> الكفار والمبالاة بهم الوارد في  
قوله: ﴿وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْنَهُمْ﴾<sup>(٦)</sup> فإن ذلك أشدُّ الانذار، كأنه

(١) في (ف): «وبولغ في وصفها لأن».

(٢) في (م): «السراج».

(٣) من قوله: «وبولغ..» إلى هنا سقط من (ي) و(ع).

(٤) في (ف) و(م): «وفضيلة».

(٥) في (ع) و(ي): «موافقة».

(٦) «ودع أذاهم» ليست في (م) و(ي) و(ع).

قال: خلّهم وشأنهم، فأنا أكفيك<sup>(١)</sup>، وذلك تهيج له عليه السلام على ما هو عليه من مخالفتهم.

وقابل ﴿داعياً إلى الله ياذنه﴾، بقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup> فإنه ميسر كل عسير.

و﴿وَسَرَاجاً مُنِيرًا﴾ بقوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾؛ أي: موكولاً إليه الأمر في الأحوال كلها؛ لأن من أناره برهاناً على جميع خلقه حقيق بأن يكتفى به عن غيره، ولا يستعان إلا به.

\*\*\*

(٤٩) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهِنَّ وَأَسْرَجُوهُنَّ سَرَاجاً جَمِيلاً﴾.  
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ النكاح: العقد.

وتخصيص ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ مع أن الحكم المذكور يستوي فيه المؤمنات والكتابيات، تعليم لما هو الأولى وتحريض عليه، فإن الأولى بالمؤمن أن يتخير لنطفته ولا يختار للنسل إلا الطيبة الطاهرة، وجاء في المائدة بيان الجواز. ومعنى التراخي في: ﴿ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ دفع لما عسى أن يتوهم أن تراخي الطلاق مدة يمكن فيها الإصابة مؤثراً<sup>(٤)</sup> في العدة كما في النسب.

(١) في (ك): «أكفيكم»، وفي (ف) و(م): «أكفيكم».

(٢) في (م) و(ي) و(ع): «ودع أذاهم وتوكل على الله».

(٣) في (م): «لكل».

(٤) في (ع) و(ي): «مؤثراً»، وفي (ف) و(ك): «مؤثرة».

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُ﴾ المساسُ <sup>(١)</sup> كنايةٌ عن الجَماعِ.

﴿فَمَالَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾: أَيَّامٌ يَتَرَبَّصْنَ فِيهَا بِأَنْفُسِهِنَّ.

﴿تَعْتَدُونَهَا﴾: تستوفونَ عددها، مِنْ عَدَدْتُ الدَّرَاهِمَ فاعْتَدَّهَا، كقولك: كِلْتُهُ فَاكْتَالَهُ، أو تَعْدُونَهَا، وَالْإِسْنَادُ إِلَى الرِّجَالِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْعِدَّةَ حَقُّ الْأَزْوَاجِ كَمَا أَشْعَرَهُ ﴿فَمَالَكُمْ﴾.

وَمَنْ قَرَأَ: (تَعْتَدُونَهَا) بِالْتَّخْفِيفِ <sup>(٢)</sup> حَذَفَ الْجَارَّ وَأَوْصَلَ الْفِعْلَ إِلَى الضَّمِيرِ بِنَفْسِهِ، كَقَوْلِهِ: وَيَوْمَ شَهِدْنَاهُ؛ أَي: شَهِدْنَا فِيهِ.

وَمَنْطُوقُهُ سَاكَتْ عَنِ الْعِدَّةِ بِمَجَرَّدِ الْخُلُوةِ الصَّحِيحَةِ، وَلَا عِبْرَةَ لِلْمَفْهُومِ، فَلَا مَانَعَ لِإِلْحَاقِ <sup>(٣)</sup> الْخُلُوةِ بِالْمَسَاسِ فِي إِجْبَابِ الْعِدَّةِ.

﴿فَتَعْتَدُوهُنَّ﴾ لِلْوُجُوبِ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَفْرُوضاً لِهِنَّ، فَإِنَّ الْمَفْرُوضَ لَهَا نَصْفُ الْمَهْرِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى الرَّاجِحِ وَالْأُولَى؛ أَي: الْقَدْرُ الْمَشْتَرَكُ بَيْنَ الْوُجُوبِ وَالنَّدْبِ، فَيَتَنَاوَلُهُمَا؛ إِذْ <sup>(٤)</sup> مَتَعَةُ الْمَفْرُوضِ لَهَا مَسْتَحَبَّةٌ، وَلَمْ تَجِبْ <sup>(٥)</sup> إِلَّا لِغَيْرِ الْمَفْرُوضِ لَهَا قَبْلُ <sup>(٦)</sup> الْمَسَاسِ مِنَ الْمَطْلَقَاتِ.

(١) فِي (ك): «الْمَس».

(٢) نَسَبْتُ لِابْنِ كَثِيرٍ، وَالرَّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ عَنْهُ مِثْلُ قِرَاءَةِ الْجُمْهُورِ بِالتَّشْدِيدِ. انْظُرْ: «الْمَخْتَصَرُ فِي شَوَازِ الْقِرَاءَاتِ» (ص: ١٢٠).

(٣) فِي (ف): «لِلْإِطْلَاق».

(٤) فِي (ك): «أَنْ». وَفِي (م): «فَيَتَنَاوَلُهَا فَإِنْ».

(٥) فِي (ك): «وَلَا تَجِبْ».

(٦) فِي (ك): «قَبْلُ قِيلَ»، وَفِي (ف): «قِيلَ قَبْلُ».

﴿وَسَرَّحُوهُنَّ﴾: أخرجوهنَّ من منازلكنَّ؛ إذ ليس لكنَّ عليهنَّ عِدَّةٌ<sup>(١)</sup>.

﴿سَرَّاحًا جَمِيلًا﴾ من غير إضرار ولا منع حق.

\*\*\*

(٥٠) - ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَبَنَاتٍ عِمَّكَ وَبَنَاتٍ عَمَّتِكَ وَبَنَاتٍ خَالَكَ وَبَنَاتٍ خَلَلَنِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾: مهورهنَّ؛ إذ المهرُ أجرٌ على البضع.

وإيتاؤها: إعطاؤها، والمعتبر فيه الالتزام كما في إعطاء الجزية، وقد نبّه على هذا من قال: إعطاؤها عاجلاً، أو فرضها<sup>(٢)</sup> وتسميتها في العقد، فإنه في حكم الإعطاء.

﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ وهي صفيّة وجويريّة، فأعتقهما وتزوّجهما. ﴿وَبَنَاتٍ عِمَّكَ وَبَنَاتٍ عَمَّتِكَ وَبَنَاتٍ خَالَكَ وَبَنَاتٍ خَلَلَنِكَ﴾ الجمع في العمّات والخالات دون العمّ والخال لنسق الكلام<sup>(٣)</sup> على وفق الواقع، كما في قرينه السابق.

(١) في (م): «منازلكنَّ أو ليس عليهنَّ عِدَّة».

(٢) في (ف) و(م): «فرضاً».

(٣) في (ك): «أنسق للكلام».

﴿الَّتِي هَاجَرَ مَعَكَ﴾ (مع) ليس للقرآن بل لوجودها فحسب، كقوله: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ [النمل: ٤٤] والتقيد المذكور للتخصيص؛ لِمَا روي عن أم هانئ أنها قالت: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه فعذرني، فأنزل الله هذه الآية، فلم أحل له لأنني لم أهاجر معه<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَمْرًا مُؤْمَنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾؛ إِنْ اتَّفَقَ<sup>(٢)</sup>، ولذلك نكرها؛ أي: رضى بالتكاح له عليه السلام بلا مهر، فالهبة المذكورة مجاز عن تملك المتعة بلا عوض، وليس معناه: إِنْ قَالَتْ: وهبت نفسي للنبي عليه السلام، حتى يتهض حجة في الخلافة المشهورة بيننا وبين الشافعي علينا أو لنا.

و﴿امْرَأَةً﴾ عطف على ﴿أَزْوَاجَكَ﴾ وما بعدها، ولا يمنعه التقيد ب﴿إِنْ﴾ الاستقبالية؛ لأن المراد بالإحلال: الإعلام بالحل؛ أي: أعلمناك حل امرأة مؤمنة، أو نصب بفعل مضمّر يدل عليه ﴿أَحْلَلْنَا﴾؛ أي: وأحللنا لك امرأة.

وقرئ: (أَنْ) بالفتح<sup>(٣)</sup> على التعليل بتقدير حذف أداته، أو على الظرف؛ أي: وقت أَنْ وَهَبَتْ، أو مدّة هبتها.

﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ شرط للشرط الأول في استيجاب الحل؛ فإن هبتها نفسها منه لا يوجب له حلّها إلا بقبوله، والإرادة المذكورة عبارة عنه، ولا

(١) رواه الترمذي (٣٢١٤)، وقال: حديث حسن، لا أعرفه إلا من هذا الوجه من حديث السدي.

قال ابن العربي في «أحكام القرآن» (٣/ ٥٨٨): وهو ضعيف جداً ولم يأت هذا الحديث من طريق صحيح يحتاج في مواضعه بها.

(٢) في (ف) و(ك): «أي اتفق»، وفي (ي): «أن اتفق».

(٣) نسبت للحسن وغيره. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٠).

وجهَ لحملها على الحقيقة؛ لأنَّ قوله: ﴿يَسْتَنْكِحَهَا﴾ يغني عن الإرادة بمعناها الوضعي<sup>(١)</sup>.

والعدول عن الخطاب إلى الغيبة بلفظ ﴿الَّتِي﴾، ثمَّ الرجوع إليه في قوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾ للإيدان بأنَّه ممَّا خُصَّ به لنبوته، وتكرُّره<sup>(٢)</sup> تقريرٌ لاستحقاق الكرامة لأجله.

و﴿خَالِصَةً﴾ مصدر مؤكَّد، كقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾؛ أي: خلص لك إحلالها خالصةً بمعنى: خلوصاً، أو حالٌ من الضمير في ﴿وَهَبْتُ﴾، أو صفةٌ مصدرٍ محذوف؛ أي: هبةٌ خالصةٌ.

وقرئ: (خالصة) بالرفع<sup>(٣)</sup>؛ أي: ذلك خلوص لك.

﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي<sup>(٤)</sup>: تلك المرأة خالصة لك من دونهم.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ من شرائط العقد، ووجوب القسم والمهر بالوطء حيث لم يُسمَّ.

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ من توسيع الأمر فيها<sup>(٥)</sup> عليهم كيف ينبغي أن يفرض عليهم<sup>(٦)</sup>.

(١) في (ف): «لمعناها الأصلي».

(٢) في (ف) و(ك): «وتكريره».

(٣) انظر: «الكشاف» (٣/ ٥٥٢).

(٤) في (ع) و(م) و(ي): «أو»، وفي (ف): «إذ».

(٥) في (ك): «فيهما»، وفي (ي) و(ع): «عليها».

(٦) العبارة في «تفسير البيضاوي» (٤/ ٢٣٦): «من توسيع الأمر فيها أنه كيف ينبغي أن يفرض عليهم».

والعدول من عبارة (الإماء) إلى ما ذكر للدلالة على أن مدار الحل على ملك اليد، ولذلك لا يتحقق الحل إذا تخلف ملك اليد عن ملك الرقبة، كما في المكاتبه.

﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرْجٌ﴾ علة لقوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾، وما بينهما اعتراض لبيان أن الفرق بينه وبين المؤمنين ليس لمجرد التوسيع عليه، كما هاهنا، بل لمعانٍ من خواص النبوة تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة، وبالعكس أخرى.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾؛ أي: لما يعسر التحرز عنه ﴿رَحِيمًا﴾ بالتوسعة في مظان<sup>(١)</sup> الحرج.

\*\*\*

(٥١) - ﴿تُرْجَى مِنْ شَاءٍ مِنْهُمْ وَتُقْوَى إِلَيْكَ مِنْ شَاءٍ وَمَنْ أَنْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدَّى أَنْ تَقْرَأَ عَمِيهِمْ وَلَا يُحِزُّكَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آيَنَّتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾.

﴿تُرْجَى﴾ بهمز وبلا همز<sup>(٢)</sup>، والمعنى واحد.

﴿مِنْ شَاءٍ مِنْهُمْ﴾: تؤخرها، وتترك مصاحبته<sup>(٣)</sup>، فلا تقسم لها.

(١) في (ف) و(ك): «مكان»، وفي (ع) و(م) و(ي): «إمكان»، والمثبت من «تفسير البيضاوي».

(٢) قرأ ابن كثير وأبو بكر وأبو عمرو وابن عامر بالهمز، وباقي السبعة بغير همز. انظر: «التيسير» (ص: ١١٩).

(٣) كذا في النسخ، وفي «تفسير البيضاوي» (٢٣٦/٤)، و«تفسير أبي السعود» (١١٠/٧)، و«روح المعاني» (٤٠٢/٢١): (مضاجعتها).

﴿وَتُؤْتِي إِلَيْكَ﴾: وتضمُّ إليك ﴿مَنْ تَشَاءُ﴾ وتضاجعها<sup>(١)</sup>، أو: تطلق مَنْ تَشَاءُ وتمسك مَنْ تَشَاءُ.

﴿وَمَنْ ابْغَيْتَ﴾: طلبت ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾: طَلَقْتَ بِالرَّجْعَةِ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ في شيءٍ مِنْ ذَلِكَ.

﴿ذَلِكَ﴾ التَّفْوِضُ إِلَى مَشِيئَتِكَ ﴿أَذْنَى﴾: أَقْرَبُ ﴿أَنْ تَقْرَأَ عَيْنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ﴾ وَيَرْضَيْنَ بِمَا أَيْتَتْهُنَّ كُلُّهُنَّ ﴿إِلَى﴾<sup>(٢)</sup> قَرَّةٍ أَعْيْنُهُنَّ، وَذَهَابِ حَزْنُهُنَّ، وَحَصُولِ رِضَاهُنَّ جَمِيعاً؛ لِأَنَّهُ حَكْمٌ كُلُّهُنَّ فِيهِ سَوَاءٌ، لَا تَفَاضُلَ بَيْنَهُنَّ فَيَتَغَايِرْنَ<sup>(٣)</sup>.

ثُمَّ إِنْ سَوَّيْتَ بَيْنَهُنَّ وَجَدَنْ ذَلِكَ تَفْضُلاً مِنْكَ، وَإِنْ رَجَحْتَ بَعْضَهُنَّ عَلَى بَعْضٍ عَلِمَنْ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَبُوحِيهِ وَتَفْوِضِهِ، فَتَطْمِئِنُّ نَفُوسُهُنَّ وَيَرْضَيْنَ وَلَا يَتَغَايِرْنَ.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ وَعَيْدُ لِمَنْ لَمْ تَرْضَ مِنْهُنَّ بِمَا دَبَّرَ<sup>(٤)</sup> اللَّهُ تَعَالَى وَفَوَّضَ إِلَى مَشِيئَتِهِ.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً﴾ بذات الصدور.

﴿حَلِيماً﴾ لا يعاجل بالعقوبة، فهو حَقِيقٌ بِأَنْ يُتَّقَى وَيُحْذَرُ.

\*\*\*

(١) في (ف) و(ك): «وتصاحبها»، والمثبت من باقي النسخ والمصادر السابقة.

(٢) في (ف): «أي».

(٣) أي: فتقع الغيرة بينهن.

(٤) في (ف): «ذكر».

(٥٢) - ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾.

﴿لَا تَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ﴾؛ أي: ذلك الجنس، وإتيان صيغة الجمع ثم إبطاله بالتعريف لعدم المفرد من لفظها، ولم يقل: (امراة)؛ لعمومها المملوكة بملك اليمين، والمراد: المملوكة بملك النكاح، بقرينة قوله: ﴿مِنْ أَزْوَاجٍ﴾.

وقرئ بالتذكير<sup>(١)</sup> لأن تأنيث الجمع غير حقيقي، وإذا جازَ بغير فصلٍ في قوله<sup>(٢)</sup>: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ [يوسف: ٣٠]، فمع الفصل أجوز.

﴿مِنْ بَعْدُ﴾: من بعد التسع؛ لأنه نصاب رسول الله ﷺ من الأزواج كما أن الأربع نصاب أمته، أو: من بعد اليوم، حتى إنه لو ماتت واحدة منهن لم يحل له نكاح أخرى.

﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾: ولا أن تستبدل بهن ﴿مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ لا بكلهن ولا ببعضهن، بأن تطلق إحداهن وتنكح أخرى مكانها؛ كرامة لهن، وجزاء على ما اخترن ورضين به، فقصر رسول الله ﷺ عليهن، وهن التسع اللاتي مات عنهن.

و﴿مِنْ﴾ في ﴿مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ هي الاستغراقية، مزيدة لتأكيد نفي التبدل من جنس الأزواج.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾: حسن الأزواج المستبدلة<sup>(٣)</sup>، وهو حال من الضمير الذي هو فاعل ﴿تَبَدَّلَ﴾؛ أي: مفروضاً إعجابك بهن، أو من المفعول الذي

(١) قرأ أبو عمرو بالتاء، وباقي السبعة بالياء. انظر: «التيسير» (ص: ١٧٩).

(٢) «قوله» سقط من (ك).

(٣) في (ك) و(ع): «المتبدلة».

هو ﴿مِنْ أَزْوَاجٍ﴾؛ لأنه في سياق النفي، فشابه المعرفة المستغرقة، ألا ترى إلى تجويزهم<sup>(١)</sup> أن يقع مبتدأ.

وعن عائشة رضي الله عنها: ما مات رسول الله ﷺ حتى أُحِلَّ له النساء<sup>(٢)</sup>؛ يعني: أن الآية قد نُسِخَتْ، ولا يخلو نسخها أن يكون إمَّا بالسُّنَّة<sup>(٣)</sup>، وإمَّا بقوله: ﴿إِنَّا أَهْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾، أو بقوله: ﴿تُرْجَى مِنْ قَشَاءٍ مِنْهُنَّ وَتُقْوَى إِلَيْكَ مِنْ﴾<sup>(٤)</sup> [الأحزاب: ٥١] على المعنى الثاني، وترتيبُ النزولِ ليس على ترتيب المصحف.

وقيل: المعنى: لا تحلُّ لك النساء من بعد الأجناس الأربعة اللَّاتي نُصِّ على إحلالهنَّ لك من الأعرابيَّات والكتابيَّات والقرائب والإماء بالنِّكاح؛ فإنَّهنَّ لا يناسبنَّ<sup>(٥)</sup> منصب النبوة وجلالته.

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ استثناء منقطع؛ لأنَّ ﴿النِّسَاءَ﴾ وإن كان في الأصل يتناول الحرائر والإماء، لكنَّ غلبَ استعماله في الأزواج، وهو المراد هاهنا على ما مرَّ بيانه.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾: حافظاً مهيمناً. وهو تحذيرٌ عن مجاوزة حدوده وتخطيِّ حلاله إلى حرامه.

\*\*\*

(١) في (ك): «تجويز».

(٢) رواه الترمذي (٣٢١٦)، والنسائي (٣٢٠٤)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) في (م) و(ي) و(ع): «بالنسبة»، وفي (ف): «بالكتاب».

(٤) في (ك): «ترجى».

(٥) في (م) و(ي) و(ع): «لا ينافي»، وصححت في هامش (ي) إلى المثبت.

(٥٣) - ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَلُّوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ لم يقل: بيت النبي؛ كيلا يسبق الوهم إلى أن المراد البيت الذي هو فيه.

﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾؛ أي: إلا بأن يؤذن لكم، أو: إلا مأذوناً لكم، ولا يجوز نصبه على الظرف؛ لأنهم قد نصُّوا على أن المصدرية لا تكون في معناه، تقول: أجيئك<sup>(١)</sup> صباح الديك وقدم الحاج، ولا يجوز: أجيئك أن يصبح<sup>(٢)</sup> الديك، ولا: أن يقدم الحاج.

﴿إِلَى طَعَامٍ﴾ متعلق بـ ﴿يُؤْذَنَ﴾؛ لأنه متضمن معنى: يُدعى<sup>(٣)</sup>؛ للدلالة على أن حكم النهي لا يرتفع بمجرد الإذن دلالة بفتح الباب ورفع الحجاب مثلاً، بل لا بدَّ معه<sup>(٤)</sup> من صريح الدعوة.

وبعضده قوله: ﴿غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ﴾: غير منتظرين إنبه: غير إدراكه، حال من فاعل ﴿لَا تَدْخُلُوا﴾، أو من المجرور في ﴿لَكُمْ﴾.

(١) في (ك): «أجئك»، وفي (م): «أجيتك»، وفي (ف): «أجليك»، وفي (ع): «أجبتك».

(٢) في (ك): «أجئك أن يصبح»، وفي (ف): «أجتتك أن يصح»، وفي (ع): «أجيتك أن يصبح».

(٣) في (ك): «يدعو».

(٤) في (ف): «له».

وقرئ بالجر<sup>(١)</sup> صفةً لـ ﴿طَعَامٍ﴾، فيكون جارياً على غير من هو له بلا إبراز الضمير، وهو غير جائز عند البصريين<sup>(٢)</sup>.

وقرئ: (إنه) بالإمالة<sup>(٣)</sup>؛ لأنه مصدرٌ أتى الطَّعامُ: إذا أدرك.

قيل: الخطابُ مخصوصٌ بقومٍ كانوا يتحَنُّون<sup>(٤)</sup> طعامَ رسولِ الله عليه السلام، فيدخلون ويقعدون<sup>(٥)</sup> منتظرين لإدراكه، وإلا لم يجز لأحد أن يدخل بيوته إلا بإذنٍ خاصٍّ.

والظاهر أن الخطاب عامٌّ لغير المحارم، وخصوصُ السَّببِ لا يصلح مخصّصاً على ما تقرّر في الأصول، نعم يكون وجهاً لتقييد<sup>(٦)</sup> الإذن بقوله: ﴿إِلَى طَعَامٍ﴾، فيندفع وهم اعتبار مفهومه<sup>(٧)</sup>.

﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا﴾ هذه الفاء للجزاء، ولا دلالة فيها للتعقيب بلا مُهَلَّةٍ، وأمّا الفاء في قوله:

﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ﴾ فللتعقيب بلا مهلة؛ للدلالة على أنه ينبغي أن يكون

(١) نسبت لابن أبي عبله. انظر: «الكشاف» (٣/ ٥٥٤)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٣٩٦).

(٢) ومذهب البصريين في ذلك وجوب إبراز الضمير بأن يقال هنا: غير ناظر أنتم، أو: غير ناظرين أنتم، ولا بأس بحذفه عند الكوفيين إذا لم يقع لبس كما هنا، والتخريج المذكور عليه. انظر: «روح المعاني» (٢١/ ٤٢١).

(٣) قراءة الكسائي. انظر: «التيسير» (ص: ٤٩).

(٤) في (م): «يتجنبون»، وفي (ف): «يحبون».

(٥) في (ف): «يقعدون»، وفي (م) و(ي) و(ع): «ويقصرون».

(٦) في (ك): «لتقييد».

(٧) نقله عنه الألوسي في «روح المعاني» (٢١/ ٤٢٣)، ثم تعقبه بقوله: وفيه بحث فتأمل.

دخولهم بعد الإذن والدَّعوة على وجهٍ يشرعوا في الأكل كما دخلوا<sup>(١)</sup>.  
ففيه تقريرٌ لِمَا أُشِيرَ إليه بقوله: ﴿غَيْرَ نَظِيرِينَ إِنَّهُ﴾ مِنَ النَّهْيِ عَنِ الدَّخُولِ لِلطَّعَامِ  
قَبْلَ إدْرَاكِهِ.

﴿فَانْتَشِرُوا﴾ فْتَفَرَّقُوا وَلَا تَمَكَّثُوا.

رُويَ عن أنس رضي الله عنه قال: أنا أعلمُ بهذه الآية؛ لَمَّا زُفَّتْ زَيْنَبُ إِلَى  
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَتْ مَعَهُ فِي الْبَيْتِ وَصْنَعٌ<sup>(٢)</sup> طَعَامٌ لِلنَّاسِ، فَأَكَلُوا وَتَفَرَّقُوا، وَبَقِيَ  
ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَحَدَّثُونَ، فَأُطَالُوا، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيَخْرُجُوا<sup>(٣)</sup> ثُمَّ رَجَعَ فَإِذَا الثَّلَاثَةُ  
جُلُوسٌ يَتَحَدَّثُونَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَدِيدَ الْحَيَاءِ، فَتَوَلَّى، فَلَمَّا رَأَوْهُ مَتَوَلِّيًا  
خَرَجُوا، فَرَجَعَ فَتَزَلَّتْ<sup>(٤)(٥)</sup>.

﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾؛ أَي: وَلَا مُسْتَأْنَسٍ<sup>(٦)</sup> بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ لِأَجْلِ الْحَدِيثِ،  
أَوْ: مُسْتَمْعِينَ حَدِيثَ أَهْلِ الْبَيْتِ. وَالْأَوَّلُ يَرْجِّحُهُ سَبَبُ التَّزْوِلِ.

عُطِفَ عَلَى ﴿نَظِيرِينَ﴾، أَوْ مَنْصُوبٌ عَلَى تَقْدِيرِ فَعْلٍ؛ أَي: وَلَا تَدْخُلُوهَا أَوْ: وَلَا  
تَمَكَّثُوا مُسْتَأْنِسِينَ.

(١) كَذَا وَقَعَتِ الْعِبَارَةُ فِي النِّسْخِ، وَعِبَارَةُ الْأَلُوسِيِّ أَحْسَنُ وَأَوْضَحُ، وَهِيَ: (... عَلَى وَجْهِ يَعْقِبُهُ الشَّرْعُ

فِي الْأَكْلِ بِلَا فَضْلٍ). انْظُرْ: «رُوحُ الْمَعَانِي» (٢١/ ٤٢٢).

(٢) فِي (ف): «وَضْعٌ».

(٣) فِي (م): «لِيُخْرِجَ».

(٤) رَوَى نَحْوُهُ الْبُخَارِيُّ (٤٧٩١)، وَمُسْلِمٌ (١٤٢٨).

(٥) فِي (ف): «فَتَرَكَ».

(٦) فِي (ك): «مُسْتَأْنَسِينَ».

﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ اللَّبَثَ ﴿كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ لتضييق<sup>(١)</sup> المنزل عليه وأهله، وإشغاله فيما لا يعنيه.

﴿فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾ تعليلٌ لمحذوفٍ دلَّ عليه المساق؛ أي: ولا يخرجكم فيستحيي منكم، ولذلك صدره بأداة التعليل، ولو كان المعنى: يستحيي من إخراجكم، لكان حقّه أن يُصدر بالواو العاطفة<sup>(٢)</sup>.

﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ لَمَّا كَانَ الْحَيَاءُ يَمْنَعُ الْحَيَّ مِنْ بَعْضِ أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ - وَإِنْ كَانَ حَقًّا - قِيلَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ؛ أي: لا يمتنع منه<sup>(٣)</sup> امتناع الحيّ، وهو مجازٌ، أو على طريقة قوله:

قلت اطبخوا لي جُبَّةً وقميصاً<sup>(٤)</sup>

يعني: إخراجكم حقًّا<sup>(٥)</sup>، فينبغي أن لا يترك حياءً، كما لم يتركه الله تعالى فأمركم بالخروج.

(١) في (ع): «لتضييق»، وفي (م): «لتضييق».

(٢) نقله عنه الآلوسي في «روح المعاني» (٢١/ ٤٢٤)، ثم تعقب ما ذهب إليه المؤلف من التقدير بقوله: وفيه انه بعد تسليم ما ذكر على تقدير المضاف.

(٣) في (ف) و(ي) و(ع): «يمتنع من».

(٤) عجز بيت نسب لجحظة في «جمهرة الأمثال» (١/ ٢٢٧)، ولأبي حامد محمد بن محمد في «لباب الآداب» للثعالبي (ص: ١٩٥)، وصدره:

قالوا اقترح لونا نجيده طيبه

والشاهد فيه أنه وضع (اطبخوا) موضع (خيطوا) لمجرد مراعاة اللفظ دون المعنى.

(٥) في (ف): «أن إخراجكم حقًّا».

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ الضَّمِيرُ لِنِسَاءِ النَّبِيِّ - عليه السلام - لدلالة ذِكْرِ البيوتِ أو دلالة الحال عليهنَّ.

﴿مَتَعَا﴾: شَيْئاً يُنْتَفَعُ بِهِ ﴿فَسَلُّوهُنَّ﴾ المتاع ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾: سِتْرٍ.  
رُوي أَنَّ عُمَرَ رضي الله عنه قال: يا رسولَ الله، يدخلُ عليك البرُّ والفاجرُ، فلو أمرتُ أمَّهاتِ المؤمنين بالحجاب، فنزلتُ<sup>(١)</sup>.

وقيل: إِنَّهُ عليه السلام كان يَطْعَمُ ومعه بعضُ أصحابه، فأصابَتْ يَدُ رجلٍ يدَ عائشة رضي الله عنها، فكَرِهَ النَّبِيُّ عليه السلام ذلك، فنزلتُ<sup>(٢)</sup>.

﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ مِنْ خَوَاطِرِ الشَّيْطَانِيَّةِ<sup>(٣)</sup>.  
﴿وَمَا كَانَ﴾: وما صحَّ ﴿لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾: أَنْ تَفْعَلُوا ما يكرهه.  
﴿وَلَا أَنْ تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبْداً﴾: مِنْ بَعْدِ وفاته أو فراقه.

وخصَّ التي لم يدخل بها؛ لِما رُوي أَنَّ أشعث بن قيس تزوَّج المستعينة في أيامِ عمر رضي الله عنه فهمَّ بَرجمها<sup>(٤)</sup>، فأخبر بأنَّه عليه السلام فارقتها<sup>(٥)</sup> قبل أن يمسَّها، فترك من غير نكير<sup>(٦)</sup>.

(١) رواه البخاري (٤٧٩٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩ / ١٦٧) عن مجاهد مرسلًا، وروى نحوه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٠ / ١٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٠٥٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٤١٩) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) في (م): «الشياطين»، وفي (ف) و(ك): «شيطانية».

(٤) في (ف) و(م): «برجمها».

(٥) في (م) زيادة: «من».

(٦) ذكره الغزالي في «الوسيط» (٢١ / ٥)، وقال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٣ / ٢٩٢): (لا أصل =

و«زاد المسير» (٦ / ٤١٧).

وإنما لم يذكر العمَّ والخال - مع شدة الاهتمام على ما دلَّ عليه في البيان ما في عدم الاكتفاء بالانفهام في حقِّ الأخ، فإنَّ ذكر ابنه يُغني عنه دلالة - لأنَّ كُرَّه ترك الاحتجاب عنهما مخافة أن يصفانها لأبنائهما<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَا يُسَآيِهَنَّ﴾ يعني: نساء المؤمنات.

﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ مِنَ الْعَبِيد وَالْإِمَاء، وقيل: مِنَ الْإِمَاءِ خَاصَّةً، وقد سبق في تفسير سورة النور.

﴿وَأَتَّقِينَ اللَّهَ﴾ فيما أُمِّرَتْ به، التفاتٌ إلى الخطاب بعد الغيبة؛ لإظهار الاعتناء بأمر الحجاب والتشديد عليهنَّ في ذلك، وأنه من باب التَّقْوَى الواجب رعايته والمحافظة عليه.

ثمَّ أَوْعَدَ على ذلك بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ سواءً عنده السرُّ والعلَنُ، لا يتفاوت عنده شيءٌ مِنَ الأحوال، فليكن عملكنَّ في الحجب أحسنَ مما كان قبل الاحتجاب<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(٥٦) - ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾: يعتنون بإظهار شرفه وتعظيم شأنه.

(١) في هامش (ي): «فيه رد لمن زعم أن ذلك لأنهما بمنزلة الوالدين. منه».

(٢) في (ك): «»، وفي (م): «فليكن عملكن في الحجب مما كان قبل الإحتجاب»، وفي (ف): «فليكن عما سبق في الحجاب أحسن مما كان قبل الإضراب».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾: اعتنوا أنتم أيضاً، فإنكم أولى بذلك، فقولوا:  
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ.

﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ قولوا: السَّلام عليك أَيُّهَا النَّبِيُّ.

والآية تدلُّ على وجوب الصَّلاة والسَّلام عليه - عليه السَّلام - في الجملة.

\*\*\*

(٥٧) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ جاز أن يكون مجازاً؛ أي: يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي، وأن يكون حقيقةً، وذكرُ الله توطئةٌ للتعظيم والاختصاص؛ أي: يؤذون رسولَ الله.

﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: أبعدهم من رحمته.

﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾: يهينهم مع الإيلام.

\*\*\*

(٥٨) - ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾: بغيرِ جنايةٍ استحقوا بها ذلك، أطلق إيذاء الله ورسوله<sup>(١)</sup>، وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات؛ لأنَّ إيذاء الله ورسوله لا يكون إلَّا بغيرِ حقٍّ، وإيذاءهم قد يكون بحقٍّ<sup>(٢)</sup>.

(١) في (ف) و(ك): «وإيذاء رسولهِ».

(٢) في (ف) و(ك): «بغيرِ حقٍّ»، وفي (ي): «بالحق».

﴿فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَنَا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾: ظاهراً.

رُويَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي نَاسٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ يُؤْذُونَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.  
وَقِيلَ: فِي أَهْلِ الْإِفْكِ، وَقِيلَ: فِي زُنَاةٍ كَانُوا يَتَّبِعُونَ<sup>(١)</sup> النَّسَاءَ وَهُنَّ كَارِهَاتُ.

\*\*\*

(٥٩) - ﴿يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ قُلُوبَ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيهِنَّ<sup>٢</sup> ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يَعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّكَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ قُلُوبَ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيهِنَّ<sup>٢</sup>﴾: يَغْطِيَنَّ  
بِهَا وَجُوهَهُنَّ وَأَعْطَاهُنَّ<sup>(٣)</sup>، وَيُرْخِيَنَّهَا عَلَى أَبْدَانِهِنَّ إِذَا بَرَزَتْ لِحَاجَةٍ.

يُقَالُ إِذَا زَالَ الثَّوبُ عَنْ وَجْهِ الْمَرْأَةِ: أَذْنَى<sup>(٣)</sup> ثَوْبَكَ عَلَى وَجْهِكَ.  
وَالْجَلْبَابُ: الْمَلْحَفَةُ وَكُلُّ مَا يُسْتَرُّ بِهِ مِنْ كِسَاءٍ وَغَيْرِهِ، وَ﴿مِنْ﴾ لِلتَّبْعِيضِ؛ لِأَنَّ  
الْمَرْأَةَ تَتَلَفَعُ بِبَعْضِهَا وَتُرْخِي بَعْضَهَا عَلَى بَدْنِهَا، أَوْ لِأَنَّ لَهَا جَلَابِيبَ.

كَانَتِ النَّسَاءُ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ يَبْرُزْنَ<sup>(٤)</sup> فِي دِرْعٍ وَخِمَارٍ كَمَا كَانَتْ عَادَتُهُنَّ  
فِي الْجَاهِلِيَّةِ، لَا فَرْقَ بَيْنَ الْحُرَّةِ وَالْأَمَةِ فِي ذَلِكَ، وَرَبَّمَا كَانَ الشَّبَابُ<sup>(٥)</sup> وَالشُّطَارُ  
يَتَعَرَّضُونَ لَهُنَّ، فَإِذَا عُوتِبُوا فِيهِ يَقُولُونَ<sup>(٦)</sup>: حَسْبُنَا أَمَةٌ، فَأَمْرٌ أَنْ يَحْتَجِبْنَ وَيُخَالِفْنَ  
بَزِيهِنَّ زِيَّ الْإِمَاءِ. فَلِذَلِكَ قَالَ:

(١) فِي (ك): «يَسْتَتَبِعُونَ».

(٢) فِي (ف) وَ(ك): «وَأَعْضَاءُهُنَّ».

(٣) فِي (ك): «أَرْخِي»، وَفِي (ي) وَ(ع): «أُذِنَ».

(٤) فِي (ف): «يَبْرُزُونَ».

(٥) فِي (ك): «كَانَتِ الْأَشْبَالُ»، وَفِي (ي) وَ(ع): «كَانَ أَشْبَانٌ».

(٦) فِي (ك): «قَالُوا».

﴿ذَلِكَ أَتَى أَنْ يُعْرِفَ﴾: يُمَيِّزَنَّ مِنَ الْإِمَاءِ وَالْقَيْنَاتِ.

﴿فَلَا يُؤْذِنَ﴾: فَلَا يُؤْذِيهِنَّ أَهْلَ الرِّبِّيةِ<sup>(١)</sup> بِالتَّعَرُّضِ لَهُنَّ بِمَا يَكْرَهُنَّ.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لِمَا سَلَفَ مِنْهُنَّ<sup>(٢)</sup> مِنَ التَّفْرِيطِ ﴿رَجِيمًا﴾ بِتَعْلِيمِ آدَابِ

المكارم.

\*\*\*

(٦٠) - ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ

لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ﴾ عَنْ نِفَاقِهِمْ.

﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: ضَعْفُ إِيْمَانٍ، أَوْ قِلَّةُ ثَبَاتٍ عَلَيْهِ، وَقِيلَ: أَهْلُ الرِّبِّيةِ

وَالْفُجُورِ وَالزُّنَاةِ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ الَّذِينَ يُرْجِفُونَ بِأَخْبَارِ الشُّوءِ عَنْ سَرَايَا رَسُولِ اللَّهِ

ﷺ، فَيَقُولُونَ: هُزِمُوا وَقُتِلُوا. وَبِالْجُمْلَةِ: مَا يَكْسِرُ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ.

وَالْإِرْجَافُ: الْإِخْبَارُ الْكَاذِبُ<sup>(٣)</sup>؛ لِأَنَّهُ مَتَزَلِّزٌ غَيْرُ ثَابِتٍ، يُقَالُ: أَرْجَفَ بِكَذَا: إِذَا

أَخْبَرَ بِهِ عَلَى غَيْرِ حَقِيقَةٍ، مِنَ الرَّجْفَةِ وَهِيَ الزَّلْزَلَةُ.

﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ الْإِغْرَاءُ: التَّحْرِيشُ، جُعِلَ مَجَازًا عَنْ قَصْدِهِمُ بِالشُّوءِ؛ أَيِ:

لِئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ عَنْ نِفَاقِهِمْ وَكَيْدِهِمْ، وَالْفَسَقَةُ عَنْ فُجُورِهِمْ، وَالْمُرْجِفُونَ

(١) فِي (ف) وَ(ي) وَ(ع): «الرَّقَبَةُ».

(٢) فِي (ف): «مِنْهُمْ».

(٣) فِي (ف): «الْكَاذِبَةُ».

عن أراجيفهم<sup>(١)</sup> = لنامرئك بأن<sup>(٢)</sup> تفعل بهم الأفاعيل التي تسوؤهم من أنواع التعذيب.

﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ عطف على ﴿لَنُغْرِبَنَّكَ﴾؛ لأنَّ النَّفْيَ مِمَّا يُجَابُ بِهِ الْقَسْمُ، ولو قيل: لئن لم يتهوها لا يجاورونك، لكان صحيحاً، وإنَّما عطف بـ ﴿ثُمَّ﴾ لأنَّ الجلاء عن الأوطان كان أعظمَ عليهم من كلِّ بلاءٍ، وأشدَّ من كلِّ ما أُصِيبُوا بِهِ مِنَ الْعَذَابِ، مُبَعَّدُ حَالِهِ عَنْ حَالِ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ؛ أَي: ثُمَّ يُفَعَّلُ بِهِمْ مَا يَضْطَرُّهُمْ إِلَى الْجَلَاءِ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَإِلَى أَنْ لَا يَسَاكُنُوا<sup>(٣)</sup> فِيهَا إِلَّا زَمَنًا قَلِيلًا ريثما يَتَهَيَّؤُونَ لِلرَّحِيلِ، وَيَسْرَحُونَ عِيَالَهُمْ مِنْهَا، وَيَرْتَحِلُونَ بِهِمْ.

\*\*\*

(٦١) - ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخِذُوا وَقْتِكُمْ قَلِيلًا﴾.

﴿مَلْعُونِينَ﴾ نصبٌ على الشَّتم<sup>(٤)</sup>، أو الحال؛ أَي: لَا يَجَاوِرُونَكَ إِلَّا مَلْعُونِينَ، فَالِاسْتِثْنَاءُ شَامِلٌ لَهُ أَيْضاً؛ أَي: لَا يَجَاوِرُونَكَ إِلَّا مَلْعُونِينَ.

وَلَا يَجُوزُ انْتِصَابُهُ بِـ ﴿أَخِذُوا﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَيْنَمَا ثَقِفُوا﴾: وَجَدُوا ﴿أَخِذُوا وَقْتِكُمْ قَلِيلًا﴾ لِأَنَّ مَا بَعْدَ كَلِمَةِ الشَّرْطِ لَا يَعْمَلُ فِيهَا قَبْلُهَا.

والتَّشْدِيدُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّكْثِيرِ، وَكَذَا التَّنْكِيرُ.

\*\*\*

(١) فِي (ف) وَ(ك): «إِرْجَافُهُمْ».

(٢) فِي (ف): «أَنْ».

(٣) فِي (م): «يَسَاكُنُوا».

(٤) فِي (م): «الذَّم».

(٦٢) ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا﴾ مصدرٌ مؤكَّد؛ أي: سنَّ الله في الأنبياء الذين مضوا ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ ذلك سنة<sup>(١)</sup>، وهو الأخذُ والتَّقَتيلُ في الذين نافقوا وأفسدوا. ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ لأنَّه تعالى لم يبدِّلها، ولا يقدر أحدٌ على تبديلها.

\*\*\*

(٦٣) ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ

قَرِيبًا﴾.

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾: عن وقتِ قيامها، كان المشركون يسألون رسولَ الله ﷺ عنها<sup>(٢)</sup> استعجالاً على سبيل الهزء والإنكار، واليهود<sup>(٣)</sup> امتحاناً؛ لأنَّ الله تعالى عمى وقتها<sup>(٤)</sup> في التوراة وفي جميع كتبه.

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ لم يُطْلِعْ عليها<sup>(٥)</sup> أحدُ الأنبياء ولا ملكاً.

ثمَّ بيَّنَ لرسولِ الله ﷺ بقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ أنَّها قريبة الوقوع؛ تهديداً<sup>(٦)</sup> للمستعجلين، وإسكاتاً للممتحنين.

وتذكيراً ﴿قَرِيبًا﴾ على تأويل الشيء، أو اليوم، أو الزَّمان، ويجوز انتصابه على الظرف، أو في زمانٍ قريب.

(١) في (ف) و(م): «سنة الله».

(٢) «عنها» من (ك)، وفي (ي): «عنه».

(٣) في (ك) كتب بالهامش: «وأهل الكتاب».

(٤) في (ك): «أخفاها».

(٥) في (ك) و(م): «عليه».

(٦) في (ك): «تهديد».

(٦٤) - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾: ناراً مسعرة شديدة الإيقاد.

\*\*\*

(٦٥) - ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلْيَةً وَلَا نَصِيرًا﴾.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلْيَةً وَلَا نَصِيرًا﴾: يدفع العذاب عنهم.

\*\*\*

(٦٦) - ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾.

﴿يَوْمَ﴾: ظرف لـ ﴿يَقُولُونَ﴾، أو نصب بـ (اذكر) و ﴿يَقُولُونَ﴾ حال.

﴿تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ كما يقلب اللحم عند الشّي، أو من<sup>(١)</sup> حال إلى حال وهيئة إلى هيئة<sup>(٢)</sup>.

وخصّت الوجوه بالذكر لأنها أشرف أعضاء الإنسان وأعزها، أو عبر بها عن الجملة.

وقرئ: (تَقَلَّبُ) بمعنى: تتقلب<sup>(٣)</sup>.

﴿يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾: فلن نبتلى بهذا العذاب.

وزيادة الألف في ﴿الرَّسُولَ﴾، و﴿السَّبِيلَ﴾ لإطلاق الصّوت، جُعِلَتْ

(١) في (ف): «ومن حال»، وفي (ي) و(ع): «أو» وسقطت «من».

(٢) في (ف): «وهيئة إلى هيئة».

(٣) نسبت للحسن وعيسى وأبي جعفر الرؤاسي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٠).

فواصل الآي كقرائن السَّجْع وقوافي الشُّعر، وفائدتها الوقف، والدَّلالة على أنَّ الكلام قد انقطع<sup>(١)</sup>، وأنَّ ما بعده مستأنف.

\*\*\*

(٦٧) - ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ﴾.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾ يعنون رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم. وقرئ: ﴿سَادَاتِنَا﴾ على جمع الجمع<sup>(٢)</sup>؛ للدلالة على الكفرة. ﴿فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ﴾ بما زينوا لنا.

\*\*\*

(٦٨) - ﴿رَبَّنَا اتِّخَذْتُمْ ضُعَفَيْنَا مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾.

﴿رَبَّنَا اتِّخَذْتُمْ ضُعَفَيْنَا﴾؛ أي: مثلي ما آتيتنا<sup>(٣)</sup> ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ لضلالهم وإضلالهم لنا.

﴿وَالْعَنْتُمْ لَعْنًا كَثِيرًا﴾: كثير العدد، وقرئ بالباء<sup>(٤)</sup>؛ أي: لعناً هو أشدُّ اللعن وأعظمه.

\*\*\*

(٦٩) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ

وَجْهًا﴾.

(١) في (ك): «قد تم».

(٢) قرأ بها ابن عامر. انظر: «التيسير» (ص: ١٧٩).

(٣) في (ف): «أو تينا».

(٤) قراءة عاصم، وباقي السبعة بالشاء. انظر: «التيسير» (ص: ١٧٩).

﴿يَتَّيْنَاهُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾ فاستحقوا العذاب في العُقبى .  
﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ في حقه .

لَمَّا أَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى بَرَاءَتَهُ عَلَيْهِ السَّلَامَ مِمَّا قَذَفُوهُ بِهِ انْقَطَعَ كَلِمَاتُهُمْ فِيهِ، فَبَرَأَ عَلَيْهِ السَّلَامَ مِنْ قَوْلِهِمْ، فَحَصَلَ لَهُمُ الْخَجَالَةُ فِي الدُّنْيَا بِظُهُورِ كَذِبِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ عَلَى رَسُولِهِمْ، وَذَلِكَ مَا مَرَّ فِي (الْقَصَصِ) مِنْ تَحْرِيطِ قَارُونَ امْرَأَةً عَلَى قَذْفِهِ بِنَفْسِهَا، أَوْ اتِّهَامِهِمْ إِيَّاهُ بِقَتْلِ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَأَحْيَاهُ اللَّهُ تَعَالَى فَأَخْبَرَ بِبَرَاءَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامَ، أَوْ قَرْفُوهُ <sup>(١)</sup> بَعِيبٍ فِي بَدَنِهِ مِنْ بَرَصٍ أَوْ أَدْرَةٍ؛ لِفَرْطِ تَسْتَرِهِ حَيَاءً، فَأُطْلِعَهُمُ اللَّهُ عَلَى أَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْهُ <sup>(٢)</sup>.

﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾: ذَا جَاهٍ <sup>(٣)</sup> وَمَنْزِلَةٍ، فَلِذَلِكَ كَانَ يَدْفَعُ عَنْهُ التُّهَمَ <sup>(٤)</sup> وَيَحَافِظُ عَلَى مَاءِ وَجْهِهِ بِصَوْنِهِ عَنْ كُلِّ وَصْمٍ <sup>(٥)</sup> وَنَقِصَةٍ .  
وَقَرَأَ: (عَبْدًا لِلَّهِ وَجِيهًا) <sup>(٦)</sup>.

\*\*\*

(١) فِي هَامِش (ي): «قَرَفْتُ الرَّجُلَ؛ أَي: عَبْتُهُ، وَفُلَانٌ يُقَرَفُ بِكَذَا؛ أَي: يُرْمَى بِهِ». وَانْظُر: «الصَّحَاحُ» (مَادَّة: قَرَف).

(٢) فِي هَامِش (ف) وَ(ع) وَ(ي): «فَلَا حَاجَةَ إِلَى التَّأْوِيلِ، لَا فِي بَرِيٍّ وَلَا فِي مَا قَالُوا، كَمَا تَوَهَّمَهُ مَنْ قَالَ: فَأُظْهِرَ بَرَاءَتَهُ مِنْ مَضمُونِ مَقُولِهِمْ. مِنْهُ».

(٣) فِي (ك): «وَجَاهَةٌ».

(٤) فِي النِّسْخِ: «الْهَمَّ»، وَالْمُثْبِتُ مِنْ «الْكَشَافِ» (٥٦٣/٣).

(٥) فِي (ف): «وَضَمَّ».

(٦) نَسَبْتُ لِابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالْأَعْمَشُ وَأَبِي حَيَّوَةَ. انْظُر: «الْمَخْتَصَرُ فِي شَوَازِ الْقِرَاءَاتِ» (ص: ١٢٠)، وَ«الْمَحْتَسَبُ» (١٨٥/٢)، وَ«الْكَشَافُ» (٥٦٣/٣).

(٧٠) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ارتكاب ما يكرهه فضلاً عن إيذاء<sup>(١)</sup> رسوله.  
﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ السَّدَادُ: الْقَصْدُ إِلَى الْحَقِّ، يُقَالُ: سَدَّدَ السَّهْمَ نَحْوَ الرَّمِيَّةِ،  
إِذَا لَمْ يَعْدِلْ بِهِ عَنْ سَمْتِهَا.

قَرَّرَ النَّهْيَ بِالْأَمْرِ بِالْقَوْلِ السَّدِيدِ الْحَقِّ، وَحَفَظَ اللِّسَانَ عَنِ الْكَذِبِ وَالْغِيَةِ  
وَالرِّيْبَةِ؛ لِيَتَعَاضَدَ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ مَتْرَادِفَيْنِ عَلَيْهِمْ، مَعَ إِتْبَاعِ النَّهْيِ الْوَعْدَ الشَّدِيدِ فِي  
ضَمْنِ قِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِتْبَاعِ الْأَمْرِ الْوَعْدَ الْبَلِيغِ، فَيَتَقَوَّى الصَّارِفُ عَنِ  
الشَّرِّ وَالْأَذَى بِالْدَّاعِي إِلَى الْخَيْرِ وَالتَّقَى، وَأَفْرَدَ الْقَوْلَ السَّدِيدَ بِالذِّكْرِ وَإِنْ كَانَ دَاخِلًا  
فِي التَّقْوَى؛ لِأَنَّهُ اجْتَنَابٌ عَنْ<sup>(٢)</sup> رَذِيلَةِ الْكَذِبِ<sup>(٣)</sup> لِفَضْلِهِ كَأَنَّهُ جَنْسٌ بِرَأْسِهِ، كَمَا خُصَّ  
جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَيْنِ الْمَلَائِكَةِ<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(٧١) - ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا  
عَظِيمًا﴾.

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ بِالْقَبُولِ وَالْإِثَابَةِ عَلَيْهَا، وَذَلِكَ بِالتَّوْفِيقِ لِمَصَالِحِ  
الْأَعْمَالِ<sup>(٥)</sup>.

(١) فِي (ف): «عَنْ يُوْذِي»، وَفِي (ي): «مِمَّا يُوْذِي»، وَفِي (ع): «عَمَّا يُوْذِي».

(٢) فِي (ك): «مَنْ».

(٣) فِي (ف): «الْكَفَر».

(٤) مِنْ قَوْلِهِ: «قَرَّرَ النَّهْيَ بِالْأَمْرِ...» إِلَى هُنَا وَقَعَ فِي (ف) وَ(ك) بَعْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾.

(٥) بَعْدَهَا فِي (ف) وَ(ك): «لَا نَهْيٌ عَنِ الْقَوْلِ الْمُؤْذِي لِرَسُولِ اللَّهِ».

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ ويجعلها مكفرةً باستقامتكم في القول والعمل .  
 ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في الأوامر والنواهي ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ عاش في  
 الدنيا حميداً، وفي الآخرة سعيداً.

\*\*\*

(٧٢) - ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾  
 الإشفاق: خوفٌ مع اعتناء.

﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ تقريرٌ للوعد السابق بتعظيم الطاعة، فإنه لما علّق الفوزَ العظيم بها أراد أن يقرّر أنّه حقٌّ لها باستعارة الأمانة لها؛ لأنها واجبةُ الأداء كالأمانة، وهي أنها من عظمها بحيث لو عُرِضَتْ على هذه الأجرام العظام مع إحكامها وقوتها وكانت شاعرةً لأبت أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان مع ضعف بنيته<sup>(١)</sup> ورخاوة قوته، فجدير بالقائم بحقوقها والمراعي لها أن يفوز بخير الدارين، وسعادة المنزلين، وحق<sup>(٢)</sup> لمن أضاع حقوقها وخانها أن يرهق بأشدّ العذاب، ويؤوب شرّ المآب.

﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ حيث لم يراعِ حقوقها، ولم يؤدّها، ولم يف بها.  
 ﴿جَهُولًا﴾ حيث لم يعرف عظم قدرها وفخامة شأنها، فلم يؤدّها، وهذا حكمٌ على الجنس بحسب الأغلب.

(١) في (ف): «بنية».

(٢) وقع في (م) سقط لوحة، وهي من قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ إلى هنا.

ووجه آخر، وهو أن يراد بالطاعة: الانقياد لأمر الله تعالى مطلقاً، بحيث يشتمل الاختياري والطبيعي.

وبعرضها: استدعاؤها الذي يعمُّ إرادة صدور ما خلقت هذه الأجرام لها عليها<sup>(١)</sup>، وطلب ما خلق الإنسان له منه<sup>(٢)</sup>.

وبحملها: الامتناع من أدائها والخيانة فيها.

يُقال: حمل الأمانة واحتملها: إذا لم يؤدّها إلى صاحبها فيخرج من<sup>(٣)</sup> عهدها وتزول عن ذمّته؛ لأنّ الأمانة إذا كانت عليه كانت كأنّها<sup>(٤)</sup> رابطة له وهو حاملها، كما يُقال: ركبته الديون، فإذا أداها لم تبقى رابطة له، ولا يكون هو حاملها.

وبإبائها حملها<sup>(٥)</sup>: إتيانها بما أراد الله تعالى منها طوعاً وانقياداً.

وبإشفاقها: موافقتها لأمر الله وامتناعها من مخالفته.

على أنّها مجازاتٌ، فيكون المعنى: أنّ هذه الأجرام مع عظمها وقوتها لم تمتنع من طاعتنا، وانقادت لِمَا أمرناها به، وأدّت أمانتنا (ولم تخن، وأذعنّت لِمَا أردنا منها، كقوله: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

وأما الإنسان مع كونه عاقلاً لِمَا يوجب<sup>(٦)</sup> طاعتنا، فحاله بخلاف ذلك،

(١) في (م): «عنها».

(٢) عبارة البيضاوي: (استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وإرادة صدوره من غيره).

(٣) في (ف): «عن».

(٤) «كأنها» سقط من (ك).

(٥) في (ي) و(ع): «حاملها».

(٦) في (ك): «عالماً بوجوب»، وفي (ف): «عاقلاً لما بوجوب».

فإنه حمل الأمانة ولم يؤدّها؛ أي: عصانا<sup>(١)</sup> ولم يطع.

﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ لأنه لم يؤدّ حقنا وأمانتنا، ولم يفِ بعهدنا وخاننا ﴿جَهُولًا﴾  
بوخامة عاقبته. ولام التعليل للعاقبة؛ لأنّ التعذيب يعقب حمل الأمانة.

ويجوز أن يُراد بالأمانة: العقل، وما يلزمه من التكليف.

وبعرضها عليهنّ: اعتبارها بالإضافة إلى استعدادهنّ.

وبإبائهنّ: الإباء الطبعي، الذي هو عدم اللياقة والاستعداد.

وبحمل الإنسان: قابليته واستعداده لها، وكونه<sup>(٢)</sup> ظلوماً جهولاً لما غلب عليه  
من القوة الغضبية والشهوية، وعلى هذا يحسن أن يكون علّة للحمل عليه، فإنّ من  
فوائد العقل أن يكون مهيمناً على القوتين، حافظاً لهما عن التعدي ومجاوزه الحدّ،  
ومعظم المقصود من التكليف: تعديلهما وكسر سورتهما.

\*\*\*

(٧٣) - ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ  
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى  
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ تعليل للحمل من حيث إنه نتيجه<sup>(٣)</sup>؛ كالتأديب للضرب،  
في: ضربته تأديباً.

(١) من قوله: «لما يوجب طاعتنا. . .» إلى هنا سقط من (م) و(ي) و(ع).

(٢) في (ف) و(ك): «بكونه».

(٣) في (ع) و(ي): «نتيجة»، وفي (م): «يتجه»، وفي (ف): «ينتخبه». والمثبت من (ك)، وهو الموافق  
لما في «تفسير البيضاوي».

وَذَكِّرُ التَّوْبَةَ فِي الْوَعْدِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ كَوْنَهُ ظُلُومًا جَهُولًا فِي جِبَلَّتِهِ لَا يَكَادُ يَخْلُو<sup>(١)</sup>  
عن شيءٍ منه.

وقرى: (ويتوبُ) بالرَّفْعِ<sup>(٢)</sup>، على أَنَّ الْعَلَّةَ قَاصِرَةٌ عَلَى فِعْلِ الْحَامِلِ،  
(ويتوبُ اللهُ) ابتداءً كلامٍ.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ حَيْثُ تَابَ عَلَى فِرْطَاتِهِ.

﴿رَحِيمًا﴾ حَيْثُ أَثَابَ عَلَى طَاعَاتِهِ.

\*\*\*

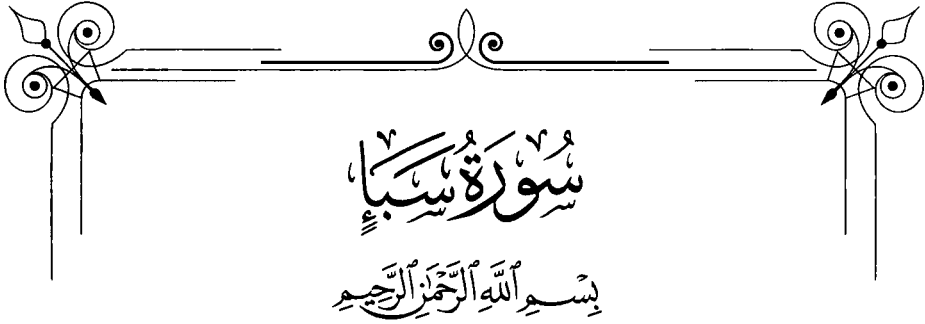
(١) في (ي) و(ع): «ينج».

(٢) نسبت للأعمش. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٠).



# سُورَةُ تِسْبَا





(١) - ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ قد سبق أن في وصف المحمود بعد إثبات الحمد له إشعاراً بأنه موجبٌ لاستحقاقه للحمد، فالمعنى أنه تعالى حقيقٌ بالحمد لأجل إنعامه بجميع النعم الدنيوية، ولهذا عطفَ عليه بقوله:

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ - الحمدُ على النعم الأخروية - عطفَ المقيد على المقيد؛ أي: إنه المحمودُ على نِعَمِ الدنيا في الدنيا، وعلى نِعَمِ الآخرة في الآخرة، وتقديمُ الصلة للاختصاص بكون النعم الأخروية منه تعالى بلا واسطة، وأمّا نِعَمُ الدنيا فقد تكون بواسطة مَنْ يستحقُّ الحمد أيضاً؛ لتسببه لها.

والفرق بين الحمدَيْن: بأنَّ الأولَ منهما واجبٌ دون الثاني؛ لأنه على نعمةٍ واجبةٍ الإيصال إلى مستحقِّها لا يتمشَّى على أصل أهل السنة، وذلك ظاهر، ولا على أهل<sup>(١)</sup> الاعتزال؛ لأنَّهم لا يُنكِرُونَ التفضُّل<sup>(٢)</sup> في الآخرة، غايته<sup>(٣)</sup> أنَّهم لا

(١) في (ف) و(ك): «أصل».

(٢) في (ف) و(ك): «التفضيل».

(٣) في (ف): «على».

يُوافِقُونَا فِي كَوْنِ الْكُلِّ تَفْضُّلاً<sup>(١)</sup>، وَوَجُوبُهُ بِحُكْمِ الْوَعْدِ لَا يَنَافِيهِ؛ لِأَنَّ الْوَعْدَ مِنْهُ تَعَالَى مَعَ عَدَمِ شَمُولِهِ لِأَنْوَاعِ النَّعْمِ الْآخِرَوِيَّةِ فَضْلاً عَنْ أَفْرَادِهَا، كَانَ تَفْضُّلاً، وَمَا يَجِبُ بِحُكْمِ التَّفْضُّلِ لَا يَخْرُجُ عَنْ حَدِّهِ، عَلَى أَنَّهُ لَا يَتَّبِتُ بِهِ الْاسْتِحْقَاقُ، فَلَا يَجْدِي نَفْعاً فِي دَفْعِ الْخَلَلِ، فَتَأَمَّلْ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ فِي أَفْعَالِهِ، الْمَصِيبُ فِي أَقْوَالِهِ ﴿الْخَيْرُ﴾ بِمَا فِي الضَّمَائِرِ مِنَ السَّرَائِرِ، فَهُمَا لِلْإِذَانِ بِأَنَّهُ تَعَالَى كَمَا يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ لِأَنَّهُ مُنْعِمٌ يَسْتَحِقُّهُ لِأَنَّهُ مَنْعُوتٌ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَأَنَّ إِنْعَامَهُ عَلَى وَجْهِ الْحِكْمَةِ وَالصَّوَابِ، وَعَنْ عِلْمٍ بِوَضْعِ الْاسْتِحْقَاقِ وَالْاسْتِجَابِ.

ثُمَّ فَصَّلَ عِلْمَهُ وَحِكْمَتَهُ بَعْدَ الْإِجْمَالِ بِقَوْلِهِ:

(٢) - ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْعَفُورُ﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾: مِنْ مَاءِ الْمَطَرِ وَعُرُوقِ النَّبَاتِ وَأَصُولِ الْأَشْجَارِ، وَأَمَّا الْكُنُوزُ وَالْذَفَائِنُ وَالْأَمْوَاتُ فَمِمَّا يُوضَعُ<sup>(٣)</sup> فِيهَا، لَا مِمَّا يَلِجُ فِيهَا، وَالْوُلُوجُ: الدَّخُولُ فِي الْمَضِيقِ<sup>(٤)</sup>.

﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾: مِنْ مِيَاهِ الْعَيُونِ وَالنَّبَاتِ وَالْأَشْجَارِ وَحَشَرَاتِ الْأَرْضِ، وَأَمَّا الْفَلَزَاتُ فَمِمَّا يُخْرَجُ لَا مِمَّا يَخْرُجُ.

(١) فِي (ف): «تَفْضِيلاً».

(٢) فِي (م): «فَقَالَ»، وَسَقَطَتْ مِنْ (ع) وَ(ي).

(٣) بَعْدَهَا فِي (ف) وَ(ك): «النَّاسِ».

(٤) فِي (ك): «مَضِيقٌ».

﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾: مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَقَطَرَاتِ الْأَمْطَارِ وَالصَّوَاعِقِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ.

﴿وَمَا يَرْجُحُ فِيهَا﴾: مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَبْخَرَةِ وَالْأَدْخَنَةِ وَغَيْرِهَا، وَتَعْدِيَةُ ﴿يَرْجُحُ﴾<sup>(١)</sup> بـ (في)، يُقَالُ: عَرَجَ فِي الدَّرَجَةِ، إِذَا ارْتَقَى.

﴿وَهُوَ﴾ مع وفورِ هذه النِّعَمِ وسبوغِها ﴿الرَّحِيمُ﴾ بِالنِّعَمِ الدِّينِيَّةِ؛ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ وَالْهَدَايَةِ ﴿الْغَفُورُ﴾ لِلْمُفْرَطِينَ فِي أَدَاءِ مُوجِبِ<sup>(٢)</sup> شُكْرِهَا، عَقَّبَهُ بِهِذِينَ الْوَصْفَيْنِ تَتِمِيمًا لِلْمَقْصُودِ، يَعْنِي أَنَّهُ تَعَالَى مَعَ أَنَّهُ أَوْلَاهُمْ بِتِلْكَ النِّعَمِ وَشَهِدَ مِنْهُمْ ذَلِكَ التَّقْصِيرَ، يَزِيدُ فِي تِلْكَ النِّعْمَةِ، وَيَغْفِرُ لَهُمْ ذَلِكَ التَّفْرِيطَ.

\*\*\*

(٣) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْزِبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ النَّفْيُ إِمَّا إنْكَارًا، وَإِمَّا اسْتِبْطَاءً لِلْمَوْعُودِ وَاسْتَهْزَاءً وَسُخْرِيَّةً، كَقَوْلِهِمْ: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ [يونس: ٤٨].

﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ رَدُّ لِقَوْلِهِمْ، وَإِثْبَاتُ لِمَا نَفَوْهُ بِمَا هُوَ الْغَايَةُ فِي الْمُبَالَغَةِ بِتَكَرُّرِ<sup>(٣)</sup> الْإِيجَابِ مَعَ التَّأْكِيدِ الْقَسَمِيِّ، وَإِتْبَاعِ الْمَقْسُومِ بِهِ بِالْوَصْفِ الْمَقْرَّرِ لَوْقُوعِهِ، وَالتَّعْلِيلِ الْمَوْجِبِ لثَبُوتِهِ<sup>(٤)</sup>.

(١) في (م): «عرج».

(٢) في (ف) و(ك): «الواجب».

(٣) في (ف) و(ك): «بتكرير».

(٤) في (ك) و(م): «لثبوت».

وقرى: (ليأتينكم) بالياء التحتانية<sup>(١)</sup>؛ على أَنَّ الساعةَ بمعنى اليوم، أو على أَنَّ الفاعل: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾؛ أي: ليأتينكم أمره، وعلى الأول كان المذكور رفعاً على المدح؛ أي: هو عالمُ الغيب، أو: مبتدأ، خبره: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾.

وقرى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ﴾ بالجَرِّ، صفةٌ لـ (رَبِّي)، و(عَلَامُ الْغُيُوبِ)<sup>(٢)</sup>؛ للمبالغة. و﴿لَا يَعْزُبُ﴾ بضم الزاي وكسر ها<sup>(٣)</sup>؛ من العُزُوب، وهو البُعْدُ. ﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾: مقدارٌ أصغرُ نملةٍ<sup>(٤)</sup>.

﴿فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغُرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾ جملةٌ مؤكدةٌ لنفي العزوب، ورفعُهما على الابتداء، ويؤيده القراءةُ بالفتح فيهما<sup>(٥)</sup>، على نفي الجنس، كقوله: لا حول ولا قوة، بالرفع والنصب.

والاستثناء في قوله: ﴿وَلَا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ - أي: اللوح المحفوظ<sup>(٦)</sup> - يأبى عطفَ المرفوعِ على ﴿مِثْقَالٍ﴾ والمنصوبِ على ﴿ذَرَّةٍ﴾ على أَنَّ فتحه لامتناع

(١) نسبت لطلق - أو طلق - عن بعض أشياخه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢١)، و«المحتسب» (١٨٦/٢).

(٢) قرأ ﴿عَلِمَ﴾ بالرفع نافع وابن عامر، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿عَلَامٌ﴾ بصيغة المبالغة والجبر، وباقي السبعة: ﴿عَالِمٌ﴾ بالكسر، وفيها جميعاً: ﴿الْغَيْبِ﴾ بالإنفراد. انظر: «التيسير» (ص: ١٨٠). وذكر الزمخشري: (عالمُ الغيوب) بالرفع على المدح. انظر: «الكشاف» (٥٦٨/٣).

(٣) قرأ بالكسر الكسائي، وقرأ الباقون بالرفع. انظر: «التيسير» (ص: ١٢٢). وكلمة: «الزاي» تحرفت في النسخ عدا (ك) إلى: «الراء».

(٤) في (ك): «أنملة».

(٥) نسبت للأعمش وقتادة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢١).

(٦) سقط من (ف) و(ك).

الصَّرف، إِلَّا أَنْ يُجْعَلَ الضَّمِيرُ فِي ﴿عَنَّهُ﴾ لِلْغَيْبِ، وَيُجْعَلَ الْمَثْبُتُ فِي اللُّوحِ بَارِزاً  
عَنِ الْغَيْبِ مَشْهُوداً لِلْمَلَأِ الْأَعْلَى، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ، وَلَا يُسَاعِدُهُ الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى  
الْغَيْبِي إِذَا أُبْرِزَ إِلَى الشَّهَادَةِ<sup>(١)</sup> لَمْ يَعْزُبْ عَنْهُ، بَلْ بَقِيَ فِي الْغَيْبِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مَعَ  
بُرُوزِهِ، فَهِيَ جُمْلَةٌ مُسْتَقَلَّةٌ، وَالْوَاوُ عَاطِفَةٌ لِلْجُمْلَةِ عَلَى الْجُمْلَةِ؛ لِتَنَاسُبِهِمَا فِي بَيَانِ  
عِلْمِهِ تَعَالَى لَا بِالْغَيْبِ.

\*\*\*

(٤) - ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾  
﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ تَعْلِيلٌ لِقَوْلِهِ: ﴿لَتَأْتِيََنَّكُمْ﴾  
﴿أُولَئِكَ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ إِذَا لَا تَعَبَ فِيهِ وَلَا مَنْ عَلَيْهِ.

\*\*\*

(٥) - ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا ءَايَتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٌ﴾  
﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا ءَايَتِنَا﴾ بِالْإِبْطَالِ وَتَرْهِيدِ النَّاسِ فِيهَا.  
﴿مُعْجِزِينَ﴾: مُسَابِقِينَ؛ لِيَفُوتُونَا، وَقُرئ: ﴿مُعْجِزِينَ﴾<sup>(٢)</sup>؛ أَي: مُثَبِّطِينَ النَّاسَ  
عَنْ قَبُولِهَا.

﴿أُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ﴾ الرَّجْزُ: سُوءُ الْعَذَابِ.  
﴿أَلِيمٌ﴾: مُؤْلِمٌ، قُرئ: بِالرَّفْعِ وَالْجَرِّ<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) فِي (ك): «لِلشَّهَادَةِ».

(٢) قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو. انْظُرْ: «التَّيْسِيرُ» (ص: ١٥٨).

(٣) قَرَأَ بِالرَّفْعِ ابْنُ كَثِيرٍ وَحَفْصٌ وَبَاقِي السَّبْعَةِ بِالْجَرِّ. انْظُرْ: «التَّيْسِيرُ» (ص: ١٨٠).

(٦) - ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ أي: ويعلم أولو<sup>(١)</sup> العلم من أصحاب رسول الله ﷺ ومن تابعهم من أمته، أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا؛ كعبد الله بن سلام وكعب الأحرار وأضرابهما.

﴿الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ القرآن ﴿هُوَ الْحَقَّ﴾ مفعولان لـ ﴿يَرَى﴾، و﴿هُوَ﴾ فصل<sup>(٢)</sup>، ومن رفع (الحق)<sup>(٣)</sup> جعله مبتدأ، و(الحق) خبراً، والجملة في موضع المفعول الثاني لـ ﴿وَيَرَى﴾ وهو في محلّ الرفع على أنه كلام مستأنف للاستشهاد بأولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات.

وقيل: في محلّ النصب عطفاً على ﴿لَيَجْزِيكَ﴾؛ أي: ليعلم العلماء عند مجيء الساعة أنه الحق عياناً كما علموا<sup>(٤)</sup> الآن برهاناً، فيحتجوا به على المكذبين الساعين، أو: ليعلم علماء أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا حينئذ أنه الحق؛ فيزدادوا حسرةً وغماً.

﴿وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ الذي هو التوحيد والتدريج بلباس التقوى.

\*\*\*

(١) في (ف) و(م): «الذين أوتوا».

(٢) في (ع) و(ي): «أفضل».

(٣) حكاها أبو معاذ، ونسبت لابن أبي عبله. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢١)،

و«البحر» (١٧/٣٩٤).

(٤) في (ك): «علموه».

(٧) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مِّنْكُمْ إِنَّا لَنَخْلُقُ

جَدِيدٍ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال بعض كفار قريش لبعض: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ يعنون محمداً عليه الصلاة والسلام، وإنما عبروا عنه بـ ﴿رَجُلٍ﴾ على التنكير ولم يذكروه باسمه - مع شهرته فيما بينهم - للتعجب<sup>(١)</sup>، وإخراج كلامه<sup>(٢)</sup> مخرج الأعاجيب التي لا يُعرف ناقلها وواضعها، بل تُحكى للتلهي والسخرية، فلذلك أخرج هو مخرج من لم يعرف، وفي قوله:

﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ دون: يُخبركم، تأكيد لما ذكر، فإن النبا خبر فيه غرابة وشأن.

﴿إِذَا مُزِقْتُمْ﴾: إذا مُتُّم وفرِّقتم ﴿كُلَّ مَزْقٍ﴾ نصبٌ على المصدر، أو على الظرف على أنه اسم مكان؛ أي: فرِّقتم كل فريق وصرُّتم تراباً، أو كل موضع تفريق؛ كبطون السباع، وحواصل الطيور، ومذاهب السيول.

والعامل في الظرف<sup>(٣)</sup> ما دلَّ عليه: ﴿إِنَّا لَنَخْلُقُ جَدِيدٍ﴾؛ أي: بُعثتم وجدِّد خلقكم، و﴿جَدِيدٍ﴾ فعيل بمعنى فاعل من جدَّ، أو بمعنى مفعول<sup>(٤)</sup> من جدَّه الناسج إذا قطَّعه، وأصله في الثوب ثم شاع.

وإنما قدَّم الظرف اعتناءً باستبعاده، وإيداناً بأنه سبب التعجب؛ لبُعده عن<sup>(٥)</sup>

(١) في (ك): «للتعجب».

(٢) في (ف) و(ك): «وإخراجاً لكلامه».

(٣) يعني بالظرف: ﴿إِذَا﴾.

(٤) في (ك): «المفعول».

(٥) في (م): «من».

العقول، وأصله: يُنبئكم أنكم تُبعثون ويُجدد خلقكم إذا مِتُّم، فقدم وأخر وبدل وغير لما قلنا، ولذلك بالغوا في التأكيد بـ (إن) واللام مُتَعَجِّبِينَ وَمُعَجِّبِينَ مِنْ جُزْمِهِ بالبعث؛ أي: لا يُقَنع بإمكانه، بل يُجَزَم بوقوع<sup>(١)</sup> محالٍ مثله، وهذا هو السبب في حصرهم قوله عليه الصلاة والسلام في الافتراء والجنون؛ بناءً على أن كونه صدقاً وحقاً أمرٌ يَبِينُ الاستحالة عندهم، فالترديد بين قسَمي الكذب.

\*\*\*

(٨) - ﴿أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ

الْبَعِيدِ﴾.

﴿أَفَتَرَى﴾ أَلْفُ استفهام دخلت على الألف المجتلبة فأسقطتها؛ للاستغناء عنها، ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: أَقْصَدَ وتعمَّد كذباً بالغاً في كذبه.

﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾: أَمْ حَلَّ بِهِ جنونٌ فيقول بغير قصدٍ، عادلوا بين الافتراء والجنون؛ لأنَّ هذا القول عندهم إنَّما يصدر عن أَحَدِ هذين؛ لأنَّه إنَّ كان يَعْتَقِدُ خلاف<sup>(٢)</sup> ما أخبر به فهو مفترٍ، وإنَّ كان لا يَعْتَقِدُ فهو مجنون.

﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ أَضْرَبَ عن تقسيمهم لبطلانه، إلى أن الكافرين وقعوا بسبب إنكارهم للبعث وعدم إيمانهم بالدار الآخرة<sup>(٣)</sup>، في العذاب والضلال معاً، ولم يَفْطَنُوا<sup>(٤)</sup> - لغاية ضلالهم - للقِسْمِ الثالث الذي هو الحقُّ، وأنَّه عليه الصلاة والسلام بعيدٌ من القسمين المذكورين، لم يقل إلا صدقاً وحقاً.

(١) في (ف) و(ك): «بوقوعه».

(٢) سقط من (ف) و(ك).

(٣) في (م): «وعدم إيجازهم أي وعدم إيمانهم بالآخرة».

(٤) في (ك): «ولم يَفْطَنُوا لغاية».

ووضع الموصول موضع الضمير للإيذان بأن سبب استبعادهم للبعث ونسبة الافتراء والجنون إليه - الذي هو الضلال المحض - إنما هو عدم إيمانهم بالآخرة.

وقرن العذاب بالضلال إشعاراً بأن العذاب يلزم الضلال غير منفك عنه كأنهما في وقت واحد؛ لسرعة أداء الضلال إليه، ووصف الضلال بالبعد من الإسناد<sup>(١)</sup> المجازي؛ لأن البعد صفة الضلال إذا بُعد عن الجادة.

\*\*\*

(٩) - ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ شَأْنَهُمْ خَفِيفٌ﴾  
الْأَرْضِ أَوْ تُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ تذكير لهم بما هم معاینوه من كمال قدرة الله تعالى، وتهديد على تكذيبهم؛ أي: أَعْمُوا فلم ينظروا إلى ما أحاط بجوانبهم من السماء والأرض، فيستدلوا بذلك على أنهم في سلطان الله تعالى تجري عليهم أحكامه!

﴿إِنَّ شَأْنَهُمْ خَفِيفٌ﴾ كَمَا فَعَلْنَا بِقَارُونَ ﴿٩﴾ أَوْ تُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسَفًا ﴿٩﴾ قِطْعَةً  
﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ كَمَا فَعَلْنَا بِأَصْحَابِ الْآيَةِ؛ لتكذيبهم بالآيات البينات بعد ظهورها.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي: في النظر إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ﴿لَآيَةً﴾ بيّنة، ودلالة واضحة على قدرة الله تعالى.

(١) في (م) زيادة: «أي».

﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾: راجع إلى الله تعالى؛ لأنَّ الرّاجع إليه تعالى متفكّر<sup>(١)</sup> في آياته الدّالة على أنّه قادرٌ على البعث وعلى عقاب المكذّبين.

\*\*\*

(١٠) - ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يٰجِبَالُ اُوتِيْ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَآلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ على سائر الناس؛ ويندرج فيه النبوة والكتاب والملك<sup>(٢)</sup> والصوت الحسن، أو على سائر الأنبياء في زمانه؛ وهو ما ذكر بعده من المعجزات الخاصّة به.

﴿يٰجِبَالُ﴾ بدلٌ من ﴿فَضْلًا﴾ بإضمار: قولنا، أو من ﴿ءَاتَيْنَا﴾ بإضمار: قلنا. ﴿اُوتِيْ﴾ رجّعي ﴿مَعَهُ﴾ التسبيح، وقرئ: (أُوتِي) <sup>(٣)</sup> من الأوب؛ أي: ارجعي معه في التسبيح؛ لأنّه إذا رجّعه فقد رجّع فيه، وذلك بخلق صوتٍ فيها مثل صوتِه؛ معجزةً له، كخلق الكلام في الشجرة.

وقيل: سيري معه أينما سار.

﴿وَالطَّيْرُ﴾ وقرئ بالرفع<sup>(٤)</sup> عطفاً على لفظ الجبال؛ تشبيهاً للحركة البنائية - لكون بنائه بسبب العارض، وهو وقوعُ منادى مقام<sup>(٥)</sup> مبني الأصل وهو كافٌ أدعوكَ -

(١) في (ك): «يتفكر».

(٢) سقط من (ف) و(ك).

(٣) نسبت لابن عباس والحسن وقتادة وابن أبي إسحاق. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢١).

(٤) نسبت للأعرج وعبد الوارث عن أبي عمرو. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢١).

(٥) في (ي): «موقع».

بالحركة الإعرابية، أو عطفاً على فاعل: ﴿أَوْيَ﴾؛ أي: أوبي أنتِ والطير، كقوله: اشكر أنتِ والطير، كقوله: ﴿أَشْكُرُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

وبالنصب على محله<sup>(١)</sup>، ولا تأييد في القراءة بالرفع لهذا<sup>(٢)</sup>؛ لأنَّ مبناهُ على أن يتعيَّن فيها العطف على لفظ الجبال، وقد عرفت أنَّه غير متعيَّن، أو على أنَّه مفعول معه.

وقيل: عطفاً على ﴿فَضَلًا﴾ بمعنى: وسخرنا له الطير، وأصل النظم: ولقد آتينا داود منا فضلاً تأويبَ الجبالِ والطيرِ، وعدل إلى هذه الصيغة للفخامة والجزالة، والدلالة على كمال قدرته تعالى وعزَّة سلطانه وكبريائه.

وجعل الجبال والطير كالعقلاء المطيعين الذين إذا دعاهم سمعوا وأجابوا، وإذا أمرهم أذعنوا وأطاعوا؛ إشعاراً بأنَّ كلَّ حيوانٍ وجمادٍ مطيعٌ له ومنقادٌ لمشيئته غير ممتنع على إرادته.

﴿وَأَنَّا لَهُ الْخَدِيدُ﴾: وجعلناه له ليناً كالشمع؛ يُصرِّفه بيده كيف شاء بغير إحماءٍ بنارٍ ولا ضربٍ بمطرقة، بإلانتِه أو بشدَّة قوَّته<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١١) - ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبْعَتِ وَقَيْرَ فِي السَّرَدِ وَأَعْمَلُوا صَاحِبًا إِنْ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

(١) أي: على محل الجبال، والقراءة بالنصب هي قراءة العشرة في المشهور عنهم.

(٢) رد على البيضاوي في قوله: ﴿وَالطَّيْرَ﴾ عطف على محل الجبال، ويؤيده القراءة بالرفع عطفاً على لفظها).

(٣) بعدها في (ف): «عليه السلام».

﴿أَنْ أَعْمَلَ﴾ (أَنْ) هي المفسرة؛ أي: أمرناه أَنْ اعمل، أو المصدريّة؛ أي: بأن اعمل.

﴿سَيَغْتِ﴾: دروعاً ضافيات<sup>(١)</sup>، يقال: سَبَغَ الثوبُ، إِذْ غَطَّى كُلَّ مَا هُوَ عَلَيْهِ وَفَضَّلَ مِنْهُ، والمراد: زيادته على البدن حتى يستر الساعدين والساقين، وهو أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَهَا، وكانت قبل ذلك صفائح وكانت ثقلاً، ولذلك أَمَرَهُ بالتقدير؛ بِأَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الْخَفَةِ وَالْحَصَانَةِ؛ أَي: لَا تَقْصِدِ الْحَصَانَةَ فَتَثْقُلَ، وَلَا الْخَفَةَ فَتَزُولَ الْمَنْفَعَةُ.

﴿وَقَدَرِ فِي السَّرْدِ﴾: سَرْدُ الدَّرْعِ، وهو أَنْ تُحْكِمَهَا وَتَجْعَلَ نِظَامَ حَلَقِهَا وَلَا يَخْتَلِفُ<sup>(٢)</sup>، ومنه سَرْدُ الْكَلَامِ: نَظْمُهُ فِي نَسْقٍ وَاحِدٍ.

وقيل: التقدير: أمر به في قَدَرِ الْحَلَقَةِ<sup>(٣)</sup>؛ أَي: لَا تَجْعَلْهَا صَغِيرَةً فَتَضْعُفَ وَلَا يَقْوَى الدَّرْعُ عَلَى الدِّفَاعِ، وَلَا كَبِيرَةً فَيُنَالَ لَابِسُهَا مِنْ<sup>(٤)</sup> خِلَالِهَا.

وقيل: هو في المسمار؛ أَي: اجْعَلِ الْمَسَامِيرَ<sup>(٥)</sup> عَلَى قَدَرِ الْحَلَقِ؛ لَا تُغْلِظْهَا فَتُخْتَرَقَ، وَلَا تُدَقِّقْهَا فَتَعْلَقَ.

وهذان القولان<sup>(٦)</sup> على الوجهين المذكورين في تفسير: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾، فَرُدُّ الْأَخِيرِ بِأَنْ دَرَوْعَهَا لَمْ تَكُنْ مَسْمُورَةً مُرْدُودَةً؛ لِأَنَّ عَدَمَ الْحَاجَةِ إِلَى التَّسْمِيرِ عَلَى

(١) في (ع) و(م) و(ي): «ضافيات»، وفي (ف): «صافنات»، والمثبت من (ك).

(٢) في (ك): «مختلف».

(٣) في (ع) و(ي): «في قدرها الحلقة» وفي (م): «وقدرها الحلقة».

(٤) «من»: ليست في (م).

(٥) في (ك): «المسمار».

(٦) في النسخ عدا (ك): «وهذين القولين».

تقدير أن يكون الحديدُ لِينًا بِإِلَانَتِهِ تعالى، وأمَّا إذا كان على طَبِيعَتِهِ وَلَيْتَهُ داوُدُ عليه السلام بشدَّةِ قُوَّتِهِ، فلا بُدَّ مِنَ التَّسْمِيرِ، وبهذا التفصيل ظهر فسادُ ما قيل: ويؤيد الرَّدُّ المذكورَ: ﴿وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ﴾.

﴿وَأَعْمَلُوا﴾ الضمير لداوُدَ عليه السلام وأهله ﴿صَلِحًا﴾ عملاً يوافقُ أمرَ الله تعالى ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ترغيبٌ وترهيبٌ.

\*\*\*

(١٢) - ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوْحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَاطِرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾.

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾: وسخرنا لسليمان الرِّيحَ<sup>(١)</sup> فيمَن نَصَبَ، و: لِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ مسخرةٌ فيمَن رَفَعَ<sup>(٢)</sup>.

﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوْحُهَا شَهْرٌ﴾؛ أي: جَرِيُّهَا بِالْغَدَاةِ مسيرةُ شهرٍ، وَجَرِيُّهَا بِالْعَشِيِّ كذلك.

﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَاطِرِ﴾: النحاسِ المذابِ، أساله مِنْ معدِنِ النحاسِ، فكان ينبعُ له نبوعُ الماءِ مِنَ الْيَنْبُوعِ، ولذلك سَمَّاهُ ﴿عَيْنَ الْقَاطِرِ﴾، وكان ذلك بِالْيَمَنِ.

﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ﴾ ﴿وَمَنْ﴾ في محلِّ النصبِ عطفًا على ﴿الرِّيحِ﴾، و ﴿وَمِنَ الْجِنِّ﴾ حالٌ مُتَقَدِّمةٌ، أو في محلِّ الرفعِ على الابتداء، و ﴿وَمِنَ الْجِنِّ﴾ خبرُهُ.

﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: قُدَّامَهُ ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾: بتيسيره، وقد سبق وجهُ هذه الاستعارة في

سورة الأحزاب.

(١) بعدها في (ف) و(ك): «مسخرة».

(٢) هي قراءة شعبة عن عاصم، وحفص وباقي السبعة بالنصب. انظر: «التيسير» (ص: ١٨٠).

﴿وَمَنْ يَزِغْ﴾: يَعْدِلُ ﴿مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ الذي أمرناه به مِنْ طاعة سليمان عليه السلام ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾: عَذَابِ النَّارِ، قيل: كان معه مَلَكٌ بيده سَوَاطٍ مِنْ نَارٍ؛ فَمَنْ زَاغَ عَنْ أَمْرِهِ، ضَرَبَهُ ضَرْبَةً أَحْرَقَتْهُ.

\*\*\*

(١٣) - ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ تَحْرِيْبٍ وَتَمْثِيْلٍ وَحِفَافٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ تَحْرِيْبٍ﴾؛ أي: مساجد، إِنَّمَا عَبَّرَ عَنِ الْمَسْجِدِ بِالْمَحْرَابِ؛ لاختصاصه به مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْبُيُوتِ<sup>(١)</sup>.

﴿وَتَمْثِيْلٍ﴾ صَوَرَ الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ وَالْعُبَادَ؛ كَانَتْ تُعْمَلُ فِي الْمَسَاجِدِ عَلَى هِيَائِلِ الْعِبَادَاتِ الَّتِي اعْتَادَوْهَا لِيَرَاهَا النَّاسُ، فَيَعْبُدُوا نَحْوَ عِبَادَتِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ عَمَلُ التَّصَاوِيرِ إِذْ ذَاكَ حَرَامًا.

﴿وَحِفَافٍ﴾: وَصَحَافٍ ﴿كَالْجَوَابِي﴾: جَمْعُ جَابِيَةٍ؛ وَهِيَ الْحَوْضُ الْكَبِيرُ<sup>(٢)</sup>؛ لِأَنَّ الْمَاءَ يُجْبَى فِيهَا؛ أَي: يُجْمَعُ، جُعِلَ الْفِعْلُ لَهَا مُجَازًا، وَهِيَ مِنَ الصِّفَاتِ الْغَالِبَةِ كَالدَّابَّةِ.

(١) إِنْ أَرَادَ بِالْمَحْرَابِ الْمَكَانَ الْمَعْرُوفَ الَّذِي يَقِفُ بِحِذَائِهِ الْإِمَامُ، فَفِيهِ نَظَرٌ عَلَى مَا يَفْهَمُ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ؛ لِأَنَّهُ عَلَى مَا قَالَ الشَّهَابُ وَالْأَلُوسِي: (مِمَّا أَحْدَثَ فِي الْمَسَاجِدِ وَلَمْ يَكُنْ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ كَمَا قَالَ السِّيُوطِيُّ، وَأُلْفَ فِي ذَلِكَ رِسَالَةٌ، وَلِذَا كَرِهَ الْفُقَهَاءُ الْوُقُوفَ فِي دَاخِلِهِ). انظر: «حاشية الشَّهَاب» (١٩٤/٧)، و«روح المعاني» (٤٣/٢٢). وَرِسَالَةُ السِّيُوطِيِّ بِعَنْوَانِ: «إِعْلَامُ الْأَرَبِ بِحُدُوثِ بَدْعَةِ الْمَحَارِبِ» وَقَدْ طُبِعَتْ مَرَارًا. وَالْقَوْلُ بِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَحَارِبِ الْمَسَاجِدَ مَبْنِيٌّ عِنْدَ الْأَلُوسِيِّ عَلَى أَنَّ الْمَحْرَابَ اسْمَ لِحِجْرَةٍ فِي الْمَسْجِدِ يَعْبُدُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا أَوْ لِمَوْقِفِ الْإِمَامِ.

(٢) قوله: «جمع جابية وهي الحوض الكبير» تأخر في (ف) و(ك) إلى ما بعد قوله: «مجازاً».

وقرئ بحذف الياء اكتفاءً بالكسرة<sup>(١)</sup>، كقوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ [القمر: ٦].  
 ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾: ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها؛ كناية عن عظمها، وهذه  
 الكناية كانت في منزلة التشبيه في قرينها.

﴿اعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ حكاية لما قيل لهم، و﴿شُكْرًا﴾ مفعوله، أو حال  
 بمعنى: شاكرين، أو نصب على المصدر؛ أي: اشكروا شكرًا، وحذف فعله لدلالة  
 ﴿اعْمَلُوا﴾ عليه من حيث إنَّ العمل للمُنعم شكر له، ويجوز أن يكون مفعولاً به على  
 طريقة المشاكلة، بمعنى: إنا سخّرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم، فاعملوا أنتم  
 لنا شكرًا.

﴿وَقِيلَ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ المتوفّر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه في  
 أكثر أوقاته<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١٤) - ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ  
 فَلَمَّا خَرَّ بَيْنَتَ الْجَنِّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾.  
 ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ﴾: على سليمان ﴿الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ﴾ الضمير للجن ﴿عَلَى مَوْتِهِ﴾  
 إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ هي الأرض اسمها: السُرّة، والأرض - وهو تأثر الخشبة منها -  
 فعلها<sup>(٣)</sup>، فأضيفت إليه.

(١) أثبت الياء وصلًا ووقفًا ابن كثير، وأثبتها في الوصل ورش وأبو عمرو، وباقي السبعة بحذفها. انظر:

«التيسير» (ص: ١٨٢).

(٢) في (ف) و(ك): «الأوقات».

(٣) في (ك): (بفعلها).

﴿تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ الْمِنْسَاءُ: العصا؛ لَأَنَّهُ يُنْسَأُ بِهَا؛ أَي: يُطْرَدُ وَيُؤْخَرُ، وقرئ: بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلباً وحذفاً<sup>(١)</sup>، وكلاهما ليس بقياس، ولكن [إخراج الهمزة بينَ بَيْنَ هو] التخفيف القياسي.

و: (مِنْسَاءَتُهُ) على مِفْعَالَةٍ<sup>(٢)</sup>، كما يقال في المِیْضَاءِ: مِیْضَاءَةٌ.

و: ﴿مِنْسَأَتَهُ﴾<sup>(٣)</sup>؛ أَي: مِنْ طَرَفِ عَصَاهُ، اسْتُعِيرَتْ مِنْ سَاءَةِ الْقَوْسِ، وفيه لغتان؛ كَقَحَّةٍ وَقَحَّةٍ.

﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَ الْجِنُّ﴾ مِنْ تَبَيَّنَ الشَّيْءُ: إِذَا ظَهَرَ وَانْجَلَى<sup>(٤)</sup>، أَوْ مِنْ تَبَيَّنَهُ: إِذَا تَحَقَّقَهُ.

﴿أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ﴾ ﴿أَنْ﴾ مع صلتها بدلٌ مِنْ ﴿الْجِنِّ﴾ بدلَ الاشتمال؛ كَقَوْلِكَ: تَبَيَّنَ زَيْدٌ جَهْلُهُ؛ أَي: تَبَيَّنَ جَهْلُ زَيْدٍ، أَوْ مَفْعُولٌ بِهِ.

وعلى الأول الظهور في المعنى للمُبدَلِ مِنَ الْجِنِّ لَا لَهُمْ؛ أَي: ظَهَرَ أَنَّ الْجِنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ ﴿مَا لَيْسُوا فِي الْعَذَابِ الْمُبِينِ﴾.

وعلى الثاني معناه: تَحَقَّقَ الْجِنُّ أَنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ كَمَا يَزْعُمُونَ لَعَلِمُوا

(١) أَي: بقلبها ألفاً، أو بحذفها بالكلية، فهما قراءتان ذكرهما في «الكشاف» (٥٧٣/٣) والكلام وما سيأتي بين معكوفتين منه، و«البحر» (٤١٤/١٧).

وقرأ بالتسهيل لكن مع كسر الميم نافع وأبو عمرو. انظر: «التيسير» (ص: ١٨٠).

(٢) انظر: «الكشاف» (٥٧٣/٣)، و«البحر» (٤١٤/١٧).

(٣) نسبت لعمرو بن ثابت عن سعيد بن جبير. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢١)، و«المحتسب» (١٨٦/٢).

(٤) في (م): «وتجلى».

بموته حال وقوعه فلم يلبثوا بعده حولاً في تسخيرهِ، أو: عَلِمَ الْجَنُّ كُلُّهُمْ عِلْماً بَيِّناً  
بعد التباسِ الأمرِ على عاقبتهم وضعفتهم، وتوهمهم أن كبراءهم يصدقون في  
ادعائهم علم الغيب.

\*\*\*

(١٥) - ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ  
وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ الانتظام بين القصتين؛ أن الأولى في مدح الشكور، والثانية  
في ذم الكفور وبيان جزاء كفرانه.

وقرى: ﴿لِسَبَإٍ﴾ مُنْصَرِفًا؛ أي: لأولادِ سبأ، وهو سبأ بن يَعْرُبَ بن قحطان،  
وبالفتح ممنوعاً عن الصَّرف<sup>(١)</sup>؛ على معنى القبيلة أو المدينة، و: (سبا) بقلب الهمزة  
ألفاً<sup>(٢)</sup>.

﴿فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾: مواضع سُكْنَاهُمْ، وهي باليمن، يقال لها: مَأْرِب، وقرئ:  
﴿مَسْكِنِهِمْ﴾ بفتح الكاف وكسرهما<sup>(٣)</sup> حملاً على ما شذَّ من القياس، كالمسجد  
والمَطْلَع.

﴿آيَةٌ﴾؛ أي: علامة تدلُّ أن لهم إلهاً خلقهم ورزقهم؛ لأنَّ ما أعطاهم من  
أنواع الشجر وألوان الثمر كان خارجاً عن وَسْعِ البشر.

(١) قرأ أبو عمرو، البزِّيُّ عن ابن كثير: ﴿لِسَبَإٍ﴾، وقرأ قنبل: ﴿لِسَبَاً﴾، وقرأ الباقون: ﴿لِسَبَاً﴾. انظر:  
«التيسير» (ص: ١٦٧)، و«النشر» (٢/ ٣٣٧).

(٢) قرأ بها ابن كثير في غير المشهور عنه. انظر: «تفسير البيضاوي» (٤/ ٢٤٤).

(٣) قرأ بالكسر الكسائي، وقرأ بالفتح مفرداً حمزة وحفص، وقرأ الباقون بالكسر جمعاً. انظر: «التيسير»  
(ص: ١٨٠).

﴿جَنَّاتٍ﴾ بدل من ﴿آيَةٍ﴾، أو: خبرٌ مبتدأ محذوف؛ أي: هي جنتان، وقرئ بالنصب<sup>(١)</sup> على المدح، ودلَّ ذلك على أنَّ في رفعه معنى المدح، والمراد: جماعتان من البساتين، لا بستانان اثنتان.

﴿عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ جماعة عن يمين بلدهم، وجماعة عن شماله، كلُّ واحدٍ منهما لتقارب بساتينها وتضامها<sup>(٢)</sup> والتفاف أغصانها كجَنَّةٍ واحدةٍ، أو بستانٌ كلُّ رجلٍ منهم عن يمين مسكنه وشماله.

﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ حكايةٌ لما قيل لهم؛ أي: قلنا على لسان الأنبياء عليهم السلام المبعوثين إليهم، أو هم أحقَّاء بأنَّ يقال لهم، أو قال لهم لسان الحال.

﴿بَلَدٌ طَيِّبٌ﴾ لم تكن سَبْخَةٌ، ولا عَاهَةٌ فيها ولا هَامَةٌ، استئنافٌ للدلالة على مُوجب الشكر، وتعليلٌ للأمر؛ أي: هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدةٌ طيبة. ﴿وَرَبِّ غَفُورٌ﴾: وربُّكم الذي رَزَقَكُم وطلَّبَ شُكْرَكُم ربُّ غفورٍ فَرَطٍ مَنْ يَشْكُرُهُ.

وقرئ: (بلدة.... وربًّا) بالنصب على المدح<sup>(٣)</sup>، أو: اسْكُنُوا واعبدُوا.

\*\*\*

(١٦) - ﴿فَاعْرَضُوا فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْثِلٍ حَمَاطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾.

(١) أي: (جنتين)، ونسبت لابن أبي عبلة. انظر: «البحر المحيط» (١٧/ ٤٢٠).

(٢) في (ف) و(ل): «ونظامها».

(٣) نسبت ليعقوب في غير المشهور عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢١).

﴿فَاعْرُضُوا﴾ عن الشُّكْرِ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ جمع: عَرِمَةٌ؛ وهي الحجارة المروممة، والمراد: المُسْنَأَةُ التي عقدوها سِكْرًا.

وقيل: ﴿الْعَرِمِ﴾ اسمُ الوادي الذي فيه السُّكْرُ، أو الوادي الذي جاء منه السيلُ، وقيل: المطرُ الشديدُ، أو الجُرْدُ الذي نَقَبَ السُّكْرَ عليهم.

﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ تسميةُ الله لهم جَنَّتَيْنِ؛ للمشاكلة مع التهكُّم.

﴿ذَوَاتِ أَكْلٍ خَمْطٍ﴾ الأَكْلُ بالضَّمِّ والسكون: الثَّمَرُ، والخَمْطُ: شجرُ الأراك، وقيل: كلُّ شجرٍ ذي شوْكٍ، وقيل: كلُّ نبتٍ أخذ طعمًا من مرارةٍ حتى لا يُمكن أكله.

وقرئ: ﴿أَكْلٍ﴾ بالتنوين، والإضافة إلى ﴿خَمْطٍ﴾<sup>(١)</sup>، وإذا نَوَّن جعل ﴿خَمْطٍ﴾ بدلًا منه، كأنه قيل: ذواتي أَكْلٍ بشعٍ، أو جعل أصله: ذواتي أَكْلٍ أَكْلٍ خَمْطٍ، بحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وأمَّا الإضافة؛ فلأنَّ الخَمْطَ في معنى البرير وهو ثمره.

﴿وَأَنْلِ﴾: شجرٌ يُشبه الطَّرْفَاءَ أعظمُ منه وأجودُ عودًا.

﴿وَشَقَى مَنْ سَدِرَ قَلِيلٍ﴾ السَّدْرُ: شجرُ النَّبَقِ، وهو ممَّا يطيبُ أكله، ولذلك كان يُغرس في الجنان الأولى<sup>(٢)</sup> ويُرَغَب فيه، ولذلك قيَّده بالقلَّة، وبالعَافِ فيه بقوله: ﴿وَشَقَى مَنْ سَدِرَ﴾؛ أي: بقي أثرٌ ما منه على<sup>(٣)</sup> الجنانِ المُبدلةِ يتذكرون به ما كان

(١) قرأ بالإضافة أبو عمرو، وباقي السبعة بالتنوين. انظر: «التيسير» (ص: ١٨٠).

(٢) «الأول» ليس في (ف) و(ك).

(٣) في (ك): «في».

وَيَتَحَسَّرُونَ عَلَيْهِ، وَالْأَثْلُ وَالسَّدْرُ مَعْطُوفَانِ عَلَى ﴿أَكُلِ﴾ لَا عَلَى ﴿حَمَطٍ﴾، فَإِنَّ ﴿الْأَثْلَ﴾ لَا أَكُلُ لَهُ.

وَقَرَأَ: (وَأَثْلًا.... وَشَيْئًا) بِالنَّصَبِ<sup>(١)</sup>؛ عَطْفًا عَلَى ﴿جَنَّتَيْنِ﴾.

\*\*\*

(١٧) - ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ﴾.

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾: بِسَبَبِ كُفْرَانِهِمُ النِّعْمَةَ، أَوْ: بِسَبَبِ كُفْرِهِمُ بِالرُّسُلِ، وَتَقْدِيمِ الْمَفْعُولِ عَلَى ﴿جَزَيْنَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>؛ لِلاِهْتِمَامِ وَالتَّعْظِيمِ، وَلِذَلِكَ أُشِيرَ إِلَيْهِ بِـ ﴿ذَلِكَ﴾.

﴿وَهَلْ يُجْزَى﴾<sup>(٣)</sup> لَمَّا اسْتُعْمِلَ الْجَزَاءُ فِي مَعْنَى الْعِقَابِ قِيلَ: هَلْ نُجَازِي، بِمَعْنَى: نَعَاقِبُ؛ أَيْ: هَلْ نُجَازِي بِمِثْلِ هَذَا الْجَزَاءِ، وَهُوَ الْعِقَابُ الْعَاجِلُ ﴿إِلَّا الْكَفُورُ﴾: إِلَّا الْبَلِيغَ فِي الْكُفْرَانِ أَوْ الْكُفْرِ.

\*\*\*

(١٨) - ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَأْتِيَا مَاءً أَمِينًا﴾.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ بِالتَّوَسُّعِ عَلَى أَهْلِهَا، وَهِيَ قُرَى

(١) نسبت للفضل بن إبراهيم. انظر: «مختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢١).

(٢) في (م): «مع جزينا».

(٣) في (م): «يجازي»، وهي والمثبت قراءتان سبعيتان، فقد قرأ حفص وحزمة والكسائي: ﴿وَهَلْ يُجْزَى﴾

بِالنُّونِ وَكَسَرَ الزَّايِ ﴿إِلَّا الْكَفُورَ﴾ بِالنَّصَبِ، وَالباقون بالياء وفتح الزَّايِ وَالرَّفْعِ. انظر:

«التيسير» (ص: ١٨١).

الشام ﴿قُرِيَ ظَهْرَهُ﴾: متواصلة يُرى بعضها من بعض، أو: راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة<sup>(١)</sup>.

﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ قيل: كان الغادي<sup>(٢)</sup> منهم يَقِيلُ في قرية، والرائحُ يبيتُ في قرية، إلى أن يبلغ الشام، لا يخاف جوعاً ولا عطشاً ولا عدواً، ولا يحتاج إلى حملٍ زادٍ ولا ماءٍ.

﴿سَيَرُوا فِيهَا﴾ على إرادة القول بلسان الحال، إذ لا قول لهم ثمة، ولكن لما هيئت أسبابهم ومكنوا من السير، كأنهم<sup>(٣)</sup> أمروا بذلك وأذنوا فيه. ﴿لِيَالِيَّ وَأَيَّامَاءَ آمِنِينَ﴾؛ أي: إن شتتم بالليل، وإن شتتم بالنهار؛ فإنه لا يختلف الأمرُ فيها باختلاف الأوقات.

أو: سيروا فيها آمنين وإن طالت مدّة سفرِكم وامتدّت أياماً وليالي.

أو: سيروا ليالي أعمارِكم وأيامها لا تَلَقُونَ فيها إلا الأمن.



(١٩) - ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا﴾ سئموا أطيب العيش، وملّوا<sup>(٤)</sup> العافية والترفة، وبطروا النعمة، فطلبوا الكدَّ والتعب، كما طلب بنو إسرائيل الشومَّ والبصلَ مكانَ

(١) في (ع) و(م) و(ي): «للسائلة».

(٢) في (ف) و(ك): «القادم».

(٣) في (م): «كأنه».

(٤) في (ك): «وهو».

الْمَنْ وَالسَّلْوَى، وهو بَأْنٌ<sup>(١)</sup> يَجْعَلُ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الشَّامِ مَفَاوِزَ لِيَرْكَبُوا الرُّوَاهِلَ وَيَتَزَوَّدُوا الْأَزْوَادَ<sup>(٢)</sup>، وَيَتَطَاوَلُوا بِهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْإِجَابَةَ بِتَخْرِيبِ الْقُرَى الْمَتَوَسِّطَةِ.

وقرئ: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ﴾<sup>(٣)</sup> عَلَى لَفْظِ الْخَبَرِ، وَمَعْنَاهُ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ<sup>(٤)</sup>، وَهُوَ اسْتِبْعَادُ مَسَائِرِهِمْ عَلَى قَصْدِهَا وَدُنُوِّهَا لِقَرْطِ تَنْعُمِهِمْ وَتَرْفُهُمْ، وَعَدَمُ الْإِعْتِدَادِ بِمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ فِيهِ، كَأَنَّهُمْ<sup>(٥)</sup> تَشَاخَّوْا عَلَى رَبِّهِمْ وَشَكَّوْا إِلَيْهِ.

ومثله قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: (رَبَّنَا بَعْدَ)<sup>(٦)</sup>، أَوْ: (رَبَّنَا بَعْدَ) عَلَى النِّدَاءِ، وَرَفَعَ (بَيْنُ)<sup>(٧)</sup> بِإِسْنَادِ الْفِعْلِ إِلَيْهِ.

﴿وَطَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ حَيْثُ بَطَرُوا النِّعْمَةَ وَلَمْ يَعْتَدُوا بِهَا.  
﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾؛ أَي: عِظَاتٍ وَعِبَرًا، يُتَحَدَّثُ بِهِمْ وَيُتِمَثَّلُ، فَيَقَالُ: تَفَرَّقُوا  
أَيْدِي سَبَا.

﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: وَفَرَّقْنَاهُمْ<sup>(٨)</sup>.....

(١) فِي (ك): «أَنْ».

(٢) فِي (م): «وَيَزِدَادُوا الْأَزْوَادَ».

(٣) قِرَاءَةُ يَعْقُوبَ. انْظُرْ: «النَّشْرُ» (٢/ ٣٥٠).

(٤) سَقَطَ مِنْ (ك).

(٥) فِي (ك): «قِيلَ كَانُوا».

(٦) نَسَبَتْ لَابْنَ عَبَّاسٍ وَابْنَ الْحَنْفِيَّةِ وَابْنَ يَعْمَرَ وَآخَرِينَ. انْظُرْ: «الْمَحْتَسِبُ» (٢/ ١٨٩)، وَ«الْمَحْرُورُ الْوَجِيزُ» (٤/ ٤١٦).

(٧) نَسَبَتْ لِسَعِيدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ أَخِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ. انْظُرْ: «الْمَحْرُورُ الْوَجِيزُ» (٤/ ٤١٦).

(٨) فِي هَامِشِ (ف) وَ(ي): «عِبَارَةُ الْقَاضِي: فَفَرَّقْنَاهُمْ، وَلَا يَخْلُو مَا فِيهَا مِنْ سُوءِ الْأَدَبِ النَّاشِئِ عَدَمُ الْوُقُوفِ عَنْ فِصَاحَةِ الْوَاوِ الْوَاقِعَةِ فِي كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى. مِنْهُ».

غاية التفريق، لِحَقِّ غَسَّانٍ بِالشَّامِ، وَأَنَّمَارٍ بِبِشْرَبَ، وَجَذَامٍ بِتِهَامَةِ، وَالْأَزْدُ بِعُمَانَ.  
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْبَلَاءِ ﴿شُكُورٍ﴾ لِلنَّعَمِ فِي الرِّخَاءِ.

\*\*\*

(٢٠) - ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ، فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.  
﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ﴾ بِالرَّفْعِ ﴿ظَنَّهُ﴾ بِالنَّصَبِ؛ أَي: حَقَّقَ عَلَيْهِمْ ظَنَّهُ  
صَادِقًا.

وَقَرَأَ: بِنَصَبِ (إِبْلِيسَ) وَرَفَعَ (ظَنَّهُ) <sup>(١)</sup>؛ أَي: وَجَدَهُ ظَنَّهُ صَادِقًا.  
وَقَرَأَ بِتَخْفِيفٍ ﴿صَدَّقَ﴾ <sup>(٢)</sup> عَلَى الْوَجْهِينِ:  
وَمَعْنَى الْأَوَّلِ <sup>(٣)</sup>: صَدَّقَ إِبْلِيسُ فِي ظَنِّهِ، أَوْ: صَدَّقَ يَظُنُّ ظَنًّا، نَحْو: فَعَلْتَهُ جَهْدَكَ؛  
أَي: أَنْ تَجْهَدَ جَهْدَكَ.  
وَمَعْنَى الثَّانِي <sup>(٤)</sup>: قَالَ لَهُ ظَنُّهُ الصَّدَقَ حِينَ خَيَّلَهُ إِغْوَاؤُهُمْ يَقُولُونَ: صَدَقَكَ  
ظَنُّكَ.  
وَبِالتَّخْفِيفِ وَرَفَعَهُمَا <sup>(٥)</sup>؛ عَلَى أَنَّ (ظَنَّهُ) بَدَلٌ مِنْهُ؛ أَي: صَدَّقَ عَلَيْهِمْ ظَنُّ  
إِبْلِيسَ.

(١) انظر: «المحتسب» (٢/ ١٨٩)، و«الكشاف» (٣/ ٥٧٨).

(٢) قرأ عاصم وحزمة والكسائي بالتشديد، والباقون بالتخفيف. انظر: «التيسير» (ص: ١٨١).

(٣) أي: تخفيف (صَدَّقَ) ورفع (إِبْلِيسَ) ونصب (ظَنَّهُ)، وهي قراءة سبعة كما تقدم.

(٤) أي: تخفيف (صَدَّقَ) ونصب (إِبْلِيسَ) ورفع (ظَنَّهُ)، وهي قراءة شاذة كما تقدم. أما تشديد (صَدَّقَ)

مع كل من القراءتين فقد تقدم توجيهه، وكل القراءات مع توجيهها منقول من «الكشاف».

(٥) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢١)، و«الكشاف» (٣/ ٥٧٨).

﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ إِنَّ جَعَلْنَا الضمير هنا وفي ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لبني آدم، كان كالبرهان على أن أهل سبأ اتَّبَعُوا الشيطان فأغواهم.

ومعنى صِدْقٍ ظَنَّ إبليس في تخيله إغواءهم: أنه حين وجد آدم عليه السلام ضعيف العزم، وقد أصغى إلى وسوسته، قال: إِنَّ ذَرِيَّتَهُ أضعفُ عِزْماً منه، فظنَّ بهم اتِّباعه، وقال: لأضِلَّنَّهم ولأغوينَّهم.

﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قَلَّ المؤمنِينَ بالنسبة إلى الكفار على أن ﴿مِّنَ﴾ للبيان؛ أي: إِلَّا فَرِيقًا منهم المؤمنون؛ لقوله: ﴿لَا تُحِثُّكَ ذَرِيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢]، وإن كان للتبعض، فهم المخلصون لقوله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِمَّنْ مَّخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠].

\*\*\*

(٢١) - ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ﴾؛ أي: من تسلَّط واستيلاء بالوسوسة والاستعلاء. ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ﴾: إِلَّا لِيُظْهَرَ عِلْمُنَا بِإِيمَانِ مَن آمَنَ، وَشَكٌّ مِّنْ شَكٍّ؛ بتميُّزهم عن<sup>(١)</sup> مظاهر الرسول والمؤمنين.

وقرئ: (لِيُعْلَمَ) على البناء للمفعول<sup>(٢)</sup>.

والمرادُ بالعلم متعلِّقه؛ لِيُتَرَتَّبَ عليه الجزاء، ولذلك علِّلَ التسلُّطُ به.

(١) في (ف) و(ك): «على».

(٢) نسبت للزهري. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٢).

وفي <sup>(١)</sup> قوله: ﴿مَنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ وتغيير نظم الصلّتين بإيراد الجملة الاسميّة، وتنكير الشكّ، وجعله مَقَرّاً لهم، ما لا يخفى؛ أي: مَنْ هُوَ راسخٌ في الشكّ عظيمٌ لا يرعوي منه؛ أي: لا يتوب وعلى الكفر يموت.

﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ محافظٌ، والزّنان متاخّتان <sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(٢٢) - ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾.

﴿قُلْ﴾ للمشرّكين: ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ حذف مفعولاً ﴿زَعَمْتُمْ﴾، والتقدير: زعمتموه آلهة؛ أمّا الأول: فلطول الموصول بصلته، وأمّا الثاني: فلقيام صفة مقامه، وهو: ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وهو حذفٌ شائعٌ إذا كان معلوماً، ولا يستقيم أن يكون هو مفعوله الثاني؛ لأنّ قولك: هم من دون الله، لا يلتزم <sup>(٣)</sup> كلاماً ولا <sup>(٤)</sup> ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾؛ لأنّهم لم يزعموا ذلك بل نقيضه، والمعنى: ادعوه فيما يهتمكم من جلبِ نفعٍ ودفعِ ضررٍ، كما تدعون الله تعالى، هل يستجيبون لكم بشيء؟!.

﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ بأنفسهم واختيارهم ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ من خيرٍ أو شرٍّ، أو نفعٍ

(١) في (ك): «في».

(٢) أي: فعل ومفاعل يردان بمعنى واحد كثيراً؛ كالجلس بمعنى المجالس، وليس المحافظ بمعنى: المواظب المداوم، بل بمعنى: الوكيل القائم على أحواله وأموره. انظر: «حاشية الشهاب» (٢٠٠/٧).

(٣) في (ف) و(ك): «يتم».

(٤) في (ف) و(ك) و(م): «و» دون كلمة «لا».

أو ضُرٌّ، استئنافُ الجوابِ عنهم بعدَ أمرِهِم إشعارٌ بأنَّه متعيّنٌ ضروريٌّ لا يَحتمَلُ غيرَه، ولا يُمكنهم الإفصاح عنه لكونه حَجَّةً عليهم.

قوله: ﴿فِ السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ تَعميمٌ عرفيٌّ؛ أي: لا يملكون شيئاً ما في موضعٍ ما، أو لأنَّ أَلهَتهم بعضها سماويّةٌ كالملائكة والكواكب، وبعضها أرضيّةٌ كالأصنام، أو لأنَّ الأسبابَ القريبةَ للخير والشرِّ إمّا سماويّةٌ وإمّا أرضيّةٌ، والجمال المعطوفة على الاستئنافية كلّها لبيان منافية صفاتهم للألوهيّة بالكلية إلزاماً لهم.

﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ﴾: في هذين الجنسَيْن؛ مِنْ شَرِكَةٍ في خَلْقهما ولا في ملكهما.

﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنْ ظَهَرَ﴾: مِنْ مُعَيَّنٍ<sup>(١)</sup> يُعَيِّنُهُ على خَلْقهما وتديبرهما، يعني أنَّهم في العَجْز والبُعْد عن صفات الربويّة بهذه المثابة، فكيف يصحُّ أن يُعْبَدوا ويُدْعَوْا ويُرَجَوْا كما يُعْبَدُ اللهُ تعالى ويُدْعَى ويُرَجَى؟!.

\*\*\*

(٢٣) - ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ﴾؛ أي: لا تَنْفَعُهُمْ مِنْ جَهَةِ الشَّفَاعَةِ أيضاً كما تَزْعُمُونَ<sup>(٢)</sup>، إذ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾، قرئ على البناءَيْن<sup>(٣)</sup>.

(١) في (م): (عون).

(٢) في (ف) و(ك): «تدعون».

(٣) قرأ بالبناء للمجهول أبو عمرو وحمزة والكسائي، والباقون للمعلوم. انظر: «التيسير» (ص: ١٨١).

أي: إِلَّا لِمَنْ أَدْنَى لَهُ أَنْ يُشْفَعَ، أو: لِمَنْ أَدْنَى أَنْ يُشْفَعَ لَهُ<sup>(١)</sup>؛ فَإِنَّ اللّامَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِالشَّفَاعَةِ قَدْ تَكُونُ لِلشَّافِعِ، وَقَدْ تَكُونُ لِلْمَشْفُوعِ لَهُ، وَالْأَلِيقُ بِهَذَا الْمَوْضِعِ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى الْمَشْفُوعِ لَهُ، وَاللّامُ الثَّانِيَةُ كَالثَّابِتَةِ<sup>(٢)</sup> فِي قَوْلِكَ: أَدْنَى لَزَيْدٍ لِعَمْرٍو؛ أَي: لِأَجْلِهِ، وَالْمَعْنَى: لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا كَائِنَةً لِمَنْ وَقَعَ الْإِذْنُ لِلشَّفِيعِ لِأَجْلِهِ، حَتَّى يَكُونَ رَدًّا<sup>(٣)</sup> لِقَوْلِهِمْ: هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ؛ أَي: لَا تَنْفَعُكُمْ شَفَاعَتُهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُؤْذَنُونَ أَنْ يَشْفَعُوا.

﴿حَقَّ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ غَايَةُ لِمَفْهُومِ الْكَلَامِ، فَإِنَّ تَوَقُّفَ الشَّفَاعَةِ عَلَى الْإِذْنِ مُؤْذِنٌ بِأَنَّ ثَمَّةَ انْتِظَارًا لِلْإِذْنِ وَفَزَعًا لِلرَّاجِينَ لِلشَّفَاعَةِ وَالشَّفَعَاءِ مِنْ أَنْ لَا يُؤْذَنَ لَهُمْ، كَأَنَّهُ قِيلَ<sup>(٤)</sup>: يَتَرَبَّصُونَ فَرَعَيْنَ حَتَّى كُشِفَ الْفَرْعُ عَنْ قُلُوبِهِمْ بِالْإِذْنِ فِي الشَّفَاعَةِ.

والتفريع: كشف الفرع وإزالته.

وقرئ: مخففًا بمعنى المشدّد<sup>(٥)</sup>.

وقرئ: بالراء المهملة والغين المعجمة<sup>(٦)</sup>؛ أَي: نُفِيَ الْوَجُلُ عَنْهَا وَأُفْنِيَ، مِنْ قَوْلِهِمْ: فَرَّغَ الزَّادُ، إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ.

(١) الظاهر من كلام المفسرين أن كلا هذين الوجهين يصلح على كل من القراءتين لا أن أحدهما على القراءة بالمبني للمعلوم والآخر على القراءة بالمبني للمجهول. انظر: «الكشاف» (٣/ ٥٨٠)، و«تفسير البضاوي» (٤/ ٢٤٦)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٨٩ - ٩٠).

(٢) في (ع) و(ي): «كالثالثة»، وسقطت من (ف) و(م)، والمثبت من (ك).

(٣) في (ك): «رادًا».

(٤) في (ك): «قال».

(٥) نسبت للحسن. انظر: «المحتسب» (٢/ ١٩١).

(٦) أي: (فُزِعَ)، ذكرها الزمخشري دون نسبة، ونسبها أبو حيان لابن عمر والحسن وقتادة وغيرهم.

انظر: «الكشاف» (٣/ ٥٨٠)، و«البحر» (١٧/ ٤٤١).

و: (فَرَعَ) مَشَدَّادًا وَمَخْفَفًا<sup>(١)</sup>.

أصل ﴿فَزَعَ﴾ بالزاي المعجمة: فُزِعَ الوجْلُ عنها، ثم تُرِكَ ذِكْرُ الوجْلِ وأُسْنِدَ إلى العَجَارِّ والمَجْرور، كما تقول: دُفِعَ إلى زيدٍ، إذا عَلِمَ المدفوعُ.

وأصل المَخْفَف: فَزَعَ<sup>(٢)</sup> الوجْلُ؛ أي: انتفى عنها وفَنِيَ، ثم حذف الفاعل وأُسْنِدَ إلى العَجَارِّ والمَجْرور.

﴿قَالُوا﴾؛ أي: قال بعضهم لبعضٍ: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ في الشفاعة ﴿قَالُوا الْحَقُّ﴾؛ أي: قالوا: قال القول الحق، وهو الإِذْنُ بالشفاعة لِمَن ارتضى مِنَ المؤمنين. وقرئ: (الحقُّ) بالرفع<sup>(٣)</sup>؛ أي: مقوله الحق.

﴿وَهُوَ أَعْلَى الْكَبِيرِ﴾: ذو العلوِّ والكبرياء، وليس لَمَلِكٍ مُقَرَّبٍ ولا نبيٍّ مُرْسَلٍ أَنْ يتكلَّم ذلك اليومَ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَأَنْ يَشْفَعَ إِلَّا لِمَن ارتضى.

\*\*\*

(٢٤) - ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ وَإِنَّا أَوْلِيَاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تقريرٌ لقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾، ولذلك أَمَرَ بالجواب بعد سؤالهم بقوله:

﴿قُلْ لِلَّهِ﴾ لتعينه عند العقل، وفيه إشعارٌ بأنَّهم إن سكتوا وتلعثموا في الجواب

(١) قرأ الحسن وقتادة وأبو المتوكل: (فَرَعَ) بالتشديد مبنيًا للفاعل، وقرأ الحسن أيضاً كذلك إلا أنه خفف الراء. انظر: «المحتسب» (١٩٢/٢)، و«البحر» (٤٤١/١٧).

(٢) في (ع) و(ف): «فرغ»، وسقطت الجملة من (م) و(ي)، والمثبت من (ك).

(٣) نسبت لابن أبي عبله. انظر: «البحر المحيط» (٤٤٣/١٧).

مخافة الإلزام، فهم مُقَرَّنُونَ بقلوبهم؛ لَعَلَّهم أَنْ لَا جَوَابَ إِلَّا هَذَا، وَإِنْ أَلْجَمَ الْعِنَادَ وَحُبَّ الشَّرِكِ أَفَوَاهِهِمْ أَنْ يَنْطَقُوا بِهِ.

﴿وَإِنَّا أَوَّلِيَاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾؛ أَي: وَإِنْ أَحَدَ الْفَرِيقَيْنِ: مِنَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَخْصُصُونَ الرَّازِقَ وَحْدَهُ الْمُتَفَرِّدَ بِالْقُدْرَةِ الْوَاجِبِ لذَاتِهِ بِالْعِبَادَةِ، وَمِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَشْرَكُونَ الْجَمَادَ النَّازِلَ فِي أَدْنَى مَرَاتِبِ الْإِمْكَانِ، لَعَلَّ أَحَدَ الْأَمْرَيْنِ مِنَ الضَّلَالِ وَالْهُدَى، وَهُوَ غَايَةُ فِي الْإِنْصَافِ الَّذِي كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ مِنَ الْمَوَافِقِ وَالْمُخَالَفِ رَضِيهِ.

وَفِي طَيِّهِ - بَعْدَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ التَّقْرِيرِ الْبَلِغِ - تَعْرِضُ بَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ وَمَنْ هُوَ عَلَى الْهُدَى أُبْلَغُ مِنَ التَّصْرِيحِ؛ لِأَنَّهُ فِي صُورَةِ الْإِنْصَافِ الْمُبَكِّتِ لِلْخَصْمِ الْمَشَاغِبِ.

وَإِنَّمَا خُولِفَ بَيْنَ حَرْفِي التَّعْدِيَةِ؛ لِأَنَّ الْمُحَقَّقَ كَالْمُسْتَعْلِي عَلَى جَوَادٍ يَرَكُضُهُ حَيْثُ يَشَاءُ، أَوْ عَلَى مَنَارٍ مُشْرِفٍ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ مَطَّلَعٍ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَالْمَبْطَلُ كَالْمَحْبُوسِ فِي مَطْمُورَةٍ لَا يُمْكِنُهُ التَّنَفُّصُ مِنْهَا، لَا يَرَى مَا عَلَى وَجْهِ الْخِلَاصِ، أَوْ كَالْمَنْغَمَسِ فِي ظِلَامٍ مُرْتَبِكٍ لَا يَرَى وَجْهَةً يَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا، ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِقَوْلِهِ:

(٢٥) - ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَنَا عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْتَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَنَا عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْتَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بِمَا هُوَ أُبْلَغُ مِنَ الْأَوَّلِ فِي إِرْخَاءِ الْعَنَانِ وَالْإِنْصَافِ، وَبَالِغٍ فِيهِ حَتَّى بَلَغَ ذُرُوءَ الْإِخْبَاتِ<sup>(١)</sup>، حَيْثُ نَسَبَ الْإِجْرَامَ إِلَى نَفْسِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَالْعَمَلَ إِلَيْهِمْ، وَهُوَ بِنَاءٌ عَلَى الْفَرَضِ وَالتَّقْدِيرِ، فَلَا يُلْزَمُ إِجْرَائُهُمْ وَلَا يَخْلُو عَنْ التَّعْرِضِ الْمَذْكُورِ أَيْضاً مَعَ التَّهَكُّمِ.

(١) الْإِخْبَاتُ: الْخُضُوعُ وَالتَّذَلُّلُ، وَالْمُرَادُ هُنَا: حَتَّى بَلَغَ ذُرُوءَ إِخْبَاتِهِمْ وَإِسْكَاتِهِمْ.

(٢٦) - ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾: يحكم ويفصل بأن يدخل المحققين الجنة والمبطلين النار.

﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ﴾: الحاكم الفصل في القضايا المغلقة ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما ينبغي أن يقضى به.

\*\*\*

(٢٧) - ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾: استفسار عن شبهتهم بعد إلزامهم الحجّة؛ تبصيراً إياهم بخطائهم العظيم، وزيادة في التبكيت؛ أي: أرونيهم بأيّ صفة ألحقتموهم به في استحقاق العبادّة، وأشركتموهم به في التعظيم، وكيف قايستم الجماد الذي هو في غاية العجز والدّلة، بالقادر الذي فُهر كل شيء بقدرته<sup>(١)</sup>.

﴿كَلَّا﴾: ردع لهم عن دينهم<sup>(٢)</sup> بعدما بصّرهم بإبطاله عند المقايسة.

﴿بَلْ﴾ إضراب بعد الردع عن الشرك إلى حصر الإلهيّة في الله تعالى ومحض التوحيد.

﴿هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة، تنبيه لهم على تفاحش غلطهم وتعامي بصائرهم، كأنه قال: أين شركاؤكم من هذا الوصف؟! وهو راجع إلى الله تعالى، أو ضمير الشأن كما في قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ

(١) في (م): «بالقدرة».

(٢) في (ك): «ذنبهم».

أَحَدٌ ﴿٢٨﴾ وكيف ما كان فهو دالٌّ على انفراده بالوصفين، الملقم إياهم الحجر<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(٢٨) - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾: ﴿كَافَّةً﴾ من كف: إذا منع، صفة مصدرٍ محذوف؛ أي: إرسالة عامّة محيطّة بهم، مانعة لهم من أن يخرج منهم أحد.

وقال الزجاج: جامعاً للناس في الإنذار والإبلاغ<sup>(٢)</sup>، فجعله حالاً من الكاف، وحقّ التاء على هذا أن يكون للمبالغة كتاء الرأوية والعلامة.

ويجوزُ جعله حالاً من (الناس) متقدّمة، فإنّ تقدّم الحال على صاحبه المجرور مختلفٌ فيه؛ فذهب أبي عليٍّ وابن كيسان وابن برهان وابن مالك إلى أنّه يجوز، وهو الصحيح، ولا حاجة حينئذٍ إلى أن تُتأَوَّل اللام بمعنى (إلى)؛ فإنّ (أرسل) يتعدّى باللام، كقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [النساء: ٧٩].

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾: للمطيعين والعاصين ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: فيحملهم جهلهم على مخالفتك.

\*\*\*

(٢٩) - ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ من فرط تعنتهم لا من فرط جهلهم، ولذلك عطف بالواو دون

الفاء:

(١) في (ك): «الملهم إياهم الحجة».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٥٤).

﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ يعنون المبشّر به والمنذّر عنه، أو الموعد بقلوبه: ﴿يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يخاطبون به رسول الله ﷺ والمؤمنين. ولَمَّا كَانَ سَوَالُهُمْ عَنْ تَعْيِينِ الْمِيعَادِ تَعْتَنَّا وَإِنْكَاراً لَا اسْتِرْشَاداً، جَاءَ الْجَوَابُ تَهْدِيداً وَوَعِيداً مُطَابِقاً لِمَا قَصَدُوهُ:

\*\*\*

(٣٠) - ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغْنُونَ﴾.

﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ﴾ الميعاد ظرف الوعد من مكانٍ أو زمانٍ، وهو هاهنا الزمان، والإضافة للتبيين، كما تقول: سَحَقُ ثَوْبٍ<sup>(١)</sup>، قيل: ويؤيده أَنَّهُ قُرئ: (ميعاد يوم)<sup>(٢)</sup> فأبدل منه اليوم، وقُرئ: (يوماً)<sup>(٣)</sup> على التعظيم، وتقديره: لكم ميعادٌ، أعني: يوماً، ويجوز أن يكون الرفع أيضاً على التعظيم.

﴿لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغْنُونَ﴾؛ أي: إذا فاجأكم لا تستطيعون عنه تأخراً ولا عليه تقدماً.

\*\*\*

(٣١) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾.

(١) السحق: الثوب الخلق الذي انسحق وبلي، ويضاف للبيان فيقال: سحق بُرْدٌ، وسحق عمامة، وسحق ثوب. انظر: «النهاية» (مادة: سحق)، و«المغرب» (ص: ٣٨٦).

(٢) انظر: «الكشاف» (٣/ ٥٨٣)، و«البحر المحيط» (١٧/ ٤٥٠).

(٣) أي: (ميعاد يوماً)، نسبت لليزدي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٢).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب المتقدمة المنزلة على الأنبياء عليهم السلام الدالة على البعث.

روي أن كفار مكة سألوا أهل الكتاب عنه، فأخبروهم أنهم يجدون نعته في كتبهم، فغضبوا وقالوا ذلك.

وقيل: (الذي بين يديه) القيامة، ثم أخبر عن صورة حالهم في الآخرة فقال له عليه السلام أو لكل من يستحق أن يُخاطب:

﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾؛ أي: لو ترى في الآخرة موقفهم عند المحاسبة وهم يتحاورون<sup>(١)</sup> ويتراجعون<sup>(٢)</sup> القول، وجواب (لو) محذوف للدلالة على ما لا يدخل تحت الوصف من العجب والهول والفرع.

﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضِعِفُوا﴾؛ أي: الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ للرؤساء: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ﴾: لولا إضلالكم وصدكم عن الإيمان ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ باتباع الرسول.

\*\*\*

(٣٢) - ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضِعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بِلَكُم مِّنْ تَحْتِمْ﴾.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضِعِفُوا﴾ أتى بصيغة المضارع تصويراً للحال، ثم عدل عنها إلى الماضي، ولذلك ترك العاطف هنا.

(١) في (ع) و(م) و(ي): «يتجاوزون».

(٢) في (ك): (ويراجعون).

﴿أَتَخُنْ صَدَدَنَّا عَنْ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَ كُرْ﴾ قد يُتَّسَع في ظروف الزمان ما لا يُتَّسَع في غيرها؛ فيُضَاف بعضها إلى بعضٍ وإلى الجمَلِ، فلذلك أُضِيفَ ﴿بَعْدَ﴾ إلى ﴿إِذْ﴾، و﴿إِذْ﴾ إلى الجملة.

﴿بَلْ كُنْتُمْ تَجْرِمِينَ﴾ أولى الاسمِ الهمزة؛ لإنكارِ أن يكونوا هم الصادِّين إياهم عن الهدى بعد إذ جاءهم وتمكَّنوا منه، وإثباتِ أنَّهم الذين صُدُّوا باختيارهم وآثروا الضلالَ على الهدى، ولذا أُضرب عن دعواهم الإِضلالَ عليهم إلى أنَّهم هم الذين أجزموا بكسبهم<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(٣٣) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ آلِيلٍ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَقَالَ﴾ عطف هذا الكلام على كلامهم الأول بالواو<sup>(٢)</sup> دون كلام المستكبرين في جوابهم؛ لأنَّه ابتداء جوابٍ حقِّه الاستئناف.

﴿الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ كرَّر المستضعفون عليهم، وقابلوا إضرابهم بقولهم:

﴿بَلْ مَكْرُ آلِيلٍ وَالنَّهَارِ﴾ مبطلين إضرابهم بالإضرابِ عنه إلى أن الإِضلالَ كان من جهةٍ مكرِّم الدائم، وحملِكم إيَّانا على الشرك واتخاذ الأنداد، لا من جهتنا واختيارنا، وأُضِيف المكر إلى الظرف على الاتِّساع وإجراء الظرف مجرى

(١) في (ك): «بسببهم».

(٢) سقط من (ك).

المفعول به؛ أي: مكرّم لنا في الليل والنهار، ويجوز أن يكون إضافةً المكر إلى الليل والنهار من باب الإسناد المجازي، وإضافة المصدر إلى الفاعل؛ بجعل الليل والنهار ماكرين.

وقرئ: (مكرُّ الليل والنهار) بالتنوين ونصبِ الطرفين<sup>(١)</sup> على الأصل.

و: (مَكَّرَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ<sup>(٢)</sup>؛ مِنَ الْكُرُورِ.

أَمَّا الرفع: فعلى الابتداء أو الخبر؛ أي: سبب ذلك مكركم أو مكركم، أو مكركم أو مكركم سبب ذلك.

وأما النصب: فعلى المصدر؛ أي: تَكْرُونَ الإغواءَ مَكْرًا الليل والنهار.

﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا﴾ ﴿إِذْ﴾ بدلٌ من ﴿الَيْلِ وَالنَّهَارِ﴾؛ أي: مكرُكم في زمانٍ أمركم إيانا بالكفر، أو نصبٌ على الظرف لـ ﴿مَكْرُ﴾، أو تعليلٌ؛ أي: لأمركم إيانا بالكفر.

﴿وَأَسْرُوا﴾؛ أي: أسرَ الظالمونَ الموقوفونَ الشاملونَ للفريقين ﴿النَّدَامَةَ﴾ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ ﴿؛ أي: أخفوا الكلامَ بالندامة فيما بينهم على سبيل المسارة والتناجي ندامةً المستكبرين على الضلال والإضلال، وندامةً المستضعفين على الضلال والاتباع، أو أظهروها على سبيل الجزع والتضرع؛ على أنَّ الهمزة للإزالة، كما في قولك: أَعْتَبْتُهُ وَأَشْكَيْتُهُ.

﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من باب وضع الظاهر موضع الضمير؛

(١) نسبت لقتادة. انظر: «المحتسب» (٢/١٩٣).

(٢) نسبت بالرفع لسعيد بن جبير وأبي رزين وغيرهما، ونسبت بالنصب لابن جبير وطلحة. انظر:

«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٢)، و«المحتسب» (٢/ ١٩٣).

أي: في أعناقهم؛ للتصريح والتنويه بذهمهم، والدلالة على أن الكفر هو الذي استحقوا به الإغلال.

﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: ما يفعل بهم ما يفعل إلا جزاء على أعمالهم، وتعديّة (يجزي) لتضمينه معنى يقضي، أو بنزع الخافض.

\*\*\*

(٣٤) - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾.  
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ﴾: تسليّة لرسول الله ﷺ بأن الرسل كلّهم مُنُوا بما مُنِّيَ به من قومه من التكذيب والمفاخرة بالأموال والأولاد.

﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ تخصيص المتنعّمين بذلك لأنّ معظم الدواعي إلى الكفر والإنكار: التكبر والمفاخرة بالأموال والأسباب التي هي منشأ الطغيان، ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة على التكذيب فقالوا:

﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ على <sup>(١)</sup> مقابلة الجمع بالجمع <sup>(٢)</sup>؛ لأنّ قوله: ﴿مِّنْ نَّذِيرٍ﴾ في سياق النفي للعموم، ولأنّ الأنبياء عليهم السلام كلّهم متفقون في إثبات التوحيد والبعث.

\*\*\*

(٣٥) - ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.  
﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا﴾ فنحن أولى بما تدّعون إن أمكن، وأولى النفي الاسم في قوله:

(١) في (م): «لأن»، وفي (ع) و(ي): «لا»، وسقطت الجملة من (ك)، والمثبت من (ف).

(٢) قوله: «لا على مقابلة الجمع بالجمع» سقط من (ك).

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ لَأَنَّهُمْ اعتقدوا أَنَّ اختصاصهم بالغنى وأسباب التَّعَمُّ (١) والترَفُّه إِنَّمَا هو لكرامتهم عند الله تعالى، أو قاسوا أمر الآخرة على أمر الدنيا، فقالوا ذلك على أَنَّ البعث إِن وقع لم يكونوا بمعذَّبين؛ لَأَنَّهُمْ أَكْرَمُ على الله تعالى مِن أَنَّ يعذَّبهم، إِنَّمَا المعذَّبون مَن يهون عند الله مِن أهل الفقر والفاقة وسوء الحال في الدنيا، وفيه استهزاء بالأنبياء عليهم السلام وأصحابهم مِن الفقراء، واستهانة بهم؛ أي: إِن صدق وعدكم بالبعث فَإِنَّهُمْ المعذَّبون لا نحن، كما في الدنيا.

\*\*\*

(٣٦) - ﴿قُلْ إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِن أَكْثَر النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿قُلْ﴾ ردًّا لحسابناهم: ﴿إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾؛ أي: يوسِّع على مَن يشاء، ويضيِّق على مَن يشاء؛ مُكْرَمًا كَانَ عنده أو مُهَانًا، فلا التوسيع يدلُّ على الإكرام، ولا التضيق على الإهانة، ولا تتعلَّق السعادة والشقاوة الأخرويتان بتوسيع الرزق الدنيويِّ وتضييقه.

قيل: ولو كان ذلك في كرامة<sup>(٢)</sup> وهوانٍ يُوجبانه، لم يكن بمشيئته.

وفيه نظر؛ لِمَا تَقَرَّرَ<sup>(٣)</sup> في موضعه أَنَّ المشيئة تُجامع الإيجاب، إِنَّمَا المنافي له القدرة على الفعل والترك.

﴿وَلَكِن أَكْثَر النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك؛ لعدم وقوفهم على مواقف<sup>(٤)</sup> الحكمة

(١) في (ك) و(ي): «النعمة».

(٢) «في كرامة» كذا في النسخ، وعند البيضاوي: (لكرامة).

(٣) في (ك): «تقدم».

(٤) في (ك): «موافق».

وأسرارها؛ فيظنون أن الغنى والفقر وكثرة الأولاد وقلتهم في الدنيا<sup>(١)</sup>؛ للكرامة والهوان عند الله تعالى<sup>(٢)</sup>، وقرّر ذلك بقوله:

\*\*\*

(٣٧) - ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾.

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ﴾ أخبر عن الأموال والأولاد بـ (التي) على إرادة الجماعة؛ لأن الجمع المكسر يستوي في تأنيثه العقلاء وغيرهم.

وقرئ: ﴿باللاتي﴾<sup>(٣)</sup>؛ لأنها جماعات، وقرئ: (بالذي)<sup>(٤)</sup>؛ أي: بالشيء الذي. و﴿زُلْفَىٰ﴾ في محلّ النصب على المصدر؛ أي: تقرّبكم قربةً، كقوله: ﴿أُنَبِّئُكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ بِآثَارِ﴾ [نوح: ١٧].

﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ الظاهر أنه استثناء منقطع؛ أي: لكن من آمن وعمل صالحاً فإيمانه وعمله يُقرّبانه.

وقيل: استثناء متصل من مفعول ﴿تُقَرِّبُكُمْ﴾؛ أي: لا تُقَرِّبُ الأموال والأولاد أحداً إلا المؤمن الصالح الذي يُنفق أمواله في سبيل الله تعالى، ويُعلّم أولاده الخير والفقه في الدين، ويُربّيه على الصلاح، أو من ﴿أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ على حذف المضاف؛ أي: إلا أموال من آمن وأولاده.

(١) «في الدنيا»: ليست في (م).

(٢) بعدها في (م): «في الدنيا».

(٣) نسبت للحسن. انظر: «الكشاف» (٣/ ٥٨٦)، و«البحر المحيط» (١٧/ ٤٥٧).

(٤) انظر: المرجعين السابقين.

﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾؛ أي: تُضاعف لهم حسناتهم؛ الواحدة عشراً إلى سبع مئة وأكثر، مِنْ إضافة المصدر إلى المفعول؛ أي: أولئك لهم أَنْ يُجاوزوا الضعف.

وقرئ: ﴿جَزَاءُ الضَّعْفِ﴾؛ على الأصل، و﴿جَزَاءُ الضَّعْفِ﴾ بنصبٍ ﴿جَزَاءٌ﴾ ورفع ﴿الضَّعْفِ﴾<sup>(١)</sup>؛ أي: لهم الضعفُ جزاءً، على أَنَّهُ تَمِيِيزٌ، أو مصدرٌ لدلالة ﴿هَمْ﴾ على فِعْله؛ أي: يُجْزَوْنَ جزاءً، ويجوز كونه حالاً تسميةً بالمصدر.

و: (جَزَاءُ الضَّعْفِ) برفعهما<sup>(٢)</sup>، على أَنَّ (الضَّعْفُ) بدلٌ مِنْ (جَزَاءِ).

والفاء في ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ للسببية، وبالغ بها وباسم الإشارة، وبقوله: ﴿بِمَاعْمَلُوا﴾  
في أَنَّ الموجِبَ للكرامة والزُّلْفَى عند الله تعالى هو الإيمانُ والعملُ الصالحُ لا  
غيرهما.

﴿وَهُمْ فِي الْعُرُفَاتِ﴾؛ أي: في عُرفِ<sup>(٣)</sup> منازل الجنة، وقرئ: ﴿في الغرفة﴾<sup>(٤)</sup>،  
على إرادة الجنس.

﴿ءَامِنُونَ﴾؛ أي: مِنْ كُلِّ مَخُوفٍ وَمَكْرُوهٍ.

\*\*\*

(٣٨) - ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا﴾؛ أي: في إبطالها وصرفِ الناس عنها ﴿مُعْجِزِينَ﴾ مسابقين لأبيائنا، أو ظائنين أَنَّهُم يَفُوتُونَا.

(١) قرأ بها يعقوب في رواية رويس. انظر: «النشر» (٢/ ٣٥١).

(٢) نسبت لقتادة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٢).

(٣) سقط من (ك).

(٤) قرأ بها حمزة. انظر: «التيسير» (ص: ٥٣٠).

﴿أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ عبّر عن موضع العذاب بالعذاب مبالغةً.

\*\*\*

(٣٩) - ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ، وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾، إنّما أعاده لأنّ ما سبق باعتبار الأشخاص، وهذا باعتبار الأوقات بالنسبة إلى شخص؛ بدلالة ﴿لَهُ﴾ فيكون أدلّ على المقصود.

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾، عوضاً؛ إمّا عاجلاً أو آجلاً، لا مُعَوَّضَ له سواه<sup>(١)</sup>.

﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾؛ لأنّه قادرٌ على مواصلة رزقه وزيادة ما شاء لمن يشاء بغير حساب، وليس العبد كذلك، وأمّا أنّه رازقٌ حقيقةً دون العبد، فلا يناسب تفضيل أحدهما على الآخر؛ لأنّه يقتضي الشركة في أصل الفعل حقيقةً.

\*\*\*

(٤٠) - ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْتُولَاءِ إِنَّا كُنَّا نُوْعِبُدُونَ﴾. ﴿وَيَوْمَ﴾ نصب بـ ﴿قَالُوا﴾، أو بـ: اذكر ﴿يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا﴾؛ أي: المستكبرين والمستضعفين.

﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْتُولَاءِ إِنَّا كُنَّا نُوْعِبُدُونَ﴾؛ تقرّيعاً للمشرّكين وتبكيّاً وإقناطاً لهم عمّا يتوقّعون من شفاعتهم، فهو واردٌ على المثل السائر: إِيَّاكَ أَعْنِي واسمعي يا

(١) في (م): «لا معوض سواه»، وفي (ع) و(ي): «بعوض سواه».

جَارَةً، وتخصيص الملائكة لا لأنهم أشرف معبودهم؛ لأن عيسى عليه السلام أشرف منهم، ولا لانحصار صلاحية الخطاب فيهم، بل لأن مبدأ الشرك عبادتهم.

\*\*\*

(٤١) - ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِئِنَّا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ﴾: تنزيهاً لك أن نعبد معك غيرك ﴿أَنْتَ وَلِئِنَّا﴾ أنت<sup>(١)</sup> الذي نواليه ﴿مِنْ دُونِهِمْ﴾ لا موالاة بيننا وبينهم، أرادوا بإثبات موالاة الله تعالى ونفي موالاتهم براءتهم من الرضا بعبادتهم؛ لأن تخصيص موالاتهم به تعالى وإثبات معاداتهم إيّاهم ينافي ذلك، ثم أضربوا عن عبادتهم لهم إلى إثبات عبادتهم للجن بقولهم:

﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾؛ أي: الشياطين الذي يخيلونهم ذلك؛ لأنهم أطاعوهم في عبادة غير الله تعالى، أو يتوهمون الصور الخبيثة ويحسبونها ملائكة<sup>(٢)</sup>.  
﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ إنما قال: ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ لأن عبادة بعضهم كان عن وهم واحتمال، لا عن تصديق واعتقاد.

\*\*\*

(٤٢) - ﴿قَالِمْ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

(١) «أنت»: ليست في (م).

(٢) قيل: صوّرت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا: هذه صور الملائكة فاعبدوها. انظر:

«الكشاف» (٣/ ٥٨٨).

﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ إِذِ الْأَمْرُ يَوْمُنِذِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَلَا يَمْلِكُ أَحَدٌ شَيْئًا مِنَ الضَّرِّ وَالنَّفْعِ لِغَيْرِهِ وَلَا لِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا نَفَى الْمَلِكُ دُونَ الْقُدْرَةِ؛ لِمَا فِي الْبَعْضِ مِنَ الْقُدْرَةِ عَلَى الشَّفَاعَةِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿وَنَقُولُ﴾ عَظَفَ عَلَى ﴿لَا يَمْلِكُ﴾ مَبِينٌ لِلْمَقْصُودِ مِنْ تَمْهِيدِهِ ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ﴾ تَخْصِيصُ الْعِقَابِ بِالَّذِينَ ظَلَمُوا لِتَصْدِيرِ الْمَقَاوِلَةِ بِهِمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ فَخْتَمَ بِاخْتِصَاصِهِم بِالْعِقَابِ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ فِيهِمْ، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ دَلَالَةُ قَاطِعَةٍ عَلَى أَنَّ عَوْدَ الضَّمِيرِ عَلَى الْمُضَافِ إِلَيْهِ لَا يُخَلُّ حُسْنَ الْكَلَامِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي مَحَلِّ الْاِسْتِبَاهِ.

\*\*\*

(٤٣) - ﴿وَإِذْ أُنْتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَتَنَتَّى قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ أَبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِنْكَ مُفْتَرٍ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ.

﴿وَإِذْ أُنْتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾: آيَاتُ الْقُرْآنِ ﴿يَتَنَتَّى﴾ وَاضِحَاتِ الدَّلَالَاتِ عَلَى إِعْجَازِهِ ﴿قَالُوا مَا هَذَا﴾ يَعْنُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ﴿إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ﴾ الصَّدُّ: الصَّرْفُ عَنِ الْخَيْرِ ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ أَبَاؤُكُمْ﴾: عَنْ دِينِ آبَاءِكُمْ.

﴿وَقَالُوا مَا هَذَا﴾ يَرِيدُونَ الْقُرْآنَ ﴿إِلَّا إِنْكَ﴾ كَذَبٌ مُفْتَرٍ عَلَى اللَّهِ. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ﴾: لِأَمْرِ النَّبُوَّةِ، أَوْ لِلْإِسْلَامِ، أَوْ لِلْقُرْآنِ، وَالْأَوَّلُ - أَيْ: إِطْلَاقُ الْكُذْبِ عَلَيْهِ - بِاعْتِبَارِ مَعْنَاهُ، وَهَذَا - أَيْ: إِطْلَاقُ السِّحْرِ عَلَيْهِ - بِاعْتِبَارِ لَفْظِهِ وَبِلَاغَتِهِ.

﴿لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا﴾: أَيْ: الْحَقُّ ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ظَاهِرٌ سِحْرِيَّتُهُ.

وفي الإشارة بـ (هذا) في المواضع الثلاثة تحقيقٌ دالٌّ على جرائتهم على الله تعالى ورسوله عليه السلام وكتابه ورسالاته<sup>(١)</sup>، فلهذا قُوِيَتْ بما يدلُّ على غضبٍ شديدٍ، وإنكارٍ عظيمٍ، وتعجيبٍ من كفرهم بليغٍ، بإيقاع الموصول والصلة موقع الضمير في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وتعريف (الحق)، وإيراد ﴿لَمَّا﴾ الدالة على مبادهتهم<sup>(٢)</sup> بالكفر، وتسمية الحق النير بالسحر البين.

\*\*\*

(٤٤) - ﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾.  
 ﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾: يقرؤونها وفيها<sup>(٣)</sup> دليلٌ على صحّة الشركة أو أمرٌ به، وقرئ: (يُدْرُسُونَهَا)<sup>(٤)</sup>؛ من التدريس؛ وهو تكريرُ الدرس، أو للتكثير؛ من دَرَسَ الكتابَ ودَرَسَ الكتبَ، و: (يُدْرُسُونَهَا) بتشديد الدالِّ<sup>(٥)</sup>؛ يفتعلون من الدرس.  
 ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ يدعوهم إليه، ويُنذِرهم العقابَ على تركه، وقد بَانَ من قبلُ بالبرهان وجهُ بطلانه، فَمِنْ أَيْنَ وقعت لهم الشبهة؟! وهذا غايةٌ في تجهيلهم وتسفيه رأيهم.

ويجوز أن يكون معناه: أنهم قومٌ جُهَالٌ أُمِّيُونَ لا كتابَ لهم ولا نبيٍّ، نشؤوا على طباعهم الجاسية في الجاهلية، لا تَثْبُتَ لهم بوجهٍ ولا تمسكُ بشبهة، كقوله: ﴿أَمْ

(١) في (ك): «ورسلته».

(٢) أي: مسارعتهم، لأن (لما) تفيد وقوعهما في وقت واحد دون فاصل. انظر: «حاشية الشهاب» (٢٠٩/٧).

(٣) أي: في الكتب. انظر: «حاشية الشهاب» (٢٠٩/٧).

(٤) انظر: «البحر المحيط» (١٧/٤٦٥).

(٥) نسبت لأبي حيوة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٢).

ءَايَاتُهُمْ كِتَابَيْنَ قَبْلَهُ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿[الزخرف: ٢١]، ثم هددهم بقوله:

\*\*\*

(٤٥) - ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا ءَاتَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ

نَكِيرٍ﴾.

﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كما كذبوا ﴿وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا ءَاتَيْنَهُمْ﴾ وما بلغ هؤلاء عُشْرَ ما آتينا<sup>(١)</sup> أولئك من القوة والقدرة، وطول الأعمار، وعظم الأجرام، وكثرة الأموال.

وقيل: معنى المعشار: عُشْرُ العُشْرِ.

﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ﴾ فحين كذبوا رُسُلِي<sup>(٢)</sup> جاءهم إنكاري، فكيف كان حالهم في التدمير والاستئصال، حيث لم يُغْنِ عنهم استظهارهم بما هم به مستظهِرون، فما بال هؤلاء.

ويجوز أن يكون المعنى: وما بَلَغَ أولئك عُشْرَ ما آتينا هؤلاء من البيّنات والهدى، فكذبوا رُسُلِي فاستؤصلوا مع أن الحجج والبيّنات لم تتكرّر عليهم كما تكرّرت على هؤلاء، فكيف كان حالهم في إنكاري، فكيف يكون حال هؤلاء مع تكرّر البيّنات وتكرّرها، فليعتبروا بحالهم وليَحْذَرُوا مِنْ مثلها.

﴿فَكَذَّبُوا﴾ عطف على ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ﴾ عطف المقيد على المطلق بالفاء السببية؛ أي: فعلوا التكذيب وأقدموا عليه حتى تعودوا به، فصار سبباً لتكذيب رُسُلِي، ويجوز أن يعطف على ﴿مَا بَلَّغُوا﴾ كقولك: ما بَلَغَ زيدٌ معشارَ فضلِ عمرٍ وفيضَ عمرٍ وعليه.

(١) في النسخ عدا (ف): «آتيناهم».

(٢) في (ف) و(م): (رسلهم).

(٤٦) - ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظِيكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ ثَمَرٍ مُنْقَرٍ ثُمَّ نَكْفُوكُمْ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظِيكُمْ﴾ أنصح لكم ﴿بِوَاحِدَةٍ﴾ بخصلة واحدة، إِنْ فَعَلْتُمْ أَصَبْتُمْ الحقَّ وتخلَّصْتُمْ، وفسرها بقوله:

﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هي أن تقوموا، والمراد: القيام من مجلس رسول الله ﷺ، ولا يجوز أن يكون عطف بيان؛ لأنَّ ﴿بِوَاحِدَةٍ﴾ نكرة، و﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ معرفة تقديره: قيامكم لله، والتخالف في عطف البيان لم يذهب إليه ذاهب<sup>(١)</sup>.

﴿مِثْلَ ثَمَرٍ مُنْقَرٍ﴾: متفرقين اثنين اثنين، متناظرين على النصف<sup>(٢)</sup> دون

(١) في هامش (ف) و(ي): «مذهب البصريين أن يكون معرفة من معرفة ومذهب الكوفيين أن يتبع ما قبله في التعريف والتنكير».

قلت: والذي جوز عطف البيان هنا هو الزمخشري، قال الآلوسي: والظاهر أن الزمخشري ذاهب إلى جواز التخالف، وقد صرح ابن مالك في «التسهيل» بنسبة ذلك إليه، وهو من مجتهدي علماء العربية، وجوز أن يكون قد عبر بعطف البيان وأراد البدل لتأخيها، وهذا إمام الصناعة سيويه يسمي التوكيد صفة وعطف البيان صفة، ثم إن كون المصدر المسبوك معرفة أو مؤولاً بها دائماً غير مسلم. انظر: «الكشاف» (٥٧٩/٣)، و«التسهيل» (ص: ١٧٥)، و«روح المعاني» (١٣١/٢٢). وجاء تسمية التوكيد صفة في «الكتاب» (٣٥١/٢) و٣٥٩ و٣٧٨ و٣٧٩ و٣٨١ و٣٨٥ و٣٩١، وتسمية عطف البيان صفة (١٩٢/٢).

قلت: وفي قول الآلوسي: (وجوز أن يكون قد عبر بعطف البيان وأراد البدل) نظر؛ لأن المعروف هو العكس، أي: كثيراً ما يعبر عن عطف البيان بالبدل، وقد يكون بالصفة كما فعل سيويه، أما التعبير بعطف البيان فلا يظهر أنه مقصود بذاته، ولعله لهذا آخره الآلوسي وساقه بصيغة المجهول.

(٢) في (ف) و(ك): «النصف».

العَصْبَةِ<sup>(١)</sup> والجدال، أو: واحداً واحداً متفكرين؛ فإن الاجتماع والازدحام ممّا يُشوّش الخواطر<sup>(٢)</sup>، ويُعمي البصائر، ويُهيّج الفتن والتخاصم.

أو: تعزموا<sup>(٣)</sup> بهذا الأمر؛ من قولهم: قام بالأمر: إذا جدّ فيه، ومعنى ﴿لِلَّهِ﴾: خالصاً لوجه الله، مُعرضاً عن المراء والتقليد.

﴿ثُمَّ تَنَفَّكُورُوا﴾ في أمره عليه السلام، ومحله الجرّ على البدل أو البيان<sup>(٤)</sup>، أو الرفع أو النصب، بإضمار: هو، أو: أعني.

﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ حِجَّةٍ﴾ (ما) نافية متعلّقة بـ ﴿تَنَفَّكُورُوا﴾؛ أي: تفكروا فتعلموا ما به من حجة.

ويجوز أن يكون استئنافاً تنبيهاً من الله تعالى لهم على أن ما عرفوا من راحة عقله كافٍ في ترجّح<sup>(٥)</sup> صدقه، فإنّه لا يدعّهُ أن يتصدّى لادّعاء مثل هذا الأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة من غير تحقّق بيقين، وتعرّف ببرهان مبين، فيفتضح على رؤوس الأشهاد، ويُلقَى نفسه في معرض الهلاك، كيف وقد انضمّ إليه آيات باهرة ومعجزات قاهرة.

ويجوز أن تكون استفهامية؛ أي: ثم تفكروا في أحواله وأقواله وأفعاله، هل فيه ما يتهمة ويدلّ على أن به حجة؟!

(١) في (ع): «القَصْبَةُ»، وفي (ي): «القَصْبَةُ».

(٢) في (ك): «الخاطر».

(٣) في (ف) و(ك): «تقوموا».

(٤) في (م) و(ي): «على البيان أو البيان»، وفي (ف) و(ك): «على البيان»، والمثبت من (ع)، وهو الموافق لما في البيضاوي.

(٥) في (ف) و(ك): «ترجيح».

وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ﴾ يرجح كون (ما) نافيةً.

﴿بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: قُدَّامَهُ، كقوله عليه الصلاة والسلام: «بُعِثْتُ فِي نَسَمِ السَّاعَةِ»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(٤٧) - ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ خبر جزاء الشرط؛ أي: أي شيء سألْتُكم من أجر الرسالة فهو لكم، ويجوز أن تكون (ما) موصولةً، والفاء لتضمينها معنى الشرط، والغرض نفي الأجر رأساً، كما يقول الرجل لصاحبه: إن أعطيتني شيئاً فاستردّه<sup>(٢)</sup>، وهو يعلم أنه لم يُعطه<sup>(٣)</sup> شيئاً، أو إثبات الأجر لهم، وهو ما أراد بقوله: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٥٧]، وبقوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]؛ لأنَّ اتخاذ السبيل إلى الله تعالى ينفعهم، وكذا مودةً قربانه فإن فيه قربانهم إلى الله تعالى.

(١) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٧٧٣) من طريق أبي جيرة بن الضحاك، عن أشياخ من الأنصار، ورواه البزار (٣٢١٥ - كشف)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٦١/٤) من طريق أبي جيرة بن الضحاك، عن النبي ﷺ، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٢٨/١١): (ورجاله رجال الصحيح غير شبل - أو شبل - بن عوف، وهو ثقة). وقال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٠٩): (أخرجه البزار بسند حسن من حديث أبي جيرة بن الضحاك الأنصاري). قلت: وأبو جيرة مختلف في صحبته. انظر: «الإصابة» (٥٤/٧). قال ابن الأثير في «النهاية» (مادة: نسَم): والنَّسَمُ جمع: نسمة، وهي النفس والروح؛ أي: بُعثت في ذي أرواح خلقهم الله تعالى قبل اقتراب السَّاعَةِ.

(٢) في (ك): «فأسرره». ولفظ «الكشاف» و«البحر» و«أبو السعود» و«الآلوسي»: (فخذ).

(٣) في (ك): «يعط».

وعلى الأول؛ قيل: كأنه جعل النبي مستلزماً لأحد الأمرين: الجنون، وتوقع نفع دنيوي عليه، لا لأنه لا يخلو من أن يكون لغرض، أو لا، وأياً ما كان يلزم أحدهما، ثم نفى كلا منهما. ولا يخفى ضعفه؛ لأن توقع النفع الدنيوي غير منحصر في سؤال الأجر، وذلك ظاهر.

﴿إِنْ أَجَرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾؛ أي: ما أبتغي عليه إلا الثواب من الله تعالى ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: مطلعٌ يعلم صدقي، وأني لا أطمع في شيء ولا أتوقع أجراً إلا منه.

\*\*\*

(٤٨) - ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ﴾.

﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ القذف<sup>(١)</sup> مستعارٌ من معناه بمعنى الإلقاء؛ أي: يُلقيه إلى أنبيائه، أو يرمي به الباطل فيدمغه ويُرْهقه.

﴿عَلَمُ الْغُيُوبِ﴾ خبر ثانٍ، أو صفةٌ لـ ﴿رَبِّي﴾ محمولةٌ على محلّ (إِنَّ) واسمها، أو خبرٌ مبتدأٌ محذوف، أو بدلٌ من المستكن في ﴿يَقْذِفُ﴾.

وقرئ: بالنصب<sup>(٢)</sup> صفةٌ لـ ﴿رَبِّي﴾، أو على المدح؛ أي: أعني، أو: أخصّ.  
وقرئ: بكسر الغين<sup>(٣)</sup>، كالبُيوت، وبفتحها كالصُّبُور<sup>(٤)</sup>، على أنّه مبالغةٌ غائب، وهو البليغ في الغيبة والخفاء.

\*\*\*

(١) «القذف»: ليست في (م).

(٢) نسبت لعيسى وابن أبي إسحاق. انظر: «مختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٢).

(٣) قرأ بها حمزة، وشعبة عن عاصم. انظر: «التيسير» (ص: ١٠١).

(٤) انظر: «الكشاف» (٣/ ٥٩١)، و«البحر المحيط» (١٧/ ٤٧٣). ووقع في (ك) و(ي): «كالصيود».

(٤٩) - ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾.

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾: الإسلام ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾؛ أي: زهق الباطل - وهو الشرك - بحيث لم يبق له أثرٌ ولا يُبدى ولا يُعيد؛ مثلٌ في الهلاك؛ لأنَّ الحيَّ إمَّا أن يبدى فعلاً أو يُعيدَه، فإذا هلك لم يبق له بداء<sup>(١)</sup> ولا إعادة، فصار مثلاً فيه، ومنه قول عبید:

أَقْفَرِ مَنْ أَهْلِهِ عَبِيدُ      فالْيَوْمَ لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ<sup>(٢)</sup>

وقيل: ﴿الْبَاطِلُ﴾ إبليس؛ أي: ما يُنشئ خلقاً ولا يُعيدَه، إنَّما المنشئ والباعث هو الله تعالى.

وقال الزجَّاج: أي شيء يُنشئ إبليس ويُعيدَه<sup>(٣)</sup>؟! فجعله للاستفهام.

\*\*\*

(٥٠) - ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ

سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾.

﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ﴾ عن الحقَّ ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ فإنَّ وبال ضلالي على نفسي.

﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ أصلُ الكلام: إن ضللتُ فيما يوحى إليَّ

الشیطان، وضرره<sup>(٤)</sup> على نفسي، وإن اهتديتُ فيما يوحى إليَّ ربِّي ونفعه لها، فعُدل

(١) في (ك): «إبداء».

(٢) البيت في «ديوان عبید بن الأبرص» (ص: ٤٥)، و«الأغاني» للأصفهاني (٢٢/٨٨).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/٢٥٨).

(٤) في (ك): «ضرره».

إلى ما ذكر؛ فبين في أحد القسمين الحكم وفي الآخر السبب؛ اكتفاءً بما فهم ممّا<sup>(١)</sup> ذكر في أحدهما حال الآخر، وهذا غاية الإيجاز، وكلما يتنبه لمثله إلا الحذائق.

﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ يسمع ويرى قول كل ضالٍّ ومهتدٍ وفعله، لا يخفى عليه منهما شيء وإن أخفاه.

\*\*\*

(٥١) - ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا﴾ حذف جواب (لو) للتحويل؛ أي: لرأيت أمراً هائلاً لا يمكن وصفه، ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة، أو وقت الموت، وقيل: يوم بدر.

و(لو) و(إذ) والأفعال الماضية بعدهما وهي: ﴿فَرَعُوا﴾ و﴿أُخِذُوا﴾، و﴿حِيلَ بينهم﴾<sup>(٢)</sup> كلُّها للمضي والمراد بها الاستقبال؛ للدلالة على تحقق وقوع معانيها عند الله تعالى، وكل ما يفعل الله تعالى في المستقبل فهو بمنزلة الماضي لتحقيق وقوعه لا محالة، فكانه قد وقع.

﴿فَلَا قُوَّةَ﴾ فلا يفوتون الله ولا يسبقونه؛ أي: لا فوت لهم.

﴿وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ من الموقف إلى النار، أو: من ظهر الأرض إلى بطنها، أو: من صحراء بدر إلى القلب.

والعطف على ﴿فَرَعُوا﴾؛ أي: فزعوا وأخذوا فلا فوت لهم، أو على (لا فوت)،

(١) في (ي): «بما».

(٢) قوله: «وحيل بينهم» من «الكشاف» (٣/ ٥٩٢)، ووقع في النسخ بدلا منه: «وجعل وفعل».

على معنى: إذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا، ويؤيده ما قرئ: (وَأَخَذُ) <sup>(١)</sup> معطوفاً على محلّ (لا فوت)؛ أي: لا فوت هناك وهناك أخذ.

\*\*\*

(٥٢) - ﴿وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ءِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

﴿وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ﴾؛ أي: بمحمد ﷺ؛ لمرور ذكره في قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ﴾، أو: للعذاب <sup>(٢)</sup> المذكور في قوله: ﴿بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ﴾: ومن أين لهم التناول السهل من مكان قريب، يعني: تناول الإيمان ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ فإنه يكون في حيز التكليف، وقد بعد عنهم؛ تمثيل لطلبهم المستحيل، وهو أن ينفعهم الإيمان وقت العذاب في الآخرة كما ينفع المؤمنين في الدنيا؛ مثل حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة <sup>(٣)</sup>، كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولاً سهلاً.

وقرئ: ﴿التَّنَاطُشُ﴾ بهمز الواو المضمومة <sup>(٤)</sup>، كما همزت في: أَجُورُ وَأُدُورُ، وعن أبي عمرو: التَّنَاطُشُ - بالهمز -: التناول <sup>(٥)</sup> من بُعد، من قولك: ناشت، إذا أبطأت وتأخرت.

(١) نسبت لعبد الرحمن مولى بني هاشم عن أبيه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٢)، و«الكشاف» (٥٩٣/٣)، و«البحر المحيط» (٤٧٧/١٧).

(٢) أي: أو الضمير للعذاب.

(٣) الغلوة: الغاية، وهي رمية سهم أبعد ما يُقدَّر عليه، ويقال: هي قدر ثلاث مئة ذراع إلى أربع مئة، والجمع: غلوات. انظر: «المصباح المنير» للفيومي (مادة: غلو).

(٤) قرأ بها أبو عمرو وحزمة والكسائي، وشعبة عن عاصم. انظر: «التيسير» (ص: ١٨١).

(٥) في النسخ: «التناوش»، والمثبت من «الكشاف» (٥٩٣/٣)، والكلام منه.

(٥٣) - ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾؛ أي: بمحمد ﷺ، أو بالعذاب ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل ذلك أوان التكليف.

﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾: يرمون به ويتكلمون بما لم يظهر في رسول الله ﷺ؛ من قولهم: ساحرٌ وشاعرٌ وكذاب، ولم يُشاهدوا منه شيئاً من ذلك.

﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾؛ أي: قد أتوا هذا الغيب من جهة بعيدة عن حاله عليه السلام؛ لأنه أبعد شيء مما جاء به الشعر والسحر، وأبعد من عادته التي هو معروف بها الزور والكذب.

وعلى تقدير عود الضمير على العذاب، معنى قَذَفَهُم بِالْغَيْبِ: قياسهم أمر الآخرة على أمر الدنيا، وهو غيبٌ ومقذوفٌ به من جهة بعيدة.

والعطف على ﴿وَقَدْ كَفَرُوا﴾ على حكاية الحال الماضية، أو على (قالوا) فيكون تمثيلاً آخر لهم، بأن مُثِّلَ حالهم في طلب المستحيل - وهو نفع الإيمان في الآخرة - بمن يقذف شيئاً إلى مَنْ لا يراه من مكان بعيد، لا مجال للظن في لحوقه؛ لغاية بُعْده.

وقرئ: (يُقَذَفُونَ) على البناء للمفعول<sup>(١)</sup>، على أَنَّ الشيطان يُلقِي إليهم ويُلقنهم ذلك.

\*\*\*

(١) نسبت لمجاهد. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٢).

(٥٤) - ﴿وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكِّ مُرِيبٍ﴾

﴿وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من نفع الإيمان يومئذٍ، والنجاة من النار والفوز بالجنة، أو من الرد إلى الدنيا، كما حكى عنهم بقوله: ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ [السجدة: ١٢].

﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ﴾: بأشباهم من كفر الأُمم الدَّارِجَة.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكِّ مُرِيبٍ﴾ من أرابه: إذا أوقعه في الرِّبَة والتُّهْمَة، أو من أرابَ الرجلُ: إذا صار ذارِبَة ودَخَلَ فيها، مجازُ في كِلَا المعنيين، والفرق: أنَّ المريبَ<sup>(١)</sup> بالمعنى الأول منقولٌ ممَّن يصحُّ أن يكون مريباً من الأعيان، والمعنى الثاني منقولٌ من صاحبِ الشَّكِّ إلى الشَّكِّ، كما تقول: شَعُرُ شَاعِرٍ، يُنْعَت به الشَّكُّ للمبالغة<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) في (م): «والمريب» بدل: «والفرق أن المريب».

(٢) في (م) زيادة: «والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب والله أعلم وأحكم». وفي هامش (ي):

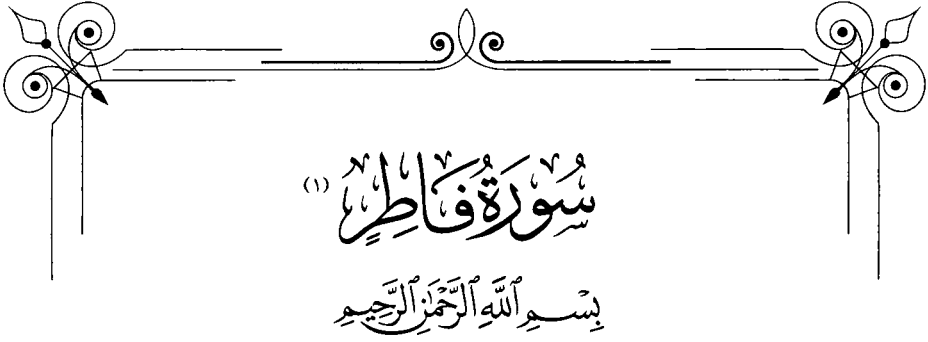
«في الليلة الرابعة من الصفر سنة: ٩٣٣».





# سُورَةُ فَاطِمَةَ





(١) - ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحٍ مثنى وثلاث وربع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير﴾.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: مبدعهما، من الفطر<sup>(٢)</sup>، وهو الشق، فاستعمل في الخلق ابتداءً على طريق<sup>(٣)</sup> المجاز المرتب على الكناية، والإضافة حقيقية لأنه بمعنى الماضي، على ما قرئ بلفظه<sup>(٤)</sup>، ولذلك وُصف به المعرف.

﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ﴾ وقرئ بالرفع على المدح<sup>(٥)</sup>.

﴿رُسُلًا﴾: وسائط بينه وبين عباده، يبلغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤيا الصالحة.

(١) في (م): «سورة الملائكة أربعون وخمس آيات وسبع مئة وسبعون كلمة».

(٢) في (ع): «الفطرة».

(٣) في (ك) و(م): «طريقة»، وفي (ف): «طريقته».

(٤) قرأ الضحاك: (فطر) بصيغة الماضي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٣).

(٥) بالرفع والتنوين مع نصب (الملائكة) نسبت للحلبي، وبالرفع بلا تنوين مع جر (الملائكة)

نسبت للحسن، وبالرفع بلا تنوين مع نصب (الملائكة) نسبت لعبد الوارث عن أبي عمرو.

انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٣)، و«المحتسب» (١٩٨/٢)، و«البحر»

﴿أَوَّلِ أَجْنَحَةٍ﴾ ﴿أَوَّلِ﴾ اسمُ جمعٍ لـ ﴿ذُو﴾، وهو بدلٌ من ﴿رُسُلًا﴾، أو نعتٌ له. ﴿مَتْنِي وَتِلْكَ وَرُبْعٌ﴾ صفاتٌ لـ ﴿أَجْنَحَةٍ﴾ غيرُ منصرفة؛ أي: صنفٌ منهم أجنحتهم اثنان اثنان، وصنفٌ أجنحتهم ثلاثة ثلاثة، وصنفٌ<sup>(١)</sup> أربعة أربعة، وتفاوتها بحسبِ تفاوتِ مراتبهم وأمرهم التي سُخِّرَتْ لها.

وما رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَأَى جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ وَلَهُ<sup>(٢)</sup> سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ<sup>(٣)</sup>، فَلَعَلَّهُ مَخْصُوصٌ بِهِ، فَلَمْ<sup>(٤)</sup> يَذْكُرْ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ الْمَكْرُورِ. ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ استئنافٌ للدلالة على أن الاختلاف المذكور أمرٌ تقتضيه مشيئته وحكمته.

وإنما عمَّ الخلق ليتناول كلَّ زيادة في جميع الخلائق؛ كحُسنِ الصورة<sup>(٥)</sup>، وحصافة العقل، وذكاء القلبِ وشهامته، وشجاعة النفسِ وسماحتها<sup>(٦)</sup>، إلى ما لا يتناهى.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ استئنافٌ للتعليل؛ فإنَّ القدرةَ الكاملةَ الشَّاملةَ لا بدَّ لها<sup>(٧)</sup> مِنْ مَرَجِّحٍ لَا مِنْ خَارِجٍ؛ لِأَنَّهُ يَنَافِي كِمَالَ الْقُدْرَةِ، فَهُوَ الْمَشِيئَةُ.

\*\*\*

(١) في (ف): «أو».

(٢) في (ك): «له».

(٣) روى نحوه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) في (ف): «ولم».

(٥) في (م): «الصوت».

(٦) في (ف) و(ك): «وشهامتها».

(٧) في النسخ: «له».

(٢) - ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ﴾ استعيرَ الفَتْحُ للإِطلاق والإرسال، وأوماً إلى استعارته له بقوله: ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُ﴾ مكان: لا فاتح له.

﴿مِنْ رَحْمَةٍ﴾ تنكيرُها للإشاعة والتَّعميم؛ أي: مِنْ آيَةٍ رَحْمَةٍ كانت معنويَّةً أو صوريَّةً، سماويَّةً أو أرضيَّةً.

﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾: فلا أحدَ يقدرُ على إمساكِها<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَا يُمْسِكُ﴾ قيَّد المرسل بالرحمة وقُدِّمَ لأنَّها الأصل، وأُطلق الممسك ليتناولها وغيرَها من النعمة والغضب؛ إشعاراً بقوله: «سبقت رحمتي على غضبي»<sup>(٢)</sup>.

﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُ﴾: فلا أحدَ يقدرُ على إرساله.

أنتَ ضميرَ الاسمِ الأوَّلِ<sup>(٣)</sup> المتضمَّن للشرط على المعنى لتفسيره بالرحمة، وذكرَ الثاني على اللَّفظ لإطلاقه.

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: مِنْ بعدِ إمساكه.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الغالبُ القادرُ على ما يشاء، ليس لأحدٍ أن يَنازِعَه في الإرسال والإمساك.

(١) في النسخ: «إمساكه».

(٢) رواه البخاري (٧٥٥٣)، ومسلم (٢٧٥١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «سبقت رحمتي غضبي».

(٣) في (م): «أولاً».

﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي لا يفعل ما يفعل إلا بحكمة وإتقان علم<sup>(١)</sup>.

ثم لما بين أنه الموجد للملك والملوك، المتصرف في الكل على الإطلاق، أمر الناس بشكر نعمته وتخصيصه به تعالى، فقال:

(٣) - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانْتَظِرُوا يُوقُوتُ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ الخطاب عام، وكذا النعمة، ولا عبرة في الخصوص في سبب النزول، والمراد بذكر النعمة: شكرها بالقلب واللسان والجوارح، برويتها منه لا من غيره، وأداء حقوقها بالثناء على المنعم، والطاعة له، واستعمالها في مراضيه<sup>(٢)</sup>.

ثم أنكر أن يكون غيره في ذلك مدخل فيستحق أن يُشرك به بقوله:

﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ قرئ بالحركات الثلاث<sup>(٣)</sup>؛ أمّا الرّفْع فللحمل على محلّ ﴿مِنْ خَلْقٍ﴾ بأنّه وصف أو بدل<sup>(٤)</sup>، فإنّ الاستفهام بمعنى النّفي، أو لأنّه فاعل ﴿خَلْقٍ﴾، وأمّا الجرّ فللحمل على لفظه، وأمّا النّصب فعلى الاستثناء. ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ صفة لـ ﴿خَلْقٍ﴾، أو تفسير لعامله إن جعلته

(١) في (ف) و(ك): «علمه».

(٢) في (م): «مراضيه».

(٣) قرأ حمزة والكسائي بخفض الراء، وباقي السبعة برفعها. انظر: «التيسير» (ص: ١٨٢).

ونسبت القراءة بنصب الراء للفضل بن إبراهيم النحوي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٣).

(٤) بعدها في (ف) و(ك): «أو تفسير لعامله إن جعلته مرفوع المحلّ»، وهو ناشئ عن سبق نظر عند الناسخ، وسيأتي في مكانه الصحيح.

مرفوع المحل بإضمار فعل لا بالابتداء؛ أي: هل يرزقكم من خالق، أو استئناف دَلَّ على أن لا خالق غير الله، وعلى وجوب شكر نعمته، فهو أحسن الوجوه، وعلى الوجهين الأخيرين لا محل له من الإعراب.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ جملة مفصولة [لا محل لها]<sup>(١)</sup> مثل ﴿يَرْزُقُكُمْ﴾ في الوجه الثالث؛ إذ لو وصلتته مثل ﴿يَرْزُقُكُمْ﴾ في الوجهين الأولين لفسد<sup>(٢)</sup> المعنى؛ لأن قولك: هل من خالق آخر سوى الله لا إله إلا ذلك الخالق<sup>(٣)</sup>؛ متناقض. ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾: فمن أي وجه تُصرفون عن التوحيد إلى إشراك غيره.

\*\*\*

(٤) - ﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾: تسليّة لرسول الله ﷺ، وبعث له على التأسّي بالرسل السابقين في الصبر على تكذيبهم؛ أي: وإن يكذبوك فتأسّ بالرسل العظام، واصبر<sup>(٤)</sup> على تكذيبهم، فوضع ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ موضعه لبيان السبب، واستغنى بذكر السبب عن المسبب إيجازاً.

وتنكير ﴿رُسُلٌ﴾ للتعظيم المقتضي لزيادة التسليّة، والحثّ على الصبر؛ أي: رسل عظام ذوو<sup>(٥)</sup> عدد كثير، وأولو آيات بيّنات.

(١) في (ع) و(ف) و(ك) و(ي): «منصوبة»، وفي (م): «منصوب»، وكلاهما تحريف، والمثبت من «الكشاف» (٥٩٨/٣)، والكلام وما بين معكوفتين منه.

(٢) في (ف): «يفسد».

(٣) في (ف): «إلا هو».

(٤) في (ف) و(ك): «فاصبر».

(٥) في النسخ عدا (ك): «ذو»، والمثبت من (ك) و«الكشاف» (٥٩٩/٣).

وقد نعى بها على قريش حينئذٍ سوءَ تلقِّيهم لآياتِ الله وتكذيبهم بها بعد التَّقرير البالغ في قوله: ﴿فَأَذِّنْ تُوفَّكَوتَ﴾.

﴿وَالِلَّهِ تُرْجِعُ الْأُمُورَ﴾ وعدٌ ووعدٌ؛ أي: فيجازيك<sup>(١)</sup> وإيَّاهم على الصَّبر والتَّكذيب.

\*\*\*

(٥) - ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾: الجزاء بالثواب والعقاب ﴿حَقٌّ﴾: لا خُلفَ فيه.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: فلا تخذعنكم الدنيا ولذاتها وشهواتها، فيذهلكم التَّمَتُّعُ بها عن السَّعي للآخرة، وطلب ما عند الله.

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾: الشَّيْطَانُ، فَإِنَّهُ هو البالغ في التَّغْيِيرِ بأنَّ يَمْنِيَكُم المغفرة مع الإصرار على المعصية، فإنَّها وإن أمكنت لكنَّ الذَّنْبَ بهذا التَّوَقُّع كتناول السُّمِّ اعتماداً على الدَّفْعِ بِقُوَّةِ الطَّيْبَةِ<sup>(٢)</sup>.

وقرئ بالضم<sup>(٣)</sup>، وهو مصدرٌ غَرَّه كاللُّزوم والنُّهوك<sup>(٤)</sup>، أو جمع غَارٌّ، كقَاعِدٍ وقُعودٍ.

\*\*\*

(١) في (ف) و(م): «فيجازيكم».

(٢) «بقوة الطبيعة» زيادة من (ي) و(ع)، وفي (م): «بقوى الطبيعة».

(٣) أي: (الغرور) بضم الغين. انظر: «تفسير الثعلبي» (٥/ ١٦٨)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٢٩).

(٤) في (ك): «كالتهوك»، وفي (ي): «والشهوك»، وفي (ع): «والشهوك». والمثبت من باقي النسخ،

وهو الموافق لما في «الكشاف» (٣/ ٥٩٩).

(٦) - ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.  
 ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ تذكيرٌ لبني آدمَ ما فعلَ بأبيهم آدمَ عليه السلام بالإغواء والتغريب، وتحذيرٌ عن موالاته.

﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ بالغِ العداوة في عقائدكم وأفعالكم، وكونوا على حذرٍ منه في مجامع أحوالكم.

﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ مبالغةٌ في التحذير عن عداوته بتقريرها، وبيانِ غرضه في دعوة شيعته إلى اتباع الهوى والركون إلى الدنيا.

\*\*\*

(٧) - ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وعدٌ لمن أجابه، ووعدٌ لمن خالفه، وبنى الأمر على الإيمان والعمل الصالح وتركهما؛ ليقطع الأطماع الفارغة، ويهيج الهمم العالية.  
 ولما ذكرَ الفريقين قرَّرَ<sup>(١)</sup> الوعد والوعيد بقوله:

\*\*\*

(٨) - ﴿أَفَمَنْ زُينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ لَمْ يَضِلُّ مِنْ يَشَاءِ وَيَهْدَى مِنْ يَشَاءِ فَلَا نَذِيبُ نَفْسًا عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

﴿أَفَمَنْ زُينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾؛ أي: أفمن زين له سوء عمله لغلبة وهمه

(١) في (ف) و(م) و(ي) و(ع): «قدَّر».

وهواه على عقله، فانتكس رأيه فرأى الباطل حقاً والقُبْحَ حَسَنًا، كَمَنْ لَمْ يُزَيِّنْ لَهُ،  
بل وُفِّقَ لِلنَّظَرِ الصَّحِيحِ فعرّفهما، ورأى<sup>(١)</sup> الحقَّ حقاً فاستحسنه<sup>(٢)</sup> واختاره، ورأى  
الباطل باطلاً فاستقبحه وتركه.

والهمزة للإنكار دخلت على الفاء العاطفة لإنكار الجهل وفقد النظر والتمييز؛  
أي: أبعد ما تبين<sup>(٣)</sup> عاقبة الفريقين مَنْ فَقَدَ التَّمْيِيزَ وَاتَّبَعَ الشَّيْطَانَ، فرأى القبيح الذي  
زُيِّنَ لَهُ حَسَنًا كَمَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ.

وإنما حذف الجواب لدلالة: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ عليه.

وقال الرَّجَّاجُ: الجواب: ذهبت نفسك<sup>(٤)</sup> عليهم حسرةً، فحذف لدلالة: ﴿فَلَا  
تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ عليه<sup>(٥)</sup>؛ أي: فلا تُهلك نفسك للحسرات.

و﴿عَلَيْهِمْ﴾ صلة ﴿تَذْهَبْ﴾، كقولك: هلك عليه حباً، أو بيان للمتحسر عليه،  
ولا يجوز أن يتعلّق بـ ﴿حَسْرَتٍ﴾؛ لأنَّ صلة المصدر لا تتقدّم عليه، ويجوز أن يكون  
حالاً<sup>(٦)</sup> على أنها كلّها صارت حسراتٍ لفرط التحسر.

(١) في (م): «فرأى».

(٢) في (م) و(ي): «فأحسنه».

(٣) في (ف): «بين».

(٤) في (ف) و(ك): «الجواب فلا تذهب نفسك»، والمثبت من باقي النسخ والمصدر.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/٢٦٤).

(٦) أي: (أن يكون ﴿حَسْرَتٍ﴾ حالاً من ﴿نَفْسُكَ﴾)، وهذه عبارة الآلوسي في «روح المعاني»

(١٧٠/٢٢)، وعبارة المؤلف منقولة بالحرف من «الكشاف» (٣/٦٠٠). ووقع في (ك): «ولا

يجوز»، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في المصدرين المذكورين وغيرهما.

وجمعُ الحشرات للدلالة على تضاعف اغتمامه<sup>(١)</sup> على أحوالهم، أو كثرة مساوئ أفعالهم المقتضية للتأسف عليهم.

وقرى: ﴿فَلَا تُذْهِبُ نَفْسَكَ﴾<sup>(٢)</sup>؛ أي: فلا تهلكها.

والفاءات الثلاث للسببية، غير أنَّ الأوليين دخلتا على السبب، والثالثة على المسبب.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ وعيدٌ لهم بالعقاب على سوء صنيعهم.

\*\*\*

(٩) - ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَتُهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾.

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ على حكاية الحال الماضية، وقد خولف به عما قبله وما بعده إلى المضارع؛ استحضاراً لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة من إثارة الريح السحاب، وما يقارنه من إنزال المطر وغيره.

وهكذا يُغيّر النظم في كلِّ أمرٍ عجيبٍ وفعلٍ يختصُّ بحالٍ يُستغربُ، أو يهْمُ المخاطبُ أو المخاطَبُ<sup>(٣)</sup>، أو يتميزُ<sup>(٤)</sup> بنوعٍ شريفٍ، وغير ذلك.

(١) في (ف) و(ي): «إغتمامه».

(٢) قرأ بها أبو جعفر. انظر: «النشر» (٢/ ٣٥١).

(٣) «أو المخاطب» من (ي) و(ع)، وفي (ع) كررها مرتين.

(٤) وقعت العبارة في (ك) هكذا: «في كلِّ أمرٍ عجيبٍ وفعلٍ يختصُّ بحاله تقريباً لفهم المخاطب بتمييز».

والتفت في <sup>(١)</sup>: ﴿سُقْنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ من الغيبة إلى التكلّم الذي هو أدلُّ <sup>(٢)</sup> على الاختصاص بالقدرة الباهرة، والضمير في:

﴿فَأَحْيَيْنَاهُ الْأَرْضَ﴾ للمطر الدالّ عليه السحاب، أو للسحاب لأنّه سبب السبب فهو سبب <sup>(٣)</sup>.

﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: بعد يسها.

﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾؛ أي: مثل إحياء المواتِ نشورُ الأموات في صحّة المقدوريّة؛ إذ لا فرق بينهما إلّا احتمال اختلاف <sup>(٤)</sup> المادّة في المقيس عليه، ولا مدخل له فيها. وقيل في كَيْفِيَّةِ الإحياء: إن الله تعالى يرسل ماءً <sup>(٥)</sup> من تحت العرش تنبت به أجسادُ الخلق.

\*\*\*

(١٠) - ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ، وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُأُؤُكَ هُوَ بُورٌ﴾.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾؛ أي: القوّة والقدرة والمنّة فليطلبها من عند الله تعالى، فحذف الجزاء استغناءً عن المدلول بالدليل، وهو قوله:

(١) «في» سقط من (ك) و(ي).

(٢) في (م): «الأدل».

(٣) بعدها في (ع): «أو لا سيول له»، وفي (ف): «أو لا سوء له»، وفي (ك): «أو لإرسال دل له»، وفي (م): «أو لا سؤل إليه»، وفي (ي): «أو لا مسؤولاً له».

(٤) في (ي): «الاحتمال اختلاف»، وسقطت «اختلاف» من (ف).

(٥) في (ك): «يرسلها».

﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾؛ أي: عِزَّةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ الَّذِي يُطَلَّبُ بِهِ الْعِزَّةُ هُوَ التَّوْحِيدُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ فَقَالَ:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ ﴿الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ هُوَ قَوْلٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَصُعُودُهُ إِلَيْهِ مُجَازٌ عَنْ قَبُولِهِ إِيَّاهُ، وَالْمُسْتَكْنُ فِي ﴿يَرْفَعُهُ﴾ لِلْكَلِمِ؛ لِأَنَّ الصَّاعِدَ بِنَفْسِهِ هُوَ، وَلَا خِلَافَ فِي أَنَّ الْعَمَلَ لَا يُقْبَلُ إِلَّا بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ. وَيُؤَيِّدُهُ الْقِرَاءَةُ بِنَصْبِ (الْعَمَلِ) <sup>(١)</sup>.

وَقِيلَ: اللَّهُ تَعَالَى، وَالْمَرْفُوعُ الْعَمَلُ، وَتَخْصِيصُهُ بِهَذَا الشَّرْفِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْكَلْفَةِ. وَقِيلَ: لِلْعَمَلِ فَإِنَّهُ يَحَقِّقُ الْإِيمَانَ وَيَقْوِيهِ.

وَالْكَلِمُ: اسْمُ جَنْسٍ مِنَ الْأَجْنَاسِ الَّتِي يُفْرَقُ بَيْنَ وَاحِدِهَا وَالْجَنْسِ بِالتَّاءِ، كَتَمْرِ وَتَمْرَةٍ <sup>(٢)</sup>.

وَقُرِئَ: (يُصْعَدُ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ <sup>(٣)</sup>.

و: (يُصْعَدُ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ مِنْ أَصْعَدَ، وَنَصَبِ (الْكَلِمِ)، وَالْفَاعِلُ هُوَ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ لِأَنَّهُ يُصْعِدُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى <sup>(٤)</sup>.

﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ نَعَتْ لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ؛ أَي: الْمَكْرَاتِ السَّيِّئَاتِ، أَوْ لِمُضَافٍ <sup>(٥)</sup> إِلَى الْمَصْدَرِ؛ أَي: أَصْنَافِ الْمَكْرِ السَّيِّئَاتِ، أَوْ ضُمِّنَ ﴿يَمْكُرُونَ﴾ مَعْنَى:

(١) نسبت لعيسى وابن أبي عتبة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٣).

(٢) في (ف) و(ك): «كتمر».

(٣) انظر: «الكشاف» (٣/ ٦٠٣).

(٤) نسبت لعلي بن أبي طالب وابن مسعود رضي الله عنهما. انظر: «المختصر في شواذ القراءات»

(ص: ١٢٣)، و«الكشاف» (٣/ ٦٠٣).

(٥) في النسخ عدا (ك): «المضاف»، والمثبت من (ك).

يكسبون، فَنُصِبَ ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ مفعولاً به، والمراد: مكرات قريش في دار الندوة، وقد مرَّ تفصيلُها في (الأنفال).

﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لا يُؤْبَهُ دُونَهُ بما يمكرون به.

﴿وَمَكْرُؤُكُم بِهَوِيٍّ﴾ ﴿وَلَيْكُمُ الْإِشَارَةُ﴾ إلى ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ جيء به للدلالة على عظم مكرهم، وأنه لخبثه أوجب فسادَه وعدم نفاذه.

وتوسيط ﴿هُوَ﴾ للحصر؛ أي: هو خاصَّةٌ يبور<sup>(١)</sup> ويفسد دون مكر الله تعالى بهم.

وكون الأمور مقدَّرة لا تتغير<sup>(٢)</sup>، لا يصلح علَّةٌ لفساد مكرهم؛ لِمَا قرَّراه في مواضع من أنه لا تأثير في التقدير كما زعمته الجبريَّة، ولا دلالة على ذلك في قوله:

(١١) - ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَّعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.  
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ بخلق آدم عليه السلام منه ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ بخلق ذريته منها ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾: أصنافاً ذكوراً<sup>(٣)</sup> وإناثاً.

﴿تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ في موضع الحال؛ أي: إلا معلومة له.

لَمَّا أثبت القدرة الكاملة والعلم الشامل أراد إثبات القضاء والقدر فقال:

(١) في (ف) و(م): «يبعد».

(٢) رد للبيضاوي. انظر: «تفسير البيضاوي» (٢٥٥ / ٤).

(٣) في (م): «وذكرنا».

﴿وَمَا يَعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾ مِنْ بَابِ تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِمَا يَأْوُلُ إِلَيْهِ<sup>(١)</sup>؛ أَي: وَمَا يَعْمَرُ مِنْ أَحَدٍ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَرْجِعُ الصَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ إِلَيْهِ؟ وَالنُّقْصَانُ مِنْ عُمُرِ الْمُعَمَّرِ مُحَالٌ، وَهُوَ مِنَ التَّسَامُحِ فِي الْعِبَارَةِ ثَقَّةٌ بِفَهْمِ السَّامِعِ.

هَذَا بِحَسَبِ الْجَلِيلِ<sup>(٢)</sup> مِنَ النَّظَرِ، وَأَمَّا النَّظَرُ الدَّقِيقُ فَيَحْكُمُ بِصِحَّةِ أَنَّ الْمُعَمَّرَ - أَي: الَّذِي قُدِّرَ لَهُ عُمُرٌ طَوِيلٌ - يَجُوزُ أَنْ يَبْلُغَ حَدَّ ذَلِكَ الْعُمُرِ وَأَنْ لَا يَبْلُغَ عُمُرَهُ، فَيَزِيدُ عُمُرُهُ عَلَى الْأَوَّلِ وَيَنْقُصُ عَلَى الثَّانِي، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَلْزُمُ التَّغْيِيرُ فِي التَّقْدِيرِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ<sup>(٣)</sup> الْمَقْدَّرَ لِكُلِّ شَخْصٍ إِنَّمَا هُوَ الْأَنْفَاسُ الْمَعْدُودَةُ، لَا الْأَيَّامُ الْمَحْدُودَةُ وَالْأَعْوَامُ الْمَمْدُودَةُ، وَلَا خَفَاءُ فِي أَنَّ الْأَيَّامَ قَدَرٌ مِنَ الْأَنْفَاسِ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ بِالصِّحَّةِ وَالْحُضُورِ وَالْمَرَضِ وَالتَّعَبِ، فَافْهَمْ هَذَا السَّرَّ الْعَجِيبَ<sup>(٤)</sup>.

(١) فِي (م): «بِمَا يَأْوُلُ بِهِ».

(٢) فِي (م): «الْجَلِيلِي».

(٣) فِي (ف) وَ(م): «أَنَّ».

(٤) فِي هَامِشِ (ف) وَ(م) وَ(ي) وَ(ع): «حَتَّى يَنْكَشِفَ لَكَ سِرُّ اخْتِيَارِ حَبْسِ النَّفْسِ، وَيَتَضَحَّ وَجْهَ صِحَّةِ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الصَّدَقَةُ وَالصَّلَاةُ تَعْمِرَانِ الدِّيَارَ وَتَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ. مِنْهُ». وَهَذَا الْقَوْلُ لِلْمُؤَلَّفِ مَعَ الْعِبَارَةِ الْوَارِدَةِ فِي حَوَاشِي النُّسخِ الْمَذْكُورَةِ قَدْ نَقَلَهُ الْأَلُوسِي فِي «رُوحِ الْمَعَانِي» (٢٢/ ١٨٧ - ١٨٨) مُصَدِّرًا ذَلِكَ بِالتَّعَجُّبِ مِنْهُ، وَمَتَعْقِبًا إِيَّاهُ بِرَدِّ الشُّهَابِ، الَّذِي قَالَ: (وَهُوَ مِمَّا لَا يَعْوَلُ عَلَيْهِ عَاقِلٌ، وَلَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ غَيْرُ بَعْضِ جَهْلَةِ الْهِنْدِ، مَعَ أَنَّهُ مُخَالَفٌ لِمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لَأَمْ حَبِيبَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَقَدْ دَعَتْ بِطَوِيلِ عُمُرٍ: «سَأَلْتُ اللَّهَ لَأَجَالَ مَضْرُوبَةٍ وَأَيَّامَ مَعْدُودَةٍ». وَقَدْ أَطَالَ الْمُحْشَى فِيهِ وَفِي رَدِّهِ وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْهُ). قُلْتُ: وَأَرَادَ بِالْمُحْشَى الْجَلْبِي كَمَا صَرَحَ الْأَلُوسِي.

﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ وهو <sup>(١)</sup> اللُّوحُ أو الصَّحِيفَةُ <sup>(٢)</sup>.

﴿إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ إشارة إلى الزيادة والنقصان <sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١٢) - ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ

كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَبِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لَبَنُغًا مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ ضَرْبُ الْبَحْرَيْنِ -

العَذْبُ والملح <sup>(٤)</sup> - مثْلَيْنِ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ.

وَالْعَذْبُ: مَا يَقْمَعُ الْعَطَشَ وَيُرْدِعُهُ، مِنْ أَعَذَبَ عَنِ الشَّيْءِ: إِذَا أَمْسَكَ عَنْهُ.

وَالْفُرَاتُ: الَّذِي يَكْسِرُ الْعَطَشَ.

وَالسَّائِغُ: الَّذِي يَسْهَلُ انْحِدَارُهُ.

وَالْمِلْحُ: الْمَاءُ الَّذِي فِيهِ مَلُوْحَةٌ، وَلَا يُقَالُ: مَالِحٌ.

وَالْأُجَاجُ: أَشَدُّ الْمِيَاهِ مَلُوْحَةً، وَهُوَ الَّذِي لَشِدَّةِ مَلُوْحَتِهِ يَلْتَهَبُ، وَيُقَالُ: أَجَجْتُ

النَّارَ؛ أَي: أَلْهَبْتُهَا، وَالْأَجَّةُ: شِدَّةُ الْحَرِّ.

ثُمَّ وَصَفَ الْبَحْرَيْنِ بِمَا فِيهِمَا مِنَ النِّعَمِ وَالْفَوَائِدِ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِطْرَادِ امْتِنَانًا

وَتَفَضُّلاً، فَقَالَ:

(١) فِي (م): «هُوَ».

(٢) فِي (ف): «وَالصَّحِيفَةُ».

(٣) فِي (ف) وَ(ك): «وَالنَّقْصُ».

(٤) فِي (ف): «وَالْمَالِحُ».

﴿وَمِنْ كُلِّ تَآكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ إِنَّمَا غَيَّرَ النَّظْمَ - حيث لم يقل: وتلبسون حلية - لتفاوت الحال؛ حيث كان الأول سهل المأخذ دون الثاني، وفي زيادة السَّيْنِ نوعٌ دلالةٌ إلى مزيد كلفةٍ في إخراجها.

وفي عبارة ﴿كُلِّ﴾<sup>(١)</sup> دلالة على أَنَّ قوله تعالى: ﴿يَخْرِجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُوءَ وَالْمَرْجَاتِ﴾ [الرحمن: ٢٢] على ظاهره.

ويجوز أن يكون وصفهما من تمام المثل، وهو أَنَّهُمَا مُشْتَرِكَانِ فِي فَوَائِدَ كَثِيرَةٍ، كما أَنَّ الْكَافِرَ وَإِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْإِنْسَانِ فِيهِ مَفْقُودًا كَالْمَقْصُودِ الْأَعْظَمِ مِنَ الْمَاءِ فِي الْبَحْرِ الْمَلْحِ، وَلَكِنْ قَدْ يُشَارِكُ الْمُؤْمِنُ فِي فَوَائِدَ دُنْيَوِيَّةٍ كَالشَّجَاعَةِ وَالسَّخَاوَةِ وَأَمْثَالِهَا<sup>(٢)</sup>.

أَوْ أَنَّ<sup>(٣)</sup> الْمَلْحَ وَإِنْ لَمْ يَبْقَ فِيهِ خَاصِيَّةٌ<sup>(٤)</sup> الْمَاءِ، وَفَسَدَ جَوْهَرُهُ بِمَا اخْتَلَطَ بِهِ وَأَبْطَلَ فِطْرَتَهُ كَالْكَافِرِ، لَكِنَّهُ مُفْضَلٌ عَلَيْهِ بِأَنَّ فِيهِ فَوَائِدَ كَثِيرَةً وَمَنَافِعَ جَمَّةً، بِخِلَافِ الْكَافِرِ فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِيهِ وَلَا نَفْعَ، فَيَكُونُ عَلَى طَرِيقَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَهِىَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ﴾ [البقرة: ٧٤] الْآيَةَ.

﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ﴾: فِي كُلِّ ﴿مَوَاحِرَ﴾: شَوَاقِقَ الْمَاءِ بِجَرِيهَا.

﴿لَتَبْنَعُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾: مِنْ فَضْلِ اللَّهِ بِالنُّقْلَةِ فِيهَا، وَأُضْمِرَ لِلْعِلْمِ بِهِ تَعَالَى وَتَعَيَّنَتْ، وَاللَّامُ مُتَعَلِّقَةٌ بِـ ﴿مَوَاحِرَ﴾، وَيَجُوزُ أَنْ تُعْلَقَ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْأَفْعَالُ الْمَذْكُورَةُ.

(١) فِي (ف): «عَبَارَةُ النَّظْمِ»، وَفِي (ك): «عِبَارَتُهُ».

(٢) فِي (ك): «وَأَمْثَالُهُمَا».

(٣) فِي (ع) وَ(ف) وَ(ك): «وَأَنَّ».

(٤) فِي (ف) وَ(م): «خَاصِيَّةٌ».

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (لعلَّ) مستعارٌ من معنى التَّرجي للإرادة، ولذلك سلكَ به مَسَلَكَ التَّعْلِيلِ، وعطفَ على قوله: ﴿لَتَبْتَغُوا﴾، كأنَّه قال: لتبتغوا من فضله ولتشكروا<sup>(١)</sup> على ذلك.

\*\*\*

(١٣) - ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمْ إِلَهُ رَبِّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قد سبق تفسيره في سورة لقمان.

﴿ذَلِكُمْ﴾ إشارةٌ إلى الموصوف بالصفات المذكورة، وفيه إشعارٌ بأنَّ فاعليَّته لها موجبةٌ لثبوت الأخبار المترادفة.

﴿إِلَهُ رَبِّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ ﴿ذَلِكُمْ﴾ مبتدأ، ﴿إِلَهُ﴾ عطفٌ بيان<sup>(٢)</sup>، ولا يجوز أن يكونَ صفةً؛ لأنَّه عَلَمٌ، والعَلَمُ<sup>(٣)</sup> لا يوصف به.

﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ جملةٌ استثنائيةٌ مقرّرةٌ لمعنى التَّعْظِيمِ الذي في ﴿ذَلِكُمْ﴾، أو لمعاني الصفات المذكورة، أو ثلاثتها أخبار مترادفة، ولا يأبى المعنى عن خبرية ﴿رَبِّكُمْ﴾ لأنَّه يكون قد أخبر بأنَّه المشار إليه بتلك الصفات والأفعال.

(١) في (م) و(ي) و(ع): «وتشكرون».

(٢) «بيان» زيادة من (م) و(ي) و(ع). وكلمة: «عطف» سقطت من (م).

(٣) «والعلم» سقط من (م).

أو ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ خبران، و﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ جملةٌ مبتدأة<sup>(١)</sup> لا محلَّ لها من الإعراب، واقعةٌ في قرآن قوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ مقدمة منضمة<sup>(٢)</sup> إلى الأولى؛ لينعقد القياس منهما برهاناً دالاً على أنَّها لم تصلح للإلهية، ولم تستحقَّ العبادة.

والقطمير: القمعُ الذي في رأس التمرة، وقيل: لفافة النواة.

\*\*\*

(١٤) - ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكِكُمْ وَلَا يَبْنِيكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾.

ثم قرر نفي الألوهية عنها بقوله: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ لأنَّهم<sup>(٣)</sup> جمادٍ. ﴿وَلَوْ سَمِعُوا﴾ على سبيل الفرض والتقدير.

﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ بتحصيل سؤالكم؛ لعدم قدرتهم على شيء.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكِكُمْ﴾؛ أي: ينكرونه، هذا على أن يكون الكلام في الأصنام، فجحدهم بأن ينطقهم الله تعالى يوم القيامة فينكرون أن يكونوا<sup>(٤)</sup> أهلاً للعبادة، أو ينكرون أن تكون تلك العبادة حقاً، وإنَّما ذكر أفعالهم بالواو والنون لأنَّه وصفهم بصفات العقلاء.

(١) في (ف) و(م) و(ي) و(ع): «مبتدأ».

(٢) في (ف): «مقدمة متضمنة»، وفي (م): «مقدمة منضمة».

(٣) في (م): «لأنَّها».

(٤) في (ف) و(م) و(ي) و(ع): «يكون».

وإن كان في الملائكة والأنبياء عليهم السلام فمعنى قوله: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ﴾: لغيتهم عنكم<sup>(١)</sup>، ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ لأنهم لا يملكون ذلك.

ومعنى إنكارهم شركهم: أنهم يوم القيامة يقولون: ﴿مَا كَانُوا إِلَّا نَاعِبِدُونَ﴾ [القصص: ٦٣]، ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْوَحْدَ﴾ [سبأ: ٤١]، أو ينكرون أن يكون ذلك حقاً.

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ التَّنْكِيرُ لِلتَّعْظِيمِ؛ أي: ولا يخبرُكَ بحقيقة الأمر على ما هو عليه خبره<sup>(٢)</sup> مثل خبيرٍ أي خبير، عليم<sup>(٣)</sup> بكلِّ خفيةٍ وجليّةٍ؛ يعني: ما أخبرتكم به من حال الأوثان هو الحق؛ لأنِّي خبيرٌ بكلِّ شيءٍ.

\*\*\*

(١٥) - ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ في أنفسكم، وما يعينُ لكم<sup>(٤)</sup>.

وتعريف ﴿الْفُقَرَاءُ﴾ للماهية؛ بناءً على المبالغة.

وتوسيط ﴿أَنْتُمْ﴾ للحصر؛ أي: أنتم جنس الفقراء مطلقاً، دون سائر الخلائق، يعني أنكم لكثرة حوائجكم وشدة افتقاركم وغاية ضعفكم بالنسبة إلى سائر الخلائق كأنكم جنس الفقراء، ليس غيركم فقراء، ولذلك قابله بقوله:

(١) في (م) و(ع): «عنهم»، وقوله: «لغيتهم» سقط من (ف) و(ك).

(٢) في (ك) و(م): «خبير»، وفي (ف) و(ي): «خبر».

(٣) «عليم» سقط من (م).

(٤) في (ك): «يعني لكم»، وفي (ف): «يعز لكم». والمثبت من باقي النسخ، وهو الصواب،

ويعن: بكسر العين وتشديد النون؛ أي: ما يعرض لكم ويطرأ من الأحوال. انظر: «حاشية

الشهاب على تفسير البضاوي» (٧/ ٢٢٠).

﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ مطلقاً وبالذات؛ لوجوب وجوده، لا غنيّ سواه؛ لاحتياج الكلّ إليه.

وزاد عليه:

﴿الْحَمِيدُ﴾ لأنّ الغنيّ قد لا يوجد فلا يُحمد، وهو الجواد المنعم بجميع النعم، وقد أنعم عليهم بالوجود وكلّ ما يحتاجون إليه، فكان حميداً مطلقاً.

\*\*\*

(١٦) - ﴿إِنْ يَشَاءْ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

﴿إِنْ يَشَاءْ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: بقوم أطوع<sup>(١)</sup> منكم.

\*\*\*

(١٧) - ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بَعِيزٌ﴾.

﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بَعِيزٌ﴾: بعسير.

\*\*\*

(١٨) - ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا

قُرْبٍ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَرَكَنَّ فَإِنَّمَا يَتَرَكَ لِنَفْسِهِ ۗ

وَالِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: ولا تحمل نفس أئمةً إثم نفس أخرى، فلا تغتروا

بقول كبرائكم القائلين: ﴿وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢]، ولا يخالف<sup>(٢)</sup>

(١) في (ك): «أنجع».

(٢) في (ف) زيادة: «وزر».

هذا قوله في حق الضالين المضلين: ﴿وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]؛ لأن الحملين كلاهما من أوزاره.

﴿وَأِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾: نفس أثقلها<sup>(١)</sup> الأوزار ﴿إِلَى حِمْلِهَا﴾: لحمل بعض<sup>(٢)</sup> أوزارها.

﴿لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ﴾<sup>(٣)</sup>: لا يحمل شيئاً من وزرها؛ أي: لا غياث لمن استغاث منهم.

حذف مفعول (إن تدع) للتعميم؛ أي: وإن تدع كل من في العالم واحداً واحداً لم يجب، ولهذا أضمر المدعو في: ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾.

قرئ: (ذو قربي)<sup>(٤)</sup> على حذف الخبر، ويجوز أن تكون ﴿كَانَ﴾ تامّةً، إلا أن الناقصة أوقع وأفصح.

﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ حال من الفاعل؛ أي: يخشونه غائبين عن عذابه، أو من المفعول؛ أي: يخشون عذابه غائباً عنهم، أو نصب على الظرف؛ أي: في السر والغيبة من الناس.

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ فإنهم المنتفعون بالإنذار، واختلاف الفعلين<sup>(٥)</sup> للدلالة على استمرار خشيتهم.

(١) في (ك): «أثقلتها».

(٢) في (ف): «ما يحمل»، وفي (م): «بحمل بعض».

(٣) بعدها في (ف): «أي».

(٤) انظر: «الكشاف» (٣/ ٦٠٧).

(٥) في (م): «الفعل».

﴿وَمَنْ تَزَكَّى﴾: وَمَنْ تَطَهَّرَ عَنْ دَنَسِ الْمَعَاصِي ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾. إِذْ نَفْعُهُ لَهَا، وَهُوَ اعْتِرَاضٌ مُؤَكِّدٌ لَخَشِيَّتِهِمْ وَإِقَامَتِهِمُ الصَّلَاةَ؛ لِأَنَّهُمَا مِنْ جُمْلَةِ التَّزَكَّى. ﴿وَلِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾ تَرْغِيبٌ وَتَرْهيبٌ.

\*\*\*

(١٩) - ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾. ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ مَثَلٌ آخَرُ لِلْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ، أَوْ لِلصَّنَمِ وَاللَّهِ تَعَالَى، وَتَأْخِيرٌ ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ لِمَحَافِظَةِ الْفَاصِلَةِ.

\*\*\*

(٢٠) - ﴿وَلَا الظُّلُمَتُ وَلَا النُّورُ﴾. ﴿وَلَا الظُّلُمَتُ وَلَا النُّورُ﴾ مَثَلٌ لِلْبَاطِلِ وَالْحَقِّ. وَإِنَّمَا جُمِعَ ﴿الظُّلُمَتُ﴾ دُونَ ﴿النُّورُ﴾ لِأَنَّ الْحَقَّ وَاحِدٌ بِخِلَافِ الْبَاطِلِ فَإِنَّهُ عَلَى أَنْوَاعٍ مُتَعَدِّدَةٍ.

\*\*\*

(٢١) - ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾. مَثَلٌ لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ. وَ﴿الْحَرُورُ﴾: فَعُولٌ مِنَ الْحَرِّ، غَلَبَ عَلَى السَّمُومِ، وَقِيلَ: غَلَبَ عَلَى مَا يَكُونُ بِاللَّيْلِ، وَالسَّمُومُ مَا يَكُونُ بِالنَّهَارِ، وَالْوَاوَاتُ بَعْضُهَا عَاطِفَةُ الْوَتْرِ عَلَى الْوَتْرِ كَالَّتِي بَيْنَ ﴿الْأَعْمَى﴾ وَ﴿وَالْبَصِيرُ﴾، وَبَعْضُهَا عَاطِفَةُ الشَّفَعِ عَلَى الشَّفَعِ كَالَّتِي بَيْنَهُمَا وَيَبِينُ<sup>(١)</sup> ﴿وَلَا الظُّلُمَتُ وَلَا النُّورُ﴾.

(١) فِي (م): «كَالَّتِي بَيْنَ»، وَفِي (ي) وَ(ع): «كَالَّتِي بَيْنَهَا».

وكرر ﴿وَلَا﴾ فيما كرر لتأكيد المنافاة، فـ ﴿الْظُّلُمْتُ﴾ تنافي ﴿النُّورُ﴾، و﴿الْظُّلُّ﴾ ينافي ﴿الْحُرُورُ﴾، و﴿الْأَعْمَى﴾ لا ينافي ﴿وَالْبَصِيرُ﴾، إنما المنافاة بين الوصفين، ولذلك يكون الشخص الواحد بصيراً في وقتٍ وأعمى<sup>(١)</sup> في وقتٍ آخر، ولهذا<sup>(٢)</sup> لم يذكر (لا) بينهما.

\*\*\*

(٢٢) - ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوْتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾. ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوْتُ﴾ مثلٌ للعقلاء الذين دخلوا في الإسلام، والجهال الذين لم يدخلوا فيه وأصرُّوا على الكفر.

أثر صيغة الجمع هنا لأنه أراد نفي المساواة بين الأفراد؛ أي: ليس في جنس الأموات فردٌ يساوي فرداً من جنس الأحياء، ولا صحَّة لهذا المعنى في الأعمى والبصير؛ فإنه قد يوجد في جنس الأعمى ما يساوي بعض أفراد البصير، بل يفضَّل عليه، فلذلك أثر فيه<sup>(٣)</sup> صيغة الأفراد تفضيلاً للجنس على الجنس.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾ هدايته، فيوفِّقه لفهم آياته والاتِّعَاطِ بِعُظَاتِهِ. وبناء الفعل على الاسم يفيد أنك لا تُسمعُ مَنْ تَشَاءُ.

﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ وما مثلك في إرادة إسلام مَنْ تَشَاءُ مِنْ قَوْمٍ مخدولين إلا مثلُ مَنْ يريد أن يُسمعَ مَنْ في القبور، وهو ترشيحٌ لتمثيل

(١) في (ك): «أعمى».

(٢) في (ك) و(ي) و(ع): «لهذا».

(٣) في (م): «عليه».

المَصْرِينَ عَلَى الْكُفْرِ بِالْأَمْوَاتِ، وَمِبَالِغَةً فِي إِقْنَاطِهِ عَنْهُمْ<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(٢٣) - ﴿إِنَّا أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾.

ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّا أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾؛ أَي: لَسْتُ بِمَسْمُوعٍ؛ فَإِنَّ الْإِسْمَاعَ لَيْسَ إِلَيْكَ، وَلَا حِيلَةَ لَكَ فِي إِسْمَاعِ الْمَطْبُوعِ عَلَى قُلُوبِهِمْ، مَا عَلَيْكَ إِلَّا الْإِنْذَارُ.

\*\*\*

(٢٤) - ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ حَالٌ مِنْ أَحَدِ الضَّمِيرَيْنِ؛ أَي: مُحَقِّقِينَ، أَوْ مُحَقَّقًا، أَوْ صِفَةً مَصْدَرٍ مَحذُوفٍ؛ أَي: إِرْسَالًا مَصْحُوبًا بِالْحَقِّ، أَوْ صِلَةً لِقَوْلِهِ:

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾؛ أَي: بَشِيرًا بِالْوَعْدِ الْحَقِّ، وَنَذِيرًا بِالْوَعِيدِ الْحَقِّ.

﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ﴾ الْأُمَّةُ: الْجَمَاعَةُ الْكَثِيرَةُ، وَالْمَرَادُ هُنَا: أَهْلُ عَصْرِ.

﴿إِلَّا خَلَا﴾<sup>(٢)</sup>: مَضَى ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾ مِنْ نَبِيٍّ، أَوْ عَالِمٍ قَائِمٍ مَقَامَهُ فِي الْإِنْذَارِ.

وَإِنَّمَا خَصَّه بِالذِّكْرِ لِأَنَّ الْبَشَارَةَ إِنَّمَا تَكُونُ بِالسَّمْعِ، فَهِيَ مِنْ خِصَائِصِ الْأَنْبِيَاءِ، فَالْبَشِيرُ لَا يَكُونُ إِلَّا نَبِيًّا، أَوْ نَاقِلًا عَنْهُ، بِخِلَافِ الْإِنْذَارِ فَإِنَّهُ كَمَا يَكُونُ بِالسَّمْعِ يَكُونُ بِالْعَقْلِ، فَلِذَلِكَ وَجَدَ الثَّانِي فِي كُلِّ أُمَّةٍ دُونَ الْأَوَّلِ، وَلَا يُشْكَلُ هَذَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤]؛ لِأَنَّ الْمَرَادَ مِنَ النَّذِيرِ فِيهِ: النَّذِيرُ بِالسَّمْعِ.

(١) فِي (ف): «إِقْنَاعُهُمْ». وَعِنْدَ الْبَيْضاوِيِّ: (إِقْنَاطُهُ مِنْهُمْ).

(٢) مِنْ قَوْلِهِ: «أَي: بَشِيرًا بِالْوَعْدِ الْحَقِّ..» إِلَى هُنَا سَقَطَ مِنْ (م) وَ(ي) وَ(ع).

(٢٥) - ﴿وَلَا يُكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزَّبْرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾.

﴿وَلَا يُكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مَسَلَاةٌ لِلرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم.  
﴿وَبِالزَّبْرِ﴾: وبالضَّحَفِ ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾: وبجنس الكتاب كالَّتُوراة والزَّبُور والإنجيل<sup>(١)</sup>.

وَلَمَّا كَانَتِ الْأَشْيَاءُ الْمَذْكُورَةُ فِي جِنْسِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بَعْضُهَا فِي جَمِيعِهِمْ وَهِيَ الْبَيِّنَاتُ، وَبَعْضُهَا فِي بَعْضِهِمْ وَهِيَ الزَّبَرُ<sup>(٢)</sup> وَالْكِتَابُ؛ أَسَدَ الْمَجِيءِ بِهَا إِلَيْهِمْ مُطْلَقًا عَلَى أَنَّ الْكُلَّ مِنْهُمْ جَاؤُوا بِالْكُلِّ، لَا أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ جَاءَ<sup>(٣)</sup> بِكُلِّ وَاحِدٍ.

\*\*\*

(٢٦) - ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ قد سبق تفسيره في سورة سبأ.

\*\*\*

(٢٧) - ﴿الَّذِينَ أَنزَلَ اللَّهُ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَبِيٌّ سُودٌ﴾.

(١) في هامش (ف) و(م) و(ي) و(ع): «أي أعم من التفصيل والجمع، لا على الثاني كما توهمه القاضي».

(٢) في (م): «الزبور».

(٣) في (م) و(ي) و(ع): «جاءوا».

﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾؛ أي: أجناسها كالرُّمَّانِ والتُّفَاحِ والتِّينِ والعنب وغيرها ممَّا لَا يُحصى، أو أصنافها على أَنَّ كَلًّا منها أصنافٌ مختلفةٌ، أو هيئاتها مِنَ الحمرِة والصُّفْرِ والخضرة ونحوها.

﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾: طرائقٌ مختلفةٌ ألوانها؛ أي: جبالٌ كُلٌّ بعضٌ منها على لونٍ وطريقٍ مخالفٍ لآخر، كما في الثَّمَرَاتِ، أو: مِنَ الْجِبَالِ ذُو جُدَدٍ؛ أي: جنس ذو خطط.

﴿بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾؛ أي: بعضٌ مختلفٌ الألوان، وبعضٌ على لونٍ واحدٍ.

وقرئ: (جُدَدٌ) بضم الدال<sup>(١)</sup>، جمع جَدِيدَةٍ، وهي الجُدَّة، و: (جَدَدٌ) بفتح الحين<sup>(٢)</sup>، وهو الطريق الواضح.

﴿وَعَرَابِيْبٌ سُودٌ﴾ عطفٌ على ﴿بَيْضٌ﴾<sup>(٣)</sup>، أو على ﴿جُدَدٌ﴾؛ أي: ومن الجبال<sup>(٤)</sup> مخطط<sup>(٥)</sup> ذو طرائق مختلفة، ومنها ما هو على لونٍ واحدٍ غرابيبُ والغرابيبُ: البالغُ في السَّوَادِ، وهو مِنَ التَّوَابِعِ المؤكَّدة، ومنه الغراب، وعليه تفسير عكرمة<sup>(٦)</sup>.

(١) نسبت للزهري. انظر: «المحتسب» (٢/ ١٩٩).

(٢) نسبت للزهري أيضاً. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٤)، و«المحتسب» (٢/ ١٩٩).

(٣) في (م) و(ي) و(ع): «بعض».

(٤) «أي ومن الجبال» سقط من (م) و(ي) و(ع).

(٥) في (ك): «خطط»، وفي (م): «مخططة».

(٦) انظر: «الكشاف» (٣/ ٦٠٩)، وفيه: وعن عكرمة رضى الله عنه: هي الجبال الطوال السود.

ووجهه: أن يُضَمَّرَ المؤكَّد قبله لأنه تابع، ثم أوقع بياناً له خيفة اللبس، كقول النابغة:

والمؤمنُ العائذاتِ الطَّيِّرُ<sup>(١)</sup>

وتغيير الأصل فيه لزيادة التأكيد، كأنه دلَّ على المعنى الواحد بطريق الإضمار والإظهار، فيكون كتكرير<sup>(٢)</sup> التأكيد بوجه أبلغ.

\*\*\*

(٢٨) - ﴿وَمَرَبَ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾.

﴿وَمَرَبَ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، كَذَلِكَ﴾: كاختلاف الثمار والجبال.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾: ما يخشى الله تعالى من بين<sup>(٣)</sup> عباده إلا العلماء بالله وبصفاته وأفعاله؛ فإن الخشية على قدر العلم، فمن كان أعلم بالله كان أخشى منه.

وفي الحديث: «أعلمكم بالله أشدكم خشية»<sup>(٤)</sup>.

(١) هو في «ديوانه - بشرح ابن السكيت» (ص: ٢٠)، وتماه:

..... يمسحها ركباً مكة بين الغيل والسند

و(المؤمن): بالرفع عطف على مبتدأ تقدم، و(العائذات) منصوب بالمؤمن، و(الطيّر): عطف بيان للعائذات، ويجوز جعله بدلاً منه، وكذا كل موصوف تبع صفته.

(٢) في (ف) و(م): «فيكون لتكرير»، وسقطت «فيكون» من (ع) و(ي).

(٣) «بين» سقط من (م).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨ / ١٠٦)، و«الكشاف» (٣ / ٦١١). وقال الزيلعي في «تخريج أحاديث

الكشاف» (٣ / ١٥٢): غريب. وروى الدارمي في «سننه» (٣٧٤) عن عطاء قال: قال موسى عليه =

ولهذا لَمَّا ذَكَرَ أفعاله الدَّالَّة على كمال قدرته وعظمته وحكمته أتبعه بقوله: ﴿إِنَّمَا يُخَشَى اللَّهَ﴾؛ أي: إِنَّمَا يخشاه مثلك وَمَنْ على صفتك مِمَّنْ يعرفه حقَّ معرفته.  
وتأخيرُ الفاعلِ للحصر فيه، ولو قُدِّمَ لانعكس الحصر، فكان في المفعول.  
وَمَنْ قرأ برفع (الله) <sup>(١)</sup> ونصب (العلماء) <sup>(٢)</sup> استعارَ الخشية للإجلال والتَّعظيم؛ أي: ما يُجَلُّ اللهُ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ كما يُجَلُّ المَهيبُ المَخْشِيُّ إِلَّا العلماء.  
﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ تعليلٌ لوجوب الخشية؛ لأنَّ مَنْ قدرَ على العقوبة والانتقام والعفو والغفران حقُّه أَنْ يُخْشَى.

\*\*\*

(٢٩) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾  
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾: يداومون على قراءة <sup>(٣)</sup> القرآن.  
﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ يعني: لا يقنعون <sup>(٤)</sup> بتلاوته عن حلاوة العمل به.

= السَّلام: يا رب، أيُّ عبادك أحكم؟ قال: الذي يحكم للناس كما يحكم لنفسه، قال: يا رب، أيُّ عبادك أغنى؟ قال: أرضاهم بما قسمت له، قال: يا رب، أيُّ عبادك أخشى؟ قال: أعلمهم بي.  
(١) في (م) و(ي) و(ع): «برفع الأول».

(٢) نسبت لعمر بن عبد العزيز وأبي حنيفة. انظر: «تفسير الثعلبي» (٨ / ١٠٥)، و«الكشاف» (٣ / ٦١١).  
وقد طعن ابن الجزري في هذه القراءة. انظر: «النشر» (١ / ١٦).

(٣) «قراءة» سقط من (ف).

(٤) في (ف): «ينفقون»، وفي (ي) و(ع): «يعنون». والمثبت من (ك) و(م)، وهو موافق لما في «تفسير النسفي» (٣ / ٨٧)، وفيه: (لا يقنعون).

﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ كيف اتَّفَقَ<sup>(١)</sup> من غير قصدٍ إليها، أو سرًّا في المسنونة وعَلَانِيَةً<sup>(٢)</sup> في المفروضة.

﴿يَرْجُونَ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، أو حالٌ من ضمير ﴿أنفقوا﴾، والخبر ﴿إِنَّهُ، غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

﴿تَجَرَّةٌ﴾: تحصيل ثوابٍ بالطَّاعة، لا طلبه؛ لأنَّه لا يصلح متعلِّقاً للرَّجاء.  
﴿لَنْ تَكْبُورَ﴾: لن تكسد ولن تهلك<sup>(٣)</sup> بالخرسان، صفةٌ للتَّجارة.

\*\*\*

(٣٠) - ﴿لِيُوفِّيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ﴾ إِنَّهُ، غَفُورٌ شَكُورٌ. ﴿لِيُوفِّيَهُمْ﴾ متعلِّق بـ ﴿لَنْ تَكْبُورَ﴾، أو بـ ﴿يَرْجُونَ﴾، أو علةٌ للأفعال المذكورة من التَّلاوة وإقامة الصَّلَاة والإنفاق؛ أي: فعلوا من الطَّاعات راجين تجارةً لن تبور ليوفِّيهم ويزيدهم<sup>(٤)</sup>.  
﴿أَجُورَهُمْ﴾ ما وعدَ من ثوابِ أعمالهم، وإنَّما عبَّرَ عنه بالأجر لكونه في مقابلة العمل.

﴿وَيَزِيدَهُمْ﴾ على الموعود.

﴿مِّنْ فَضْلِهِ﴾ متعلِّق بجميع ما ذُكِرَ مِنَ التَّوْفِيَةِ وَالزِّيَادَةِ، لا الزِّيَادَةَ<sup>(٥)</sup> خاصَّةً؛

(١) في (ف): «اتَّفَقَ».

(٢) في (ف): «وعَلَانِيَتَهُ».

(٣) في (م) و(ي) و(ع) زيادة: «يعني».

(٤) «ويزيدهم» سقط من (ك).

(٥) في (ك) و(ي) و(ع): «للزيادة».

إذ حينئذ يلزم أن لا يكون تعالى <sup>(١)</sup> في التَّوْفِيَةِ متفضلاً، بل مؤدّياً ما وجب عليه، كما زعمته المعتزلة <sup>(٢)</sup>.

﴿إِنَّهُ غَفُورٌ﴾ لفرطاتهم ﴿شَكُورٌ﴾ لطاعاتهم. مجاز <sup>(٣)</sup> عن إعطاء الجزيل على العمل القليل.

\*\*\*

(٣١) - ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾: القرآن و﴿مِنْ﴾ للتبيين، أو الجنس و﴿مِنْ﴾ للتبعية.

﴿هُوَ الْحَقُّ﴾؛ أي: الكامل في كونه حقاً.

﴿مُصَدِّقًا﴾ حال مؤكدة <sup>(٤)</sup>؛ لأنَّ الحقَّ لا ينفكُّ عن هذا التصديق.

﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب المتقدمة.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ﴾ بالبوطن ﴿بَصِيرٌ﴾ بالظواهر، فلو لم ير فيك أهلية

واستحقاقاً لهذه الكرامة لم يوحِ إليك مثل هذا الكتاب المعجز، الذي هو عيارٌ على سائر الكتب <sup>(٥)</sup>.

(١) بعدها في (ف) زيادة: «من».

(٢) في هامش (ف): «لا يلائم المذهب الحق بل يناسب مذهب الفيلسوف. منه».

(٣) في (م): «مجازاً».

(٤) في (م): «مؤكد».

(٥) في النسخ: «الذي هو كسائر الكاتب»، وجاء في هامش (ي): «كذا في نسخة المؤلف، ولا يخفى

أنه سقط شيء وعبرة القاضي: عيار على سائر الكتب». قلت: ليست هي عبارة القاضي فقط، بل =

وتقديم الخبر لأن الاعتناء<sup>(١)</sup> بالأمر<sup>(٢)</sup> الروحانية أكثر، وهي العمدة.

\*\*\*

(٣٢) - ﴿ثُمَّ أَوْزَنَّا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.  
 ﴿ثُمَّ أَوْزَنَّا الْكِتَابَ﴾؛ أي: أعطيناه بلا كلفة كسب، كمال الميراث.  
 ﴿الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ يعني: أمة محمد ﷺ، فإنهم مختارون من بين سائر الأمم.

وفي عبارة ﴿أَوْزَنَّا﴾ إشارة إلى أن الكتاب المذكور يكون باقياً في هذه الأمة يرثه بعضهم عن<sup>(٣)</sup> بعض إلى قيام الساعة، ولا يضيع كما ضاع سائر الكتب، فالمعنى: نورثه، على عادة<sup>(٤)</sup> الله تعالى في إخباره عما يتحقق وقوعه.  
 وكما أن ورثة الدنيا ثلاثة أصناف: صاحب فرض، وعصبة، وذوي الأرحام، كذلك ورثة الدين ثلاثة أصناف:

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ وهو من عاش عاصياً ومات عاصياً من أهل الإيمان الذين قال النبي عليه السلام فيهم: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي»<sup>(٥)</sup>.

= الزمخشري والقاضي وأبي السعود والآلوسي.

(١) في (ف) و(ك): «الاعتقاد»، ووقع في النسخ عدا (ي): «الخبر» بدل: «الخير».

(٢) في (ف): «بالأنوار».

(٣) في (ف) و(ك): «من».

(٤) في (ي) و(ع): «عبادة»، ولعلها محرفة عن: (عبارة).

(٥) رواه أبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، وابن ماجه (٤٣١٠)، من حديث أنس رضي الله عنه.

وقال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

قَدَّمَهُ اهْتِمَاماً لِأَنَّهُ أَبْعَدُ الْأَصْنَافِ عَنْ كَرَامَةِ الْأَصْطِفَاءِ، وَاللَّامُ لِلَاخْتِصَاصِ لِأَنَّ  
فَعْلَ الظُّلْمِ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ، وَفَائِدَتُهُ الْإِحْتِرَازُ عَنِ الظُّلْمِ لغيره؛ لِأَنَّ التَّجَاوُزَ عَنْهُ <sup>(١)</sup> فِي  
عَهْدَةِ ذَلِكَ الْغَيْرِ.

﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ وَهُوَ مَنْ عَاشَ عَاصِياً وَمَاتَ مَطِيعاً.

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ وَهُوَ مَنْ عَاشَ مَطِيعاً وَمَاتَ مَطِيعاً.

نُقِلَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:  
«سَابِقُنَا سَابِقٌ، وَمُقْتَصِدُنَا نَاجٍ، وَظَالِمُنَا مَغْفُورٌ لَهُ» <sup>(٢)</sup>.

فَالْأَصْنَافُ الْمَذْكُورَةُ عَلَى مَرَاتِبَ فِي الْوُصُولِ إِلَى الْمَقْصَدِ: مُتَأَخِّرٌ،  
وَمُتَوَسِّطٌ، وَسَابِقٌ حَازَ قَصَبَ السَّبْقِ، لَكِنْ لَا بِفَضِيلَةٍ ذَاتِيَّةٍ كَمَا فِي سَبَاقِ الدُّنْيَا،  
بَلْ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِلَى هَذَا أَشِيرُ بِقَوْلِهِ: ﴿يَا ذِينَ اللَّهِ﴾: بِتَيْسِيرِهِ، وَقَدْ سَبَقَ  
وَجْهٌ هَذَا الْمَجَازَ.

وَالْبَاءُ الْأُولَى لِلتَّعْدِيَةِ، مِنْ قَوْلِكَ: سَبَقْتُهُ بِالْكُرَةِ: إِذَا ضَرَبْتَهَا قَبْلَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةٌ» <sup>(٣)</sup>.

(١) «عنه» سقط من (م).

(٢) رواه العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٤٤٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٨٠)، والواحدي في  
«الوسيط» (٣/ ٥٠٥)، من طريق الفضل بن عميرة، عن ميمون بن سياه، عن أبي عثمان النهدي  
عن عمر رضي الله عنه. والفضل بن عميرة ضعيف. قال العقيلي: لا يتابع عليه.  
ورواه البيهقي في «البعث والنشور» (٦٥) من طريق ميمون بن سياه عن عمر رضي الله عنه. وهذا  
منقطع كما ذكر البيهقي.

ورواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٣٠٨) عن عمر موقوفاً. وانظر: «الكافي الشاف» (ص: ١٣٩).

(٣) رواه البخاري (٦٥٤٢)، ومسلم (٢١٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿ذَلِكَ﴾ الاصطفاء ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ لَمَّا ذَكَرَ الْأَصْنَافَ الْمَذْكُورَةَ  
بِحَسَبِ أَحْوَالِهِمْ فِي دَارِ الْعَمَلِ فَرَّقَ بَيْنَهُمْ، وَلَمَّا ذَكَرَهُمْ بِاعْتِبَارِ مَالِهِمْ إِلَى دَارِ الْجَزَاءِ  
جَمَعَهُمْ فَقَالَ:

\*\*\*

(٣٣) - ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا  
حَرِيرٌ﴾.

﴿جَنَّتْ عَدْنٌ﴾ بَدَلٌ؛ لِأَنَّ الْفَضْلَ هُوَ السَّبَبُ فِي الْوَصُولِ إِلَيْهَا، فَكَأَنَّهُ مِنْ شِدَّةِ  
اِقْتِضَائِهِ لِلْمَسَبِّ عَيْنُهُ<sup>(١)</sup>، وَتَنْزِيلِ السَّبَبِ مَنْزِلَةَ الْمَسَبِّ غَيْرُ عَزِيزٍ.

﴿يَدْخُلُونَهَا﴾؛ أَيِ: الْفَرْقِ الثَّلَاثِ يَدْخُلُونَهَا، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْإِشَارَةُ إِلَى  
السَّبْقِ، وَاخْتِصَاصُ السَّابِقِينَ بَعْدَ التَّعْمِيمِ<sup>(٢)</sup> بِذِكْرِ ثَوَابِهِمْ، وَالسُّكُوتُ عَنِ الْقَسْمَيْنِ  
الْأَخِيرَيْنِ؛ لِلإِنْدَارِ وَالْحَثِّ عَلَى التَّوْبَةِ وَالتَّشْوِيقِ إِلَى<sup>(٣)</sup> السَّابِقِينَ.  
وَقُرئ: (جَنَّاتٍ)<sup>(٤)</sup> مَنْصُوبَةً بِفَعْلٍ يَفْسِّرُهُ الظَّاهِرُ.

وَقُرئ: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ عَلَى بِنَاءِ الْمَفْعُولِ<sup>(٥)</sup>.

﴿يُحَلَوْنَ فِيهَا﴾ حَالٌ مَقْدَرَةٌ، أَوْ خَبَرٌ ثَانٍ، وَقُرئ: (يَحْلَوْنَ) مِنْ حَلَيْتِ الْمَرْأَةِ فَهِيَ  
حَالِيَةٌ<sup>(٦)</sup>.

(١) فِي (ف): «عَنهُ».

(٢) فِي (ف) وَ(ك): «التَّقْسِيمُ».

(٣) فِي (ف): «أَيِ»، وَبَعْدَهَا فِي (م) وَ(ي) «سَلَوْ»، وَفِي (ع): «سَلَوْ»، وَفِي (ف) بِيَاضٍ بِمَقْدَارِ كَلِمَةٍ.

(٤) نَسَبَتْ لِلْجَحْدَرِيِّ. انْظُرْ: «الْمَخْتَصَرُ فِي شَوَازِ الْقِرَاءَاتِ» (ص: ١٢٤).

(٥) وَهِيَ قِرَاءَةُ أَبِي عَمْرٍو. انْظُرْ: «التَّيْسِيرُ» (ص: ١٨٢).

(٦) انْظُرْ: «الْكَشَافُ» (٣/ ٦١٤).

﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ ﴿مِنْ﴾ للبيان أو للتبعض؛ أي: يحلّون بعض أساور، كأنه بعض سبق<sup>(١)</sup> سائر الأبعاض، كما سبق المسوّرون به<sup>(٢)</sup> غيرهم، وهذا على تقدير أن تكون الإشارة إلى السّبق.

﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ للبيان، لا للتبعض؛ إذ حيثُذ يكون الخبر خلواً عن الفائدة.

﴿وَلَوْلُؤُا﴾ عطف على ﴿ذَهَبٍ﴾؛ أي: من<sup>(٣)</sup> ذهبٍ مرصّع باللؤلؤ<sup>(٤)</sup>، أو ذهبٍ في صفاء اللؤلؤ، وقرئ: ﴿وَلَوْلُؤُا﴾<sup>(٥)</sup> عطفاً على محلّ ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾<sup>(٦)</sup>.  
﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ التّنكير للدلالة على أنّه نوعٌ غيرٌ معهودٍ من جنس الحرير.

\*\*\*

(٣٤) - ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.  
﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾: همّهم من خوف العاقبة، أو من أجل المعاش وآفاته، أو من وسوسة إبليس وغيرها.  
﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ للمُذنبين ﴿شَكُورٌ﴾ للمطيعين.

\*\*\*

(١) في (ك): «فارق»، وفي (ف) و(م) و(ع) و(ي): «فلق»، والمثبت «الكشاف» (٣/ ٦١٤).

(٢) في (ك): «به المتسورون به».

(٣) «من» سقط من (م).

(٤) في (م): «من لؤلؤ».

(٥) في (ك) «لؤلؤاً بالواو»، وفي (ف): «بالواو».

(٦) قرأ نافع وعاصم بالنصب، وباقي السبعة بالخفض. انظر: «التيسير» (ص: ١٥٦).

(٣٥) - ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾.

﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ﴾: دار الإقامة ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾: مِنْ إِنْعَامِهِ وَتَفَضُّلِهِ؛ إِذْ (١) لا واجب عليه.

﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾: النَّصَبُ: التَّعَبُّ والمشقة التي تصيب المنتصب للأمر.  
﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾: اللُّغُوبُ: الفتور والكلال دون التعب، فهو من باب التَّرْقِي لا من باب (٢) التَّتْمِيمِ، ولذلك أعاد قوله: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا﴾، ولم يقل: ولا لغوب.

\*\*\*

(٣٦) - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا﴾: جواب النَّفْيِ، ونصبه بإضمار (أَنْ)؛ أي: لا يموتون بموتٍ ثانٍ فيستريحوا (٣)، يُقال: قضى عليه: إذا أماته، قال تعالى: ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥].

فلا بُدَّ مِنْ صرف قوله: ﴿فِيمَوتُوا﴾ عن الحقيقة إلى المجاز؛ صوناً له (٤) عن وَصْمَةِ اللَّاغِيَةِ (٥).

(١) «إِذْ» سقط من (م) و(ي) و(ع).

(٢) «باب» من (ك) و(م).

(٣) في (ي) و(ع): «فيستريحوا»، وفي (ف): «فيسرحوا».

(٤) «له» زيادة من (ك).

(٥) أي: لئلا يلغو ﴿فِيمَوتُوا﴾. وتحرفت «اللاغية» في (ف) و(ك) و(ي) إلى: «اللاعنة».

وقرئ: (فيموتون)<sup>(١)</sup> عطفاً على ﴿يُقْضَى﴾، وإدخالاً له في حكم النفي؛ أي: لا يقضي عليهم الموت فلا يموتون، كقوله: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْمِدُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦].

﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾: من عذاب جهنم، كقوله<sup>(٢)</sup> تعالى: ﴿كُلَّمَا حَبَتِ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، فإن فيه دلالة على أن مظنة الخفة في غيرهم مثنة<sup>(٣)</sup> الشدة في حقهم.

﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الجزاء ﴿يُجْزَى كُلُّ كَفُورٍ﴾: مبالغ في الكفر أو الكفران<sup>(٤)</sup>.

قرئ بالنون والياء، والفاعل هو الله تعالى، وقرئ: ﴿يُجْزَى﴾ على بناء المفعول، وإسناده إلى ﴿كُلُّ﴾<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(٣٧) - ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾.

(١) نسبت للحسن وعيسى. انظر: «المحتسب» (٢/ ٢٠١)، و«تفسير الثعلبي» (٥/ ١٨٣).

(٢) في (م): «لقوله».

(٣) أي: مخلقة ومجدرة، مأخوذة من إن التحقيقية. وتحرفت في (ك) إلى: «مشيئة»، وفي (م) إلى: «متنة»، وفي (ف) إلى: «شد».

(٤) في (ك): «الكفر أي الكفران»، وفي (ف): «الكفر والكفران»، في (ي): «الكفور أو الكفران»، والمثبت من باقي النسخ وهو الموافق لعبارة البيضاوي وأبي السعود والألو سي. وهو - كما قال الشهاب - إشارة إلى أنه يجوز أن يكون من الكفر أو الكفران. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ٢٢٧).

(٥) وهي قراءة أبي عمرو. انظر: «التيسير» (ص: ١٨٢).

﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ﴾ يفتعلون، مِنَ الصُّرَاخِ، وهو الصَّيَاحُ بجهدٍ وشِدَّةٍ، واستُعْمِلَ في الاستغاثَةِ؛ لجهدِ المستغيثِ صَوْتَهُ <sup>(١)</sup>.

﴿فِيهَا﴾: في جهنَّمَ.

﴿رَبَّنَا﴾ بإضمار القول <sup>(٢)</sup>؛ أي: يستغيثون ويقولون: رَبَّنَا.

﴿أَخْرَجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ اعترافٌ منهم بأنَّ ما عملوه كَانَ غيرَ صالحٍ حَسِبُوهُ صَالِحًا، وتحسُّرٌ عليه، والدَّلَالَةُ <sup>(٣)</sup> على أَنَّ طلبَ الخروجِ لتلافيه.

﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرُ﴾؛ أي: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَذَكَّرَ، تَوْبِيخٌ مِنَ اللَّهِ تعالى على طَلَبَتِهِمْ، وتقريُّرٌ على تقديرِ القول؛ أي: نقول لهم: أتمنَّونَ الرُّجُوعَ ولم نَعْمَرْكُمْ مدَّةً يمكن فيها التَّذَكُّرُ والتَّدْبِيرُ؟

و﴿مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ﴾ يتناولُ كُلَّ عَمْرٍ يَتِمَكَّنُ فِيهِ الْإِنْسَانُ مِنَ الْعَمَلِ الْمَوْجِبِ لِلنَّجَاةِ وَإِنْ قَصُرَ، إِلَّا أَنَّ التَّوْبِيخَ فِي الْمَتَطَاوِلِ <sup>(٤)</sup> أَعْظَمُ.

وقيل: ما بين العشرين إلى السِّتِينَ، وعنه عليه السلام: «العمرُ الذي أَعَذَرَ اللَّهُ فيه إلى ابنِ آدَمَ سِتُّونَ سَنَةً» <sup>(٥)</sup>.

(١) قوله: «لجهد» بالدال المهملة لا بالراء كما في بعض نسخ البيضاوي؛ أي: يجهد ويبالغ في مد صوته ويبدل جهده فيه. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/٢٢٧).

(٢) في (ف) و(ك): «بالإضافة إلى القول».

(٣) في (ف) و(ك): «اعترافاً منهم والدلالة» وسقط باقي العبارة.

(٤) في (ف) و(ي) و(ع): «التطاول».

(٥) روى نحوه البخاري (٦٤١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ولفظه: «أعذر الله إلى امرئ آخر أجله، حتى بلغه ستين سنة».

﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ عطفٌ على معنى ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرَكُمْ﴾؛ لآتِه تقريرُ لفظه لفظاً الاستفهام، ومعناه معنى الخبر، كأنه قيل: قد عمّرناكم وجاءكم النذير؛ أي: النبي<sup>(١)</sup> المنذر أو الكتاب، وهذا إلزام الحجّة<sup>(٢)</sup> عليهم بالعقل والسمع؛ فإنّ التذكّر من باب العقل، والإنذار من باب السمع.

والفاء في قوله: ﴿فَذُوقُوا﴾ للسببية؛ أي: ما تذكّرتُم فذوقوا بسببه<sup>(٣)</sup>، وكذا الثانية إلّا أنّ فيها معنى التعليل.

﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ يدفع العذاب عنهم.

\*\*\*

(٣٨) - ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ما غاب فيها<sup>(٤)</sup> عنكم.

﴿إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ تعليل؛ لأنّ ما في الصدور أخفى الغيوب، فإذا علمه علم كلّ غيب في العالم، فيعلم أنّه لو ردّهم إلى الدنيا لم يعملوا غير الذي كانوا يعملون؛ كقوله<sup>(٥)</sup>: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا هُمْ بِاعْتَمِدُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

\*\*\*

(١) «النبي» من (ف) و(ك).

(٢) في (ف): «ألزم الحجة».

(٣) في (ف) و(ي): «سببه»، وفي (ع): «سببية».

(٤) في (ك): «فيهما».

(٥) في (ف) و(م): «لقلوله».

(٣٩) - ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْنًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ يُقَالُ لِلْمُسْتَخْلَفِ: خَلِيفَةٌ وَخَلِيفٌ، وَيَجْمَعُ الْخَلِيفَةُ عَلَى خَلَائِفٍ، وَالْخَلِيفُ عَلَى خُلَفَاءَ.

والخطاب عامٌّ على أَنَّ المعنى: أَنَّهُ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ فِي أَرْضِهِ، وَأَلْقَى إِلَيْكُمْ مَقَالِدَ التَّصَرُّفِ فِيهَا، وَأَبَاحَ لَكُمْ مَنَافِعَهَا؛ لِتُؤْمِنُوا بِهِ وَتَشْكُرُوهُ<sup>(١)</sup>.

وقيل: لِمَنْ بُعِثَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّهُمْ خَلَفُوا مَنْ قَبْلَهُمْ، وَشَاهَدُوا مِنْ آثَارِ<sup>(٢)</sup> هَلَاكِهِمْ مَا فِيهِ مَعْتَبَرٌ، وَرَأَوْا مَا فِيهِ مَزْدَجَرٌ.

﴿فَمَنْ كَفَرَ﴾ مِنْكُمْ وَغَمَطَ تِلْكَ النِّعْمَةَ ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾؛ أَي: فَعَلَيْهِ وَبِالْكَفْرِ لَا عَلَى غَيْرِهِ.

﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْنًا﴾ بَيَانٌ لَهُ، وَالْمَقْتُ: أَشَدُّ الْبَغْضِ، وَالتَّنْكِيرُ لِلتَّعْظِيمِ؛ لِأَنَّ مَقْتَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ مَقْتٍ، وَكَذَا التَّنْكِيرُ فِي ﴿خَسَارًا﴾. ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ وَهُوَ خَسَارُ الْآخِرَةِ.

تَكْرِيرُ ﴿الْكَافِرِينَ﴾، وَالتَّصْرِيحُ فِي<sup>(٣)</sup> مَوْضِعِ الْإِضْمَارِ ذِمًّا، وَبَيَانٌ لَكُونَ الْكَافِرِ مَقْتَضِيًّا لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَمْرَيْنِ الْقَبِيحَيْنِ<sup>(٤)</sup> الْمَذْمُومَيْنِ بِالْأَصَالَةِ.

\*\*\*

(١) فِي (م): «وَتَشْكُرُونَهُ».

(٢) فِي (ف) وَ(ك): «آثَارِهِمْ».

(٣) فِي (ف): «وَالصَّرِيحُ مِنْ».

(٤) فِي (ف) زِيَادَةٌ: «الْقَسْمَيْنِ».

(٤٠) ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِنِ بِعِذِ الْأَطْلَامِ مَكٌّ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَغْوًى﴾.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: آلهتهم، وإضافة الشركاء إليهم للملابسة؛ لأنهم جعلوهم شركاء الله.

﴿اللَّهُ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ بدل من ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ بدل الاشتمال؛ لأنه بمعنى: أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعمّا<sup>(١)</sup> استحقُّوا به العبادة، أي شيءٍ من الأرض استبدُّوا بخلقه؟! استبدُّوا بخلقه؟!

﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾: أم لهم شركةٌ مع الله تعالى في خلق السماوات، فاستحقُّوا بذلك الشركة في الألوهية ذاتية<sup>(٢)</sup> ﴿أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا﴾ ينطق بأنهم شركاؤه.

ويجوز أن يكون الضمير في ﴿آتَيْنَهُمْ﴾ للمشرِّكين، كقوله: ﴿أَمْ أَنزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ [الروم: ٣٥]، على أن السؤال عن دليل آلهتهم: أهو برهان عقلي أم نقلي؟ ﴿فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ﴾: على حجةٍ من ذلك الكتاب، بأن لهم شركة جعلية.

وقرئ: ﴿بَيِّنَاتٍ﴾<sup>(٣)</sup>، فيكون إيماءً إلى<sup>(٤)</sup> أن الشرك أمرٌ خطيرٌ، لا بُدَّ فيه<sup>(٥)</sup> من تعاضد الدلائل.

(١) في (ف) و(ك): «عما». والمثبت من باقي النسخ وهو الموافق لما في «الكشاف» (٦١٧/٣) و«تفسير النسفي» (٩١/٣).

(٢) في (ف): «وأنه»، وسقط من (ك).

(٣) وهي قراءة نافع وابن عامر وأبي بكر والكسائي. انظر: «التيسير» (ص: ١٨٢).

(٤) في (م) و(ي) و(ع): «على».

(٥) في (م) و(ي) و(ع): «منه».

﴿أَمْ﴾ منقطعة على معنى الإضراب عن العقلي وإنكار النقلي، ثم أُضرب عنها<sup>(١)</sup> صريحاً بقوله: ﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ ﴿إِذَا ثَبَتَ أَنْ﴾<sup>(٢)</sup> ذَلِكَ لِأَتْبَاعِهِمْ مَا هُوَ إِلَّا غُرُورٌ صِرْفٌ، وهو قولهم: ﴿هَتُوْا لَآءَ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

قوله: ﴿بَعْضُهُمْ﴾ بدل من ﴿الظَّالِمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وهم الرؤساء، والمراد من البعض الآخر: الأتباع.

ويجوز أن يكون<sup>(٤)</sup> وعد الشيطان للكافر<sup>(٥)</sup> كما قال: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠]، مناهم أن تشفع لهم أصنامهم وتقربهم إلى الله زُلْفَى.

\*\*\*

(٤١) - ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾: يمنعُهما من أن تزولا؛ لأنَّ الإمساكَ منعٌ، أو: لأن لا تزولا؛ كقوله: ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥]؛ أي: لأن لا تميدَ بكم.

(١) في (ك): «عنهما».

(٢) في (ع) و(م) و(ي): «وأثبت أي».

(٣) في (م): «الظالمين».

(٤) «أن يكون» سقط من (ي) و(ع).

(٥) في (م): «للكافرين».

﴿وَلَيْنَ زَالًا﴾ على سبيل الفرض ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾: ما أمسكهما ﴿مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾: مِنْ بَعْدِ اللَّهِ، أو: مِنْ <sup>(١)</sup> بَعْدِ الزَّوَالِ.

واللَّامُ موطئةٌ للقسم، و﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ جوابٌ للقسم <sup>(٢)</sup> سَادُّ مَسَدٍّ جواب الشرط، و﴿مِنْ﴾ الأولى مزيدةٌ لتأكيد النفي، والثانيةٌ للابتداء.

﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾ لا يعاجل بالعقوبة حيث يمسكهما، وكانتا جديرتين أَنْ تُهَذَا هَذَا <sup>(٣)</sup> لعظم كلمة الشرك، كما قال: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَشَقُّ الْأَرْضُ﴾ [مريم: ٩٠].

﴿عَفُورًا﴾ لِمَنْ تَابَ عَنِ الشَّرِكِ وَوَحَّدَهُ مُؤْمِنًا.

\*\*\*

(٤٢) - ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾؛ أي: واحدة من الأمم من اليهود والنصارى والصَّابِئِينَ وغيرهم، أو من الأمة التي يُقال فيها: هي إحدى الأمم؛ أي: أوحديتها <sup>(٤)</sup>؛ تفضيلاً لها على غيرها في الهدى والاستقامة، كما تقول: فلانٌ أحدُ الرِّجالِ.

بلغ قريشاً قبل مبعث النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ، فقالوا: لعنَ اللهُ

(١) «من» سقط من (م) و(ع).

(٢) في (ك): «القسم».

(٣) في (ك): «أَنْ تُنْهَدَمَا».

(٤) في (ع): «أو أوحديتها»، وفي: (م): «أو أوحديتها»، وفي (ي): «أو أوحديتها».

اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم، فوالله لئن أتاننا رسولاً لنكوننَّ أهدى من إحدى الأمم، فلما بُعِثَ الرَّسُولُ<sup>(١)</sup> عليه السلام كَذَّبُوهُ<sup>(٢)</sup>.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ التَّنْكِيرُ لِلتَّعْظِيمِ.

﴿مَا زَادَهُمْ﴾ النَّذِيرُ أَوْ مَجِيئُهُ، وَالْإِسْنَادُ مُجَازِيٌّ؛ لِأَنَّهُ هُوَ السَّبَبُ فِي أَنْ زَادُوا نَفُورًا.

﴿لَا نُفُورًا﴾ عَنِ الْحَقِّ وَتَبَاعُداً عَنْهُ.

\*\*\*

(٤٣) - ﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا.

﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ بَدَلَ مِنْ ﴿نُفُورًا﴾، أَوْ مَفْعُولٌ لَهُ، أَوْ حَالٌ؛ أَي: مُسْتَكْبِرِينَ. ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ عَطَفَ عَلَى ﴿نُفُورًا﴾ عَلَى أَنْ الْأَصْلُ: وَأَنْ مَكْرُوا السَّيِّئِ؛ أَي: الْمَكْرُ السَّيِّئُ، فَحَذَفَ الْمَوْصُوفَ اسْتِغْنَاءً بِوَصْفِهِ، ثُمَّ بَدَلَ (أَنْ) وَالْفِعْلَ بِالْمَصْدَرِ، فَصَارَ: وَمَكْرُ السَّيِّئِ، ثُمَّ أَضِيفَ.

﴿وَلَا يَحِيقُ﴾: وَلَا يَحِيطُ<sup>(٣)</sup> ﴿الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ وَهُوَ الْمَاكِرُ<sup>(٤)</sup>. وَقُرِئَ: (وَلَا يُحِيقُ الْمَكْرَ)<sup>(٥)</sup>؛ أَي: لَا يَحِيقُ اللَّهُ تَعَالَى.

(١) فِي (م): «رَسُولُ اللَّهِ».

(٢) انْظُرْ: «تَفْسِيرُ الثَّعْلَبِيِّ» (٥ / ١٨٤)، وَ«الْكَشَافُ» (٣ / ٦١٨). وَهَذِهِ الْقِصَّةُ وَقَعَتْ فِي (ي) وَ(ع)

و(م) عَقِبَ مَا سَأَلْتَنِي مِنْ قَوْلِهِ: «﴿مَا زَادَهُمْ﴾ أَي: النَّذِيرُ أَوْ مَجِيئُهُ».

(٣) «وَلَا يَحِيطُ» مِنْ (ك).

(٤) فِي (ك): «الْمَاكِرُونَ».

(٥) انْظُرْ: «الْكَشَافُ» (٣ / ٦١٨).

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾؛ أي: ما<sup>(١)</sup> ينتظرون ﴿الْأَسْنَتَ الْأُولَى﴾ انتظارُ سُنتِهِمْ - وهي<sup>(٢)</sup> إنزال العذاب على مَنْ كَذَّبَ مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ - مجازٌ عن استقبالهم<sup>(٣)</sup> لذلك ووقوعه في المستقبل لا محالة، كالشيء المنتظر المترقب.

﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ بأن لا يعذبهم.

﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ بأن ينقله إلى غيرهم، وقوله:

(٤٤) - ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ استشهداً عليهم<sup>(٤)</sup> بما كانوا يشاهدونه في متاجرهم ومسائرهم إلى الشام والعراق واليمن من آثار الماضين، وعلامات<sup>(٥)</sup> هلاكهم وديارهم.

﴿وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ﴾: ليسبقه ويفوته؛ أي: ليس من شأنه تعالى ذلك.

﴿مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالأشياء كلها.

﴿قَدِيرًا﴾ عليها، ثم بيّن أن تأخير العذاب عنهم ليس للعجز بل لحكمة

تقتضيه، فقال:

(١) «أي ما» سقط من (م) و(ي) و(ع).

(٢) في (م): «وهو».

(٣) في (ف): «استقبالهم».

(٤) في (م): «عليه».

(٥) في (ف): «وعلامه»، وسقطت من (ي) و(ع).

(٤٥) - ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنْ ذَنْبَةٍ وَلَا يَكُنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ من المعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا﴾: على ظهر الأرض ﴿مِنْ ذَنْبَةٍ﴾: من نسيمة تدب عليها؛ أي: الإنس وحده.

وقيل: ما ترك الإنسي<sup>(١)</sup> وغيرهم من سائر الدواب بشئ من ذنوبهم، على ما ورد في الآثار.

ويرجع الأول قوله: ﴿وَلَا يَكُنْ يُؤَخِّرُهُمْ﴾؛ أي: يؤخر كل واحد منهم ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: معلوم عنده، قيل: هو يوم القيامة، وفيه: أن الكل لم يؤخر إليه.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾: وقتهم عذبهم<sup>(٢)</sup>، حذف الجزاء وأقيم<sup>(٣)</sup> ما هو كالدليل عليه مقامه، وهو قوله:

﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾، وذلك أن العمل بموجب العلم كاللزام لشأن الحكيم<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(١) «الإنسي» من (م) و(ي)، وفي (ع): «إلا شيء».

(٢) في (ف) و(ك): «وقت عذابهم».

(٣) في (ك) و(ي) و(ع): «وأقام».

(٤) في (ف): «بشأن الحليم»، وفي (ك): «بشأن الحكيم».



سُورَةُ الْيُسْرَىٰ



# سُورَةُ يُسَٰ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - ﴿يُسَٰ﴾.

﴿يُسَٰ﴾ ك: ﴿آلَ﴾ في الإعراب<sup>(٢)</sup>.

وقرئ: بالكسر؛ ك: جَيْرُ<sup>(٣)</sup>.

وبالفتح ك: أَيْنَ<sup>(٤)</sup>؛ للجدِّ في الهرب من التقاء الساكنين لا للبناء، أو على إضمار حرف القسم ومنع الصرف، أو بالنصب؛ على: أُتِلْ ﴿يُسَٰ﴾.

وبالضَّمَّ ك: (حيثُ)<sup>(٥)</sup>، أو بالرفع على: هذه ﴿يُسَٰ﴾.

\*\*\*

(٢) - ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾.

(١) في (م) زيادة: «ثمانون وثلاث آيات مكية».

(٢) في (ف): «الأغلب».

(٣) نسبت لأبي السمال. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٤).

(٤) نسبت لعيسى بن عمر وابن أبي إسحاق. انظر: «المحتسب» (٢/ ٢٠٣)، و«تفسير القرطبي»

(٤٠٧/١٨).

(٥) نسبت لهارون الأعور ومحمد بن السميع. انظر المرجع السابق.

وبتفخيم الألف وإمالتها<sup>(١)</sup>، وبإدغام النون في واو: ﴿وَالْقُرْآنِ﴾<sup>(٢)</sup>، وهي واو القسم، أو العطف إن جعل ﴿يَسْ﴾ مقسماً به.

﴿الْحَكِيمِ﴾: ذي الحكمة، ومعنى ﴿يَسْ﴾: يا إنسان، بلغة طيء عند الهيثم بن عدي، وبالسريانية عند ابن عباس رضي الله عنهما<sup>(٣)</sup>.

وعند سعيد بن جبير: هو اسم من أسماء محمد ﷺ<sup>(٤)</sup>، دليله:

(٣) - ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ جواب القسم، وهو ردُّ على الكفار في قولهم: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد: ٤٣].

\*\*\*

(٤) - ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ خبرٌ بعد خبر، أو صلة لـ ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾، أو حالٌ من المستكن في الجار والمجرور، وفائدته التصريح بالمدح، والجمع بين وصفه ووصف شريعته، وتعظيمه وتعظيمها المستفاد من التنكير.

\*\*\*

(١) أمال حمزة والكسائي وشعبة الياء غير مفرطين، والجمهور يفتحونها، ونافع وسط بين ذلك. انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٨)، و«التيسير» (ص: ١٨٣).

(٢) قرأ جمهور السبعة بسكون النون مدغمة في الواو، والكسائي وأبو بكر وورش وابن عامر بسكونها مظهرة. انظر المرجعين السابقين.

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (١٩/١٩٨).

(٤) انظر: «تفسير القرطبي» (١٧/٤٠٨).

(٥) - ﴿تَنْزِيلَ الْغَازِيَةِ الرَّحِيمِ﴾.

﴿تَنْزِيلَ الْغَازِيَةِ الرَّحِيمِ﴾ وقرئ بالرفع<sup>(١)</sup> على أنه خبرٌ مبتدأٌ محذوف، وبالنصب على المدح، أو على أنه مصدر؛ أي: نُزِّلَ تَنْزِيلًا، وبالجر على البدل من (القرآن).

\*\*\*

(٦) - ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾.

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ متعلق بـ ﴿تَنْزِيلَ﴾، أو معنى الإرسال في ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾. إن جعلتَ (ما) في: ﴿مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ نافيةً، فالجملة في محلِّ النصب صفةٌ لـ ﴿قَوْمًا﴾؛ أي: قومًا غير مُنذِرٍ آبَاؤُهُمْ، قيل<sup>(٢)</sup>: لقوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [القصص: ٤٦]، وفيه نظر؛ إذ لا يلزم من عدم إتيانهم النذير أن لا يكونوا مُنذرين، فإن إتيانهم بأهل الكتاب وهم يعلمون ذلك يكفي في الإنذار. وإن جعلتها موصولةً أو موصوفةً، فهي مع صلتها أو صفتها مفعول ثانٍ لـ (تنذر)؛ أي: لتنذر قومًا الذي أُنذِرَ به - أو: شيئًا أُنذِرَ به - آبَاؤُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، كقوله: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبا: ٤٠].

وإن جعلتها مصدريةً، ففي محلِّ النصب على المصدر؛ أي: لتنذر قومًا ما أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ، والمعنى: إنذاراً مثل إنذارِ آبائهم<sup>(٣)</sup>. وعلى الأول؛ يتعلّق ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ بالفعل المنفي؛ أي: لم يُنذِرُوا ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ على أن عدم الإنذار هو سببُ غفلتهم.

(١) قرأ بها ابن كثير ونافع وأبو عمرو. انظر: «التيسير» (ص: ١٨٣).

(٢) في (ي): «قبل».

(٣) قوله: «والمعنى: إنذاراً مثل إنذارِ آبائهم» سقط من (ف) و(ك) و(م).

وعلى الثاني؛ تعليل للإرسال والإنذار؛ أي: إنك لمن المرسلين لتُنذَرَهُمْ؛ فإنَّهم غافلون.

والمراد بآبائهم: الأقربون الذين في زمن الفترة والجاهلية إن حُمِلَ ﴿مَّا نُنْذِرَ﴾ على النفي، والأقدمون مِن وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ عليه السلام الذين كانت فيهم النذارة إن حُمِلَ على الإثبات.

\*\*\*

(٧) - ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾؛ أي: ثَبَتَ وَوَجَبَ عَلَيْهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، لَمَّا عِلْمُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ أَنَّهُمْ يَمُوتُونَ عَلَى الْكُفْرِ بِاخْتِيَارِهِمْ إِيَّاهُ وَإِصْرَارِهِمْ عَلَيْهِ، فَشَاءَ مِنْهُمْ ذَلِكَ وَأَخْبَرَ عَنْهُمْ بِهِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣] فلا يَعيِّنُ الْأَشْخَاصَ، وَلَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ أَكْثَرَ الْمَذْكُورِينَ.

\*\*\*

(٨) - ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ مَثَلُ تَصْمِيمِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ وَعَدَمِ مَبَالَاَتِهِمْ بِالْإِنْذَارِ وَتَدْبِيرِهِمْ بِالْآيَاتِ تَمَثِيلِينَ؛ تَقْرِيراً لِتَصْمِيمِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ وَعَدَمِ إِرْعَائِهِمْ عَنْهُ؛ جَعَلَهُمْ كَالْمَغْلُولِينَ الْمُقْمَحِينَ فِي أَنَّهُمْ لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى الْحَقِّ، وَلَا يَعْطِفُونَ أَعْنَاقَهُمْ نَحْوَهُ، وَلَا يُطَاطِئُونَ رُؤُوسَهُمْ، وَجَعَلَهُمْ كَالْمَحْصُورِينَ الْمَحْبُوسِينَ بَيْنَ سَدَّيْنِ لَا يُبْصِرُونَ مَا قَدَّامَهُمْ وَلَا مَا خَلْفَهُمْ، فَلَا يَتَبَصَّرُونَ الْعِبَرَ، وَلَا يَتَأَمَّلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى فَيَعْتَبِرُوا وَيَنْزَجِرُوا.

﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ الضمير للأغلال؛ أي<sup>(١)</sup>: هي عريضة تبلغ بحرفها الأذقان، والدقن: مجتمع اللحيين، فيضطر المغلول إلى رفع وجهه إلى السماء، وذلك هو الإقماح.

﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾: رافعون رؤوسهم، غاضون أبصارهم، يقال: أقمحه الغل، إذا ترك رأسه مرفوعاً من ضيقه، وقال الفراء: المقمح: الذي يغض بصره بعد رفع رأسه<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(٩) - ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾. ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ قرئ: بالفتح والضم<sup>(٣)</sup>، وقيل: بالفتح المصدر، وبالضم الاسم، وقيل: ما كان من أعمال الناس فبالفتح، وما كان من خلق الله تعالى فبالضم.

﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾: فأغشينا أبصارهم؛ أي: غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن أن تطمح إلى شيء، والمعنى: فأعميناهم، وقرئ: بالعين الغير المعجمة؛ من العشا<sup>(٤)</sup>. ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾: فلا يتفكرون بالإندار، وهو<sup>(٥)</sup> مضمون قوله:

(١) في (م): «التي».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/٣٧٣).

(٣) قرأ: ﴿سَدًّا﴾ بفتح السين الكسائي وحمزة وحفص، وباقي السبعة بضمها. انظر: «التيسير» (ص: ١٨٣).

(٤) في (ع) و(م) و(ي): «وهم»، وفي هامش (م): «لعله وهو».

(٥) نسبت لابن عباس وعكرمة ويحيى بن عمار. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٤)، و«المحتسب» (٢/٢٠٤).

(١٠) - ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ قد سبق تفسيره في سورة البقرة. ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ استئنافٌ لبيانِ عدمِ نفعِ الإنذارِ في حقِّهم، لَمَّا بَيَّنَّ أَنَّ الإنذارَ لا يَنْجَعُ فيهم، وَأَنَّ المقصودَ مِنَ الإنذارِ - وهو إيمانُ المُنذَرِ - لا يترتَّبُ عليه، وَأَنَّ الإنذارَ وعدمه بالنسبة إليهم سواء، أخبر أَنَّ إنذارهم كلاً إنذارٍ، فقال:

(١١) - ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ

كَرِيمٍ﴾.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ الإنذارُ المُنجِعُ والمستتبعُ لفائدته ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾؛ أي: آمَنَ بما جاء من عند الله تعالى، فالذِّكْرُ: القرآنُ.

﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ الخشيةُ كنايةٌ عن الائتمارِ بالأوامرِ والانزجارِ عن المناهي، ويعضده قوله:

﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ وذلك أَنَّ الغفرانَ جزاءُ الإيمانِ، والأجرَ الكريمَ جزاءُ العملِ، كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سبأ: ٤].

وفي عبارة ﴿الرَّحْمَنَ﴾ إشارةٌ إلى أَنَّ ما في الخشية مِنَ الخوفِ ينبغي أَنْ لا يخلو عن الرجاء، وذلك لأنَّ مقابلَ كُلِّ منهما مذمومٌ.

وإنَّما قال: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ إذ عند العيانِ لا يبقى للخشية شأنٌ.

(١٢) - ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ﴾ نبعثهم بعد مماتهم، أو نُخْرِجُهُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَايَةِ. ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾؛ أي: ما أسلفوا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالطَّالِحَةِ، عِبْرٌ عَنْ إِحَاطَةِ عِلْمِهِ بِأَعْمَالِهِم بِالْكِتَابَةِ الَّتِي تُضَبِّطُ بِهَا الْأَشْيَاءُ، وَكُنِيَ بِذَلِكَ عَنِ الْمَجَازَةِ، فَانْتَظِمَ مَعَ قَوْلِهِ: ﴿نَحْيِي الْمَوْتِ﴾.

﴿وَأَنذَرَهُمْ﴾ وما بقيَ بَعْدَهُمْ مِنْ آثَارِ حَسَنَةٍ أَوْ سَيِّئَةٍ، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ [الْقِيَامَةُ: ١٣]؛ أي: قَدَّمَ مِنْ أَعْمَالِهِ، وَأَخَّرَ مِنْ آثَارِهِ. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ منصوب بعاملٍ مُضْمَرٍ يُفَسِّرُهُ: ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾، وَقُرِئَ: بِالرَّفْعِ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ<sup>(١)</sup>.

﴿فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ يعني: اللُّوْحَ الْمُحْفَظَ؛ لِأَنَّهُ أَصْلُ الْكِتَابِ وَمَقْتَدَاهَا.

\*\*\*

(١٣ - ١٤) - ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَهُكُم مُّرْسَلُونَ﴾.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾؛ أي: مَثَلٌ لَهُمْ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ: عِنْدِي مِنْ هَذَا الضَّرْبِ كَذَا؛ أَيْ: مِنْ هَذَا الْمَثَالِ، هُوَ يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى الْجَعْلِ، وَهُمَا:

﴿مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، تَقْدِيرُهُ: اجْعَلْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ مَثَلًا.

(١) نسبت لأبي السمال. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٤).

ويجوز أن يقتصر على مفعول واحد كالجعل، ويُجعل المقدّر بدلاً من الملفوظ أو بياناً له؛ أي: اضرب لهم مثلاً مثل أصحاب القرية.

والقرية: أنطاكية، عبر عنها هاهنا بالقرية، وفيما يأتي بالمدينة؛ رعاية في كل من المقامين ما يناسبه، وذلك أن ما في أصل القرية من معنى الجمع يُناسبُ الأصحاب، وما في أصل المدينة من معنى الإطاعة يُناسب غرض ذلك الرجل من كلامه، وهو الحثُّ على اتباع المرسلين.

وانتصاب ﴿إِذْ﴾ بأنه بدلٌ من أصحاب القرية ﴿جَاءَهَا﴾ عدلٌ عن الظاهر - وهو إرجاع الضمير إلى الأصحاب - لأن المذكور أوفر فائدة، حيث دلَّ على أنهم بلغوا الرسالة إليهم في مقرِّ عزِّهم ومركزِ شوكتهم.

﴿أَلْمُرْسَلُونَ﴾ رُسلُ الله عليهم السلام، ذكره ابنُ عباسٍ وكعب<sup>(١)</sup>، وهو الظاهر من قوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ﴾ ومن قولهم: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾.

وقيل: رُسلُ عيسى عليه السلام، وإسنادُ الإرسالِ إليه تعالى لآفته فعلٌ رسوله وخليفته، وفيه تعظيمه عليه السلام<sup>(٢)</sup>، بعثهم دعاءً إلى الحقِّ وكانوا عبدةً أوثانٍ، و﴿إِذْ﴾ بدلٌ من ﴿إِذْ﴾ الأولى.

﴿اِثْنَيْنِ﴾ هما: يوحنا وبولس<sup>(٣)</sup>، وقيل غيرُهما.

(١) يعني: كعب الأخبار. ورواه عنهما وعن وهب بن مُنبه الطبري (١٩/٤١٣ - ٤١٤).

(٢) في (م): «تعظيم عيسى عليه السلام وإسناد الإرسال إليه تعالى».

(٣) في (ف) و(م): «يحيى ويونس»، وكذا وقع في بعض نسخ البيضاوي، فقال الشهاب: قوله: (يحيى ويونس) وقع في نسخة بدله: يوحنا وبولص، وهو الذي صححه الشريف في «شرح المفتاح». ثم أشار الشهاب إلى أن هذا الذي صححه الشريف يندفع به قول من قال: إن المرسل عيسى عليه السلام؛ لأنَّ يونس عليه السلام لم يدرك زمن عيسى وإن أدركه يحيى كما فصل في التواريخ، كما =

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا﴾: فقوينا<sup>(١)</sup> ﴿بِشَالِكٍ﴾ هو شمعون، وقرئ: مخففاً<sup>(٢)</sup>؛ من عزَّه: إذا غلبه، وإنَّما حذفَ المفعولُ لأنَّ المرادَ ذكرُ المعزَّز به وما لطف فيه من التدبير حتى عزَّ الحقُّ وذللَّ الباطل، وحقُّ الكلامِ المنصبُ إلى غرضٍ تجريدُ سياقه له؛ كأن<sup>(٣)</sup> ما سواه مرفوض.

﴿فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ التأكيد بـ (إِنَّ) سبقَ الإنكارَ منهم بمضمون جملة الخبر بتكذيبهم الرسلين، والمعتبر عِلْمُ المُخْبِرِ بإنكارِ المخاطب لا صدوره منه، وهو حاصل أيضاً، فلا صحَّةَ لِمَا قيل: إنَّه ابتداءٌ إخبار، والثاني جوابٌ عن إنكار.

\*\*\*

(١٥) - ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾.  
 ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾؛ أي: لا مزيَّة لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدَّعون، ورفع ﴿بَشَرٌ﴾؛ لانتقاض النفي المقتضي إعمال ﴿مَا﴾ بـ ﴿إِلَّا﴾.  
 ﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾؛ أي: وحيًا من السماء.  
 ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ فيما تدَّعون، وإنَّما أُوتِرَ صيغةُ الفعلِ مع أنَّ صيغةَ الفاعلِ أبلغُ؛ اعتباراً للمعنى التجدد، فكأنَّه قيل: يُجدِّدونَ الكذبَ وقتاً بعدَ وقتٍ، ويستمرُّونَ على ذلك.

\*\*\*

= أن القول المذكور ينافي كون يحيى ويونس عليهما الصلاة والسلام نبیین في نفسهما. انظر: «حاشية الشهاب» (٢٣٤/٧).

(١) في (ك): «فوقرنا».

(٢) قرأ بها شعبة عن عاصم. انظر: «التيسير» (ص: ١٨٣).

(٣) في (ف): «لأن».

(١٦) - ﴿قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾.

﴿قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ لَمَّا نَفَوْا الرِّسَالَةَ وبالغوا في ذلك، قائلوا إنكارهم في الجواب بمزيد التأكيد بقولهم: ﴿رَبَّنَا يَعْلَمُ﴾؛ لَأَنَّهُ اسْتِشْهَادٌ بِعِلْمِ اللَّهِ تعالى جَارٍ مجرى الْقَسَمِ في التوكيد، كما تقول: شَهِدَ اللَّهُ، وَعَلِمَ اللَّهُ، وبزيادة الألف، وبتقوية التأكيد، وتحسين الاستشهاد بقولهم:

(١٧) - ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾.

﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾؛ أي: التبليغ الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته، فَإِنَّ الاسْتِشْهَادَ عَلَى الدَّعْوَى إِنَّمَا يَحْسُنُ بَيِّنَةً وَّاضِحَةً.

\*\*\*

(١٨) - ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾: تَشَاءَ مِنَّا ﴿بِكُمْ﴾ يعني: سمعنا منكم ما هو من جهة الفأل نذيرٌ بمكروهٍ يَلْحَقُنَا<sup>(١)</sup> في أنفسنا أو في أهلينا أو في أموالنا، أو غير ذلك من أسبابنا وأمورنا، فكفُّوا عن هذا الكلام ولا تُعاودونا به<sup>(٢)</sup>.

﴿لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا﴾ عَمَّا نَهَيْتُمْ عَنْهُ ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾: لنرمينكم بالحجارة ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: المَسُّ: إصابةٌ تتأثر منها البشرية.

\*\*\*

(١٩) - ﴿قَالُوا طَئِثُكُمْ مَّعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾.

(١) في (ك): «يلحينا».

(٢) في (م): «ولا تعاودونا».

﴿قَالُوا طَئِرُكُمْ﴾؛ أي: سببُ شؤمكم ﴿مَعَكُمْ﴾ وهو سوءُ اعتقادكم وفسادُ أعمالكم.

﴿أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ﴾ بهمزة الاستفهام وحرف الشرط، وقرئ: ﴿أَأَنْتُمْ﴾ بألف بينهما<sup>(١)</sup>.

وجواب الشرط محذوفٌ لدلالة ما قبله عليه؛ أي: أئن وُعِظْتُمْ تطيَّرتُمْ وتوَعَّدْتُمْ بالرجم والتعذيب، وقرئ: (أأن ذُكرْتُمْ) بهمزة الاستفهام و(أأن) الناصبة<sup>(٢)</sup>؛ أي: أَتَطَيَّرْتُمْ لأنْ ذُكرْتُمْ.

وقرئ: (أأن) و(إن) بغير استفهام بمعنى الإخبار<sup>(٣)</sup>؛ أي: إنْ ذُكرْتُمْ تطيَّرتُمْ، أو تطيَّرتُمْ لأنْ ذُكرْتُمْ.

و: (أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ)<sup>(٤)</sup>، بمعنى: شُؤْمُكُمْ معكم حيث جَرَى ذِكْرُكُمْ، وهو أبلغ؛ لأنه إذا شِئِمَ المكانُ بذكرهم، كان بحلولهم فيه أَشْأَمَ.

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: قَوْمٌ عَادْتُمْ الإسرافَ في العصيان، فَمِنْ ثَمَّةِ جَاءَكُمْ الشؤمُ، أو: أنتم مسرفون في غيِّكم وضلالِكُمْ؛ حيث تشاءمتم بمن يجب التبرُّكُ به من رسلِ الله تعالى.

(١) قرأ بها هشام. انظر: «التيسير» (ص: ٣٢).

(٢) نسبت لزر بن حبيش. انظر: «البحر» (١٨ / ٨٥)، و«الكشاف» (٩ / ٤).

(٣) نسبت الأولى للماجشون يوسف بن يعقوب المدني، والثانية للحسن. انظر: «المحتسب» (٢٠٥ / ٢)، و«المحرر الوجيز» (٤٥٠ / ٤)، و«الكشاف» (٩ / ٤).

(٤) أي: (أين) بهمزة مفتوحة وياء ساكنة وفتح النون ظرف مكان (ذُكرْتُمْ) بتخفيف الكاف على أن (أين) ظرف أداة شرط وجوابها محذوف لدلالة (طائرُكم) عليه، نسبت للحسن وقتادة والأعمش وغيرهم. انظر: «المحتسب» (٢٠٥ / ٢)، و«البحر» (١٨ / ٨٥)، و«الكشاف» (٩ / ٤).

(٢٠) - ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقَوْمُ آبَعِيُوا الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾ هو: حبيب بن إسرائيل<sup>(١)</sup> النجاري؛ وكان ينحط الأصنام.

﴿يَسْعَى﴾: يقصد وجه الله تعالى بالذَّبِّ عن رسله؛ وهو من قوله: ﴿وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾ [الإسراء: ١٩]، والسعي في الأصل: المشي بسرعة وخفة حركة، ثم استعير للجِدِّ في إصلاح أمرٍ وفسادٍ.

﴿قَالَ﴾ استئناف، على تقدير سؤال سائلٍ عما قال عند ذلك: ﴿يَنْقَوْمُ آبَعِيُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ باحٍ بإسلامه ليشغل<sup>(٢)</sup> القوم عن الرسل، وقوله: ﴿يَنْقَوْمُ﴾ دلالةٌ وإظهارٌ منه أنه لا مباينة بيننا، ولا تهمة في إرادة السوء بكم.

\*\*\*

(٢١) - ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿١١﴾ وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ كلمة جامعة في الترويج؛ أي: لا تخسرون معهم شيئاً من دنياكم، وتريحون صحة دينكم، فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة، ورشحها وقواها بإبراز مناصحتهم في صورة المناصحة لنفسه؛ ليكون أدخل في إحاض النصح؛ حيث أراد لهم ما أراد لنفسه، وليتلطف بهم ويُداريهم حتى لا يتعصبوا<sup>(٣)</sup> فيقبلوا، فوضع قوله: ﴿وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ مكان قوله:

(١) في (ك): «أوس».

(٢) في (ك): «لشغل»، وفي (ع) و(م): «ليشتغل».

(٣) في (ع) و(م) و(ي): «يتمتعصوا».

وما لكم لا تعبدون الذي فطركم، وأوماً إلى المراد بقوله: ﴿وَالْيَهُ تَرْجِعُونَ﴾ مبالغة في التهديد، وإلا لقال: وإليه أرجع، ثم عاد إلى المساق الأول فقال:

\*\*\*

(٢٣) - ﴿أَتَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً إِنْ يَرِدَْنَّ الرَّحْمَنُ يَضْرِبْ لَكَ تَغْنٍ عَنِ شَفَعَتِهِمْ شَيْئًا وَلَا يَنْقُذُونَ﴾.

﴿أَتَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً﴾؛ أي: أصناماً، دلَّ على أنهم كانوا عبدة أصنام. ﴿إِنْ يَرِدَْنَّ الرَّحْمَنُ يَضْرِبْ لَكَ تَغْنٍ عَنِ شَفَعَتِهِمْ شَيْئًا﴾ نفى الشفاعة رأساً، كقوله:

ولا ترى الضَّبَّ بها يَنْجِحِرُ<sup>(١)</sup>

﴿وَلَا يَنْقُذُونَ﴾: ولا يقدرون على إنقاذي من ذلك الضرر؛ أي: لا نفع من جهتهم بالشفاعة ولا دفع بالقدرة.

\*\*\*

(٢٤) - ﴿إِنِّي إِذَا لَفِيَ ضَلَلٍ مُبِينٍ﴾.

﴿إِنِّي إِذَا لَفِيَ ضَلَلٍ مُبِينٍ﴾: تقريع على ترك عبادة خالقهم إلى عبادة من يضر ولا ينفع، وقد برهن في أثناء كلامه على ضلالتهم؛ حيث ذكر أن الله تعالى هو المبدئ الفاطر، وإليه الرجوع، ومنه الرحمة العامة الشاملة، وله القدرة التامة

(١) عجز بيت تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُ الْنَّاسُ إِلَّا كَفَافًا﴾، ومعناه: لا ضب ولا انجحار، وصدره:

الكاملة، وهو الذي إذا أراد بأحد شيئاً من الضرِّ والنفع فَعَلَ، فإن تركتُ عبادته إلى عبادة ما لا يضرُّ ولا ينفع ولا تُغني شفاعته شيئاً، ولا يقدر على إنقاذ مَنْ ابتلاه الله تعالى بالنصرة والمظاهرة، أو أشركته به في عبادته؛ فإنني إذا لقي ضلالٍ مبین<sup>(١)</sup>، ولا يخفى على عاقل.

\*\*\*

(٢٥) - ﴿إِنِّتْ ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾.

﴿إِنِّتْ ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾؛ أي<sup>(٢)</sup>: فاتَّبِعُونِي، السماعُ هنا مجازٌ عن الاتِّباع، إذ لا وجه للترتيب بين سماع القول منه وإيمانه، قيل: رَجَمُوهُ وهو يقول: اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي. وقبرُهُ في سوق أنطاكية، وباشتغالهم بقتله تخلَّص الرسل.

\*\*\*

(٢٦) - ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتُ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾.

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ استئنافٌ؛ لأنَّ قصَّته مظنة السؤال عن حاله، كأنَّ سائلاً سأل فقال: كيف كان لقاء ربِّه بعد ذلك التصلُّب في نصرته دينه، والتَّسخِّي بروحه، ف قيل: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾، ولمَّا كان السؤال عن المقول سيق الجواب لبيانه، وجرَّد عمَّا لا حاجة إليه وهو بيان المقول له، مع كونه معلوماً.

وكذلك قوله: ﴿قَالَ يَلَيْتُ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ استئنافٌ على تقدير سؤال سائلٍ عمَّا قال عند ذلك الفعل العظيم.

\*\*\*

(١) في (م): «بين».

(٢) «أي»: ليست في (م).

(٢٧) - ﴿يَا غَفَرْ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾.

﴿يَا غَفَرْ لِي رَبِّي﴾ (ما) مصدرية؛ أي: بغفران ربِّي لي، أو موصولة؛ أي: بالذي غفره لي من ذنبي، ويحتمل أن تكون استفهامية؛ أي: بأي شيء غفر لي ربِّي؟ على الأصل مع أن الأكثر حذف الألف، تقول: قد علمت بما صنعت هذا؟ أي: بأي شيء صنعت، والأكثر: بِمَ صنعت؟

تمنى أن يعلم قومه بأنه غفر له بإيمانه؛ فیرغبوا في الإيمان، وهذا مرتبة أولياء الله تعالى، يريدون الخير بمن أراد بهم الشر، ويتمنون أن لا يكون الله تعالى عاصياً. ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ بإعطاء المنزلة الرفيعة في الجنة، دل ذلك<sup>(١)</sup> على أن الجنة مخلوقة، وعلى أن القبر روضة من رياضها، أو حفرة من حفر النيران.

\*\*\*

(٢٨) - ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾.

﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد واقعته ﴿مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ استحقاقاً لإهلاكهم، وإيماء إلى تعظيم رسول الله ﷺ؛ أي: كُفينا أمر إهلاكهم بصيحة واحدة من ملك، وما أنزلنا عليهم جنداً من الجنود السماوية كما فعلنا يوم بدر والخندق. ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ وما صحَّ في حكمتنا أن نُنزل؛ لأنَّ إنزال جنود السماء من معظّمات الأمور التي لا يؤهل لها إلا مثلك، وقد أهلك الله تعالى كل أمة بسبب تقتضيه حكمته، ولم يُنزل جنود السماء لانتصار أحد من الأنبياء عليهم السلام إلا لانتصار محمد عليه الصلاة والسلام؛ لكرامته عند الله وتفضله على سائر الأنبياء، وإلا لكان يكفي في نصرته ملك واحد.

(١) «ذلك»: ليست في (م).

(٢٩) - ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خُمِدُونَ﴾.

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً﴾ كان القياسُ التذكير؛ لأنَّ الأصلَ ما وقع شيءٌ إلا صيحةً واحدةً، ولكن طُوِّبَتْ بها الصيحةُ لأنها في حكمِ فاعِلِ الفعلِ، وعليها قراءةُ الحسن: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا تَرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٩]؛ بتأنيثِ الفعلِ المبنيِّ للمفعول، ورفع (مساكنهم).

وقرئ: ﴿إِلَّا صِيحَةً﴾ بالرفع<sup>(١)</sup>؛ على (كان) التامة؛ أي: وما وقعت إلا صيحةً. ﴿فَإِذَا هُمْ خُمِدُونَ﴾ بناءً على تشبيهِ الحرارة الغريزية بحرارة النار، وانطفائها بخمود النار، على الاستعارة بالكناية؛ أي: خمدوا كما تَخمد النارُ، وذلك أنَّ الروحَ عند الفزع الشديد تتحرَّك مع الدم إلى الباطن دفعةً دفعةً، فتختنق من شدة الانحصار والاجتماع، فتتطفئ.

\*\*\*

(٣٠) - ﴿يَحْشَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

﴿يَحْشَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ﴾ الحسرة هي بلوغُ النهاية في التلهُّف حتى يبقى القلبُ حَسِيرًا لا موضعَ فيه لزيادةِ التلهُّف، كالْبصيرِ الحسير الذي لا قوَّةَ فيه للنظر، والبصيرِ الحسير الذي لا قوَّةَ له على المسير، وهذا نداءٌ على الحسرة عليهم، كأنَّها قيل لها: تعالي يا حسرةُ فهذه من الأحوال<sup>(٢)</sup> التي حقُّك أنْ تحْضري فيها، وهي ما دلَّ عليه: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

(١) قرأ بها أبو جعفر. انظر: «النشر» (٢/ ٣٥٣).

(٢) في (ف) و(ك): «الأفعال».

ويجوز أن يكون المعنى: أَنَّهُمْ متَحَسِّرٌ عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ تعالى، على سبيل الاستعارة، والمراد: تعظيم ما جَنَوَهُ على أَنفُسِهِمْ، وفرطُ إنكارِهِ له وتعجيبِهِ منه، ويعضده قراءة مَنْ قرأ: (يا حسرتا) <sup>(١)</sup>؛ لَأَنَّ المعنى: يا حسرتي.

وقرئ: (يا حسرة العباد) <sup>(٢)</sup>؛ بالإضافة إلى الفاعل أو المفعول؛ لاختصاصها بهم مِنْ حيث إنها موجهةٌ إليهم.

و: (يا حسرة على العباد) <sup>(٣)</sup>؛ على إجراء الوصل مجرى الوقف، والمعنى: أَنَّهُمْ أَحْقَاءُ بَأَن يُتَحَسَّرَ عَلَيْهِمْ، أو هم متَحَسِّرٌ عَلَيْهِمْ مِنْ جهةِ الملائكةِ والمؤمنين مِنَ الثَّقَلَيْنِ.

\*\*\*

(٣١) - ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْفُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ معلق عن العمل في ﴿كَفَرُوا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْفُرُونِ﴾ لأن (كم) لا يعمل فيها ما قبلها وإن كانت خبرية؛ لأنها وُضعت لإنشاء التكثير، أو لأنَّ أصلها الاستفهام، وإنَّما جاز تعليق فعل الرؤية لأنه بمعنى: أَلَمْ يَعْلَمُوا، إلا أنَّ معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك: أَلَمْ يَرَوْا إِنَّ زَيْدًا لَمُنْطَلِقٌ، وإن لم يعمل في لفظه، ولهذا أبدل:

(١) انظر: «الكشاف» (١٣/٤)، و«البحر المحيط» (٩٧/١٨).

(٢) نسبت لابن عباس وأبي الحسن وعلي بن الحسين وغيرهم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٥)، و«المحتسب» (٢٠٨/٢)، و«الكشاف» (١٣/٤)، و«البحر المحيط» (٩٦/١٨).

(٣) نسبت لابن عباس. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٥)، و«الكشاف» (١٣/٤)، و«البحر المحيط» (٩٦/١٨).

﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ مِنْ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ على المعنى لا على اللفظ، تقديره: أَلَمْ يَرَوْا كَثْرَةَ إِهْلَاكِنا الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِهِمْ كَوْنَهُمْ غَيْرَ رَاجِعِينَ إِلَيْهِمْ.

وقيل: إِنَّهُ بَدَلٌ مِنْ مَوْضِعِ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾، وليس بدلاً مِنْ (كم) وحده؛ لَأَنَّ الْعَامِلَ فِيهِ هُوَ: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾، ولا يصلح<sup>(١)</sup> عاملاً في البديل.

وقرئ بالكسر<sup>(٢)</sup> على الاستئناف.

وقرئ: (أَلَمْ يَرَوْا مَنْ أَهْلَكْنَا)<sup>(٣)</sup>، والبديل على هذه القراءة بدل اشتمال<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(٣٢) - ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.

﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ﴾ (إِنْ) مخففة من الثقلية، واللام هي الفارقة، و(ما) مزيدة للتأكيد، وقرئ: ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد<sup>(٥)</sup>؛ على أَنَّ (إِنْ) نافية، و(لَمَّا) بمعنى: (إِلَّا).

و﴿كُلُّ﴾ بمعنى الإحاطة، وَأَنَّ لَا يَنْفَلَتَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، والجمع بمعنى الاجتماع، وَأَنَّ مَجْمَعَهُمْ<sup>(٦)</sup> الْمُحْشَرُ، فَالتَّنْوِينُ فِي ﴿كُلُّ﴾ عَوْضٌ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ؛ أَي: كُلُّهُمْ مُحْشَرُونَ مَجْمُوعُونَ ﴿لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ لِلْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقِيلَ: ﴿مُحْضَرُونَ﴾ فِي النَّارِ مَعَذَّبُونَ.

(١) في (م): «يصح».

(٢) أي: (إنهم)، ونسبت للحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٥).

(٣) نسبت لابن مسعود. انظر: «تفسير القرطبي» (١٧/ ٤٣٨)، و«البحر المحيط» (١٨/ ١٠١).

(٤) في (م): «الاشتمال».

(٥) قرأ بها ابن عامر وعاصم وحزمة، وباقي السبعة بالتخفيف. انظر: «التيسير» (ص: ١٢٩).

(٦) في (ك): «يجمعهم».

(٣٣) - ﴿وَأَيُّهُمْ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا يَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَأَيُّهُمْ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ﴾: ﴿الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿آيَةُ لَهُمْ﴾.

و﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ استئنافٌ لبيان كون الأرض الميتة آيةً لهم، ويجوز أن يكون صفةً لـ ﴿الْأَرْضُ﴾؛ لأنَّ المراد الجنس المطلق لا أرضٌ بعينها، فجاز وصفها بالنكرة.

وأن تكون ﴿آيَةُ﴾ مبتدأ، و﴿لَهُمْ﴾ صفتها، و﴿الْأَرْضُ﴾ خبرها.

وأن يكون ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ خبراً للأرض، والجملة خبر ﴿آيَةٍ﴾ أو صفةً لها.

﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ المراد بالحبِّ: الجنس، وتقديرُ الطرفِ في قوله: ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ للدلالة على أنَّ الحبَّ معظمُ ما يؤكل ويُعاش به، ويقومُ البدنُ بالارتزاقِ منه، ألا ترى أنَّه إذا فقدَ حضر الهلاكُ بالقحطِ وعمَّ البلاءُ؟

\*\*\*

(٣٤) - ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾: من أنواعِ النَّخْلِ والعنبِ، ولذلك جمعهما دونَ الحبِّ؛ فإنَّ كونه قوامُ البدنِ باعتبار جنسه لا باعتبار تنوعه.

وأما ما قيل: إنَّ ذلك لأنَّ الدَّالَّ على الجنسِ مشعرٌ بالاختلاف، ولا كذلك الدَّالُّ على الأنواع = خلافٌ ما هو المشهور وعليه الجمهور، فإنَّهم قالوا: في العالمين إشعارٌ بالاختلاف دون العالم.

وذكرُ النخيلِ النخيلِ دونَ التمرِ - مع مطابقتها الحبِّ والأعْنَابِ - لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصُّنع.

﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا﴾ وقرئ: بالتخفيف<sup>(١)</sup>؛ والفَجَّر والتفجير كالفَتْح والتفتيح لفظاً ومعنى، في أَنَّ التشديد للمبالغة والتكثير.

﴿مِنَ الْعُيُونِ﴾ ﴿مِنْ﴾ زائدة عند الأخفش، وعند غيره المفعول محذوف؛ أي: شيئاً من العيون.

\*\*\*

(٣٥) - ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ الضمير للتفجير<sup>(٢)</sup>؛ أي: ليتفعّلوا بفوائده<sup>(٣)</sup>، يقال: ثمره التجارة الربح، وتخصيص الأكل بالذكر لأنه معظم الفوائد وقرئ: بضمّتين<sup>(٤)</sup>؛ وهو لغة فيه، أو جمع: ثمار.

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ عطف على الثمر، أو على موضع ﴿مِنْ ثَمَرِهِ﴾، والمراد: ما يتخذ منه كالعصير والدبس والخَلّ وكلّ ما يتخذ من التمر والعنب.

وقيل: (ما) نافية، والمراد أَنَّ الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم، ويؤيد الأول قراءة: (وما عملت)<sup>(٥)</sup>؛ من غير راجع؛ لأنّ حذف الراجع من الصلة أحسن من غيرها.

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ استبطاء وحثّ على شكر نعمه.

(١) نسبت لجناح بن حبّيش. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٥).

(٢) في (ف) و(م): «للتعجب».

(٣) في (م): «أي: لتبتغوا فوائده».

(٤) قراءة حمزة والكسائي. انظر: «التيسير» (ص: ١٠٥).

(٥) قرأ بها حمزة والكسائي وشعبة. انظر: «التيسير» (ص: ١٨٤).

(٣٦) - ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾: الأجناس والأصناف ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾  
من النخل والشجر والزرع والثمر.

﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ الأولاد ذكوراً وإناثاً ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ ومن أزواج لم  
يُطلعهم الله تعالى عليها، ولم يجعل لهم طريقاً إلى معرفته.

\*\*\*

(٣٧) - ﴿وَأَيُّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾.

﴿وَأَيُّهُمُ اللَّيْلُ﴾ فيه الوجهان المذكوران فيما تقدّم من نظيره، وفي: ﴿نَسْلَخُ  
مِنْهُ النَّهَارَ﴾ الوجوه المذكورة في ﴿أحيينا﴾؛ من الاستئناف والصفة والخبريّة.

والنَّسْلَخُ: الكَشْطُ، يقال: سَلَخَ جِلْدَ الشَّاةِ، إِذَا كَشَطَهُ، فَاسْتُعِيرَ لِإِزَالَةِ الضَّوِّ  
وكشفه عن مكان الليل وملقى ظلّه<sup>(١)</sup>.

﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾: داخلون في الظلام.

\*\*\*

(٣٨) - ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾: لحدٍّ معيّنٍ من فلكها ينتهي إليه دورها في  
آخر كلّ سنة.

(١) في هامش (ف) و(ي): «فالمستعار لفظ السِّلَخ، والمستعار منه معنى الكشط، والمستعار له معنى

الإزالة، ومن قال: مستعار من سلخ الجلد، لم يصب كما لا يخفى. منه».

وقيل: الوقت الذي تستقرُّ فيه وينقطع جريُّها<sup>(١)</sup>، وهو يوم القيامة.

وقرئ: (إلى مستقرِّ لها)، وقرئ: (لا مستقرَّ لها)<sup>(٢)</sup>؛ أي: لا استقراراً إلا أن يُكوِّرها الله تعالى يومَ القيامة، على أن (لا) بمعنى (ليس).

﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ذلك الجريُّ على هذا التقدير العجيب ما هو إلا تقدير الغالب بقدرته على كلِّ مقدور، المحيطُ علماً بكلِّ معلوم.

\*\*\*

(٣٩) - ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾.

﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ﴾؛ أي: قدرنا مسيره ﴿مَنَازِلَ﴾ على حذف المضاف؛ وهي ثمانية وعشرون منزلاً؛ ينزل كلَّ ليلةٍ في واحدةٍ منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنه، على السَّواء إلى الثامنة والعشرين، فيدُقُّ مستقوساً<sup>(٣)</sup> كالْعُرْجُونِ القديم، ثم يغيبُ ليلةً إذا نقص الشهرُ أو في ليلتين إذا تمَّ، وهذا ما ذكره<sup>(٤)</sup> بقوله:

﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾ العُرْجون: العودُ والعِدْقُ ما بين شماريخه إلى منبته من النخلة، قال<sup>(٥)</sup> الزَّجَّاج: هو فُعْلون من الانعراج، وهو الانعطاف<sup>(٦)</sup>.

وقرئ: (العُرْجُون) بوزن الفِرْجُون<sup>(٧)</sup>، وهما لغتان، كالْبَزْيُونِ والبَزْيُونِ.

(١) في (ك): «مدتها».

(٢) انظر القراءتين في «الكشاف» (١٦/٤)، و«البحر المحيط» (١٨/١٠٨).

(٣) في (ك): «مستقر». وفي (ف): «مستقره».

(٤) في (م): «ذكر».

(٥) في (م): «وقال».

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢٧٨/٤)، و«الكشاف» (١٧/٤) وعنه نقل المؤلف.

(٧) نسبت لسليمان التيمي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٥).

والقديم: المٌخُول، وإذا قَدَمَ العرجونُ دَقَّ وانحنى واصفرَّ فُشِبَّ به من ثلاثة أوجه.

\*\*\*

(٤٠) - ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا﴾؛ أي: لا يصحُّ ولا يستقيم لها ﴿أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ وتجتمع معه وتداخله في سلطانه، فتطمس نوره؛ لأنَّ التدبيرَ الإلهيَّ اقتضى المعاقبة. وإبلاء الشمس حرفَ النفي للدلالة على أنَّها مسخرة لم يتيسر لها إلا ما قدر لها من السير والطريق<sup>(١)</sup>.

وإنَّما وَصَفَهَا بالإدراك، وَوَصَفَ الْقَمَرَ بالسَّيِّ ضَمناً<sup>(٢)</sup>؛ لسرعة سيره بالنسبة إليها، فإنَّه يقطع بحركته في شهرٍ ما تقطع الشمس في سَنَةٍ من المسافة، فيناسبه السَّيِّ، ومن هاهنا ظهر نسبة السَّيِّ إلى الليل دون النهار في قوله: ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾؛ أي: لا الليل يسبقه فيزيل ضوءه لذلك.

وقيل: المراد بهما آيتاهما<sup>(٣)</sup>؛ وهي الشمس والقمر، فيكون عكس الأول،

(١) من حيث إن تقديم المسند إليه على الفعل وجعله بعد حرف النفي نحو: ما أنا قلت هذا، وما زيد سعى في حاجتك، يفيد التخصيص؛ أي: ما أنا قلت هذا بل غيري، وما زيد سعى في حاجتك بل غيره، على ما حققه علماء البلاغة. انظر: «روح المعاني» (٢٢/٣٤٨).

(٢) «ضمناً»: ليست في (م).

(٣) في (ك): «إثباتهما».

وذلك أنَّ صلاحَ النباتِ والحيوانِ وجميعِ الشؤونِ الإلهيةِ مبنيٌّ على تعاقبهما، وأنَّ يكونَ لكلٍّ منهما سلطانٌ على حياله<sup>(١)</sup>

وقرئ: (سابقُ النهارِ) بالتنوين ونصب (النهارِ)<sup>(٢)</sup>؛ على الأصل.

﴿وَكُلُّ﴾ التنوينُ عوضٌ من المضافِ إليه؛ أي: كلٌّ واحدٍ منهما.

﴿فِي فَلَاكِ﴾؛ أي: في فلكٍ غيرِ فلكِ الآخرِ، الجمهورُ على أنَّ الفلكَ موجٌّ مكفوفٌ تحت السماءِ تجري فيه الشمسُ والقمرُ والنجومُ، وعلى هذا المراد من الفلكِ الجنسُ.

﴿يَسْبَحُونَ﴾: يسيرون فيه<sup>(٣)</sup> بانسباطٍ، فإنَّ كلَّ ما انبسطَ في شيءٍ فقد سَبَحَ فيه، ومنه السباحةُ في الماءِ، وإنَّما جُمعَ جمعُ العقلاءِ للوصفِ بفعلهم.

\*\*\*

(٤١) - ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ﴾.

﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا﴾ لم يقل: وآيةٌ لهم الفلكُ، كما قال: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَلِيلٌ﴾؛ لأنَّ العَجَبَ حملُهم على الفلكِ، لا نفسَ الفلكِ فإنَّه بيتٌ مبنيٌّ من الخشبِ.

﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: أولادُهم ومن يهْمُهم حملُهم، وقيل: اسمُ الذريةِ يقع على النساءِ؛ لأنَّهنَّ مزارعُها، وفي الحديث: أنه عليه السلام نهى عن قتلِ الذَّراري<sup>(٤)</sup>،

(١) في (ف) و(ك): «إحاله»، وفي (ي): «حيدته»، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما «تفسير القرطبي» (١٧/٤٥٠).

(٢) نسبت لعامة بن عقيل. انظر: «مختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٥).

(٣) «فيه»: ليست في (م).

(٤) انظر: «الكشاف» (١٨/٤)، و«الفائق» (٧/٢)، ورواه بنحوه النسائي في «الكبرى» (٨٥٧١)

و(٨٥٧٢)، وابن ماجه (٢٨٤٢)، من حديث رباح بن الربيع رضي الله عنه. ورواه النسائي في =

يعني: النساء، وتخصيصُ الذريات لأنه لا قدرة لهم على السفر، فكان الامتنانُ في حقِّهم أظهر.

﴿فِي الْفُلْكِ﴾ قيل: المراد فُلُكُ نوحٍ عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ. فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [الشعراء: ٣٧٢]، فعلى هذا يُراد بالذرية الأسلاف؛ لأنه من الذرِّ، أو هو<sup>(١)</sup> الخلق فيصالح الاسم للأصل والنَّسل؛ لأنَّ بعضهم خلق من بعضٍ.

ويجوز أن يكون المعنى: أنه تعالى حمل آباءهم الأقدمين وفي أصلاهم ذرياتهم، وتخصيصُ الذرية لأنَّ الخطابَ للكفار، ولا فائدة في وجودهم، فلم يكن الحملُ حملاً لهم، بل كان حملاً لِمَا في أصلاهم من المؤمنين.

ولم يقل: على الفلك، مع أنَّه الأنسب للحمل؛ لأنَّ معنى الحفظِ المستفادِ من حرفِ الظرفِ أدخل في الامتنانِ وأنسب لِمَا قُصدَ من توصيفِ الفلكِ بقوله:

﴿الْمَشْحُونِ﴾ لَمَّا كانت السفينةُ مملوءةً بأنواعِ المخاوفِ؛ من سباعِ البهائم وجوارحِ الطير وهوامِّ الدَّوابِّ، كان<sup>(٢)</sup> حفظُ بني آدمَ فيما بينهم من آثارِ اللُّطفِ العظيمِ والقدرةِ الباهرة، ولولا<sup>(٣)</sup> ذلك الاعتبارُ اللطيفُ لكان التوصيفُ بالمشحونِ بمعزلٍ عن مقامِ الغرابةِ المستفادَةِ من عبارة الآية؛ لأنَّ القرارَ على الفُلْكِ المشحونِ الثقيلِ أهونُ من القرارِ على الفُلْكِ الخالي الخفيفِ، ولذلك لم يُوصَفِ الفُلْكُ به في قوله: ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ مَحْمُوكُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٢].

\*\*\*

= «الكبرى» (٨٥٧٣)، وابن ماجه (٢٨٤٢)، من حديث حنظلة الكاتب رضي الله عنه.

(١) في (ك): (هذا).

(٢) في (م): «فكان».

(٣) في (م): «لولا».

(٤٢) - ﴿وَخَلَقْنَاهُمْ مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾.

﴿وَخَلَقْنَاهُمْ مِّن مِّثْلِهِ﴾: جنسِ الفُلْكِ ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ من الإبل؛ فإنَّها سفائنُ البرِّ، أو: من مثلِ فلكِ نوحٍ عليه السلام من السفن والزوارق.

\*\*\*

(٤٣) - ﴿وَلِإِن نَّشَأْنُفَرِّقَهُمْ فَلَا صِرَاحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُقَدَّرُونَ﴾.

﴿وَلِإِن نَّشَأْنُفَرِّقَهُمْ فَلَا صِرَاحَ لَهُمْ﴾ والصريخُ والصارخُ بمعنى المستغيث، ويجيء بمعنى الإغاثة لأنَّ أصله مصدرٌ بمعنى الصراخ، وقد سبق تفسيره في السورة السابقة. ﴿وَلَا هُمْ يُقَدَّرُونَ﴾؛ أي: لا يُخلَّصون بعد ذلك.

\*\*\*

(٤٤) - ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلَّا لرحمةٍ مِنَّا وتمتيعٍ بالحياة إلى زمانٍ قُدِّرَ لا جالهم.

\*\*\*

(٤٥) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من الوقائع النازلة بالأُمم المكذبة قبلهم ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من الساعة وأهوالها، أو نوازل السماء ونوائب الأرض، أو ما تقدَّم من ذنوبكم وما تأخر، أو فتنة الدنيا وعقوبة الآخرة.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: لتكونوا راجينَ رحمةَ الله تعالى.

\*\*\*

(٤٦) - ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ ﴿مِنْ﴾ الأولى للتأكيد، وجواب (إذا) محذوفٌ مدلولٌ عليه بقوله: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ كأنه قال: وإذا قيلَ لهم: اتَّقُوا، أعرضوا، ثم قال: ودأبهم الإعراض عند كل آية وموعظة، فهو تذييلٌ مؤكِّدٌ لِمَا سبق من حديث الإعراض.

\*\*\*

(٤٧) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا﴾ لم يذكر المُنفق عليه؛ لأنَّ إِبَاءَهُمْ<sup>(١)</sup> وإن كان عن الإنفاق وعلى المؤمنين خاصة، إلا أنَّ مُوجِبَ ما تعلَّلوا به سدُّ بابِ الإنفاقِ رأساً، وللإشعار إلى هذا ترك المُنفق عليه.

﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ إشارة<sup>(٢)</sup> إلى أنَّ البُخلَ به في غاية القُبْح، فإنَّ أبخلَ البخلاء من يبخلُ بمالٍ الغير.

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالصانع تعالى، يعني: مُعْطَلَةٌ كانوا بمكة ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ تهكماً بهم، وذلك أنَّهم لما سمعوا المؤمنين يعلِّقون الأمور بمشيئة الله تعالى، يقولون: لو شاء الله لكان كذا، وافترضوا<sup>(٣)</sup> هذا الكلام فرصةً، واتَّخذوه هزواً يستهزئون بالمؤمنين، يُجيبون به عند أمرهم بالإنفاق.

(١) في (ع) و(م) و(ي): «إِبَاءَهُمْ» بياء قبل الباء، وكذا وقع في هذه النسخ الثلاث جميع ما سيأتي.

(٢) في (م): «الإشارة».

(٣) في (ع) و(ي): «وافترضوا».

والتصريحُ بالوصفينِ مِنَ الكفر والإيمان لبيان أنَّ المقولَ إليهم هم الكافرون، والقائلَ لهم<sup>(١)</sup> هم المؤمنون، وأنَّ كلَّ وصفٍ حاملٌ لصاحبه على ما صدرَ عنه، إذ:

كُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَرِشَحُ<sup>(٢)</sup>

وأيضاً لما كان الغرضُ الرَّدَّ على المؤمنين لا الامتناعَ عن الإطعام<sup>(٣)</sup> - لأنه ممَّا يفتخرون به - كان حقُّ المقامِ التصريحُ بوصف الإيمان في المقولِ له، ومن هنا تبين وجهُ آخرٍ للعدول عن عبارة الإنفاق إلى عبارة الإطعام.

﴿أَنْطَعُمْ﴾ لَمَّا كَانَ الْإِطْعَامُ أَدْنَى وَجْهِ الْإِنْفَاقِ وَأَعْلَى مَا يَفْتَخِرُونَ بِهِ، كَانَ الْإِبَاءُ عَنْهُ إِبَاءً عَنِ الْإِنْفَاقِ رَأْسًا.

﴿مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ على زعمكم.

وقيل: نزلت في مشركي مكَّة حين استطعمهم فقراءُ المؤمنين من أموالهم التي جعلوها لله تعالى، فحرموهم وقالوا: لو شاء الله لأطعمكم، مُوهمين أنَّ الله قادرٌ على إطعامهم، ولا يشاءُ إطعامهم، فنحن أحقُّ بذلك.

﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ حيث أمرتمونا بما يخالف مشيئة الله<sup>(٤)</sup> تعالى.

(١) «لهم»: ليست في (م).

(٢) انظر: «البحر» (١٨/١١٨)، وهذا عجز بيت نسب لكشاجم كما في «محاضرات الأدباء» (٤٥٢/١)، وصدرة:

ويأبى الذي في القلب إلا تبينا وكل إناء.....

(٣) في (م): «الطعام».

(٤) في (م): «مشيئته».

ويجوز أن لا يكون من تنمة كلامهم، ويكون جواباً من الله تعالى لهم، أو حكاية لجواب المؤمنين لهم، بأن ذلك من فرط ضلالتهم وجهالتهم؛ لأن الله تعالى يطعم من يشاء بأسباب بها، حيث منها حث الأغنياء على إطعام الفقراء وتوفيقهم له.

\*\*\*

(٤٨) - ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾؛ أي: وعد البعث ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما تقولون، خطابٌ للنبي ﷺ وأصحابه.

\*\*\*

(٤٩) - ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾.

﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾: ما ينتظرون، أراد الانتظار المفهوم من قولهم: ﴿مَتَى﴾. ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾؛ أي: عذاباً يَفْجَأُهُمْ فَيَسْتَأْصِلُهُمْ، يقال: صاح بهم الزمان؛ أي: هلكوا، قال الشاعر:

صاح الزمان بال جفنة صيحة خروا الشدتها على الأذقان<sup>(١)</sup>  
وقيل: هي نفخة الإماتة.

ذكر في الصيحة أمور تدل على هولها وعظمتها؛ أحدها: التكرير، وثانيها: ﴿وَاحِدَةً﴾؛ أي: لا يحتاج معها إلى الثانية، وثالثها: ﴿تَأْخُذُهُمْ﴾؛ أي: تعمهم بالأخذ، وتصل إلى من في أقطار الأرض، ومثلها لا يكون إلا عظيماً.

(١) البيت في «تفسير الرازي» (٢٣/٢٧٦)، و«البحر المحيط» (١٥/٤٤٩).

وقوله: ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾؛ أي: تأتيهم بغتة وهم في أمنهم وغفلتهم، يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم، لا يُخطرون أمرها ببالهم، ممَّا يعظم به الأمر؛ فإنَّ العاملَ المُقبلَ على مُهمٍّ إذا صاح به صائحٌ يكون ارتجافه أعظم، بخلاف المُتَظَرِّ لها.

\*\*\*

(٥٠) - ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أن يوصوا في شيءٍ من أمورهم ﴿تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾: ولا أن يرجعوا إلى أهلهم ومنازلهم، بل يموتون حيث تَبَغُّهُمْ الصَّيْحَةُ.

\*\*\*

(٥١) - ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ هي نفخة البعث، وقد سبق في تفسير سورة المؤمنين. ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾: من القبور، جمع جَدَثٍ، وقرئ بالفاء<sup>(١)</sup>، و(إذا) للمفاجأة.

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ النَّسْلُ<sup>(٢)</sup>: الإسراعُ في الخروج، ولفظ الرَّبِّ أَصَابَ المحزَّ؛ لأنَّ مَنْ أَسَاءَ واضطرَّ إلى التوجُّه إلى مَنْ أَحْسَنَ إليه، يكون ذلك أشدَّ ألمًا وأكثرَ ندمًا من غيره.

\*\*\*

(١) أي: (الأجداث). انظر: «الكشاف» (٤/ ٢٠)، و«البحر المحيط» (١٨/ ١٢١).

(٢) في (م): «النسول».

(٥٢) - ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾.

﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ وقرئ: (مَنْ أَهْبَنَّا)<sup>(١)</sup>؛ مِنْ هَبٍّ مِنْ نومه، إذا انتبه، وأهَبَهُ غَيْرُهُ.

وقرئ: (مَنْ هَبَّنَا)<sup>(٢)</sup>؛ بمعنى: أهْبْنَا.

وقرئ: (مِنْ بَعَثْنَا)<sup>(٣)</sup>، و(مِنْ هَبَّنَا)<sup>(٤)</sup>؛ على (من) الجارّة والمصدر.

وعن مجاهد: للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم، ولو استمرّ عذاب الكفار في قبورهم بالنار، لَمَا صَحَّ مِنْهُمْ الْقَوْلُ الْمَذْكُورُ.

﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ ﴿هَذَا﴾ مبتدأ، و﴿مَا وَعَدَ﴾ خبره، و﴿مَا﴾ مصدرية، أو موصولة محذوفة الراجع، دلّ على هذا قوله تعالى: ﴿يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ [الصفّات: ٢٠].

﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾؛ أي: صدّق فيه، ويجوز أن يكون اعتراضاً، أفاقوا عمّا بهم وتنبّهوا يتذكّرون ما سمعوا من الرسل، فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضاً.

وقيل: هذا ليس من كلامهم، بل جواب الملائكة أو المؤمنين لهم، لكن عدل عن سننه ومطابقته للسؤال لأغراض:

منها: تنبيههم على أنّ الذي يهّمهم هو السؤال عن البعث لا عن الباعث.

(١) نسبت لابن مسعود. انظر: «المحتسب» (٢/ ٢١٤).

(٢) نسبت لأبيّ. انظر: «المحتسب» (٢/ ٢١٤).

(٣) نسبت لعلي بن أبي طالب. انظر: «المحتسب» (٢/ ٢١٤).

(٤) انظر: «الكشاف» (٤/ ٢٠).

ومنها: تذكير<sup>(١)</sup> لكفرهم وتكذيبهم الرسل، وتقريعهم على ذلك.

ومنها: نعيهم إليهم أحوالهم التي هم فيها، وإخبارهم بوقوع ما أُنذوا به، كأنه قيل لهم: ليس هذا بالبعث الذي توهمتموه - وهو بعث النائم من مرقدِه - حتى يُهَمَّكم السؤال عن الباعث، إنَّ هذا هو البعث الأكبر ذو الأفرع والأهوال، الذي وعده الله تعالى في كتبه المنزلة وأخبر به على السنة رسوله الصادقين.

\*\*\*

(٥٣) - ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ وقرئ بالرفع<sup>(٢)</sup> على (كان) التامة، والضمير في الناقصة للنفخة دلَّ عليها: ﴿وَنُفِخَ﴾.

﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ بمجرد تلك الصيحة، وفي ذلك تهوينُ أمر البعث والحشر، واستغناؤهما عن الأسباب التي يتوهمونها بالقياس على ما يشاهدونه.

\*\*\*

(٥٤) - ﴿فَالْيَوْمَ لَا تَظْلِمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَالْيَوْمَ لَا تَظْلِمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ حكاية لما يُقال لهم حينئذٍ، وكذا ما بعده من وصف أهل الجنة؛ تصويراً للموعود، وتمكيناً له في النفوس، وترغيباً أو ترهيباً.

\*\*\*

(١) في (ف): «تذكرهم»، وفي (ك) و(ي): «تذكيرهم».

(٢) قرأ بها أبو جعفر. انظر: «النشر» (٢/٣٥٣). وفي (م): «وقرئت».

(٥٥) - ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهُونَ﴾.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ﴾ عن ذكر أهل النار، ولو خَطَرَ ذلك ببالهم وفيها أحدٌ من أقاربهم أو معارفهم، تنغص<sup>(١)</sup> عليهم ما هم فيه، والتنكير في ﴿شُغْلٍ﴾ للتعظيم والتنبية على أنه أعلى من أن تحيط به الأفهام، ويُعرب عن كُنْهه الكلام.

والشغل: العارض الذي يذهل الإنسان عن أمرٍ لولا ذلك العارض لكان متوجّهاً إليه.

﴿فَكِهُونَ﴾ وقرئ: ﴿فَكِهُونَ﴾<sup>(٢)</sup>؛ ك: نَطَسَ، بناءً على أنه حال، والخبر هو الظرف، والفاكهة والفكه: المُتنعمُ المتلذّد، ومنه: الفاكهة؛ لأنها ممّا يُتَلذَّذُ به.

\*\*\*

(٥٦) - ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْبَابِ مُتَكُونَ﴾.

﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ﴾ ﴿هُمْ﴾ مبتدأ، أو تأكيد للضمير [في]<sup>(٣)</sup> ﴿فِي شُغْلٍ﴾، أو في ﴿فَكِهُونَ﴾ والمعنى على تقدير التأكيد: أن أزواجهم تُشاركهم في ذلك الشغل والتفكه<sup>(٤)</sup> والاتكاء، والأزواج: جمع زوجة، وهي حرّة الرجل التي يحلّ له وطؤها.

﴿فِي ظِلِّ﴾: جمع ظلّ كشعاب، أو ظلّة كقباب، ويؤيده قراءة: ﴿فِي ظِلِّ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) في (ع) و(ي): «ينقص».

(٢) قرأ بها أبو جعفر. انظر: «النشر» (٣٥٣/٢).

(٣) من «الكشاف» (٢٢/٤).

(٤) في (ك): «والتفكه».

(٥) قرأ بها حمزة والكسائي. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٤).

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: جمع أريكة؛ وهي السرير في الحَجَلَة، وقيل: الفراش فيها.  
﴿مُتَّكِفُونَ﴾ خبرٌ، أو ﴿فِي ظِلِّلٍ﴾ خبرٌ، و﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ مستأنفٌ، وقرئ:  
(متكئين)<sup>(١)</sup>؛ على الحال.

\*\*\*

(٥٧) - ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَائِدَٰعُ﴾.

﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾ عبّر عن كلِّ ما يُرزقون فيها بالفاكهة؛ للتنبيه على أنّهم  
مستغنون عن حفظِ الصحةِ بالأقوات، بأنّهم أجسامٌ محكمةٌ مخلوقةٌ للأبد، فكلُّ ما  
يأكلونه على سبيل التلذُّذ.

﴿وَلَهُمْ مَائِدَٰعُ﴾ يَفْتَعِلُونَ مِنَ الدُّعَاءِ؛ أي: يَدْعُونَ به لأنفسِهِمْ، كقولك: اشْتَوَى  
واجْتَمَلَ، إِذَا شَوَى وَجَمَلَ لِنَفْسِهِ.

ويجوز أن يكون بمعنى: يتداعونه، كقولك: ارتَمَوْهُ وترامَوْهُ.

وقيل: يتمنون؛ مِنْ قولهم: ادْعُ عَلَيَّ مَا شِئْتَ، بمعنى: تَمَنَّ عَلَيَّ، وفلانٌ في خيرٍ  
ما ادَّعَى؛ أي: في خيرٍ ما تَمَنَّى، قال الزَّجَّاج: وهو<sup>(٢)</sup> مِنَ الدُّعَاءِ؛ أي: ما يَدْعُوهُ أَهْلُ  
الجنة يَأْتِيهِمْ.

و(ما) موصولة أو موصوفة مرتفعة بالابتداء، و﴿لَهُمْ﴾ خبرها.

\*\*\*

(١) نسبت لابن مسعود. انظر: «الكشاف» (٢٢/٤)، و«البحر المحيط» (١٨/١٢٦).

(٢) في النسخ: «وقال الزجاج هو»، مما يوهم أنه قول جديد، في حين أنه مبني على معنى: يتمنون، كما  
هو واضح من «معاني القرآن» للزجاج (٢٩٢/٤)، و«الكشاف» (٢٢/٤) والكلام وما أثبت منه.

(٥٨) - ﴿سَلَّمَ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾.

﴿سَلَّمَ﴾ بدلٌ منها أو صفةٌ أخرى<sup>(١)</sup>.

﴿قَوْلًا﴾ مصدر مؤكّد لقوله: ﴿وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ (٥٧) ﴿سَلَّمَ﴾؛ أي: عِدَّةٌ ﴿مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ والأوجهُ أنْ ينتصبَ على الاختصاص، وهو مِنْ محارزهِ<sup>(٢)</sup>؛ أنَّ الله تعالى يُسَلِّمُ عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة؛ مبالغةً في تعظيمهم، وذلك متمنّاهم، ولهم ذلك لا يُمنَعونه، قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: والملائكة يدخلون عليهم بالتحية مِنْ رَبِّ العالمين<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(٥٩) - ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ﴾ يقال: مَارَهُ فانمازَ وامتازَ بمعنى: تمايزَ ﴿أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾؛ أي: انفردوا<sup>(٤)</sup> عن المتّقين، والمراد مِنْ ﴿الْيَوْمَ﴾ يوم الحشر، قال الضحاك: تمتاز اليهودُ فرقةً، والنصارى فرقةً، والمجوسُ فرقةً، والصابئون وعبدَةُ الأوثان فرقةً، ولكلّ فرقةٍ في النار بيتٌ تَدْخُلُ فيه ويُردُّ بابه، فتكون فيه أبدًا، لا يرى ولا يرى<sup>(٥)</sup>.

ويُشكّل هذا بقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾

(١) قوله: «بدل منها»؛ أي: مِنْ ﴿مَا﴾ على الوجهين، وقوله: «أو صفة» يعني: على كونها نكرة موصوفة، ولذا قال: «أخرى»؛ لأنه لا توصف المعرفة بالنكرة. انظر: «حاشية الشهاب» (٢٤٨/٧).

(٢) في (ف): «مجازة»، ومثله في مطبوع «الكشاف» (٢٢/٤)، والصواب المثبت.

(٣) انظر: «الكشاف» (٢٢/٤)، و«البحر المحيط» (١٢٧/١٨).

(٤) في (ك): «أي المبعودون».

(٥) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٢٦/٥).

[الحج: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنِ افِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ [الأعراف: ٥٠].

\*\*\*

(٦٠) - ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.  
 ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ﴾ في خطاب ﴿يَبْنَىءَ آدَمَ﴾ نوعٌ إيماءٍ إلى أنَّ ذلك العهد كما كان في عهد آدم عليه السلام:  
 ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ من جملة ما يقال لهم تقرّياً وإلزاماً للحجّة، وعهدُ الله تعالى إليهم ما ركّز في عقولهم ونصب لهم من الحُجَج العقلية والأدلة السمعية الأَمْرَ بعبادته الناهية عن عبادة غيره.  
 وعبادة الشيطان: طاعته فيما يُوسوس به إليهم ويزينه لهم.  
 والعهد: الوصية، يقال: عهد إليه، إذا وصّاه.  
 ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ تعليل للمنع من عبادته.

\*\*\*

(٦١) - ﴿وَأَن أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.  
 ﴿وَأَن أَعْبُدُونِي﴾ عطفٌ على ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا﴾.  
 ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ إشارةٌ إلى ما عهد إليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن، إذ لا صراط أقوم منه، جملة استثنائية لبيان<sup>(١)</sup> المقتضي للعهد بشقيه أو بالشق الأخير، والتذكير في الصراطٍ للتعظيم والمبالغة.

(١) بعدها في (ف) و(ك): «العهد».

(٦٢) - ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ رجوعٌ إلى بيانِ معاداةِ الشيطانِ مع ظهورِ عداوتهِ ووضوحِ إضلالِهِ لِمَنْ لَهُ أدنى عقلٍ وتمييزٍ، فقوله: ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ استفهامٌ تقريعٍ على تركِهِم الانتفاعَ بالعقل.

والجِبِلُّ: الخُلُق، وأصلُ الجِبِلِّ: الطبعُ، ومنه: الجَبَل؛ لأنه مطبوعٌ على الثبات.

\*\*\*

(٦٣) - ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها في دارِ التكليف.

\*\*\*

(٦٤) - ﴿أَصَلَوْهَا أَلْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿أَصَلَوْهَا أَلْيَوْمَ﴾: الزموا العذابَ بها، وأصلُ الصَّلَى: اللزومُ، ومنه المُصَلِّي الذي في إثرِ السابق للزومه أثره.

﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: بسبب كفرِكُم.

\*\*\*

(٦٥) - ﴿أَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ﴾.

﴿أَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾؛ أي: نفعلُ بأفواههم ما لا يُمكنهم معه أن يتكلّموا بالستهم.

﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾ بإنطاقِ الله تعالى إيّاها على ما نطقَ به قوله تعالى: ﴿قَالُوا

أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴿[فصلت: ٢١]﴾ فلا مساعٍ للتأويل بظهور آثار المعاصي عليهم ودلالاتها على أفعالها.

﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾ أسند الختم إلى نفسه دون الكلام والشهادة؛ دفعاَ لوهم الإجمار، وإظهاراً لتوسط الاختيار بعد الإقدار على النطق والتكلم، ولما كان كلام الأيدي إقراراً على الغير المُنكر، نُزِلَ تصديق الأرجل إياها منزلة الشهادة، فعبر عن تكلمها بالشهادة.

﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ إذ الكسب باليد أخص، فيكون الإخبار منها إقراراً، ومن الرجل<sup>(١)</sup> شهادة؛ لأنها تحاضر وقلماً تباشر، ولهذا خصّ التكلم بمعنى الإقرار بالأيدي، والشهادة بالأرجل.

\*\*\*

(٦٦) - ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾ الطَّمَسُ: محو الشيء حتى يذهب أثره، والطَّمَسُ على العين تعفية شقتها<sup>(٢)</sup> حتى تعود ممسوحة.

﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾: فطلبوا الطريق الذي اعتادوا سلوكه سابقين، وإنما اعتبر قيد السبق على طريقة التضمنين؛ لأنَّ التعذر في سلوك الأعمى الطريق حينئذٍ أظهر. ويجوز أن يكون من باب حذف الجار وإيصال الفعل؛ أي: فاستبقوا إلى الصراط، أو نصباً على الظرف.

(١) في (ف): «الأرجل».

(٢) في (ف) و(ك): «تعفيتها»، والمثبت من باقي النسخ، وفي «الكشاف» (٤/ ٢٤): الطمس: تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة.

﴿فَأَنزِلُ يُبْصِرُونَ﴾ لم يَقْدِرُوا أَنْ يَسْلُكُوهُ، ولم يُبْصِرُوهُ، ولم يَعْلَمُوا جَهَةَ<sup>(١)</sup> سلوكه، فضلاً عن غيره.

\*\*\*

(٦٧) - ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ بتبديل صورهم وإبطال قواهم وقُدْرَتهم ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾: في مكانهم، المكانة والمكان كالمقامة والمقام، أو بإضممار (هم)<sup>(٢)</sup>.

﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا﴾: ذهاباً ﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾: ولا رجوعاً، فوضع الفعل موضعه للفواصل؛ أي: إنهم أحقَّاء بأن يُفَعَّلَ بهم ذلك، ولا عجز فينا، لكنَّا لم نفعل لشمول الرحمة واقتضاء الحكمة إمهالهم، وقيل: ولا يرجعون عن تكذيبهم.

\*\*\*

(٦٨) - ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾.  
﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ﴾: نُطِلَّ عمره ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ بالتشديد وبالتخفيف<sup>(٣)</sup>؛ .....

(١) في (ي): «حجة».

(٢) في (ك) و(م): «إياضمارهم».

(٣) انظر: «الكشاف» (٢٦/٤). وقرأ عاصم وحمزة بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشددة، وباقي السبعة بفتح النون الأولى وإسكان الثانية وضم الكاف مخففة. انظر: «التيسير» (ص: ١٨٥). فهي ثلاث قراءات: اثنتان في المتواتر: ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ و﴿نُنَكِّسْهُ﴾، وواحدة في غير المتواتر: ﴿نُنَكِّسْهُ﴾.

مِنَ التَّنْكِيسِ وَالْإِنْكَاسِ، وَقُرِئَ بَفَتْحِ الْكَافِ<sup>(١)</sup>؛ مِّنَ التَّنْكِسِ.

﴿فِي الْخَلْقِ﴾؛ أَي: نَقَلَبَهُ فِيهِ؛ فَلَا يَزَالُ يَتَزَايَدُ ضَعْفُهُ وَانْتِقَاصُ بَنِيَّتِهِ وَقُوَّاهُ، عَكْسَ مَا أَنْشَأَنَاهُ عَلَيْهِ.

﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾؛ أَي: مَن قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ قَدَرَ عَلَى الطَّمْسِ وَالْمَسْخِ؛ فَإِنَّهُ مُشْتَمِلٌ عَلَيْهَا وَزِيَادَةٌ، غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى تَدْرُجٍ.

\*\*\*

(٦٩) - ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ<sup>(٢)</sup> إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾؛ أَي: بِتَعْلِيمِ الْقُرْآنِ، وَهُوَ رَدٌّ لِقَوْلِهِمْ: إِنَّ مُحَمَّدًا شَاعِرٌ، وَالْمُرَادُ: أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِشِعْرٍ، وَأَيْنَ هُوَ مِنَ الشِّعْرِ؟ فَإِنَّ الشِّعْرَ كَلَامٌ مُوزُونٌ مُقَفًّى مُنْتَظَمٌ مِنَ الْمُخَيَّلَاتِ الْمَرْغَبَةِ وَالْمَنْفُورَةِ.

﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾؛ أَي: لَا يَلِيقُ بِهِ وَلَا يَصْلُحُ لَهُ؛ لِأَنَّ الشِّعْرَ يَدْعُو إِلَى تَغْيِيرِ الْمَعْنَى لِمُرَاعَاةِ اللَّفْظِ وَالْوِزْنِ، فَالشَّاعِرُ يَكُونُ الْمَعْنَى مِنْهُ تَبَعًا لِلْفِظِ، وَالشَّارِعُ يَكُونُ اللَّفْظُ مِنْهُ تَبَعًا لِلْمَعْنَى، وَقِيلَ: لَا يَتَأْتِي لَهُ إِنْ أَرَادَ قَرْضَهُ.

وقوله: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»<sup>(٣)</sup>، قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا الرِّوَايَةُ بِالْأَعْرَابِ<sup>(٤)</sup>، وَإِذَا كَانَتْ بِالْأَعْرَابِ لَمْ تَكُنْ شِعْرًا.

(١) كَذَا فِي النُّسخِ، وَالصَّوَابُ: بضم الكاف، وهي قراءة سبعة. انظر التعليق السابق.

(٢) فِي (ك): (إِنْ).

(٣) رواه البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦)، من حديث البراء رضي الله عنه.

(٤) يعني: بفتح الباء في كذب وخفض الباء في المطلب.

وَأَمَّا مَا قِيلَ: لَيْسَ هَذَا الْوِزْنُ مِنَ الشَّعْرِ؛ فَمَكَابَرَةٌ؛ لِأَنَّ أَشْعَارَ الْعَرَبِ عَلَى هَذَا  
قَدْ رَوَاهَا الْخَلِيلُ وَغَيْرُهُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ:

هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِبْصَعٌ دَمِيتَ      وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتَ<sup>(١)</sup>  
فَلَعَلَّهُ قَالَهَا سَاكِنَةُ النَّاءِ أَوْ مَتَحَرِّكَةً مِنْ غَيْرِ إِشْبَاعٍ، وَلَا يَكُونُ شَعْرًا إِلَّا إِذَا كُسِرَتْ  
النَّاءُ بِإِشْبَاعٍ.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾؛ أَي: مَوْعِظَةٌ وَتَذَكِيرٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.  
﴿وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ﴾: كِتَابٌ سَمَاقِيٌّ، بَيِّنُ كَوْنِهِ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْبَشَرِ؛ لظُهُورِ إِعْجَازِهِ.

\*\*\*

(٧٠) - ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.  
﴿لِيُنذِرَ﴾؛ أَي: الْقُرْآنُ، أَوِ الرِّسُولُ، وَيُؤَيِّدُهُ الْقِرَاءَةُ بِالنَّاءِ الْفَوْقَانِيَّةِ<sup>(٢)</sup>.  
﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾: عَاقِلًا فَهِمًّا؛ فَإِنَّ الْغَافِلَ كَالْمَيِّتِ، أَوْ مُؤْمِنًا فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى،  
وَإِخْتِصَاصُ الْإِنْذَارِ بِهِ لِأَنَّهُ هُوَ الْمُنْتَفِعُ مِنْهُ<sup>(٣)</sup> دُونَ غَيْرِهِ.  
﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ﴾ وَتَجِبَ كَلِمَةُ الْعَذَابِ ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ الْمَصْرُومِينَ عَلَى الْكُفْرِ،  
وَفِي ذِكْرِهِمْ فِي مَقَابِلَةِ ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ تَنْزِيلُ لَهُمْ مَنَزَلَةُ الْأَمْوَاتِ؛ لِحَرَمَانِهِمْ عَنْ  
ثَمَرَةِ الْحَيَاةِ.

\*\*\*

(١) رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ (٢٨٠٢)، وَمُسْلِمٌ (١٧٩٦)، مِنْ حَدِيثِ جَنْدَبِ بْنِ سَفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قَرَأَ بِهَا نَافِعُ وَابْنُ عَامِرٍ. انْظُرْ: «التَّيْسِيرُ» (ص: ١٨٥).

(٣) فِي (م): «بِهِ».

(٧١) - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيئُنَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: أيسر كون ولم يروا ﴿أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيئُنَا﴾ ممّا تولّينا نحن إحداثه، لا يقدر على تولّيه غيرنا، وذكر الأيدي وإسناد العمل إليها استعارة من عمل من يعمل بالأيدي؛ للمبالغة في الاختصاص والتفرد بإحداثها.

﴿أَنْعَمًا﴾ خصّها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة ولطائف الحكمة وكثرة المنافع؛ جمعاً بين إظهار القدرة والامتنان بتذكير النعمة المختصين به، ولهذا كمله بقوله:

﴿فَهُمْ لَهَا مَلَائِكُونَ﴾؛ أي: خلقناها لأجلهم، وملكتناهم إيّاها<sup>(١)</sup>، فهم فيها متصرفون تصرف الملاك.

\*\*\*

(٧٢) - ﴿وَدَلَّلْنَاهُمْ فِيمَنَارِ كُوبِهِمْ وَمِنْهَا يَكُونُونَ﴾.

﴿وَدَلَّلْنَاهُمْ﴾ التذليل من جملة النعم الظاهرة، لولاها لما قدر عليها أحد، ولهذا ألزم الله تعالى الراكب أن يشكر<sup>(٢)</sup> هذه النعمة ويسبح<sup>(٣)</sup> بقوله: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣].

﴿فِيمَنَارِ كُوبِهِمْ﴾ هو ما يُركب ﴿وَمِنْهَا يَكُونُونَ﴾؛ أي: سخرناها لهم ليركبوها ويأكلوا لحمها<sup>(٤)</sup>.

(١) في (ع) و(ي): «خلقناها لأجلهم وملكتناهم إيّاهم».

(٢) في (م): «الراكب بشكر».

(٣) في (م): «هذه وسبح».

(٤) في (ك): «لكم لتركبوها وتأكلوا لحمها».

(٧٣) - ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ مجملٌ، مُفَصَّلُهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ الْآيَةُ [النحل: ٨٠].

﴿وَمَشَارِبٌ﴾ مِنَ اللَّبَنِ وَمَا يُتَّخَذُ مِنْهُ، جَمْعُ: مَشْرَبٍ، وَهُوَ الشُّرْبُ أَوْ مَوْضِعُ الشُّرْبِ، إِنَّمَا لَمْ يَقُلْ: وَمِنْهَا يَشْرَبُونَ؛ لِأَنَّ ابْتِدَاءَ الشُّرْبِ لَيْسَ مِنْهَا، بِخِلَافِ الْأَكْلِ.

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ لِخَالِقِ هَذِهِ النِّعَمِ، وَرَازِقِ هَذِهِ النِّعَمِ.

\*\*\*

(٧٤) - ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾.

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ بَعْدَمَا رَأَوْا الْقُدْرَةَ<sup>(١)</sup> الْبَاهِرَةَ وَأَثَارَهَا الظَّاهِرَةَ.

﴿لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾: طَمَعًا فِي أَنْ يَتَّقَوْا بِهِمْ وَيَتَعَزَّزُوا، كَمَا قَالَ: ﴿لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١]، وَالْأَمْرُ عَلَى عَكْسِ مَا قَدَّرُوا؛ لِأَنَّهُ:

(٧٥) - ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ﴾.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ﴾: مُعَدُّونَ لِحِفْظِهِمْ يَخْدُمُونَهُمْ<sup>(٢)</sup> وَيَذُبُّونَ عَنْهُمْ، وَالْآلِهَةُ لَا اسْتَطَاعَةَ بِهِمْ، وَلَا قُدْرَةَ عَلَى النِّصْرِ.

قِيلَ: هُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُحْضَرُونَ<sup>(٣)</sup> لِعَذَابِهِمْ.

(١) فِي (م): «الآيَات».

(٢) فِي (ك): «يَحْرُسُونَهُمْ».

(٣) «مُحْضَرُونَ» مِنْ (ف) وَ(ك)، وَسَقَطَتْ مِنْ بَاقِي النِّسْخِ.

وَبَرِدُ عَلَيْهِ: أَنْ فِيهِ زِيَادَةٌ تَفْكِيكٍ فِي (١) الضَّمَائِرِ، فَيَتَنَافَرُ النَّظْمُ الَّذِي هُوَ أُمٌّ (٢) إِعْجَازِ الْقُرْآنِ، وَمُرَاعَاتُهُ أَهَمُّ مَا يَجِبُ عَلَى الْمَفْسَّرِ، وَأَيْضاً الْمَتَبَادِرُ مِنْ ﴿لَهُمْ﴾ النِّفْعُ دُونَ الضَّرَرِ.

وَقِيلَ: مُحَضَّرُونَ إِثْرَهُمْ فِي النَّارِ.  
وَيَأْبَاهُ عِبَارَةُ الْجَنْدِ؛ فَإِنَّهُ جَمْعٌ مُعَدٌّ لِلْحَرْبِ.

\*\*\*

(٧٦) - ﴿فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

﴿فَلَا يَحْزُنُكَ﴾ الْفَاءُ لِلْسَّبَبِيَّةِ؛ أَيُّ: إِذَا عَلِمْتَ حَالَهُمْ وَمَالَهُمْ فَتَسَلَّ (٣) وَلَا يَحْزُنُكَ ﴿قَوْلُهُمْ﴾ فِيكَ: إِنَّكَ شَاعِرٌ وَسَاحِرٌ وَكَاهِنٌ وَكَاذِبٌ - وَسَائِرُ وَجُوهِ الْأَذَى بِالْقَوْلِ - فَإِنَّا مَجَازُوهُمْ.

﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ تَعْلِيلٌ لِلنَّهْيِ، وَفِيهِ وَعِيدٌ شَدِيدٌ لَهُمْ، وَزِيَادَةٌ تَسْلِيَّةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَلَيْسَ مَقْتَضَى الْبَلَاغَةِ تَقْدِيمُ ﴿مَا يُعْلِنُونَ﴾ حَتَّى يَكُونَ نَظْمُ الْكَلَامِ عَلَى أَسْلُوبِ التَّرْقِي؟

قُلْتُ: ذَلِكَ مَقْتَضَاهَا بِحَسَبِ جَلِيلِ النَّظَرِ، وَأَمَّا مَقْتَضَاهَا بِحَسَبِ دَقِيقِهِ، فَإِنَّمَا هُوَ تَأْخِيرُهُ حَتَّى يَكُونَ لِكُلِّ مِنْ جُزْأَيِ الْكَلَامِ حَظٌّ مِنَ الْإِهْتِمَامِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ حِينَئِذٍ يَكُونُ لِلْجُزْءِ الْأَوَّلِ إِهْتِمَامُ التَّقْدِيمِ، وَلِلْجُزْءِ الثَّانِي إِهْتِمَامُ التَّصْرِيحِ، بَعْدَ الْإِنْفِهَامِ

(١) «فِي»: لَيْسَتْ فِي (م).

(٢) «أُمٌّ» مِنْ (ف) وَ(ك)، وَسَقَطَتْ مِنْ بَاقِي النِّسْخِ.

(٣) فِي (ع) وَ(م) وَ(ي): (قِيلَ).

بطريق الالتزام<sup>(١)</sup>، وعلى تقدير التقديم يفوت أحد الاهتمامين، كما لا يخفى على ذوي الأفهام.

\*\*\*

(٧٧) - ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُّطْفَةٍ﴾ إيلاءُ الهمزة واو العطف للتقرير والتعجيب من حال الإنسان؛ أي: أَيْنَكَرُ الإنسانُ البعثَ ولم يَرِ مبدأَ خلقه وإبداعَ نشأته.

وفيه تسليّةٌ أخرى لرسول الله عليه الصلاة والسلام بتهوين ما يقولون بالنسبة إلى إنكارهم للبعث، وتقيحٌ بليغٌ لإنكارهم، لا يرى أبلغ ولا أفحش منه ولا أعجب، ولا أدل على تمادي كفر الإنسان وإفراطه في<sup>(٢)</sup> جحود النعم، حيث تقرر في علمه أننا خلقناه من شيء قليل، وبلغناه إلى قدرٍ جليل.

وإنما لم يقل: من ماء مهين، مع ما فيه من المناسبة لقرينه؛ رعايةً لحقّ الكلام بتجريدِهِ لِمَا سَبَقَ لَهُ مِنَ المَرَامِ، وذلك بحذف ما يخيّل غرضاً آخر، وهو الامتنان بالإعزاز والإكرام.

ومن لم يتنبّه لهذا قال: أننا خلقناه من أمهين شيء وأقدره، وهو مع مهانة أصله وخساسة عنصره<sup>(٣)</sup>، يتصدّى لمخاصمة الجبار؛ الذي شرفه بعد خسسته، وكرّمه بعد ذلّته، ويقول: من يحيي العظام؟!

(١) في (م): «الإلزام».

(٢) «وإفراطه في»، وقع في النسخ بدلا منه: «وإفراد»، والمثبت من «الكشاف» (٤/ ٣٠).

(٣) في (ك): «وخساسته».

﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (إذا) للمفاجأة، والفاء فصيحةٌ للعطف على مقدرٍ تفصيله: لَمَّا بَلَغَ مَطْنَةً<sup>(١)</sup> إظهارِ الشكر والحمدِ على آثارِ قدرتنا، ففاجأ بإعلانِ الكفران والجحدِ مُبَالِغاً<sup>(٢)</sup> في الخصومة، مُعْرِباً عَمَّا فِي نَفْسِهِ مِنَ الْجَنَانِ، وَحَالِهِ أَنَّ خِصَامَهُ فِي أَلْزَمٍ<sup>(٣)</sup> وصف له، وأبلغ حجّةٍ عليه، وهو أَنَّهُ مُنْشَأٌ مِنْ مَوَاتٍ، وَالْإِعَادَةُ أَهْوَنُ مِنَ الْإِبْدَاءِ، فَخِصَامُهُ مُحْضٌ مَكَابِرَةٌ وَصِرْفٌ مُعَانَدَةٌ.

\*\*\*

(٧٨) - ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ إِنَّمَا سَمَّى قَوْلَهُ مَثَلًا؛ لكونه أمراً عجيباً<sup>(٤)</sup> وقصةً غريبةً كالمَثَل، حيث أنكر قدرة الله تعالى على إنشاءِ المواتِ وقد أنشأه الله تعالى من الموات.

﴿وَنَسِيَ﴾: ولا يتذكر ﴿خَلْقَهُ﴾ وهو أقرب شيءٍ إليه.

﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ رَوَى أَنَّ أَبِي بَنَ خَلْفٍ أَتَى النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِعِظَمٍ بَالٍ تَفَتَّتَ بِيَدِهِ، فَقَالَ: أَتَرَى أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي هَذَا بَعْدَمَا رَمَّ؟! فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «نَعَمْ وَيَبْعَثُكَ وَيُدْخِلُكَ النَّارَ» فنزلت<sup>(٥)</sup>.

(١) في (ك): «فطنة».

(٢) في (م): «ففاجأ بإعلان للكفران والحجب مبالغه»، وفي (ع) و(ي): «فقد جاء بإعلان الكفران والحجب مبالغاً».

(٣) في (ك): «الزم»، وفي (ي): «الزام»، والمثبت من باقي النسخ، وعبارة «الكشاف» وعنه النسفي: (في أَلْزَم وصف له وألصقه به).

(٤) في (ف): «عجبا».

(٥) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٢/١٤٦)، والطبري في «التفسير» (١٩/٤٨٦)، عن قتادة. وقال =

والرَّمِيم: اسمٌ لِمَا بَلِيٍّ؛ عظماً كان أو غيره، غيرُ صفةٍ كالرَّمَّة والرَّفات، لا فاعيل بمعنى فاعلٍ ولا مفعولٍ، فلهذا لم يؤنَّث مع كونه خبراً عن مؤنَّث.

وقيل: لأنَّه معدولٌ عن فاعل، وكلُّ ما كان معدولاً عن وجهه ووزنه، كان مصروفاً عن أخواته، كـ ﴿بَغِيًّا﴾ في قوله: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨]، فإنَّها مصروفةٌ عن: باغية.

وفي ظاهره دلالةٌ على أنَّ في العظام حياةً، وأنَّها تنجس بالموت.

\*\*\*

(٧٩) - ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: إنَّما قال: ﴿أَنشَأَهَا﴾ دون: أحيأها؛ إشارة إلى الفرق بين الإحياءين من حيث إنَّ الأوَّل منهما إنشاءً، والثاني إعادةً، فلا جرم يكون أهونَ، ولا تغيير في جانب الفاعل.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾: يعلمُ كيف يخلق، لا يتعاضطه شيءٌ من خلق المُنشآت والمعادات، وجمع أجزاءها؛ جلائلها ودقائقها.

\*\*\*

(٨٠) - ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾ وصف<sup>(١)</sup> .....

= ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤١ / ٧): وعليه المفسرون. وفي رواية سعيد بن جبير عند الطبري (٤٨٧ / ١٩) أنه العاص بن وائل السهمي، وكذا رواه الحاكم في «المستدرک» (٣٦٠٦) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) في (ع) و(م) و(ي): «ووصف».

الشجرِ بالأخضر حملاً على اللفظ، وقرئ: (الخَضْرَاءُ)<sup>(١)</sup>؛ على المعنى.

﴿نَارًا﴾: نوعاً غريباً من النار؛ حيث يحدث ممّا يقطر منه الماء، ومن هنا ظهر وجهُ توصيفِ الشجرِ بالأخضر، نُقِلَ عن أربابِ الحكمة: أنَّ النارَ على أربعةِ أنواعٍ:

نارٌ: تأكلُ ولا تشرب وهي النار المعهود.

ونارٌ: تشرب ولا تأكل وهي نار الشجر.

ونارٌ: تأكل وتشرب وهي نار المعدة.

ونارٌ: لا تأكل ولا تشرب وهي نار الحجر.

﴿فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾ لا تشكّون في أنّها نارٌ تخرج منه، استدللّ بالنشأة الأولى على الثانية، ثم بانقذاح النار من الشجر الأخضر، وهي من زناد الأعراب، وأكثرها من المَرخِ والعَفَارِ؛ يُقَطَّعُ منهما غصنان مثل السّواكين<sup>(٢)</sup>، وهما خضروان يقطر منهما الماء، فيسحق المَرخُ - وهو ذَكَرٌ - على العَفَارِ - وهو أنثى - فتندحُ النارُ بإذن الله تعالى، مع مضادة الماء النارَ وانطفائها به، فمن قدرَ على ذلك، كان على إعادة الغضاضة - فيما كان غضاً فيبس وبلي - أقدَر.

\*\*\*

(٨١) - ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ

الْعَلِيمُ﴾.

(١) انظر: «الكشاف» (٣١ / ٤)، و«البحر المحيط» (١٨ / ١٤٤).

(٢) في (ع) و(ي): «يقدح منهما عصيان مثل السواكب»، وفي (م): «يقطع منهما عصيتان مثل السواكب». والمثبت موافق لما في «الكشاف» (٣١ / ٤).

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ دليلٌ ثالثٌ، كأنه قال: أبعد ما مرَّ من الدليلين لا يقدر من خلقهما مع كبرِ جِزْمَهما وعِظَمِ شأنِهما على خَلْقِ مثْلِهم مع صغرِهم وقماءِتهم بالنسبة إليهما.

وقيل: على إعادتهم<sup>(١)</sup>؛ لأنَّ المعادَ مثْلٌ للمبدأ في أصولِ البنية والذات والصفات.

ويردُّه: أنَّ المذهبَ خلافُ ذلك.

﴿بَلَى﴾ جوابٌ من الله تعالى مُشعرٌ بأنَّ الجوابَ منحصرٌ في هذا، وهو الإثباتُ بعد النفي.

﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ المبالغةُ في الخلقِ والعلمِ المستفادة من الصفتين المذكورتين، تناسبُ المقام.

\*\*\*

(٨٢) - ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾: قوله، على ما مرَّ في سورة النحل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [الآية: ٤٠]، ومن حمل الأمر هنا على الشأن، فقد غفل عن ذلك البيان.

شبه تأثير قدرته تعالى في مراده بأمرٍ مطاعٍ ورَدَ على مأمورٍ مطيعٍ لم يلبث أن يمتثل، فقال: إِنَّمَا أَمْرُهُ فِي إِيْجَادِ الْأَشْيَاءِ ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾؛ أي: تكوينه ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ﴾؛ أي: تَكُونُ ﴿فَيَكُونُ﴾ فيحدث من غير امتناع عليه ولا توقُّفٍ

(١) في (ع) و(م) و(ي): «عادتهم».

في المأمور<sup>(١)</sup>، ولا افتقار إلى الآلات وحركات من الأمر؛ حسماً لمادة الشبهة في قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق، وهو من الاستعارة التمثيلية يقوم مقام تعليل لقدرة الله تعالى على إعادة الموتى؛ أي: من كان إيجاده للأشياء بهذه المثابة، كيف يعجز عن الإعادة؟!

وقرئ: ﴿فَيَكُونُ﴾ بالنصب<sup>(٢)</sup>؛ عطفاً على ﴿يَقُولُ﴾، والرفع على تقدير جملة اسمية؛ أي: فهو يكون، معطوفة على أخرى مثلها، وهي: إنما أمره... أن يقول.

\*\*\*

(٨٣) - ﴿فَسُبْحَنَ الَّذِي يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿فَسُبْحَنَ الَّذِي يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ تنزيه له تعالى عما وصفه<sup>(٣)</sup> به المشركون، وتعجب من أن يقولوا فيه ما قالوا، والفاء للسببية؛ أوردها تعليلاً بكونه المتصرف في ملكوت كل شيء بمقتضى مشيئته وموجب حكمته، فكيف يمتنع عليه شيء؟

والملكوت مقابل الملك على ما ورد في الدعاء المأثور: سبحان ذي الملك والملكوت.

فإن كل شيء له جسمانية كثيفة وروحانية لطيفة، فجسمانيته الظلمانية من عالم

(١) في (ف) و(ك): «من المأمور».

(٢) قرأ بها الكسائي وابن عامر. انظر: «التيسير» (ص: ١٣٧).

(٣) في (م): «وصف».

الملك، وهو عالم الخلق وعالم الشهادة، وروحانيته النورانية من عالم الملكوت، وهو عالم الأمر وعالم الغيب.

ومعنى كون ملكوت كل شيء بيده: أن تصرفه فيه بالذات، لا بواسطة الأسباب العادية، بخلاف ما في عالم الملك؛ فإن تصرفه فيه بواسطة الأسباب والآلات على مقتضى حكمته.

﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾ وعدٌ ووعدٌ للمقرّين والمُنكرين<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) في (م) زيادة: «والله تعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب».





# سُورَةُ الصَّافَّاتِ



# سُورَةُ الصَّافَّاتِ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - ﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًّا﴾.

﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًّا﴾ الواو للقسم، والصف: ترتيب الجمع على خط واحد.

\*\*\*

(٢) - ﴿فَالزَّجَرَاتِ زَجْرًا﴾.

﴿فَالزَّجَرَاتِ زَجْرًا﴾ مصدر مؤكّد، وكذلك ﴿زَجْرًا﴾، والفاء المتوسّطة<sup>(١)</sup> بين الصفات إما لترتّبهما<sup>(٢)</sup> مع اتحاد الموصوف، وإما لترتّب الموصوفات، والأولّ إمّا لترتّبهما في الوجود وإما لترتّبهما في بعض الوجوه بحسب التفاضل أو التناقض، وكذا الثاني: إما في الوجود وإما في الاعتبار.

ويُحتمل هنا اتحاد الموصوفين وترتّب الصفات: في التفاضل على أن الصفّ طاعةٌ وكمال، والزجر تكميلٌ بالمنع عن الشرّ والسوق إلى الخير، والتلاوة إفاضة المعارف والحكم على الأنبياء عليهم السلام، أو في التناقض على أن الصفّ هو الحضور بين يدي الله في مواطن القرب، والزجر زجر الشياطين، والتلاوة الذكر بالتسبيح والتحميد.

---

(١) في (م): «للتوسط».

(٢) في (ع): «لترتيبهما»، وفي (ف) و(ك): «لترتيبها».

وكذا إذا أريد تعدُّ الطوائف وتثليثُها.

وقد <sup>(١)</sup> يترتَّب في <sup>(٢)</sup> الفضل على أن الطوائف الصافات <sup>(٣)</sup> فضلاءً، والطوائف الزاجرات أفضل، والتاليات أبهر، أو بالعكس <sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(٣) - ﴿فَالْتَلَيْتَ ذِكْرًا﴾.

﴿فَالْتَلَيْتَ ذِكْرًا﴾ أقسم الله تعالى بطوائف الملائكة الصافين في مراتب العبودية بحسب تفاوت فيضان الأنوار الإلهية عليهم منتظرين لأوامره من قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ [الصافات: ١٦٥]، الزاجرات <sup>(٥)</sup> للعباد عن المعاصي بإلهام الخير، أو الشياطين عن التعرُّض لهم بالإضلال، أو الأجرام العلوية والسفلية كالسحاب والرياح وغير ذلك بما أمروا من تدابيرها، التاليات <sup>(٦)</sup> لآيات الله تعالى من الكتب المنزلة على أنبيائه عليهم السلام وغيرها من التقديسات والتسييحات وسائر الأذكار.

أو بنفوس العلماء العباد <sup>(٧)</sup> الصافات أقدامها في الصلوات وخصوصاً في

(١) في (ف) و(ك): «فقد».

(٢) في (ع) و(م) و(ي): «على».

(٣) في (ع) و(م) و(ي): «الصفات».

(٤) في (ع) و(ي): «وبالعكس».

(٥) قوله: «الزاجرات» صفة: «الملائكة»، وكان الأولى: (الزاجرين) لتوافق: «الصافين» وهو لفظ «تفسير البيضاوي»، أو: (الصافات) لتوافق التنزيل، وهو لفظ «الكشاف» (٤/ ٣٣).

(٦) عند البيضاوي: (التالين)، وانظر التعليق السابق.

(٧) «العباد» ليست في (ف) و(ك).

الجماعات، فالزاجرات بالمواعظ والنصائح، فالتاليات كلام الله تعالى وشرائعه وحكمه.

أو بنفوس الغزاة المجاهدين في سبيل الله تعالى، الصافين في صفوف الجهاد، والزاجرين<sup>(١)</sup> للخيل، الذاكرين مع ذلك الله تعالى، والتالين<sup>(٢)</sup> لآياته لا تشغلهم تلك الشواغل عنها، كما حكي عن علي رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>.

وقيل: الصافات: الطير من قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ صَفَّتْ﴾ [النور: ٤١]، والزاجرات: كل ما زجر عن<sup>(٤)</sup> معاصي الله تعالى، والتاليات: كل من تلا كتاب الله تعالى. وقرئت بإدغام التاءات الثلاث فيما يليها لقرب مخرجها من مخرج التاء<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(٤) - ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾.

﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ جوابٌ للقسم<sup>(٦)</sup>.

وفائدة الإقسام: تعظيم المقسم وتأكيد المقسم عليه، على ما هو الأصل في كلامهم.

(١) في (ف) و(ك): «الزاجرين».

(٢) في (م): «والتاليات»، وفي الهامش: «في نسخة: والتالين».

(٣) انظر: «الكشاف» (٣٤/٤).

(٤) في النسخ: «من»، وفي هامش (م): «لعله عن»، وعليه المثبت، وهو موافق لما في «الكشاف» (٣٣/٤).

(٥) هي قراءة حمزة وأبي عمرو. انظر: «التيسير» (ص: ٢٢-٢٦) و(ص: ١٨٥-١٨٦)، و«النشر» (٢٨٦/١) و(٣٥٦/٢).

(٦) في (ف) و(ك): «القسم».

(٥) - ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ﴾.

وأما تحقيقه بالبرهان فبقوله<sup>(١)</sup>: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فإن انتظامهما على الوجه الأكمل دليل على وحدة الصانع، على ما مر في تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ﴾ الآية [الأنبياء: ٢٢].

﴿رَبُّ﴾ خبرٌ بعد خبرٍ، أو خبرٌ مبتدأ محذوفٍ على المدح؛ أي: هو ربُّ السماوات، ويجوز أن يكون بدلاً من (واحد).

﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يتناول أفعال العباد فيدل على أنها من خلقه تعالى.

﴿وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾: مشارق الشمس في السنة، قيل: وهي ثلاث مئة وستون مشرقاً، في كل يومٍ واحدٍ، وفيه نظر. ويتبعها اختلاف المغارب، ولذلك<sup>(٢)</sup> اكتفى بذكرها، ولدالاتها عليها، كقوله تعالى: ﴿سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، وأما كونها أدل على القدرة وأبلغ في النعمة فلا يصلح وجهاً للاكتفاء المذكور، إنما يصلح وجهاً لتخصيص المشارق بالذكر على تقدير الاكتفاء بأحدهما.

\*\*\*

(٦) - ﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾.

﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾: القربى منكم.

﴿بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ الزينة مصدر كالنسبة، أو اسم لما يُزَانُ به، كاللَّيْقَةِ اسمٌ لما تُلَاقُ به الدَّوَاةُ.

(١) في (م): «بقوله».

(٢) في (م): «ولذلك».

وإضافتها إلى المفعول إن جعلتها مصدراً؛ أي: بأن زانَ الله تعالى الكواكبَ وحسَّنها؛ لأنها إنما زُيِّنَت السماءُ لحسَّنها في أنفسها، وأصله: ﴿بزينَةِ الكواكبِ﴾ بالتَّوْنين ونصب ﴿الكواكبِ﴾، وقد قرئ كذلك<sup>(١)</sup>.

أو إلى الفاعل؛ أي: بأن زانتها الكواكبُ، وأصله: بزينَةِ الكواكبِ. وإن جعلتها اسماً فالإضافة للتَّيْسِين؛ فإنَّ الزَّيْنَةَ مبهمَةٌ قد تكون بالكواكب وقد تكون بغيرها؛ أي: بزينَةِ مِنَ الكواكبِ، كقولك: بابٌ ساجٌّ، أو بزينَةِ هي الكواكبُ، ويعضده القراءة بالتَّوْنين وجَرَّ ﴿الْكَوَاكِبِ﴾ على الإبدال<sup>(٢)</sup>.

ويجوز في النَّصب أيضاً الإبدال من محلِّ الجار والمجرور بهذا المعنى. ويجوز على قراءة الجرِّ أن يراد بالزَّيْنَةِ: ما زُيِّنَتْ به الكواكب من أضوائها وأوضاعها المختلفة؛ كشكل الثُّرَيَّا وبنات النَّعش والجوزاء وغير ذلك، ويعضده قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ﴾ [الحجر: ١٦]؛ أي: بالأشكال.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿بزينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾: بضوء الكواكب<sup>(٣)</sup>. واعلم أن تقييدَ السماءِ بالدُّنيا يأبى عن حمل الزَّيْنَةِ - على ما بحسب المفهوم - على<sup>(٤)</sup> الظُّهور في الحسِّ؛ لعدم التَّمَايز<sup>(٥)</sup> بين العليا والدنيا في

(١) قرأ عاصم وحزمة ﴿بزينَةِ﴾ بالتَّوْنين، والباقون من غير تنوين، وقرأ أبو بكر: ﴿الكواكبِ﴾ بالنصب والباقون بالخفض. انظر: «التيسير» (ص: ١٨٦).

(٢) وهي قراءة حفص عن عاصم، وحزمة. انظر التعليق السابق.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٥ / ٢٠٩)، و«الكشاف» (٤ / ٣٥).

(٤) «المفهوم على» سقط من (م) و(ي) و(ع).

(٥) في (ف) و(ك): «تمايز».

ذلك، ففي التقييد المذكور قدحٌ لِمَا اشتهر من أن ما عدا القمر من الكواكب ليس في السماء<sup>(١)</sup> الدنيا.

\*\*\*

(٧) - ﴿وَحَفَظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾.

﴿وَحَفَظًا﴾ عطفٌ على محلِّ قوله: ﴿زِينَةُ الْكَوَاكِبِ﴾ على المعنى؛ لأن المعنى: إنا خلقنا الكواكب<sup>(٢)</sup> زينةً للسماء وحفظاً من الشياطين<sup>(٣)</sup>، كما قال: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥]، أو منصوبٌ بفعلٍ مُقدَّر على المصدر؛ أي: وحفظناها حفظاً، أو على التعليل؛ أي: وحفظاً<sup>(٤)</sup> زيناًها بالكواكب.

﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾: خارجٍ عن الطاعة.

\*\*\*

(٨) - ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلِمًا إِلَّا أَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾.

﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ ابتداءً للاقتصاص<sup>(٥)</sup> لبيان حالٍ مستترقة السمع، لا تعلق له بما قبله إلا من حيث المعنى.

(١) في (ف) و(ك): «سما». .

(٢) «على المعنى لأن المعنى إنا خلقنا الكواكب» سقط من (ف) و(ك)، وفي (ي) و(ع): «على المعنى إنا خلقنا الكواكب»، والمثبت من (م).

(٣) في (ف) و(ك): «السماء».

(٤) في (م): «وحفظناها».

(٥) في (ع) و(م): «الاختصاص».

ورجوعُ الصَّمِيرِ فيه<sup>(١)</sup> إلى ﴿كُلِّ شَيْطَانٍ﴾: أَمَّا مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ فلا يجوزُ أن يكون صفةً لـ ﴿كُلِّ شَيْطَانٍ﴾؛ إذ لا معنى للحفظ من شياطين لا يسمعون، ولا استثناءً؛ إذ لو سُئِلَ: لِمَ يحفظُ مِنَ الشَّيَاطِينِ؟ لَمَّا صَحَّ الجوابُ: لأنهم لا يسمعون<sup>(٢)</sup>، فبقي أن يكون منقطعاً.

وَمَنْ زعم أنه تعليلُ أصله: لئلا يسمعون، فحذفتُ اللَّامَ فبقي: أن لا يسمَعُوا، فحذفتُ (أن) وأهدرَ عملُها = فقد ركبَ شططاً؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ مِنَ الحَذَفَيْنِ على الانفرادِ غيرُ منكِرٍ، وأما جمعُهما فَمِنَ المنكرات التي يجب صونُ القرآنِ عنها.

﴿إِلَى أَلَمِلَا الْأَعْلَى﴾ وهم الملائكةُ لأنَّهم سكانُ السَّماءِ، والثَّقَلانِ المَلَأُ الْأَسْفَلَ لأنَّهم سكانُ الأرضِ.

وقرئ: ﴿لا يسمعون﴾ بالتَّخْفِيفِ وتشديدِ السَّينِ والميمِ<sup>(٣)</sup>، وأصله: يتسمَّعون، والتَّسْمَعُ: تَطَلُّبُ<sup>(٤)</sup> السَّماعِ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: يتسمَّعون فلا يسمعون<sup>(٥)</sup>.

وهذا ينصر التَّخْفِيفَ على التَّشْدِيدِ.

(١) في «فيه» من (م) و(ع).

(٢) في (ف) و(ك): «بأنهم لا يسمعون»، وفي (م): «لأنهم يستمعون».

(٣) قرأ حفص وحمزة والكسائي: ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ بتشديد السين والميم والباقون بإسكان السين وتخفيف الميم. انظر: «التيسير» (ص: ١٨٦).

(٤) في (ف): «طلب».

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠ / ٣٢٠٥). وكذا عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه

كما في «الدر المنثور» (٧ / ٧٩).

وَعَدِّي ﴿يَسْمَعُونَ﴾ بـ ﴿إِلَى﴾ لَتَضُمَّنَّه الانتهاه؛ أي: لا ينتهون بالسَّمْع أو التَّسْمُع إلى الملاء الأعلى، لا<sup>(١)</sup> لَتَضُمَّنَّه معنى الإصغاء، إذ حيثُذ لا يلزم انتفاء السَّمْع أو التَّسْمُع، إذ لا يلزم من انتفاء المجموع انتفاء كل جزء منه، فَمَنْ وَهَمَ أَنَّ فِيهِ المبالغة في النفي فقد وَهَمَ.

﴿وَيَقْدُفُونَ﴾: يُرْمُونَ بالشُّهْبِ.

﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ يَصْعَدُونَ إِلَى السَّمَاءِ مِنْهَا لِلِاسْتِرَاقِ.

\*\*\*

(٩) - ﴿دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾.

﴿دُحُورًا﴾ مفعولٌ له؛ أي: للدُّحُور، وهو الطَّرْد، أو حَالٌ؛ أي: مدحوراً، أو مصدرٌ لأنَّ القذفَ والدُّحُورَ متقاربان في المعنى، فكأنَّه قيل: يُدَحِّرون دحوراً.

[وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي بفتح الدال على: قذفاً دحوراً طروداً]، أو على أنه جاء مجيء القبول والولوع<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾: دائمٌ؛ أي: إنَّهم مَرَجُومُونَ في الدُّنْيَا بالشُّهْبِ، وقد أُعِدَّ لَهُمْ في الآخرة عذابٌ غيرُ منقطعٍ.

\*\*\*

(١) «لا» سقطت من (ف) و(ك)، وهذا ابتداء تعقب على البيضاوي.

(٢) انظر: «الكشاف» (٣٦/٤)، وما بين معكوفتين منه. وقوله: «أو على أنه جاء مجيء القبول والولوع»، معناه: أن يكون مصدرًا، وفَعُول في المصادر نادر، ولم يأت في كتب التصريف منه إلا أحرف معدودة منها المصدران المذكوران، وانظرها مجموعة في «روح المعاني» (١٩/٢٣).

(١٠) - ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾.

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ ﴿مَنْ﴾ مرفوع المحل بدل من الواو في ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾؛ أي: لا يسمعُ الشياطين إلا الشيطان الذي خطفَ الخطفة.  
وقرئ: (خَطَفَ) بكسر الخاء والطاء وتشديدها<sup>(١)</sup>.

و: (خَطَفَ) بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها<sup>(٢)</sup>، وأصلها: اخْتَطَفَ.

والخَطْفُ: الاستلابُ بسرعة، والمراد: استلابُ كلامِ الملائكةِ مسارقةً، ولذلك عَرَفَ ﴿الْخَطْفَةَ﴾.

﴿فَاتَّبَعَهُ﴾: لحقه، وقرئ: (فَاتَّبَعَهُ) بالتشديد<sup>(٣)</sup>، وقد مرَّ التفصيل في تفسير (سورة طه).

﴿شِهَابٌ﴾ نجمٌ رجم؛ أي: هم مُقذفون بالشهب مدحورون عن ذلك إلا مَنْ أمهل<sup>(٤)</sup> ريثما خطفَ خطفةً فأتبعه شهاب<sup>(٥)</sup>.

قيل: نجومُ الرُّجومِ غيرُ نجومِ الزَّينة، تلك ثابتةٌ وهذه سائرةٌ متشتةٌ<sup>(٦)</sup>.

(١) نسبت للحسن وقتادة وعيسى. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٧).

(٢) نسبت لابن عباس رضي الله عنهما. انظر: «المحرر الوجيز» (٤ / ٤٦٧).

(٣) نسبت للحسن. انظر: «المحرر الوجيز» (٢ / ٤٧٧). وهي رواية عن أبي عمرو، والرواية المشهورة

عنه مثل رواية الجماعة. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٢).

(٤) في (ي) و(ع): «أهمل».

(٥) في (م) و(ي): «فأتبع بشهاب».

(٦) سقطت من (ك)، وغير واضحة في (ف) و(م)، وفي (ع): «متشتمة»، والمثبت من (ي).

قال الشعبي: لم يُقَذَفْ بالرجوم<sup>(١)</sup> حتى بُعثَ محمدٌ ﷺ، فلَمَّا قُذِفَ بها جعل النَّاسُ يسيِّبونَ أنعامهم ويعتقون رقيقهم<sup>(٢)</sup>؛ يظنون أنها قيامة، فأتوا عبدياليل الثقفي وكان قد عمي، فأخبروه بما فعلوه، قال: لَمَّا قالوا<sup>(٣)</sup>: إِنَّ النُّجُومَ تهافَّتْ من السَّمَاءِ، فقال لهم: لا تعجلوا؛ فَإِنْ كان النُّجُوم التي تُعرَفُ فهي عند قيام الساعة، وإن كانت نجومًا لا تُعرَفُ فهو أمرٌ حدث، فنظروا فإذا هي نجومٌ لا تُعرَفُ، قال: فما مكثوا إِلَّا يسيرًا<sup>(٤)</sup> حتى أتاها خبر النبي عليه السلام<sup>(٥)</sup>.

وفيما رُوي عن ابن عباس رضي الله عنه: أن ذلك حدث بميلاد النَّبِيِّ عليه السلام<sup>(٦)</sup>.

وعلى كلا التَّقْدِيرَيْنِ: الحادثُ قَذْفُ الشَّيَاطِينِ بالشَّهْبِ، لا الشَّهْبُ نفسه، فلا قَدَحَ فيه؛ بدلالة أشعار الجاهليَّة على وجود الشَّهْبِ قبله. ولا حاجة إلى أن يقال: إِنَّ الحادثَ كثرُها لا وجودها.

وأما ما قيل: إِنَّ أَصْلَ الشَّهْبِ بخارٌ يصعدُ إلى الأثير فيشتعل = فيرُدُّه<sup>(٧)</sup> نصُّ الكتاب؛ لأنَّه صريحٌ في أَنَّ الشَّهْبَ الكواكبُ المشبَّهة بالمصابيح، وأنَّ انقضاءها واشتعالها لحكمة القَذْفِ، لا باقتضاء طبعها عند وصولها إلى الأثير.

(١) في (م) و(ي) و(ع): «بالنجوم».

(٢) في (ف): «فيعتقون رقبته»، وفي (ك): «فيعتقدون رقبته».

(٣) «قالوا» من (ف) و(ك).

(٤) في (ف) و(ك): «قليلاً».

(٥) روى نحوه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٤١).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٣٣).

(٧) في (م): «فيرز»، وفي (ي): «قيتوت»، وفي (ع): «فيون»، وكله تحريف.

﴿ثَاقِبٌ﴾: الشَّدِيدُ الإِضَاعَةُ، كَأَنَّهُ يَثْقُبُ بَصُوئِهِ.

\*\*\*

(١١) - ﴿فَاسْتَفْنِهِمْ أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾.

﴿فَاسْتَفْنِهِمْ﴾ لَمَّا كَانَتِ الْهَمْزَةُ فِي الْأَصْلِ لِلْإِسْتِفْهَامِ قِيلَ: ﴿فَاسْتَفْنِهِمْ﴾؛ أي: فاستخبرهم، ولم يقل: فقرّهم، وإنْ خرجتْ إِلَى معنى التَّقْرِيرِ، وَالضَّمِيرُ لِمَشْرُكِي الْعَرَبِ<sup>(١)</sup>، أَوْ لِبَنِي آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ يَحْتَمَلُ: أَقْوَى خَلْقًا وَأَصْعَبُ خَلْقًا<sup>(٢)</sup> وَأَشَقُّهُ، عَلَى معنى الرَّدِّ لِإِنْكَارِهِمُ الْبَعْثَ<sup>(٣)</sup> وَالنَّشْأَةَ الْآخَرَى.

﴿أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ الْمُرَادُ مِنْهُ: مَا ذُكِرَ مِنْ خَلَاتِقِهِ؛ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَالْمَشَارِقِ<sup>(٤)</sup> وَالْكَوَاكِبِ، وَالشُّهُبِ الثَّوَابِقِ، وَالشَّيَاطِينِ الْمُرْدَةِ، وَغَلَبَ أُولَى الْعَقْلِ عَلَى غَيْرِهِمْ فَقَالَ: ﴿مَنْ خَلَقْنَا﴾، وَبَدَّلَ عَلَيْهِ إِطْلَاقَهُ وَمَجِئُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَقِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: (أَمْ مَنْ عَدَدْنَا) بِالْتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ<sup>(٥)</sup>، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ﴾ فَإِنَّهُ الْفَارِقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا، لَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ قَبْلَهُمْ كَعَادٍ وَثَمُودَ، وَلَأنَّ<sup>(٦)</sup> الْمُرَادَ إِثْبَاتُ الْمَعَادِ وَرَدُّ اسْتِحَالَتِهِمْ إِلَيْهِ، وَالْأَمْرُ فِيهِ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِمْ وَإِلَى مَنْ قَبْلَهُمْ سَوَاءً.

(١) فِي (م) وَ(ي) وَ(ع): «مَكَّة».

(٢) «وَأَصْعَبُ خَلْقًا» مِنْ (م) وَ(ي) وَ(ع).

(٣) فِي (ف): «الْمَبْعَث».

(٤) فِي (ف) وَ(ك): «وَلِلْمَشَارِقِ»، وَفِي (ي): «وَرُبَّ الْمَشَارِقِ».

(٥) نَسَبَتْ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انْظُرْ: «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (١٩ / ٥٠٩)، وَ«الْمَحَرَّرُ الْوَجِيزُ»

(٤ / ٤٦٧).

(٦) فِي (ف) وَ(ك): «فَلَان».

﴿لَا زِبَ﴾: لازم ما جاوره ملاصق به؛ أي: أصل خلقتهم هو <sup>(١)</sup> الطين اللّازب، وليس إلا التراب والماء، وهو على حاله، فمن أين استنكروا ذلك؟!

\*\*\*

(١٢) - ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾.

﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ من إنكارهم البعث ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾؛ أي: وهم يسخرون منك ومن تعجبك وتقريرك للبعث.

وقرئ: ﴿عَجِبْتُ﴾ بضم التاء <sup>(٢)</sup>، وحُمل الكلام على المجاز؛ فإنَّ العَجَب روعةٌ تعتري الإنسان عند استعظامه لشيء <sup>(٣)</sup>، وهو على الله تعالى محالٌ، فهو في حقه إِمَّا لمجرد الاستعظام، وإِمَّا على سبيل الفرض على معنى <sup>(٤)</sup>: أَنَّهُ عند الله بمنزلة لو جازَ عليه العَجَبُ لعجب، أو التخيل من باب الاستعارة على ما مرَّ في قوله تعالى: ﴿يَحْصِرُهُ عَلَى الْعِبَادِ﴾ [يس: ٣٠]، وأن الأمر في نفسه <sup>(٥)</sup> متعجَّبٌ منه، وقد جاء في الحديث: «عجب ربكم من إلكم وقنوطكم، وسرعة إجابته <sup>(٦)</sup> إياكم» <sup>(٧)</sup>.

(١) في (م): «وهو».

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي. انظر: «التيسير» (ص: ١٨٦).

(٣) في (م) و(ك) و(ع): «بشيء». ولفظ «الكشاف»: «استعظامه الشيء».

(٤) «معنى» سقط من (م).

(٥) في (ف) و(ك): «في لعب».

(٦) في النسخ: «إجابتكُم»، والتصويب من المصادر.

(٧) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (١١٨/٢) ط: الأميرية، و«الغريبين» (مادة: أُلل)، و«تفسير السمعاني»

(٤/٣٩٤)، و«الكشاف» (٣٧/٤). قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/١٧٥): غريب،

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام في «غريب الحديث»: يروى عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة =

(١٣) - ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾: ودأبهم إذا وُعظوا بشيء لا يتَّعظون به<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١٤) - ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً سَسَخَرُوا﴾.

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾ عظيمة من آيات الله تعالى كانشقاق القمر ونحوه.

﴿سَسَخَرُوا﴾: يبالغون في السُّخرية كأنهم يطلبون من أنفسهم السُّخرية منها، ويجهدون في ذلك، أو يستدعي<sup>(٢)</sup> بعضهم من بعض أن يسخر منها.

\*\*\*

(١٥) - ﴿وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهرٌ سحريته.

\*\*\*

(١٦) - ﴿أَوَدَّامِنَّا وَكُنَّا نُرَآكَ وَعَظَمَاءَنَا لَمَبْعُوثُونَ﴾.

﴿أَوَدَّامِنَّا وَكُنَّا نُرَآكَ وَعَظَمَاءَنَا لَمَبْعُوثُونَ﴾ أصله: أُنْبِثَ إذا متنا، فبدَّل الفعلية بالاسمية، وقَدَّمَ الظَّرْفَ، وكرَّر الهمزة؛ مبالغة في الإنكار، وإشعاراً بأنه مُسْتَنَكَّرٌ

= الماجشون عن محمد بن عمرو يرفعه. الإل: شدة القنوط، ويجوز أن يكون من رفع الصوت بالبكاء. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (مادة: أَلَل).

(١) في (ف) و(ك): «لا يوعظون».

(٢) في (ف) و(ك): «يستدعي».

في نفسه، وفي هذه<sup>(١)</sup> الحال أشدُّ استنكاراً، فهو أبلغ من القراءة بطرح إحدى الهمزتين<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١٧) - ﴿أَوَّابًاؤُنَا أَلَاؤُلُونَ﴾.

﴿أَوَّابًاؤُنَا﴾ مبتدأ خبره محذوف، تقديره: مبعوثون، ويدلُّ عليه ما قبله، فإذا قلت: أقام زيدٌ أم عمرو؟ فعمرو مبتدأ محذوف الخبر، ويجوز عطفه<sup>(٣)</sup> على محلِّ (إِنَّ) واسمها على خلاف مذهب سيويه؛ لأنَّه يقول: إِنَّ (عَمراً) في قولك: (إِنَّ زيداً قائمٌ وعمرو) مرفوعٌ على الابتداء<sup>(٤)</sup>.

وأما عطفه على الضمير في ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾ فلا صحَّة له؛ لأنَّ همزة الاستفهام لا تدخل إلَّا<sup>(٥)</sup> على الجمل، فعلى تقدير العطف على المفرد كان الفعل عاملاً فيه بواسطة<sup>(٦)</sup> حرف العطف، وهمزة الاستفهام لا يعمل ما قبلها فيما بعدها.

وإدخال الهمزة الإنكارية على الواو لزيادة الاستبعاد على معنى: أُتْبِعْتُ وَيُتْبِعُ<sup>(٧)</sup> أيضاً آباؤنا؛ يعنون أنَّهم أقدم فبعثُهم أبعد.

(١) في (م) و(ي) و(ع): «هذا».

(٢) قرأ ابن عامر بطرح الأولى، ونافع والكسائي بطرح الثانية. انظر: «التيسير» (ص: ٣٢)، و«النشر» (٣٧٣/٢).

(٣) في (م) و(ي) و(ع): «عطف».

(٤) انظر: «الكتاب» (١/ ٩٥).

(٥) «إلا» سقط من (م) و(ي) و(ع). والمثبت من باقي النسخ، وهو الصواب.

(٦) في (ف): «بوساطة».

(٧) في (م) و(ي) و(ع): «معنى أبعث أيضاً».

وقرى: ﴿أَوْ أَبَاؤُنَا﴾ بـ (أو) الفاصلة<sup>(١)</sup>، قال صاحب «المطالع»: (أو) إذا كانت للتقرير أو التوبيخ أو الردّ أو الإنكار أو الاستفهام كانت مفتوحة الواو، وإذا جاءت للشكّ أو التقسيم أو الإبهام أو التورية أو التّخيير أو بمعنى (بل) أو بمعنى (حتى) أو بمعنى (إلى) وكيف كانت عاطفة، فهي ساكنة الواو<sup>(٢)</sup>.

﴿الْأَوَّلُونَ﴾: الأقدمون.

\*\*\*

(١٨) - ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾.

﴿قُلْ﴾ وقرى: (قال)<sup>(٣)</sup>: ﴿نَعَمْ﴾؛ أي: نعم تُبعثون، وإنما اكتفى به في الجواب لأنّه سبق<sup>(٤)</sup> ما يدلّ على جوازه، وأمّا قيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه فلا يجدي في حقّ القائلين: إنّهُ سحرٌ مبينٌ، والكلام معهم بعد ما أنكروا الإعجاز والرّسالة.

﴿وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾: صاغرون.

وقرى: ﴿نَعِم﴾ بكسر العين<sup>(٥)</sup>، وهما لغتان.

\*\*\*

(١) وهي قراءة قالون وابن عامر. انظر: «التيسير» (ص: ١٨٦).

(٢) انظر: «مطالع الأنوار» لابن قرقول (١/ ٣٤٧)، وكذلك «مشارك الأنوار» للقاضي عياض (١/ ٥٢).

(٣) انظر: «الكشاف» (٤/ ٣٨).

(٤) في (م) و(ي) و(ع): «لسبق».

(٥) وهي قراءة الكسائي حيث وقع. انظر: «التيسير» (ص: ١١٠).

(١٩) - ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ مبهمة لا ترجع إلى شيء، موضحها خبرها، ويجوز أن ترجع إلى البعثة الدال عليها ﴿لَمُبْعُوثُونَ﴾<sup>(١)</sup>، والفاء جواب شرط مقدر، تقديره: إذا كان ذلك<sup>(٢)</sup> فما هي إلا:

﴿زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾؛ أي: صيحة واحدة، هي النفخة الثانية، من زجر الراعي غنمه<sup>(٣)</sup>: إذا صاح عليها، وأمرها بالإعادة<sup>(٤)</sup> كأمر (كن) في الإبداء، ولذلك رتب عليها قوله:

﴿فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾: أحياء يبصرون، أو: ينتظرون ما يفعل بهم.

\*\*\*

(٢٠) - ﴿وَقَالُوا يَنْوَلِّنَا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ﴾.

﴿وَقَالُوا يَنْوَلِّنَا﴾ مر تفسيره في (سورة يس).

﴿هَذَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ كلام الكفرة.

\*\*\*

(٢١) - ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ كلام الملائكة جواباً لهم.

(١) في (ف) و(ك): «مبعوثون».

(٢) في (م) و(ي) و(ع): «كذلك».

(٣) «غنمه» سقط من (م)، وفي (ي) و(ع): «نعمه».

(٤) «بالإعادة» كذا في النسخ، وعند البيضاوي: «في الإعادة».

ويجوز أن يكون الأوَّل أيضاً من كلام الملائكة، وأن يكون الكلام الثاني من بعض كلام الكفرة لبعضهم؛ أي: هذا يوم الجزاء الذي ندان<sup>(١)</sup> فيه ونجازي بأعمالنا، هذا يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلال.

﴿الَّذِي كُتِبَ عَلَيْهِ تَكْذِيبُكَ﴾ فيه دلالة على أن الرُّسل عليهم السلام جدّدوا الإنذار بعذاب النَّار سائر الأحوال<sup>(٢)</sup> في دار القرار، وهم أصروا على الإنكار، واستمروا على الإصرار.

\*\*\*

(٢٢ - ٢٣) - ﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿.

﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ خطاب الله للملائكة، أو خطاب بعضهم لبعض بأمر الله<sup>(٣)</sup>، والحاجة إلى الحشر لأنهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر وفراش مبعوث، والحشر: السَّوق إلى مجمَع واحد من الجهات المختلفة.

﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾: قرناءهم من الشياطين، قال أبو سعيد الخدري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]: إذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه<sup>(٤)</sup>.

(١) في (ف) و(ك): «يزان».

(٢) في (ف) و(ك): «الأحوال».

(٣) في (ف) و(ك): «أو خطاب بعضهم بأمر الله للملائكة»، وفي (م): «أو خطاب بعضهم بعضاً بأمر الله».

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ٣٣٥).

وقال عطاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ رُجِعَتْ﴾ [التكوير: ٧]: أي: قُرنَت نفوس المؤمنين بحور العين ونفوس الكفار بالشياطين<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿دَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الْمُشْرِكُونَ، وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى وَفْقِ قَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنِ الْمَلَائِكَةِ: ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾: «بل هم عبدوا الشياطين الذين أمرتهم بذلك» في جواب ابن الزُّبَيْرِ<sup>(٢)</sup> = دل على أن (ما) على عمومها، وأن الأصنام ونحوها غير داخلية فيه، فالضمير<sup>(٣)</sup> في قوله تعالى: ﴿فَاهْذُوبْهُمْ﴾ لمجموع<sup>(٤)</sup> المذكورين.

﴿إِلَى صِرَاطٍ الْجَحِيمِ﴾: فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها، وفيه تهكُّمٌ بهم لِمَا مر في تفسير سورة الفاتحة أن الهداية دلالةٌ بلطف، وفي الصراط أيضاً نوعٌ تهكُّمٌ لأنه طريقٌ مستوٍ لا التواء فيه ولا اعوجاج.

\*\*\*

(٢٤) - ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾.

﴿وَقِفُوهُمْ﴾: احبسوهم هذا الحبس عند مجيئهم النار، على ما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (١٩) حَتَّى إِذَا مَلَآءَ وَهَاشِدَعَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ ﴿الآية [فصلت: ١٩ - ٢٠]، فالسؤال في قوله تعالى:

(١) انظر: «زاد المسير» (٣٩/٩).

(٢) في هامش (م): «على ما مر في تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام».

(٣) في (ف) و(ك): «فالمضمر».

(٤) في (م) و(ي): «بمجموع».

﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ ليس عن عقائدهم وأعمالهم، بل عمّا كانوا يرجون منه الشّفاة والنّصرة، بدلالة قوله تعالى:

(٢٥) - ﴿مَالَكُمْ لَا نَنَاصِرُونَ﴾.

﴿مَالَكُمْ لَا نَنَاصِرُونَ﴾ وقوله تعالى في موضع آخر: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّا سُرَكَاؤُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢] توبيخ لهم، وتهكّم بهم بالعجز عن التّناصر وتخليص بعضهم لبعض بعدما كانوا متناصرين في الدّنيا متعاضدين.

\*\*\*

(٢٦) - ﴿بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾.

﴿بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾؛ أي: ليس أحدٌ يقدر على نصر أحدٍ، بل الكلّ منقادون لِمَا يُرادُّ بهم، وكلمة ﴿بَلْ﴾ حرف الابتداء، لا عاطفة<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(٢٧) - ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ يعني: الكفرة والشّياطينُ ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾: يتخاصمون.

\*\*\*

(٢٨) - ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾.

﴿قَالُوا﴾ يعني: الكفرة للشّياطين: ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾: عن القوّة والغلبة<sup>(٢)</sup> حتى تحملونا على الضّلال وتقسرونا<sup>(٣)</sup> عليه.

(١) في (ف) و(ك): «لا حرف عاطفة».

(٢) في (ف) زيادة: «والشّياطين».

(٣) في (م): «وتقسرونا».

(٢٩) - ﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قَالُوا﴾ يعني: الشياطينُ للكفرة: ﴿بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ إضراب عن مُقَدِّرٍ دَلَّ عليه المساق؛ أي: ما أجبرناكم على الضلال، بل أنتم أعرضتم عن الإيمان، واخترتم الكفر عليه بالاختيار.

\*\*\*

(٣٠) - ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ مِن تَسْلُطٍ يَسْلُبُكُم التَّمَكُّنَ ويقسركم<sup>(١)</sup>.

﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾: مختارين الطغيان، وهذا على وفق<sup>(٢)</sup> ما في موضع آخر من قوله تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٢٧].

\*\*\*

(٣١) - ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰئِقُونَ﴾.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾؛ أي: إذا لم نقسركم<sup>(٣)</sup> فلزمننا ﴿قَوْلَ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰئِقُونَ﴾؛ أي: حُكْمُ رَبِّنَا بـ: إِنَّا لَذَٰئِقُونَ لعذابه.

ولَمَّا أخبروا بذلك عن أنفسهم عدلوا عن الخطاب إلى لفظ المتكلم، فحكى الله تعالى قولهم، ولو حكى وعيد الله كما هو لقال: (إنكم لذائقون).

\*\*\*

(١) في (م) و(ع): «ويقركم».

(٢) في (م) و(ي) و(ع): «أوفق» بدل «على وفق».

(٣) في (م) و(ي): «لم نقركم».

(٣٢) - ﴿فَاعْوِثَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَوِينَ﴾.

﴿فَاعْوِثَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَوِينَ﴾: فدعوناكم إلى الغي؛ لأننا كنا غاوين أحببنا أن تكونوا مثلنا، وما أحببنا لكم إلا ما أحببنا لأنفسنا، فلم استحسنتم<sup>(١)</sup> الغي على الرشد؛ أي: غاية ما في الباب أننا دعوناكم فلم أجبتكم<sup>(٢)</sup> وقبلتم؟ فكأنه تقرير لقولهم: ﴿فَقَوَّعَيْنَا قَوْلَ رَبِّنَا﴾؛ أي: ليست غوايتكم<sup>(٣)</sup> في الحقيقة منّا<sup>(٤)</sup>، ولو كان كل غواية باغواء غاو فمن أغوانا؟!

\*\*\*

(٣٣) - ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾.

﴿فَإِنَّهُمْ﴾؛ أي: الأتباع والمتبعين من الكفرة والشياطين ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ كما كانوا في الغواية مشتركين.

\*\*\*

(٣٤) - ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الفعل الفطيع ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾: بالمشركين، بدلالة السباق واللحاق، وفي الإطلاق ما لا يخفى من المبالغة في كون الإشراك جرماً حيث لم يعد سائر المعاصي جرماً نظراً إليه.

(١) في (م) و(ي) و(ع): «استجبتهم»، ولو قيل: (استحببتهم) لكان لها وجه، وعبرة أبي السعود: (فدعوناكم إلى الغي دعوة غير ملجئة فاستجبتهم لنا باختياركم واستجابكم الغي على الرشد).

(٢) في (م): «أحببتهم».

(٣) في (ف) و(ك): «عقوبتكم».

(٤) في (م): «بنا».

(٣٥) - ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإذعان والقبول.

\*\*\*

(٣٦) - ﴿وَيَقُولُونَ آيَاتُنَا لَنَآرِكُوا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ آيَاتُنَا لَنَآرِكُوا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ يعنون<sup>(١)</sup>: رسول الله عليه السلام.

\*\*\*

(٣٧) - ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ﴾ إضرابٌ عن مُقَدَّرٍ دَلَّ عليه السَّيَاقُ.

﴿وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إذ هو وَهُمْ عليهم السلام على طريقةٍ واحدةٍ في دعوى الأمم إلى التوحيد وترك عبادة غيره تعالى.

وفيه ردٌّ على المشركين بأنَّ ما جاء به من التوحيد حقٌّ يطابق عليه البرهانُ العقليُّ والبيانُ النَّقْلِيُّ من المرسلين.

\*\*\*

(٣٨) - ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾.

﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ بالإِشْرَاكِ وتكذيب الرُّسُلِ<sup>(٢)</sup>، وقرئ بنصب (العذاب)<sup>(٣)</sup>، على تقدير<sup>(٤)</sup> النُّون، كقوله:

(١) في (ف) و(ك): «يعني».

(٢) في (ف) و(ك): «والتكذيب».

(٣) نسبت لأبي السمال. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٨).

(٤) في (م): «ترك».

ولا ذاكَ — رَ اللّٰهُ<sup>(١)</sup>

بتقدير التَّنوين.

وقرئ: (لذائقون العذاب) على الأصل<sup>(٢)</sup>.

وفي عبارة الذَّوق دلالة على أَنَّ لهم عذاباً جسمانياً.

\*\*\*

(٣٩) - ﴿وَمَا تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَمَا تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: إِلَّا مثل ما عملتم، وإِنَّمَا حذف المضاف للمبالغة في المماثلة، كما في التشبيه البليغ.

\*\*\*

(٤٠) - ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن عباد الله المخلصين ثوابهم مضاعفٌ، وقيل: متَّصلٌ عن الضمير في ﴿تُحْزَنُونَ﴾ أو ﴿لَذَائِقُوا﴾ على أَنَّها للعموم.

\*\*\*

(٤١) - ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ﴾ تقديمه للتخصيص<sup>(٣)</sup>.

(١) جزء من بيت لأبي الأسود الدؤلي كما في «ديوانه» (ص: ٥٤)، وتمامه:

فألفيته غير مستعَبٍ ولا ذاكَرَ الله إلا قليلاً

(٢) انظر: «الكشاف» (٤ / ٤١).

(٣) في (ف) و(ك): «تقدمة» بدل: «تقديمه للتخصيص».

﴿رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ خصائصه من الدوام وتمحُّض اللَّذَّةِ<sup>(١)</sup>، ولذلك فسرهُ بقوله:

(٤٢) - ﴿فَوَكَهَهُمْ مِّمَّا كَرُمُونَ﴾.

﴿فَوَكَهَهُمْ﴾ فَإِنَّ الْفَاكِهَةَ مَا يُتَلَذَّذُ بِهِ وَلَا يُتَقَوَّتُ، وذلك لأنَّهم مستغنون عن التَّغْذِي؛ إذ لَا تَحُلُّ<sup>(٢)</sup> هناك، فيكون رزقهم كُلُّهُ للتفكُّه والتلذُّذ لَا للتقوُّت.

﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ عند الله تعالى، لَا يلحقهم هوانٌ، وذلك<sup>(٣)</sup> مِنْ أعظم الثَّوَابِ وَأَلْيَقِهِ بِذَوِي الْهِمَمِ.

\*\*\*

(٤٣) - ﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾.

﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾؛ أي: فِي جَنَّاتٍ لَيْسَ فِيهَا إِلَّا النَّعِيمُ، ظَرْفٌ أَوْ حَالٌ مِنَ الْمُسْتَكْنَى فِي ﴿مُكْرَمُونَ﴾، أَوْ خَيْرٌ ثَانٍ لـ ﴿أُولَئِكَ﴾، وكذا:

(٤٤) - ﴿عَلَى سُرُرٍ مُنْقَلَبِينَ﴾.

﴿عَلَى سُرُرٍ﴾ يَحْتَمِلُ الْحَالُ وَالْخَبَرُ، فَإِنْ جُعِلَ خَبَرًا كَانَ:

﴿مُنْقَلَبِينَ﴾ حَالًا مِنَ الضَّمِيرِ فِيهِ، أَوْ فِي ﴿مُكْرَمُونَ﴾، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بـ ﴿مُنْقَلَبِينَ﴾، عَلَى أَنَّ ﴿مُنْقَلَبِينَ﴾ حَالٌ مِنَ ﴿مُكْرَمُونَ﴾.

\*\*\*

(١) فِي (م): «اللذات».

(٢) فِي النسخ: «تحليل»، والصواب المثبت؛ والمراد: التَّحْلُلُ فِي الْبَدَنِ الْمَحْتَاجِ لِبَدَلٍ. انظر: «حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي» (٧/ ٢٦٩).

(٣) فِي (ف) و(ك): «فِي ذَلِكَ».

(٤٥) - ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ﴾ الكأس: الزُّجاجة ما دامت فيها الخمر، وقد يطلق على الخمر مجازاً كما في قوله:

وكأسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ<sup>(١)</sup>

﴿مِنْ مَعِينٍ﴾: من شرابٍ معينٍ، أو نهرٍ معينٍ.

والمعينُ: الماء الجاري على وجه الأرض، الظاهر للعيون، وإنما وُصِفَ بما يوصفُ به الماء لأنها تجري في الجنة في أنهارٍ كما يجري الماء، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْهَرُ مِنْ حَرٍّ﴾ [محمد: ١٥].

\*\*\*

(٤٦) - ﴿بِضَاءٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾.

﴿بِضَاءٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ صفتان للكأس. و﴿لَذَّةٍ﴾ وصفٌ بالمصدر للمبالغة، كأنها نفسُ اللذة. أو تأنيث اللذِّ، يُقال: لذَّ الشيءُ فهو لذيدٌ ولذٌّ، ولذَّةٌ تأنيث لذٍّ، بوزن فَعْلٍ كَجَلَدٍ وطَبٍّ<sup>(٢)</sup>، قال:

ولذَّ كطعم الصَّرخديِّ تَرَكْتُهُ<sup>(٣)</sup>

(١) شطر بيت للأعشى كما في «ديوانه» (ص: ٢٢٣)، وعجزه:

وأخرى تداوَيْتُ منها بها

(٢) الطب: الطبيب الحاذق. انظر: «روح المعاني» (٥٤/٢٣). ووقع في (ف): «ورطب».

(٣) انظر: «الكشاف» (٤٢/٤)، وعجزه فيه:

بأرض العدا مِنْ خَشْيَةِ الحَدَثَانِ

وهو في ديوان الراعي النميري (ص: ١٨٦) لكن بعجز آخر.

(٤٧) - ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ﴾.

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾؛ أي: فسادٌ من أنواع المفسدات التي تكون في خمر الدنيا، من خُمار<sup>(١)</sup> وصداع واختلاط عقلٍ ولغوٍ وعزْبدةٍ وغير ذلك. والغَوْلُ: الإهلاك والإفساد، ومنه الغَوْلُ.

وتقديم الظرف وإيلاؤه حرف النفي لا<sup>(٢)</sup> لإفادة نفي الغَوْل عنها وإثباته في غيرها، [لأنَّ إثباته في غيرها<sup>(٣)</sup> غير مقصود، بل لإفادة أنَّ الغَوْل<sup>(٤)</sup> المنفي عنها ما هو الثابت في غيرها؛ أي: ليس فيها ما في خمر الدنيا من اغتيال العقل<sup>(٥)</sup>].

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ﴾ على البناء للمفعول، من نَزَفَ الشَّارِبُ: إذا ذهب عقله.

وقرئ<sup>(٦)</sup>: (يُنْفَوْنَ) بضم الزَّاي<sup>(٧)</sup>، من نَزَفَ يَنْزِفُ: إذا سكر. وإنَّما أفرز النَّزْفُ من أنواع الغَوْلِ وأُفْرِدَ بالذكرِ للدلالة على أنَّ السكرَ من أعظم المفسدات، كأنَّه مفسدةٌ برأسها، وجنسٌ آخر غير داخلٍ تحت الغَوْلِ.

\*\*\*

(١) بضم الخاء: صداع الخمر. انظر: «حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي» (٧/ ٢٧٠).

(٢) «لا» سقط من (م) و(ي) و(ع).

(٣) «لأنَّ إثباته في غيرها» سقط من (م).

(٤) «الغول» سقط من (م).

(٥) «من اغتيال العقل» زيادة من (م) و(ي) و(ع).

(٦) في (م) و(ي) و(ع): «قرئ».

(٧) نسبت لطلحة بن مصرف. انظر: «الكشاف» (٤/ ٤٣)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٧٣).

(٤٨) - ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ عَيْنٌ﴾.

﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ﴾: قَصْرُنَ<sup>(١)</sup> أَبْصَارُهُنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، لَا يَمْدُدْنَ طَرْفًا إِلَى غَيْرِهِمْ.

﴿عَيْنٌ﴾: الْعَيْنُ: النُّجْلُ الْعَيُونِ، جَمْعُ عَيْنَاءَ<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(٤٩) - ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيضٌ مَكْنُونٌ﴾.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيضٌ مَكْنُونٌ﴾: شُبَّهْنَ بَبِيضِ النَّعَامِ الْمَكْنُونِ فِي الْأَدَاخِ<sup>(٣)</sup>؛ فَإِنَّهُ مَصُونٌ عَنِ الْغُبَارِ فِي غَايَةِ الصَّفَاءِ، وَلَوْ نُهَا بَيَاضُ بِهِ صَفْرَةٌ حَسَنَةٌ، وَهِيَ أَحْسَنُ أَلْوَانِ الْأَبْدَانِ، وَبِهَا تَشَبَّهَ الْعَرَبُ مَخْدَرَاتِهِمْ، وَتَسْمِيَهُنَّ: بَيضَاتِ الْخَدُورِ.

وَقِيلَ: أَرَادَ بِهِ الْمَصُونُ عَنِ الْكُسْرِ؛ يَعْنِي: أَنَّهُنَّ عَذَارَى صَحِيحَاتٌ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ:

خَرَجْنَ إِلَيَّ لَمْ يُطْمَثَنَّ قَبْلَ  
وَهُنَّ أَصَحُّ مِنْ بَيضِ النَّعَامِ<sup>(٤)</sup>

وَيُؤَيِّدُهُ مَا فِي (سُورَةِ الرَّحْمَنِ): ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِسْ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾ [الرَّحْمَنِ: ٥٦].

قَالَ فِي صِفَةِ الْحُورِ: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيضٌ مَكْنُونٌ﴾ وَفِي صِفَةِ الْوُلَدَانِ: ﴿كَأَمْثَلِ اللَّؤْلُؤِ

(١) فِي (م) وَ(ع): «قَصُرَتْ».

(٢) وَهِيَ الْوَاسِعَةُ الْعَيْنِ فِي جَمَالٍ.

(٣) جَمْعُ أَدْحِيٍّ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي تَفْرُخُ النَّعَامَةُ فِيهِ. انْظُرْ: «الصَّحَاحُ» (مَادَّةُ: دَحُو).

(٤) انْظُرْ: «دِيَوَانُ الْفَرَزْدَقِ» (٢/ ٨٣٥).

الْمَكُونِ ﴿٥٠﴾، وأشار بذلك إلى أن الحور للصحبة دون الولدان؛ لأنَّ اللؤلؤ للنظر لا للذوق، والبيض لهما.

\*\*\*

(٥٠) - ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ عطفٌ على ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾.

﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾؛ أي: يتحادثون على الشراب، يسأل بعضهم بعضاً عما جرى له وعليه في الدنيا وعن رفقائه.

وتغيير النظم إلى الماضي للإخبار بتحقيق وقوع تلك اللذة خاصة من بين سائرهما، وهي التَّحَادُثُ على الشراب كعادة الشُّرْبِ<sup>(١)</sup>، قال:

وما بقيت من اللذات إلا أحاديث الكرام على المدام<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

(٥١) - ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ في<sup>(٣)</sup> مكالمتهم: ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾: جليس في الدنيا.

\*\*\*

(١) بفتح الشين: جمع شارب.

(٢) عزري لأبي محمد عبد الله بن عمرو بن محمد الفياض كاتب سيف الدولة ونديمه. انظر: «يتممة الدهر» (١/ ١٣٢) للثعالبي.

وعزري لأبي الحسن علي بن حريق. انظر: «المغرب في حلى المغرب» لأبي سعيد الأندلسي (٢/ ٣١٩).

(٣) في (م) و(ي) و(ع): «من».

(٥٢) - ﴿يَقُولُ أَهْلَكَ لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ﴾.

﴿يَقُولُ أَهْلَكَ لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد<sup>(١)</sup>؛ أي: يوبّخني على التصديق بالبعث، أو التصدق<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(٥٣) - ﴿أَمْ دَأَمْنَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا أَمْ نَأَلَمِدِينَ﴾.

﴿أَمْ دَأَمْنَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا﴾ لا يقال: ذكّر كونهم عظاماً بعد ذكّر كونهم تراباً تنزّل من القويّ إلى الضعيف في مقام الاستبعاد، بل في<sup>(٣)</sup> ذكّر ذلك غنى عن ذكّر هذا، لأنّا نقول: كونهم عظاماً محقّق حسّاً ومحقّق<sup>(٤)</sup> لكونهم تراباً عقلاً، فلا غنية ولا تنزّل، فافهم هذه الدقّة الأنيقة.

﴿أَمْ نَأَلَمِدِينَ﴾: لمجزئون، من الدّين وهو الجزاء، أو لمُسوسون<sup>(٥)</sup>، من دانه؛ أي: سأسه، ومنه الحديث: «العاقل من دان نفسه»<sup>(٦)</sup>.

(١) قرأ الجمهور بتخفيف الصاد، ونسبت قراءة التشديد لبكر بن عبد الرحمن القاضي عن حمزة. انظر: «زاد المسير» (٥٩ / ٧). ولعلي بن كيسة عن سليم (وهو بن عيسى بن سليم الحنفي مولاهم الكوفي) عن حمزة. انظر: «تفسير القرطبي» (٣٦ / ١٨). والمشهور عن حمزة قراءة الجماعة.

(٢) في (م) و(ي) و(ع): «التصدق»، وهو تحريف. وقد روي في سبب نزولها على معنى التصدق قصة في «تفسير عبد الرزاق» (١٤٩ / ٢) عن عطاء الخراساني.

(٣) «في» سقط من (م) و(ي) و(ع).

(٤) «حسّاً ومحقّق» من (م)، وفي (ي) و(ع): «حسّاً ومحقّقهم».

(٥) في (ف) و(ك): «مسوسون».

(٦) رواه الترمذي (٢٤٥٩) وحسنه، وابن ماجه (٤٢٦٠)، من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه بلفظ: «الكيس من دان...». وفي سنده أبو بكر بن أبي مريم الغساني، وهو ضعيف.

(٥٤) - ﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾.

﴿قَالَ﴾؛ أي: ذلك القائل.

﴿هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾ إلى النار لأريكم ذلك القرين.

وقيل: القائل هو الله تعالى، وقيل: بعض الملائكة يقول لهم: هل تحبّون أن تطلّعوا.

وقرئ: (مُطَّلِعُونَ) بالتخفيف<sup>(١)</sup>، يقال: طلع علينا فلان واطّلع، بمعني.

\*\*\*

(٥٥) - ﴿فَاطَّلَعَ قِرَاءَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾.

﴿فَاطَّلَعَ﴾؛ أي: عرض لهم الاطلاع فقبلوا عرضه فاطّلع هو<sup>(٢)</sup> بعد ذلك، هذا أيضاً قرئ بالتشديد على قراءة ﴿مُطَّلِعُونَ﴾ مشدداً، وبالتخفيف على قراءة (مُطَّلِعُونَ) مخففاً، كلاهما على لفظ<sup>(٣)</sup> المضارع المنصوب جواباً للاستفهام<sup>(٤)</sup>.

(١) وهي قراءة أبي عمرو من رواية الجعفي عنه، والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجماعة. انظر:

«السبعة» (ص: ٥٤٨)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٨). ووقع بعدها في (م) و(ي)

و(ع) زيادة: «والمعني»، ولا معنى لذكرها.

(٢) «هو» من (ف) و(ك).

(٣) «لفظ» سقط من (م) و(ي) و(ع)، و«كلاهما» سقط من (ف) و(ك).

(٤) انظر: «الكشاف» (٤/ ٤٥). وقد لخص الزمخشري كعاداته ما جاء هنا من قراءات بقوله: وقرئ

(مُطَّلِعُونَ) (فَاطَّلَعَ) و(فَاطَّلَعَ) بالتشديد على لفظ الماضي والمضارع المنصوب، و(مُطَّلِعُونَ)

(فَاطَّلَعَ) و(فَاطَّلَعَ) بالتخفيف، على لفظ الماضي والمضارع المنصوب.

وقرى: (مُطْلَعُونَ) بكسر النون والتخفيف<sup>(١)</sup>، على إرادة: مُطْلَعُونَ إِيَّايَ، فوضع المتصل موضع المنفصل، كقوله:

هم الفاعلون الخير والامرونه<sup>(٢)</sup>

وقيل: شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لما بينهما من التآخي، كأنه قال: تُطْلَعُونَ.

وهو ضعيف لا يقع إلا في الشعر.

وعلى قراءة المضارع معناه: هل أنتم مطَّلعون إلى القرين فأطَّلِع أيضاً<sup>(٣)</sup>.

فإن<sup>(٤)</sup> جعلت الإطلاع من أطلعه غيره، فالمعنى أنه شرط في إطلاعه إطلاعهم لرعاية أدب المجالسة، وهو أن لا يستبدَّ بشيء دون جلسائه، فإذا قبلوه فكأنهم مُطْلَعُوهُ.

وقيل: الخطاب على هذا للملائكة؛ أي: أطلعوني على قريني أيها الملائكة، فأطَّلِع أصحابي من أهل الجنة عليه.

﴿قَرَأَهُ﴾؛ أي: قرينه ﴿فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ﴾: في وسطها.

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٨٥)، و«الكشاف» (٤/ ٤٥).

(٢) صدر بيت ذكره سيبويه في «الكتاب» (١/ ١٨٨)، والمبرد في «الكامل»: (١/ ٩٧)، وصاحب «الخرزانه»: (٢/ ٤٥) الشاهد: (٩٥)، وذكروا أنه مصنوع. وعجزه:  
إِذَا مَا حَشُّوا مِنْ مُحَدَّثِ الْأَمْرِ مُعْظَمًا

(٣) هكذا جاء في نسخة خطية مضبوطة من «الكشاف» بالتشديد، لكن معنى المشدد والمخفف واحد كما بين الزمخشري عقب ما تقدم من قراءات التخفيف والتشديد وقبل هذه العبارة حيث قال: (يقال: طلع علينا فلان، وأطلع، وأطَّلِع، بمعنى واحد).

(٤) في (م) و(ع): «وإن».

(٥٦) - ﴿قَالَ تَاللّٰهِ اِنْ كِدْتَ لَتَرْدِيْنَ﴾.

﴿قَالَ تَاللّٰهِ اِنْ كِدْتَ لَتَرْدِيْنَ﴾: لتهلكني <sup>(١)</sup> بالإغواء. وقرئ: (لَتُغْوِيْنَ) <sup>(٢)</sup>.  
(إِنْ) مخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة، كقوله: ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾  
[الفرقان: ٤٢].

\*\*\*

(٥٧) - ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّيْ لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِيْنَ﴾.

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّيْ﴾ بالعصمة والهداية ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِيْنَ﴾ في العذاب معك.

\*\*\*

(٥٨) - ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِيْنَ﴾.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِيْنَ﴾ الهمزة للتقرير والتوبيخ، دخلت على الفاء العاطفة ما بعدها على معطوفٍ محذوفٍ، تقديره: أنحن مخلّدون منعمون فما نحن بميتين؛ أي: بمن شأنه الموت <sup>(٣)</sup>.

وقرئ: (بِمَائِتِيْنَ) <sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(١) في (م): «لتهلكن».

(٢) نسبت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢ / ٣٨٥)، و«معاني القرآن» للنحاس (٦ / ٣١)، و«الكشاف» (٤ / ٤٥).

(٣) «بمن شأنه الموت» سقط من (ك)، و«بمن شأنه» سقط من (ف)، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في «تفسير البيضاوي» (٥ / ١١)، وما بين معكوفتين منه.

(٤) بلا نسبة في «الكشاف» (٤ / ٤٥)، ونسبها في «البحر المحيط» (١٨ / ١٧٩) إلى زيد بن علي.

(٥٩) - ﴿إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾.

﴿إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى﴾ التي في الدنيا، وهي متناولَةٌ لِمَا في القبر بعد الإحياء للسؤال، ونصبها على المصدر من اسم الفاعل، وقيل: على الاستثناء المنقطع. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ كما وعدنا.

والمعنى: أن هذه حال المؤمنين وصفتهم فيما وعد الله تعالى لهم، بخلاف حال الكفار فإنهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة، وهذا تمام<sup>(١)</sup> كلامه لقرينه تقريراً له.

ثم يقول معاوداً إلى مكالمة جلسائه بِمَسْمَعٍ<sup>(٢)</sup> من قرينه، تحدثاً بنعمة الله، واغتراباً لحاله وحال رفقاءه، وتبجحاً بها، وزيادة في تقرير قرينه:

(٦٠) - ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَالْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿إِنَّ هَذَا﴾؛ أي: الذي نحن فيه ﴿هُوَالْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

وقيل: هو من قول الله تعالى، تقريراً لقوله، وتصديقاً له، وإشارة إلى ما هم فيه من النعمة والخلود والأمن من العذاب.

وقرى: (لهو الرزق العظيم)<sup>(٣)</sup>؛ أي: ما رزقوه<sup>(٤)</sup> من السعادة.

\*\*\*

(١) في (م): «وهو إتمام»، وفي (ع) و(ي): «وهذا إتمام».

(٢) في (م): «بمسمع».

(٣) بلا نسبة في «الكشاف» (٤/ ٤٥).

(٤) في (ف) و(ك): «رزقوا».

(٦١) - ﴿لِنِلْ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَمِلُونَ﴾.

﴿لِنِلْ هَذَا﴾ أي: لنيل مثل هذا إن عملوا عملاً ﴿فَلْيَعْمَلِ الْعَمِلُونَ﴾ لا للحفظِ الدُّنْيَوِيَّةِ المشوبة بالآلام السَّريَّةِ الانصرام، وهذا معنى تقديم الغاية، وإيراد فاء السَّبَبِيَّةِ.

من عادة الله تعالى أن يشفع الوعد بالوعيد، فلما فرغ من بيان الرزق المعلوم ووصف أهل الجنة في تحادثهم وانسياق كلامهم إلى قصَّة المؤمن وقرينه، شرع في رزق الكافر ووصف أهل النار فقال<sup>(١)</sup>:

\*\*\*

(٦٢) - ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾.

﴿أَذَلِكَ﴾؛ أي: أذلك الرزق المعلوم الموصوف ﴿خَيْرٌ نُزْلاً﴾ نصب على الحال.

والتَّزْلُ: الرزق الذي يُعَدُّ للنَّزْلِ تَكْرِماً له، ويجوز حمله على المعنى الحاصل على أنه نصب على التَّمْيِيزِ.

﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾: شجرة صغيرة الورق مُتَبَنِّةٌ مَرَّةً حَرِيفَةً تَنَبَّتْ بِتِهَامَةٍ، سُمِّيَتْ به الشَّجَرَةُ الموصوفة.

وفيه أنَّ الرزق المعلوم وما ذكر معه من النِّعَمِ لأهل الجنة بمنزلة ما يُقام للنَّزْلِ، وما وراءه من اللَّذات بعد إقامتهم لا يدخل تحت الوصف، وكذلك شجرة الزَّقُّوم وما ذُكِرَ معه.

\*\*\*

(١) «فقال» سقط من (م) و(ي) و(ع).

(٦٣) - ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾: محنة وعذاباً لهم في الآخرة، أو ابتلاءً وامتحاناً لهم في الدنيا، حيث قالوا لَمَّا سَمِعُوا أَنَّهَا فِي النَّارِ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ فِي النَّارِ، وَالنَّارُ<sup>(١)</sup> تَحْرَقُ الشَّجَرُ؟! وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى خَلْقِ حَيَوَانٍ يَعِيشُ فِيهَا وَيَلْتَذُّ<sup>(٢)</sup> بِهَا كَالسَّمْنَدِرِ<sup>(٣)</sup>، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ شَجَرٍ فِيهَا وَحَفْظِهِ مِنْ إِحْرَاقِهَا.

\*\*\*

(٦٤) - ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾.

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ وقرئ: (نابتة)<sup>(٤)</sup> مكان ﴿تَخْرُجُ﴾. قيل: منبتها في قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى دركاتهما.

\*\*\*

(٦٥) - ﴿طَلَعَهَا كَانَهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾.

﴿طَلَعَهَا﴾ الطَّلَعُ: ما يطلع أولاً من النخلة عند إثمارها، وهو كمام ثمرها. ﴿كَانَهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ استُعِيرَ الطَّلَعُ مِنْ حَمْلِ النَّخْلَةِ لِحَمْلِ شَجَرَةِ الزَّقُّومِ، وَشُبِّهَ بِرُءُوسِ الشَّيَاطِينِ دَلَالَةً عَلَى تَنَاهِيهِ فِي الْكَرَاهَةِ وَقُبْحِ الْمَنْظَرِ؛ لِأَنَّ اسْتِقْبَاحَ الشَّيْطَانِ وَكَرَاهَةَ مَنْظَرِهِ أَمْرٌ رَاسِخٌ فِي طَبَاعِ النَّاسِ، وَهَذَا تَشْبِيهٌُ تَخْيِيلِيٌّ.

(١) في (ك): «وهي».

(٢) في (م) و(ي) و(ع): «ويتلذذ».

(٣) انظر ما تقدم فيه عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

(٤) نسبت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٨٧).

وقيل: الشَّيْطَانُ: حَيَّةٌ عَرَفَاءٌ قَبِيحَةُ الْمَنْظَرِ هَائِلَةٌ جَدًّا.

\*\*\*

(٦٦) - ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَمَا لَكُم مِّنَ الْبُطُونِ﴾.

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا﴾: مِنَ الشَّجَرَةِ، أَوْ<sup>(١)</sup> مِنْ طَلْعِهَا.

﴿فَمَا لَكُم مِّنَ الْبُطُونِ﴾: إِمَّا لَغَلَبَةِ الْجُوعِ الشَّدِيدِ وَاسْتِيلَاتِهِ عَلَيْهِمْ، وَإِمَّا لِأَنَّهُمْ مَقْسُورُونَ عَلَى أَكْلِهَا تَعْذِيًّا.

\*\*\*

(٦٧) - ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُم عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُم عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾: ثُمَّ إِذَا شَبِعُوا وَغَلَبَهُمُ الْعَطَشُ وَطَالَ اسْتِسْقَاؤُهُمْ وَأَحْرَقَ الزَّقُومُ بَطُونَهُمْ سُقُوا شَرَابًا مِّنْ غَسَّاقٍ أَوْ صَدِيدٍ، شَوْبُهُ - أَي: مَزَاجُهُ - مِنْ حَمِيمٍ يَشْوِي وَجُوهَهُمْ وَيَقْطَعُ أَمْعَاءَهُمْ.

وَقَرِئَ: (لَشَوْبًا) بِالضَّمِّ<sup>(٢)</sup>، وَهُوَ اسْمٌ لِمَا يُشَابُّ بِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُسْتَعَارًا لِبُعْدِ مَا فِي شَرَابِهِمْ مِنْ مَزِيدِ الْبَشَاعَةِ وَالْكَرَاهَةِ مِنْ طَعَامِهِمْ.

\*\*\*

(٦٨) - ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾؛ أَي: لَهُمْ مَقَارٌ وَمَنَازِلٌ مُّعَيَّنَةٌ فِي دَرَكَاتِ الْجَحِيمِ،

(١) فِي (م) وَ(ي) وَ(ع): «أَي».

(٢) نَسَبَتْ لَشَيْبَانَ النَّحْوِيِّ. انْظُرْ: «الْمَخْتَصَرُ فِي شَوَازِ الْقِرَاءَاتِ» (ص: ١٢٩).

إِذَا جَاعُوا جَاءُوا إِلَى الزُّقُومِ<sup>(١)</sup>، فَإِذَا عَطِشُوا جَاءُوا إِلَى الْحَمِيمِ<sup>(٢)</sup>، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى مَقَارِّهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ مِنْ دَرَكَاتِ الْجَحِيمِ، عَلَى مَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ [الرحمن: ٤٤]<sup>(٣)</sup>.

وَقُرِئَ: (ثُمَّ إِنَّ مُنْقَلَبَهُمْ)<sup>(٤)</sup>، (ثُمَّ إِنَّ مُصِيرَهُمْ)، (ثُمَّ إِنَّ مُنْفَذَهُمْ)<sup>(٥)</sup> إِلَى الْجَحِيمِ<sup>(٦)</sup>.

\*\*\*

(٦٩) - ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾.

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا﴾؛ أي: صادفوا.

﴿آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾ تَعْلِيلٌ لاسْتِحْقَاقِهِمُ الْوُقُوعَ فِي تِلْكَ الشَّدَائِدِ كُلِّهَا؛ يَعْنِي أَنَّ ذَلِكَ بِسَبَبِ تَقْلِيدِهِمْ آبَاءَهُمُ الضَّالِّينَ.

\*\*\*

(٧٠) - ﴿فَهُمْ عَلَىٰ أَثَرِهِمْ يَرْعُونَ﴾.

﴿فَهُمْ عَلَىٰ أَثَرِهِمْ يَرْعُونَ﴾ الْإِهْرَاعُ: الْإِسْرَاعُ الشَّدِيدُ كَأَنَّمَا يَحْتَ صَاحِبُهُ حَتًّا.

(١) فِي (ك): «الْحَمِيم».

(٢) فِي (ف): «الْجَحِيم».

(٣) «عَلَى مَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾» سَقَطَ مِنْ (م) وَ(ي) وَ(ع).

(٤) نَسَبَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انْظُرْ: «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (١٩ / ٥٥٦)، وَ«الْكَشَافُ» (٤٧ / ٤).

(٥) انْظُرْ: «الْكَشَافُ» (٤٧ / ٤).

(٦) بَعْدَهَا فِي (م) وَ(ي) وَ(ع) زِيَادَةٌ: «يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ عَلَى مَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ».

وقيل: إسرَاعٌ فيه تشبيهه<sup>(١)</sup> بالرَّعدة، وفيه إشعارٌ بأنَّهم بادروا إلى ذلك من غير توقُّفٍ على تأمُّلٍ ونظرٍ.

\*\*\*

(٧١) - ﴿وَلَقَدْ صَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَلَّ قَبْلَهُمْ﴾: قبل قومك قريش ﴿أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ بالتَّقليد وترك النظر.

\*\*\*

(٧٢) - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾: أنبياءٌ عليهم السلام حذَّروهم العواقب، وإنَّما قال: ﴿فِيهِمْ﴾ دون (إليهم)؛ دلالةً على<sup>(٢)</sup> إمعانهم في الإنذار بقرارهم فيما بينهم.

\*\*\*

(٧٣) - ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾.

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾: الذين أُنذِرُوا فكُذِّبُوا فأهلكُوا جميعاً.

\*\*\*

(٧٤) - ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: الذين آمنوا منهم، فأخلصوا دينهم لله تعالى؛ إذ أخلصهم الله تعالى لدينه على اختلاف القراءتين<sup>(٣)</sup>.

(١) في (م): «شبيه».

(٢) في (ك): «على أن».

(٣) قرأ الكوفيون ونافع بفتح اللام والباقون بكسرها. انظر: «التيسير» (ص: ١٢٨).

والخطابُ لرسولِ الله ﷺ، والمرادُ قومه؛ لأنَّهم رأوا آثارهم وسمعوا أخبارهم.

ثمَّ شرع في تفصيل المنذرين والمنذرين فقال:

(٧٥) - ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا﴾ حينَ أيس من قومه.

﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ اللام جواب قسم محذوف، والمخصوص بالمدح

محذوف؛ أي: فوالله لنعم المجيبون نحن.

والجمعُ في ﴿نَادَيْنَا﴾ و﴿الْمُجِيبُونَ﴾ دليلُ العظمة والكبرياء وإظهارهما؛ أي:

ولقد دعانا فبحقنا وعظمتنا إنا أجبناه أحسنَ الإجابة، ونصرناه على أعدائه، وانتقمنا منهم بأبلغ ما يكون.

\*\*\*

(٧٦) - ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾: من الغمِّ الذي كان فيه من أذى قومه؛

لأنَّه<sup>(١)</sup> بذلك دعا ربَّه فأجابه.

والكرب: الحزنُ الثقيلُ على القلبِ.

\*\*\*

(٧٧) - ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ هم الذين بقوا وحدهم دون غيرهم، ولا دلالة فيه

على عدم بقاء ذرية غيره حتى يخالف ظاهر قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾

(١) في (م): «لأن».

[الإسراء: ٣]؛ لَأَنَّ الدُّرِّيَّةَ تَتَنَاوَلُ أَوْلَادَ الْبَنَاتِ، دَلَّ عَلَيْهِ عَدُّ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَى مَا مَرَّ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ.

\*\*\*

(٧٨) - ﴿وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾.

﴿وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ من الأمم كلهم هذه الكلمة وهي:

(٧٩) - ﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾.

﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ على الحكاية، كقولك: (قرأت: الحمد لله)؛ أي: يَسْلَمُونَ عَلَيْهِ تَسْلِيمًا، ويدعون له بشبوت هذه التَّحِيَّةِ فِي الْعَالَمِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالثَّقَلَيْنِ جَمِيعًا، كَأَنَّهُ قِيلَ: سَنَ<sup>(١)</sup> اللَّهُ التَّسْلِيمَ عَلَى نُوحٍ وَأَدَامَةَ فِي الْكُلِّ عَنْ آخِرِهِمْ.

\*\*\*

(٨٠) - ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ عَلَّلَ مَجَازَاتَهُ بِتِلْكَ التَّكْرِمَةِ<sup>(٢)</sup> السَّيِّئَةِ وَعَظَّمَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿كَذَلِكَ﴾؛ أي: مِثْلَ ذَلِكَ الْجِزَاءِ الْعَظِيمِ، وَهُوَ تَبْقِيَةُ ذِكْرِهِ، وَتَسْلِيمُ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ أَبَدًا بِإِحْسَانِهِ.

ثُمَّ عَلَّلَ إِحْسَانَهُ بِإِيْمَانِهِ، وَأَضَافَهُ إِلَى ذَاتِهِ تَعَالَى فِي زِمْرَةٍ<sup>(٣)</sup> خَوَاصُّهُ بِقَوْلِهِ:

(٨١) - ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

(١) فِي (ع) وَ(م) وَ(ي): «ثَبِتَ».

(٢) فِي (ع) وَ(ي): «بِتِلْكَ الْكِرَامَةِ»، وَفِي (م): «بِتَكْرِمَةٍ».

(٣) فِي (ع) وَ(م) وَ(ي): «زُبْدَةٌ».

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ لا اختصاصه به، كلُّ ذلك لجلالة قدر الإيمان وعلو شأنه، وأنه الغاية القصوى من صفات المدح والتَّعْظِيم؛ إذ جعله موجباً لكرامته واختصاصه مع كونه نبياً مختاراً؛ ترغيباً للعباد في الإيمان والازدياد فيه إلى الإيقان.

\*\*\*

(٨٢) - ﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ﴾ ثم أخبر تعالى أنه أغرق من لم يؤمن من قومه.

\*\*\*

(٨٣) - ﴿وَإِنِّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾.

﴿وَإِنِّ مِنْ شِيعَتِهِ﴾ ممن شايع نوحاً عليه السلام في التَّوْحِيد وأصول الدِّين. ﴿لَإِبْرَاهِيمَ﴾ ولا يقدح في ذلك اختلاف الشرائع فإنَّها تختلف بحسب اختلاف الأمم، وكان بينهما ألفان وست مئة وأربعون سنة، وما كان بينهما من الأنبياء إلا هود وصالح عليهما السلام.

\*\*\*

(٨٤) - ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ﴾ منصوب بتقدير (اذكر)، لا بما في الشيعة من معنى المشايعة؛ لأنَّ فيه الفصل بين العامل والمعمول بأجنبيٍّ، وهو قوله: ﴿لَإِبْرَاهِيمَ﴾، وأيضاً لام التَّأْكِيد تمنع أن يعمل ما قبلها فيما بعدها، لو قلت: إنَّ ضارباً لقادم علينا زيداً، لم يجز.

﴿يَقْلِبُ سَلِيمٍ﴾ مِنْ جَمِيعِ آفَاتِ الْقَلْبِ كَالشَّرْكَ وَالشَّكِّ وَالْغُلِّ وَالْغَشِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ،  
استعارَ المجيءَ به <sup>(١)</sup> للإخلاص والإعراضِ عمَّا سوى الحقِّ بالتَّوجُّهِ إليه.

\*\*\*

(٨٥) - ﴿إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ﴾ بدل من ﴿إِذْ جَاءَ﴾: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ سؤالٌ توبيخٍ.

\*\*\*

(٨٦) - ﴿أَيْفَكَاءَ إِلَهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾.

﴿أَيْفَكَاءَ إِلَهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ (إفكاً): مفعولٌ له؛ أي: أتريدون آلهةً إفكاً، قَدَّمَ  
المفعول - وهو ﴿ءَالِهَةٍ﴾ - للعناية؛ لأنَّ الإنكارَ متوجَّهٌ إليه، ثمَّ قَدَّمَ المفعولَ له  
عليه؛ لأنَّ الأهمَّ عنده أن يكافحهم <sup>(٢)</sup> بأنهم ليسوا على غرضٍ صحيحٍ، ويقرَّرَ عليهم  
أنَّهم على الباطل، ومبنى أمرهم على الإفك.

أو مفعول به، و﴿ءَالِهَةٍ﴾ بدل منه أو تفسيراً وبياناً للمبالغة، جعلتْ أنفسهم  
إفكاً، أو أريد <sup>(٣)</sup> عبادتهم على حذف المضاف؛ لدلالة ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ عليه.

أو حال بمعنى: أتريدون آلهةً مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفْكِينَ.

والإفك: أشنعُ الكذبِ وأفظعُه، وأصلُّه: قلبُ الشَّيءِ عن جهته <sup>(٤)</sup> التي هي له.

\*\*\*

(١) «به» من (م) و(ي) و(ع).

(٢) «يكافحهم» من (ي) و(ع)، وفي (م): «يكافئهم».

(٣) في (ف) و(ك): «وأريد»، والمثبت من باقي النسخ وهو الصواب.

(٤) في (م): «الجهة».

(٨٧) - ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: بَمَنْ هُوَ الْحَقِيقُ بِالْعِبَادَةِ لكونه رَبَّ الْعَالَمِينَ، حتى تركتم عبادته إلى عبادة غيره، وهو كالحِجَّةِ عَلَى مَا قَبْلَهُ<sup>(١)</sup>، ومعنى إنكار الظَّنِّ: أَنَّهُ لَا يُقَدَّرُ فِيهِمْ وَلَا ظَنٌّ مَا يَصُدُّ عَنْ عِبَادَتِهِ إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِهِ، فَضْلاً عَنِ الْقَطْعِ بِهِ.

أو: فما ظنكم به أَنَّهُ أَيُّ شَيْءٍ هُوَ حَتَّى جَعَلْتُمُ الْأَصْنَامَ لَهُ أُنْدَاداً؟!

أو: فما ظنكم به أَنَّهُ يَفْعَلُ بِكُمْ؛ أَي: هَلْ تَظُنُّونَ أَنَّهُ كَيْفَ يَعَاقِبُكُمْ عَلَى عِبَادَةِ غَيْرِهِ؟!

\*\*\*

(٨٨) - ﴿فَنظَرَنَّا فِي النَّجُومِ﴾.

﴿فَنظَرَنَّا فِي النَّجُومِ﴾: فِي أَوْصَافِهَا وَ<sup>(٢)</sup>أَوْضَاعِهَا وَاتِّصَالِهَا، أَوْ فِي كِتَابِهَا، أَوْ فِي عِلْمِهَا، يَوْمَهُمُ الْاِسْتِدْلَالَ عَلَى حَالِهِ، وَكَانُوا<sup>(٣)</sup> مَنْجَمِينَ.

\*\*\*

(٨٩) - ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾.

﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾: إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَصْحَبَهُمْ إِلَى عِيدِهِمْ، وَكَانَ أَغْلَبُ أَسْقَامِهِمُ الطَّاعُونَ، فَأَوْهَمَهُمُ السَّقَمُ فَهَرَبُوا مِنْهُ، عَلَى مَا دُلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ:

(١) فِي (ي): «فَعَلَهُ».

(٢) «أَوْصَافِهَا وَ» سَقَطَ مِنْ (م) وَ(ي) وَ(ع).

(٣) فِي (م) وَ(ي) وَ(ع): «فَكَانُوا».

﴿فَنَوَّلُوا عَنْهُ مُدِيرِينَ﴾ [الصفات: ٩٠]، فأعرضوا عنه مولين الأدبار مخافة العدو؛ لأنه مرض مُعِدِّ ففعل<sup>(١)</sup> بأصنامهم ما فعل.

وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ من معارضض<sup>(٢)</sup> الكلام وليس بكذب<sup>(٣)</sup>؛ [أي]<sup>(٤)</sup>: إني سقيم القلب لكفركم، أو: مشارفٌ للسقم؛ لأن من كان بصدد الموت كان مستعداً<sup>(٥)</sup> للسقم، ولا يخلو صحيح من ذلك، فلم يكن كاذباً فيما أظهر من الكلام، فلم يلحقه به شيء من الملام؛ إذ كان في نفسه قصد كسر الأصنام، فاحتال لإظهار الحق وإبطال الباطل، فكان عملاً مبروراً وسعيًا مشكوراً.

\*\*\*

(٩١) - ﴿فَرَاغَ إِلَى إِلَهِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿فَرَاغَ﴾ فذهب في خفية<sup>(٦)</sup>، من روعة الثعلب وأصله: الميل بحيلة. ﴿إِلَى إِلَهِهِمْ﴾ بناء على زعمهم؛ أي: إلى أصنامهم التي يزعمونها آلهة؛ كقوله تعالى: ﴿أَتَيْنَ شُرَكَاءِي﴾ [القصص: ٧٤]. ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؛ أي: الطعام الذي عندكم.

\*\*\*

(١) في (ف) و(ك): «بعدما فعل».

(٢) في (م): «معارض».

(٣) في (م): «بمكذب».

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) في (ع) و(م) و(ي): «مستعيراً».

(٦) في (ع): «خفته»، وفي (ي): «خيفة»، وفي (م): «حفية» وفوقها حرف (خ).

(٩٢) - ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطُقُونَ﴾.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطُقُونَ﴾ بجوابي، استهزاء وتهكم بها وبعبدتها، وإيماء إلى انحطاطها عنهم.

\*\*\*

(٩٣) - ﴿فَرَّاعَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بَالِيَمِينَ﴾.

﴿فَرَّاعَ عَلَيْهِمْ﴾ فأقبل عليهم مستخفياً ﴿ضَرْبًا﴾ نصب على الحال بمعنى: ضارباً، أو على المصدر من فعلٍ مقدَّر هو حالٌ؛ أي: فراغ عليهم يضربهم ضرباً<sup>(١)</sup>، أو من (راغ) لأنه في معنى: ضرب، كأنه قيل: فضربهم مُقبلاً عليهم ضرباً.

وتقييده ﴿بَالِيَمِينَ﴾ للدلالة على قوته، فإن قوة الآلة تستدعي قوة الفعل.

وقيل: معناه: بسبب الحلف، وهو قوله: ﴿وَتَأَلَّه لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمُ﴾.

\*\*\*

(٩٤) - ﴿فَاقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُُونَ﴾.

﴿فَاقْبَلُوا إِلَيْهِ﴾ أي: إلى إبراهيم عليه السلام.

﴿يَرْفُُونَ﴾: يسرعون، من زفيف النعام.

وقرئ: ﴿يُزْفُونَ﴾<sup>(٢)</sup> من أَرْفَ: إذا دخل في الزَّفِيف، أو من أَرْفَه: إذا حمّله على الزَّفِيف؛ أي: يُزِفُ بعضهم بعضاً.

و: (يُزْفُونَ) على البناء للمفعول؛ أي: يُحْمَلُونَ على الزَّفِيف.

(١) في (م): «بضربهم ضرباً»، وسقطت «ضرباً» من (ف) و(ك).

(٢) قراءة حمزة. انظر: «التيسير» (ص: ١٨٦).

و: (يَزْفُون) من وَزَفَ يَزِفُ: إذا أَسْرَعَ.

و: (يَزْفُون) من زَفَاه: إذا حَدَاه؛ كَأَن بَعْضَهُمْ يَزْفُون بَعْضًا لِّتَسَارُعِهِمْ إِلَيْهِ<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(٩٥) - ﴿قَالَ اتَّبِعُونِ مَا نُنْجِيكُمْ﴾.

﴿قَالَ﴾ إبراهيم عليه السلام بعد محاورات كانت بينهم ذكرها في سورة الأنبياء.

﴿اتَّبِعُونِ مَا نُنْجِيكُمْ﴾ نَحْتُ الخَشَبَةِ: بَرِّيْهَا، يَقُول: أَتَعْبُدُونَ أَصْنَامًا تَعْمَلُونَهَا أَنْتُمْ.

\*\*\*

(٩٦) - ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾: وَخَلَقَ مَا تَعْمَلُونَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ، فَإِنَّ جَوَاهِرَهَا بِخَلْقِهِ، وَأَشْكَالُهَا وَإِنْ كَانَتْ بِنَحْتِهِمْ - وَلِذَلِكَ نَسَبَ إِلَيْهِمْ عَمَلَهَا - فَإِنَّهَا بِإِقْدَارِهِ تَعَالَى إِيَّاهُمْ عَلَيْهَا، وَخَلَقَهُ<sup>(٢)</sup> مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ أَعْمَالُهُم مِنَ الْآلَاتِ وَالْجَوَارِحِ وَالِدَوَاعِي.

\*\*\*

(٩٧) - ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾.

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾: فِي النَّارِ الشَّدِيدَةِ الْوُقُودِ، مِنَ الْجَحْمَةِ وَهِيَ شِدَّةُ التَّأَجُّجِ.

(١) جميع هذه القراءات مع توجيهها منقول من «الكشاف» (٤/ ٥٠).

(٢) في (ف) و(ك): «وخلق».

(٩٨) - ﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾.

﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ صنعوا لإهلاكه حظيرة مملوءة بالنار وَمَنْجَنِقًا لرميه إليها من بعيد؛ لأن شدة حرّها كانت مانعة عن الحضور عندها، فلذلك عبّر عنه بالكيد المشتمل على نوع من الحيلة.

﴿جَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ لَمَّا غلبهم بالحجة أرادوا أن يهلكوه كيلاً يظهر للعامة عجزهم، فأبطل الله تعالى كيدهم وجعلهم الْأَذْلَى الْأَسْفَلِينَ، وصار كيدهم حجة أخرى له عليه السلام، ومعجزة أخرى<sup>(١)</sup> بالتصديق<sup>(٢)</sup> بأنه من عند الله تعالى.

والمراد من المعجزة في أمثال هذا المقام: الأمر الخارق للعادة مطلقاً، لا مصطلح أهل الكلام.

\*\*\*

(٩٩) - ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾: مهاجر<sup>(٣)</sup> إلى حيث يأمرني ربي وهو الشام، أو حيث أتجرد فيه للعبادة له تعالى.

﴿سَيِّدِينَ﴾: سيرشدني إلى ما فيه صلاحي واستقامة أمر ديني، وإنما بت القول

(١) «له عليه السلام ومعجزة أخرى»، سقطت من (ف) و(ك). ولعل الصواب والأنسب: (ومعجزة أخرى) بالحاء.

(٢) في (ع): «للتصديق».

(٣) في (ف) و(ك): «مهاجراً».

لأن الله تعالى وعده الهداية، فبنى الأمر على وعده لقوة يقينه، أو بناءً<sup>(١)</sup> على عادة الله تعالى معه<sup>(٢)</sup> في هدايته وإرشاده؛ لقوة توكله وتفويضه الأمر إليه تعالى، ولم يبنه على الرجاء كما بنى موسى حيث قال: ﴿عَسَى رِفَتْ أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢]؛ لأنه كان في أمر الدنيا لا في أمر الدين، فلا دلالة فيه على قصور موسى عليه السلام في ذلك الباب، والله أعلم بالصواب.

\*\*\*

(١٠٠) - ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾؛ أي: بعض الصالحين أستاذس به في الغربة، وتفرج به عني الكربة، أراد به الولد؛ لأن الهبة غالباً فيه وإن جاءت في الأخ أيضاً كما في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٣]، على أن الموهوب فيه نبوة هارون لا نفسه عليه السلام، وأما البشارة بالغلام فلا تدل على إرادة الولد بخصوصه.

\*\*\*

(١٠١) - ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾.

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ الفاء لترتبه على ﴿هَبْ لِي﴾ كقوله تعالى: ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ [الأنبياء: ٧٦]، ولا كلمة أقل لفظاً وأكثر معنى من هذه؛ لاحتوائها على البشارة، وأنه ذكر، وأنه يبلغ<sup>(٣)</sup> أو أن الحليم<sup>(٤)</sup>.....

(١) في (م): «بناء».

(٢) في (ي): «منه»، وليست في (ف) و(ك).

(٣) في (م): «بليغ».

(٤) قوله: «يلغ أو أن الحليم» بضم فسكون؛ أي: البلوغ بالسن المعروف، فإنه لازم لوصفه بالحليم؛ لأنه =

- لا لأن غير البالغ لا يوصف بالحلم، بل لأن الغلام من طَرَّ شاربه - وبأنه يكون حليماً.

وقيل: ما نعت الله تعالى الأنبياء عليهم السلام بأقل مما نعتهم بالحلم لعزة وجوده، وما نعت به<sup>(١)</sup> إلا إبراهيم وابنه عليهما السلام.

\*\*\*

(١٠٢) - ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَتَأَبَّاتٍ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝﴾.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ﴾ متعلق بـ ﴿بَلَغَ﴾؛ أي: بلغ السعي مقارناً له، وذلك لا يقتضي بلوغهما معاً حدَّ السعي كما لم يقتضِ<sup>(٢)</sup> قول بلقيس: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ [النمل: ٤٤] أن يكون إسلامهما معاً، وفي الحديث: «كُنَّا نَحِيضُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ» تمامه في «صحيح البخاري»<sup>(٣)</sup>.

ويجوز أن يتعلق بـ ﴿السَّعَىٰ﴾ فإن معمول المصدر إذا كان ظرفاً أو شبهه يجوز تقديمه عليه؛ لأن الظرف مما يكفيه رائحة من الفعل، فلا حاجة في العمل فيه إلى تأويل المصدر مع الفعل، على أنه ليس كلُّ مؤوَلٍ بشيء حكمه حكم ما أوَّل به.

= لازم لذلك السن بحسب العادة، إذ قلما يوجد في الصبيان سعة صدر وحسن صبر وإغضاء في كل أمر. انظر: «حاشية الشهاب» (٢٧٩/٧).

(١) في (م): «وما نعت الله».

(٢) في (م) زيادة: «بلقيس أي».

(٣) رواه البخاري (٣٢١) من حديث عائشة رضي الله عنها. وجاء في هامش (ع) و(م) و(ي): «وفي حديث آخر: قتل معك في أحد، تمامه مذكور في بنات الصلب في شرح الفرائض».

والمراد باختصاص الأب بالسعي معه: بيانُ صغر سنِّه؛ أي: لم يبلغ أن يسعى في الحوائج إلا مع أبيه لا مع غيره؛ لأن أباه أرفق الناس به وأعطفهم عليه، لا يكلفه إلا ما سهل عليه، وغيره ربما عَنَّف به في الاستسعاء فلا يحتمله؛ لأنه لم تستحكم قوته، ولم يصلب عودُه.

وفائدة ذلك البيان: إظهارُ أنه مع حداثة سنِّه وغمضة غصنه<sup>(١)</sup>، بلغ مبلغاً من رصانة الحِلْم<sup>(٢)</sup> وكبر النفس<sup>(٣)</sup> وفسحة الصدر ما سهَّل عليه احتمال تلك البليَّة العظيمة، ويسر له الإجابة بذلك الجواب الحكيم.

﴿كَالْيَبْنَىِ إِيَّيَّ ارَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾؛ أي: بأمرٍ من الله تعالى، ويدلُّ عليه قوله: ﴿أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ وذلك أن رؤيا الأنبياء وحيٌّ كما في اليقظة، وإنما لم يقل: رأيت؛ لأنه رأى مرةً بعد أخرى، والأمر به إنما كان في المنام دون اليقظة؛ لتكون مبادرته عليه السلام إلى الامتثال أدل على كمال الانقياد والإخلاص.

﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ من الرأي، وإنما قال على وجه المشاورة - مع أنه حتمٌ من الله تعالى عليه - ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله تعالى، فيثبت قدمه ويصبره إن جزع، ويأمن عليه الزَّلَل إن صبر، وليوطن نفسه عليه، ويتلقى البلاء مستأنساً به، ويكتسب المثوبة بالانقياد لأمر الله تعالى.

وقرئ: ﴿مَاذَا تُرَىٰ﴾ من الإراءة<sup>(٤)</sup>؛ أي: ماذا تبصر من رأيك وتبديه.

(١) في (م): «عصبه»، وسقطت من (ع) و(ي).

(٢) في (م): «الحكم».

(٣) في (ف) و(ك): «السن».

(٤) قراءة حمزة والكسائي. انظر: «التيسير» (ص: ١٨٦ - ١٨٧).

و: (ماذا تُرى) على البناء للمفعول<sup>(١)</sup>؛ أي: ماذا تُريك نفسك من الرأي.  
﴿قَالَ يَبْتَ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾؛ أي: ما تُؤمَرُه، حذفه وهو منصوب، وأصله: ما تأمر به، فحذف الجار كما حذف من قوله:

أمرُكَ الخيرَ فافْعَلْ ما أُمرتَ به<sup>(٢)</sup>

وأتصل الضمير منصوباً فجاز حذفه.

أو: أَمَرَكَ، على إضافة المصدر إلى المفعول وتسمية المأمور به أمراً.  
وقرئ: (ما تؤمر به) على الأصل<sup>(٣)</sup>.

﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ على الذبح، أو على ما قضى الله به.

\*\*\*

(١٠٣) - ﴿فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَلَهُ لَلْجَبِينُ﴾.

﴿فَلَمَّا أَسْلَمُوا﴾ يقال: سَلَّمَ لأمر الله وأَسْلَمَ واستَسَلَّمَ بمعنى واحد: إذا انقاد له وخضع، وقد قرئ بهنَّ جميعاً<sup>(٤)</sup>، وأصلها من قولك: سَلِمَ هذا لفلان: إذا خَلَصَ له، ومعناه: سَلِمَ من أن يَنَارَعَ فيه، وقولهم<sup>(٥)</sup>: سَلَّمَ لأمر الله وأَسْلَمَ له منقولان منه،

(١) نسبت للأعمش والضحاك. انظر: «المحتسب» (٢/ ٢٢٢).

(٢) صدر بيت في «الكتاب» (١/ ٣٧)، و«خزانة الأدب» (١/ ٣٣١)، واختلف في نسبه، قال البغدادي: نسب لعمرو بن معدي كرب، وللعباس بن مرداس، ولزرعة بن السائب، ولخفاف بن ندبة. وعجزه:

فقد تركتُك ذا مالٍ وذا نَشَبٍ

(٣) انظر: «الكشاف» (٤/ ٥٤).

(٤) انظر الثلاثة في «الكشاف» (٤/ ٥٥).

(٥) في (م): «فقولهم».

وحقيقة معناهما: أَخْلَصَ نَفْسَهُ لله وجعلها سالمة له خالصة، وكذلك معنى استسلم: اسْتَخْلَصَ نَفْسَهُ لله.

وعن قتادة في ﴿أَسْلَمًا﴾ أسلم هذا ابنه وهذا نفسه<sup>(١)</sup>.

﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾: صرعه على شقه فوقه<sup>(٢)</sup> أحدُ جبينه<sup>(٣)</sup> على الأرض تواضعاً على مباشرة الأمر بصبرٍ وجلد، ليُرْضِيَ الرحمن ويُخْزِي الشيطان.

وروي أن ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى.

وقيل: في الموضع المشرف على مسجد منى.

وقيل: في المنحر الذي يُنحر فيه اليوم.

\*\*\*

(١٠٤) - ﴿وَنَدَيْنَهُ أَنْ يَتَّيِّرْهُمْ﴾.

﴿وَنَدَيْنَهُ أَنْ يَتَّيِّرْهُمْ﴾ في إثارة النداء على القول إشعاراً بتمثيل حاله بحالٍ مَنْ يحتاج في خطابه إلى رفع الصوت وإن كان الخطاب عن قريب؛ زجرأله<sup>(٤)</sup> عما أقبل عليه وتوغل فيه.

\*\*\*

(١) انظر: «الكشاف» (٤/ ٥٥).

(٢) في (م): «فوضع»، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في «الكشاف» (٤/ ٥٥)، و«تفسير البياضوي» (١٥/ ٥) و«تفسير أبي السعود» (٧/ ٢٠١)، و«روح المعاني» (٢٣/ ١٣٩).

(٣) في (ف) و(ك): «شقيه»، وفي باقي النسخ: «جنيه»، والمثبت من «الكشاف»، وهو الصواب؛ ويؤيده عبارة البياضوي وأبي السعود والألوسي: فوق جبينه على الأرض وهو أحد جانبي الجبهة.

(٤) «له» ليست في (ف) و(ك).

(١٠٥) - ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا﴾ بصدق العزيمة والإتيان بما في وسعه من المقدمات؛ إذ<sup>(١)</sup> روي أنه أمر السكين بقوته على حلقه فلم تقطع.

وجواب (لَمَّا) محذوف تقديره: كان ما كان مما تنطق به الحال ولا تسعه العبارة<sup>(٢)</sup> والمقال، من استبشارهما، واعتباطهما، وحمدهما لله<sup>(٣)</sup> تعالى، وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء بعد حلوله، وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين النفس عليه من الثواب والرضوان والكرامة عند الله، والفوز بالدين<sup>(٤)</sup> الذي ليس وراءه مطلوب.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ تعليلٌ لتحويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغيّة بعد اليأس.

\*\*\*

(١٠٦) - ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَّ الْبَالُتُوا الْمُنِينُ﴾.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَّ الْبَالُتُوا الْمُنِينُ﴾: الاختبار البين الذي يتميز<sup>(٥)</sup> فيه المخلصون عن غيرهم، أو: المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة أصعب منها، وإنما قال:

(١٠٧) - ﴿وَقَدَيْتُهُ بِذَنْجٍ عَظِيمٍ﴾.

(١) في (م): «و».

(٢) في (ع) و(م) و(ي): «ولا يحيط به الوصف».

(٣) في (م): «الله».

(٤) «بالدين» ليست في (ف) و(ك).

(٥) في (ف) و(ك): «يتين».

﴿وَقَدَّيْتُهُ﴾ والفادي بالحقيقة هو إبراهيم عليه السلام، والله تعالى هو المفتدي منه؛ لأنه تعالى هو الذي وهب له الكبش، فكان هو الممكن من الفداء بهبته، فأُسند إلى نفسه إسناداً إلى المسبب مجازاً.

﴿يَذْبَح﴾ الذَّبْح: اسم ما يذبح.

﴿عَظِيمٍ﴾: عظيم الجثة سمين، وهي السَّنة<sup>(١)</sup> في الأضاحي.

وقيل: عظيم القدر؛ لأنه كان فداءً لنبي<sup>(٢)</sup> من أنبياء الله، وهو إسماعيل في قول أبي بكر وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وجماعة من التابعين، وإسحاق عليه السلام فيما روي عن عليّ وابن مسعود والعباس رضي الله عنه وجماعة من التابعين.

والأول أظهر:

لأنه الذي وهب له إثر الهجرة.

ولأن البشارة بإسحاق معطوفٌ على البشارة بهذا الغلام.

ولقوله عليه السلام: «أنا ابنُ الذبيحين»<sup>(٣)</sup> فأحدهما جدُّه إسماعيل عليه

(١) في (ع) و(م) و(ي): «سنة».

(٢) في (ع) و(م) و(ي): «نبي».

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، وروى الطبري في «تفسيره» (٥٩٧/١٩) عن الضَّابَّحي قال: كنا عند معاوية ابن أبي سفيان، فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق، فقال: على الخير سقطتم: كنا عند رسول الله ﷺ فجاءه رجل فقال: يا رسول الله، عُدَّ عليّ مما أفاء الله عليك يا ابنِ الذبيحين؛ فضحك عليه الصلاة والسلام؛ فقلنا له: يا أمير المؤمنين، وما الذبيحان؟ فقال: إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر الله لئن سَهَّلَ عليه أمرها... الخبر. قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: هذا حديث غريب جداً.

السلام، والآخرُ أبوه عبدُ الله، فإن عبد المطلب نذر أن يذبح ولدًا إن سهَّل الله تعالى حفرَ زمزم أو بلغ بنوه عشرًا، فلمَّا سهَّل خرج السهم على عبد الله، ففداه من الإبل. ولأنَّ ذلك كان بمكة.

ولأنَّ قرني الكباش كانا معلقين بالكعبة في يد أسباطِ إسماعيل عليه السلام حتى احترق البيت.

ولأنَّ البشارة بإسحاق عليه السلام كانت مقرونةً بالإخبار عن ولادة يعقوب عليه السلام منه، فلا يناسبها الأمرُ بذبحه مراهقًا.

وأما ما روي عنه عليه السلام<sup>(١)</sup> أنه إسحاقُ عليه السلام فأخبارُ لم تثبت صحتها.

\*\*\*

(١٠٨ - ١٠٩) - ﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (١٠٨) سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿

﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ثناءً حسنًا، ولا وقف عليه لأن: ﴿سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ مفعولٌ ﴿تَرَكْنَا﴾.

\*\*\*

(١١٠) - ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لم يذكر هاهنا ﴿إِنَّا﴾ مع ذكرها في<sup>(٢)</sup> أو آخر القصص كلها؛ لأنه قد<sup>(٣)</sup> سبق فيها مرة فاكتمى به إيجازاً.

(١) «عنه عليه السلام» ليست في (ف) و(ك).

(٢) «في» ليست في (ف) و(ك).

(٣) في (م): «فيما».

(١١١) - ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ قد سبق بيانه في هذه السورة.

\*\*\*

(١١٢) - ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ حالان مقدَّران<sup>(١)</sup> كقوله تعالى: ﴿فَادْخُلُوهَا حَلِيلِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]؛ أي: بشرناه بإسحاق عليه السلام مقدراً كونه نبياً مقضياً<sup>(٢)</sup> كونه من الصالحين، ولا حاجة إلى تقدير مضافٍ كما قيل، فإن تقدير الحال لا يُوجب وجودَ ذي الحال بل تقدير وجوده.

وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأنه.

\*\*\*

(١١٣) - ﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾.

﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾: على إبراهيم عليه السلام ﴿وَعَلَىٰ إِسْحَقَ﴾ بأن أخرجنا من نسلهما أنبياء، وأفضنا عليهما بركات الدين والدنيا.

وتكرير الجار<sup>(٣)</sup>، وإظهار ﴿إِسْحَقَ﴾ عليه السلام؛ للإشعار بأن التبريك عليه بالأصالة والاستقلال لا بالتبعية؛ لكونه نبياً وأباً لأنبياء بني إسرائيل عليهم السلام، وغيرهم كأيوب وشعيب.

(١) في (ف) و(ك): «مقدرتان».

(٢) في (م): «مقتضياً».

(٣) في (ف) و(ك): «الحال».

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ في عمله بالإيمان والطاعة.

﴿وظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ بالكفر والمعصية.

﴿مُيَبِّتٌ﴾: ظاهرٌ ظلمه، وفيه تنبيه على أن النسب لا يؤثر في الهدى والضلال، وأن الظلم في الأعقاب لا يعود<sup>(١)</sup> بعيب ولا نقیصة على الأسلاف، وأن المدح والذم إنما يترتبان على كسب المرء، وحُسنِ عمله وقُبْحه، وصلاحه وفساده في نفسه، لا على عمل الأصول والفروع.

وأما أنه لا تأثير للعرق الطيب والخبيث أصلاً حتى يلزم أن ينهدم أمر<sup>(٢)</sup> الطبائع والعناصر بالكلية<sup>(٣)</sup>، فينافي ما هو الظاهر من قوله تعالى: ﴿عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْعٌ﴾ [الفلم: ١٣] ومن قوله عليه السلام: «لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده»<sup>(٤)</sup> بعد ذلك من أن النطفة إذا خبثت خبث الناشئ منها فلا دلالة فيما ذكر عليه<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(١) في (ف) و(ك): «في أعقابهما لا يعود إليهما».

(٢) «أمر» ليس في (ف) و(ك).

(٣) «بالكلية» ليس في (ف) و(ك).

(٤) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢٤٩/٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي إسناده أبو إسرائيل الملائي وهو ضعيف، وروي بنحوه من طرق أخرى أهلها جميعاً ابن عراق ثم قال: وأيضاً فهو مُخالف لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُزْوَاجُهُ وَزَرَأَتُهُ﴾ [الأنعام: ١٦٤] ولقوله: «ولد الزنا ليس عليه من إثم أبويه شيء»، أخرجه الطبراني من حديث عائشة، قال السخاوي: وسنده جيد، والله أعلم. انظر: «تنزيه الشريعة» (٢/٢٢٨).

(٥) في (ف) و(ك): «فيه».

(١١٤) - ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا﴾: أنعمنا ﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ بالنبوة وغيرها من المنافع الدنيئة والدنيوية.

\*\*\*

(١١٥) - ﴿وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ من استعلاء<sup>(١)</sup> فرعون وقومه وظلمهم، أو من الغرق.

\*\*\*

(١١٦) - ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾.

﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ الضمير لهما مع القوم ﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ على فرعون وقومه.

\*\*\*

(١١٧) - ﴿وَأَيَّدْنَاهُمَا بِالْكِتَابِ الْمُسْتَيِّنِ﴾.

﴿وَأَيَّدْنَاهُمَا بِالْكِتَابِ الْمُسْتَيِّنِ﴾: البليغ في بيانه، وهو التوراة.

\*\*\*

(١١٨) - ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: الطريق الموصل إلى الحق.

\*\*\*

(١) في (ف) و(ك): «استيلاء».

(١١٩) - ﴿وَتَرْكُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ (١١٩) سَلَّمْ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

﴿وَتَرْكُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ (١١٩) سَلَّمْ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ مَرَّ تَفْسِيرُهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ.

\*\*\*

(١٢٣) - ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ قيل: إِنَّ إِلْيَاسَ كَانَ إِدْرِيسَ، رُفِعَ قَبْلَ الطُّوفَانِ إِلَى السَّمَاءِ وَنَزَلَ بَعْدَهُ بَيْعَلْبُكَّ، وَيَعْبُضُهُ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ: (وَإِنَّ إِدْرِيسَ) فِي مَوْضِعٍ ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾<sup>(١)</sup>، وَقَرَأَ: (إِدْرِاسِينَ)<sup>(٢)</sup>.

وَقِيلَ: هُوَ إِلْيَاسُ بْنُ يَاسِينَ مِنْ سَبْطِ<sup>(٣)</sup> هَارُونَ أَخِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

\*\*\*

(١٢٤) - ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَأَنْتُمْ قَوْمٌ﴾

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَأَنْتُمْ قَوْمٌ﴾: أَلَا تَخَافُونَ اللَّهَ تَعَالَى.

\*\*\*

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٨).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٨). ووقع في (ف) و(ك) و(ع) و(م): «إدراش»،

وقرئ بها أيضا. انظر: «المحتسب» (٢/ ٢٢٤).

(٣) في (ك): «سبطه»، وفي (ي) و(ع): «سبط».

(١٢٥) - ﴿أَنْدَعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾.

﴿أَنْدَعُونَ بَعْلًا﴾: أتعبدونه. وهو عَلَمٌ صنمٌ كان لهم<sup>(١)</sup> يعظمونه غاية التعظيم، وأخدموه أربع مئة سادنٍ، يتلقون شرائع الضلالات من الشَّيْطَانِ، ويقولون: إِنَّ بَعْلًا أمر بكذا، ونهى عن كذا.

وكان اسمُ مدينتهم: بَكٌّ، وهو من بلاد الشَّام، فُسِّبَتْ إليه ورُكِبَ اسمُها باسمه، وُسِّمَتْ: بَعْلَبَكُّ.

وقيل: البَعْلُ: الرَّبُّ بلغة اليمن، يُقال: مَنْ بَعْلُ هذه الدَّار؟ أي: مَنْ رَبُّهَا؟ والمعنى: أتعبدون بعض البعول.

﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾ تتركون عبادة الله تعالى، لم<sup>(٢)</sup> يقل: وتَدَعُونَ، مع ما فيه من صنعة التَّجْنِيسِ، لا لَأَنَّهُ مذمومٌ، فإنه إذا كان براءً عن التَّصْنَعِ<sup>(٣)</sup> يكون ممدوحاً، واقعاً في كلام الله وكلام الرِّسُولِ عليه السلام، بل لَأَنَّهُ في (دع) أمراً زائداً على التَّركِ لا يناسبُ المقامَ، وهو معنى الحفظ، ومنه: الودعية.

\*\*\*

(١٢٦) - ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾.

(١) «كان لهم» زيادة من (م) و(ي) و(ع).

(٢) في (م): «ولم».

(٣) في (ف) و(م): «الصنع».

﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ رَبَّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ﴾ قرئ بالرفع على الابتداء، وبالنصب على البدل<sup>(١)</sup>، وكان حمزة إذا وصل نصب وإذا وقف رفع<sup>(٢)</sup>.

(١٢٧) - ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾؛ أي: في العذاب، وإنما أطلقه اكتفاءً بالقرينة، أو لاختصاص الإحضار المطلق بالشر عرفاً.

\*\*\*

(١٢٨) - ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ استثناء من واو ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾، أو من (المحضرين)، ولا فساد فيه؛ لأن استثناءهم من القوم المحضرين لعدم تكذيبهم، على ما دل عليه التوصيف بـ ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾، لا من المكذبين، فمال المعنى واحد<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١٢٩ - ١٣٢) - ﴿وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي

الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾.

﴿وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ \* سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ

(١) قرأ حفص وحمزة والكسائي بالنصب، وباقي السبعة بالرفع. انظر: «التيسير» (ص: ١٧٨).

(٢) انظر: «الكشاف» (٤ / ٦٠)، وعنه الرازي (٢٦ / ١٦٢)، والقرطبي (١٨ / ٨٨)، و«البحر المحيط» (١٨ / ٢٠٧).

(٣) ورد بأن ضمير محضرين للقوم كضمير كذبوا. انظر: «روح المعاني» (٢٣ / ١٦٤).

إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾: لغة في إلياس، وقرئ: ﴿عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ﴾ بالوصل (٢)، على أنه جمعٌ يرادُ به إلياس وقومه، كقولهم: الخُبِيُّونَ والمُهَلَّبُونَ.

ولا يجوز حملُه على الجمع إذا قرئ بالقطع؛ إذ لا بُدَّ للجمع من التعريف بالألف واللام.

وأما قراءة: ﴿آلِ يَاسِينَ﴾ فعلى أن ﴿يَاسِينَ﴾ اسم أبي إلياس، أضيف إليه الآل.

\*\*\*

(١٣٢ - ١٣٦) - ﴿وَإِنَّ لَوْلَا لَيْلَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٢﴾ إِذْ بَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٦﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ لَوْلَا لَيْلَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٢﴾ إِذْ بَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٦﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾ سبق بيانه.

\*\*\*

(١٣٧) - ﴿وَإِنَّا لَنَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ﴾.

﴿وَإِنَّا لَنَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ﴾ في متاجرهم إلى الشام؛ فإنَّ سدوم في طريقه.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: على منازلهم ﴿مُصْبِحِينَ﴾: داخلين في الصُّبْحِ.

\*\*\*

(١) ﴿إِنَّا كُنَّا لَنَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ زيادة من (م).

(٢) قرأ نافع وابن عامر: ﴿عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ﴾ منفصلاً، مثل آل محمد، والباقون بكسر الهمزة وإسكان اللام متصلاً. انظر: «التيسير» (ص: ١٧٨).

(١٣٨) - ﴿وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَبِالْأَيْلِ﴾؛ أي: مساءً؛ أي: يتكررُ مرورهم عليها بالليل والنهار، وهو الدَّاعي إلى الاعتبار.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أبعدَ هذه المعايينة ما لكم عقولٌ تعتبرون بها.

\*\*\*

(١٣٩) - ﴿وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ قرئ: (يونس) عليه السلام بضمّ النون وكسره<sup>(١)</sup>.

(١٤٠) - ﴿إِذَا بَقِيَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونُ﴾.

﴿إِذَا بَقِيَ إِلَى الْفُلْكِ﴾ الإباق: فرارُ العبد إلى حيث لا يهتدي إليه طالبه<sup>(٢)</sup>.

وكانَ يونسُ عليه السلام هربَ من قومِهِ بغيرِ إِذْنِ رَبِّهِ إلى حيث طلبوه ولم يجدوه، على ما مرَّ في تفسير سورة يونس، فاستعير الإباق<sup>(٣)</sup> لهربه باعتبار هذا القيد، لا باعتبار القيد الأوّل فقط<sup>(٤)</sup>.

﴿الْمَشْحُونُ﴾: المملوء.

\*\*\*

(١) بالضم قراءة الجمهور، ونسبت القراءة بكسر النون للحسن. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٥٠).

وهي رواية ابن جماز عن نافع. انظر: «المحرر الوجيز» (٢/ ١٣٦).

(٢) في (ف) و(ك): «صاحبه».

(٣) في (م): «الآبق».

(٤) «فقط» زيادة من (م) و(ي) و(ع).

(١٤١) - ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾.

﴿فَسَاهَمَ﴾؛ أي: قارع أهل الفُلْكِ بإلقاء السَّهام.

﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾؛ أي: من المَغْلُوبِينَ، وحقيقته: من المُزْلَقِينَ؛ أي: عن مقام الظفر في الإسهام.

رُوي أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا وُعِدَ بِعَذَابِ قَوْمِهِ خَرَجَ مِنْ بَيْنِهِمْ هَارِباً قَبْلَ أَنْ يَأْمُرَهُ <sup>(١)</sup> اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، فَرَكِبَ فِي السَّفِينَةِ فَوَقَفَتْ، فَقَالُوا: هَاهُنَا أَبَقَ، وَفِيمَا يَزْعَمُ الْبَحَارُونَ <sup>(٢)</sup> أَنَّ السَّفِينَةَ إِذَا كَانَ فِيهَا أَبَقٌ لَمْ تَجْرِ <sup>(٣)</sup>، فَاقْتَرَعُوا فَخَرَجَتِ الْقَرَعَةُ عَلَى يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: أَنَا الْآبَقُ وَزَجَّ نَفْسَهُ.

(١٤٢) - ﴿فَالْتَقَمَهُ الْخُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾.

﴿فَالْتَقَمَهُ الْخُوتُ﴾: ابتلعه، ومنه اللُقْمَةُ.

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ داخلٌ في الملامة، وآتٍ بما يُلام عليه، أو: مُلِيمٌ نَفْسِهِ، وَاللَّوْمُ: الْعَتَبُ.

وَقُرئَ بِالْفَتْحِ مِنْ لَيْمٍ <sup>(٤)</sup>، كَمَا جَاءَ مَشِيْبٌ فِي مَشُوبٍ.

\*\*\*

(١) في (م) و(ي) و(ع): «يأمر».

(٢) في (ف) و(ك): «التجار»، وفي (ي): «التجارون».

(٣) في (ي) و(ع): «تجز».

(٤) انظر: «الكشاف» (٤ / ٦١). وشرحه: أنه لما قلبت الواو ياء في المجهول جعل كالأصل فحمل الوصف عليه. انظر: «روح المعاني» (٢٣ / ١٦٩).

(١٤٣) - ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾.

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾: مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ  
مُدَّةَ عَمْرِهِ.

وقيل: فِي بطن الحوت، وهو قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ  
الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].  
وقيل: مِنَ المصليين.

\*\*\*

(١٤٤) - ﴿لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

﴿لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ عبارة اللَّبْثِ دَلَّتْ عَلَى الْحَيَاةِ، فالمعنى: لَكَانَ  
مَحْبُوساً فِي بطن الحوت إِلَى يوم الْقِيَامَةِ.

وَيُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ لَا يَعْمُ الْهَلَاكُ عِنْدَ النَّفْخَةِ الْأُولَى الْحَيَوَانَاتِ الْبَحْرِيَّةَ.  
وَفِيهِ حَثٌّ عَلَى إِكْثَارِ الذِّكْرِ، وَتَنْبِيهُ عَلَى أَنَّ مَنْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ تَعَالَى فِي السَّرَّاءِ أَخَذَ  
بِيَدِهِ عِنْدَ الضَّرَّاءِ.

وَاخْتَلَفَ فِي مُدَّةِ لَبْثِهِ فِي بطن الحوت، وَلَا طَائِلَ تَحْتَ ذِكْرِهِ.

\*\*\*

(١٤٥) - ﴿فَبَدَّنَتْهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾.

﴿فَبَدَّنَتْهُ﴾ بِأَنْ حَمَلْنَا الْحَوْتَ عَلَى لَفْظِهِ.

﴿بِالْعَرَاءِ﴾: بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر ونجم<sup>(١)</sup>.

وما روي أنَّ الحوتَ سارَ مع السفينة رافعاً رأسه يتنفس فيه يونس عليه السلام،  
ويسبح حتى انتهوا إلى البرِّ، فلفظه مردودٌ بقوله تعالى: ﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ على  
ما مرَّ بيانه<sup>(٢)</sup> في سورة الأنبياء عليهم السلام.

﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾: مُعْتَلٌّ بما حلَّ به، ورُوي أنَّ بدنه عادَ كبَدَن الصَّبِيِّ حين يُولَدُ.

\*\*\*

(١٤٦) - ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾.

﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ﴾؛ أي: فوقه مُظْلَةٌ ﴿شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾ اليقطينُ: ما ينبسطُ على  
وجه الأرض من الشجر ولا يقوم على ساقٍ، كشجرة<sup>(٣)</sup> الدُّبَاءِ والبطيخ والقثاء  
والحنظل، وهو يَفْعِلُ مِّن قَطَنَ بالمكان: إذا قام به.

والأكثر على أنها كانت الدُّبَاءُ، وفائدة الدُّبَاءِ: أنَّ الدُّبَابَ ينفرُ منها، وهي أسرع  
الأشجار نباتاً وامتداداً وارتفاعاً، ويدلُّ عليه أنه قيل لرسول الله ﷺ: إِنَّكَ لَتَحَبُّ  
القرع؟ قال: «أجل هي شجرة أخي يونس»<sup>(٤)</sup>.

(١) «ونجم» زيادة من (م) و(ي) و(ع). والنجم من النبات: ما نجم من غير ساق.

(٢) «بيانه» سقط من (م).

(٣) في (م): «كشجر».

(٤) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤ / ٦٢). وقال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٤١): لم  
نقف عليه مسنداً.

وفي البخاري (٢٠٩٢)، ومسلم (٢٠٤١) من حديث أنس رضي الله عنه، وكذا في السنن بالفاظ  
مختلفة أنه ﷺ كان يحبُّ القرع ويتبع الدُّبَاءَ.

(١٤٧) - ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾.

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ﴾ هو إمّا الإرسال إلى قومٍ آخر، وإمّا إرسال ثانٍ إلى قومه الذين خرج من بينهم، وجُوِّزَ أن يكون المراد الإرسال السابق؛ لأنّ الواو لا تدلّ على التّرتيب، ويأباه الفاء في قوله: ﴿فَتَأْمَنُوا﴾ لأنّها تدلّ على التّعقيب بلا مهلة.

﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ باعتبار آخر، وذلك أنّ المكلفين منهم كانوا مئة ألف، وإذا ضُمَّ إليهم من بصدد التّكليف كانوا أكثر، ومن هاهنا<sup>(١)</sup> ظهر وجه التّعبير بصيغة التّجدّد دون الثّبات.

وأما على ما قيل: إن المعنى في مرأى النّظر؛ أي: إذا نظر إليهم قال: هم مئة ألف أو أكثر؛ فلا يظهر وجه العدول عن الظّاهر. وقرئ بالواو<sup>(٢)</sup>.

(١٤٨) - ﴿فَتَأْمَنُوا فَمْتَغَتْهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

﴿فَتَأْمَنُوا﴾: فصدّقوه، أو: فجددوا الإيمان بمحضره.

﴿فَمْتَغَتْهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى أجلٍ مسمّى، وقرئ: (حتى حين)<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) في (ف) و(ك): «ومن هنا».

(٢) نسبت لجعفر بن محمد. انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٨٧). ونسبت لأبي بن كعب، ومعاذ

القارئ، وأبي المتوكل، وأبي عمران الجوني. انظر: «زاد المسير» (٣/ ٥٥٣).

(٣) نسبت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه. انظر: «معاني القرآن» للفرّاء (٢/ ٣٩٣).

(١٤٩) - ﴿ فَاسْتَفْتِهِمَ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾.

﴿ فَاسْتَفْتِهِمَ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ معطوف على ﴿ فَاسْتَفْتِهِمَ ﴾ في أول السورة وإن تباعدت بينهما المسافة لأمرٍ ما، أمر رسول الله ﷺ أولاً باستفتاء قريش عن وجه إنكار البعث، وساق<sup>(١)</sup> الكلام جازاً لما يلائمه<sup>(٢)</sup> من القصص موصولاً بعضه ببعض، ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيى، حيث جعلوا الله تعالى الإناث ولأنفسهم الذكور في قولهم: الملائكة بنات الله، مع كراهتهم الشديدة لهن، واستنكافهم من<sup>(٣)</sup> ذكرهن، كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [النحل: ٥٨].

ولقد زادوا بذلك على الشرك ضلالاتٍ أخرى: التجسيم، وتجويز الفناء على الواجب الوجود تعالى شأنه؛ لأن الولادة مخصوصة بالأجسام الكائنة الفاسدة، وتفضيل أنفسهم عليه تعالى حيث جعلوا أوضاع الجنسين له وأرفعهما<sup>(٤)</sup> لأنفسهم، واستهانتهم بالنورانيين المقربين، حيث أنثوهم.

ولذا<sup>(٥)</sup> كرّر الله تعالى إنكار ذلك في كتابه العزيز مرّاتٍ، وبَيَّن فظاعتها في

(١) في (م): «وسياق».

(٢) في (ف) و(م): «جار بما يلائمه»، وفي (ك): «جار لما يلائمه»، وفي (ي): «جاريا بما يلائمه»، وكذا في (ع) لكن سقطت منها: «بما»، والمثبت من «تفسير البيضاوي» (١٩/٥). وعبارة «الكشاف»: (ثم ساق الكلام موصولاً بعضه ببعض).

(٣) في (م): «عن».

(٤) في (ف) و(ك): «أوضع الجنس له وأرفعه».

(٥) في (م) و(ي) و(ع): «ولهذا».

آياتٍ، وجعله ممَّا تكاد السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ، وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ، وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا.

وخصَّ الإنكار هنا بأمرين، هما<sup>(١)</sup> أقرب إلى فهم العامة وأفظع عندهم بمقتضى العادة: التقسيم المذكور، وتأنيث الملائكة، حيث جعل المعادل للاستفهام:

(١٥٠) - ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾.

﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ وإنما خصَّ علم المشاهدة؛ لأنَّ الأنوثة ليست من لوازم ذواتهم حتى يمكن للعقل طريق إلى معرفة ذلك، ولم ينزل به كتاب، فلا طريق إلى علم أمثال ذلك إلا بالمشاهدة، مع ما فيه من الاستهزاء بهم والتسفيه لرايهم، حيث يتَّون به القول كأنهم شاهدوا خلقهم.

والتَّخصيص بتقديم الظرف في ﴿أَلَرَبِّكَ﴾ و﴿وَلَهُمْ﴾، وإيلاؤه حرف الإنكار؛ لزيادة التشنيع وتفضيع قولهم.

\*\*\*

(١٥١) - ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ الإفك: الكلام المصروف من الحق إلى الباطل، والولد فعل بمعنى المفعول، يقع على الواحد والجمع، والمذكَّر والمؤنَّث.

(١) في (ف) و(ك): «متهامهما» بدل «هما».

بَالَعٌ فِي الْإِنْكَارِ بـ (أَلَا) وَ (إِنَّ) وَاللَّامِ وَتَقْدِيمِ ﴿مِنْ إِفْكِهِمْ﴾؛ لظهور استحالته،  
ووضوح حجة التَّوْحِيدِ.

\*\*\*

(١٥٣) - ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾.

﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ استفهامٌ إنكارٍ واستبعادٍ. والاصطفاءُ: أخذُ صفوةِ  
الشيءِ.

وقرئ بكسر الهمزة<sup>(١)</sup>، وجوز أن يكون على الإخبار بإضمار القول، متعلقاً  
بقوله: ﴿لَكَذِبُونَ﴾؛ أي: لكاذبون في قولهم: اصطفى البنات، أو إبداله من قولهم:  
﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾ على أنه من كلام الكفرة، وبدون ذلك تلك القراءة ضعيفة جداً؛ لكون  
هذه الجملة مكتنفةً بالإنكار من جانبها<sup>(٢)</sup>، واقتضاء المقام اختصاصها بزيادة  
الإنكار؛ لأنه بالغ في إنكار الولادة، فاقتضى الحال أن يقول: خصوصاً الإناث،  
فمن جعلها للإثبات أوقعها دخيلةً بين نسيبين<sup>(٣)</sup>، ونثر<sup>(٤)</sup> نظم الكلام.

(١) قرأ أبو جعفر بوصل الهمزة على لفظ الخبر، فيبتدئ بهمزة مكسورة. واختلف عن ورش، فروى  
الأصبهاني عنه كذلك، وهي رواية إسماعيل بن جعفر بن نافع، وروى عنه الأزرق بقطع الهمزة على  
لفظ الاستفهام، وكذلك قرأ الباقون. انظر: «النشر» (٢/ ٣٦٠).

(٢) في النسخ: «من جانبها»، والمثبت من «الكشاف» (٤/ ٦٤)، ويسن الجانبين بقوله: وذلك قوله:  
﴿وَلَيْتَهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ «مَا لَكَ كَيْفَ تَحْكُمُونَ».

(٣) يعني: قوله: ﴿وَلَيْتَهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ إلى قوله: ﴿أَفَلَا نَذْكُرُ﴾ كلام الله تعالى على سبيل الإنكار، فلو  
جعل ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ إخبارياً لكان من كلام الكفار فيختل النظم. انظر: «فتوح  
الغيب» (١٣/ ٢٠٩).

(٤) في (م): «ويزين»، زسقطت من (ف)، والمثبت من باقي النسخ، وقد استدركت في (ك) على =

والجملة الاعتراضية التأكيدية - أعني: وإنهم لكاذبون - تزيدها ضعفاً؛ لأنها مقررة لنفي الولد عن أصله، مؤكدة لذلك، فإذا وجهتها إلى هذه خرجت عن كونها مبيّنة للإفك، وصارت كأنها مجوزة للولادة المذكورة، مُطَرِّقة لصدقهم<sup>(١)</sup> لو قالوا بها، وكذا الالتفات في قوله:

(١٥٤) - ﴿مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

﴿مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾؛ أي: بما لا يرضيه عقل ياباه<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١٥٥) - ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أنه منزّه عن ذلك.

وقرئ: (تذكرون)<sup>(٣)</sup> من ذكر.

والأولى أن يقال: إن تلك القراءة على حذف حرف الاستفهام؛ لوضوح دلالة قرائنه، وشهادة مُعَادِلِهِ في قوله:

(١٥٦) - ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾.

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾: حجة نزلت عليكم<sup>(٤)</sup> من السماء، أو من خبر من

= الهامش وعليها علامة التصحيح.

(١) في (م): «بصدقهم».

(٢) «ياباه» سقط من (ك).

(٣) نسبت لطلحة بن مصرف. انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٨٨).

(٤) «عليكم» سقط من (م).

نبيٌّ بأنَّ الملائكة بنات الله؛ أي: لا يجوّزه عقلٌ، ولا نزل به نقلٌ، فإنَّ كلَّ شيءٍ من ذلك.

\*\*\*

(١٥٧) - ﴿فَأَتُوايَكُنِيكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿فَأَتُوايَكُنِيكُمْ﴾ الذي ينطق بذلك، كقوله تعالى: ﴿أَمْ أُنْزِلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٥].

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم.

وهذه الآيات واردة على سخطٍ عظيمٍ، واستبعادٍ لأقاربهم شديدٍ، وما الأساليب التي وردت عليها والتراكيب التي انتظمت بها إلا ناطقة بتسفيه أحوالهم، وتجهيل نفوسهم، واستركاك عقولهم، مع استهزاء وتهكُّم وتعجيب<sup>(١)</sup> من أن يُخْطَرُ مُخْطَرٌ مثل ذلك على باله<sup>(٢)</sup>، ويحدِّث به نفساً، فضلاً أن يجعله معتقداً، ويتظاهر به مذهباً.

\*\*\*

(١٥٨) - ﴿وَجَعَلُوايَتَهُ، وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾.

﴿وَجَعَلُوايَتَهُ﴾، أي: بين الله تعالى ﴿وَبَيْنَ الْجَنَّةِ﴾ يعني: الملائكة عليهم السلام، ذكرهم باسم الجنس وضعاً لهم، وتقصيراً بهم أن يبلغوا حد المناسبة التي أثبتوها لهم - وإن كانوا في أنفسهم مكرّمين معظّمين - لاقتضاء المقام التّحقير.

(١) في (ف) و(ك): «وتعجب» وسقطت من (ع) و(ي).

(٢) في (م): «بال».

﴿نَسَبًا﴾ وهو زعمهم أنهم بنائه تعالى، والمعنى: وجعلوا بما قالوا نسبةً بين الله تعالى وبينهم، وأثبتوا له بذلك جنسيةً جامعةً له وللملائكة.

والجنة جنسٌ يشمل<sup>(١)</sup> كلَّ مَنْ يُجَنُّ<sup>(٢)</sup> ولا يُؤَنَسُ، لكن مَنْ صفا ذاته وتنوّر ونسك وطهر وكان خيراً كان ملكاً، ومن<sup>(٣)</sup> تكدّر جوهره وأظلم وخبث ومردّ وكان شراً كان شيطاناً.

وقيل: قالوا: إن الله تعالى صاهر الجنّ.

وقيل: قالوا: إن الله تعالى والشيطان أخوان، فعلى هذا لا يتناول اللفظُ الملائكة.

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾؛ أي<sup>(٤)</sup>: الكفرة ﴿لُمُحْضَرُونَ﴾ النار، ومُعَذَّبُونَ بما يقولون.

وإنما نسب العلم إلى الذين ادّعوا لهم تلك النسبة وعظّموهم<sup>(٥)</sup>، ووضع (محضرون) موضع (كاذبون)؛ للمبالغة في التكذيب؛ أي: إنّ الذين فخموهم بهذا النسب وشرفوهم يعلمون أنهم في ذلك كاذبون، مفترون<sup>(٦)</sup> بما يقولون، فيعذبون به.

وقيل: إنّ فُسِّرَتِ ﴿الْجِنَّةُ﴾ بالشیاطين جاز أن يكون الضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾ لهم؛

(١) في (م) و(ع): «يشتمل».

(٢) في (م): «كل يجتن»، وفي (ي): «كل تحت» وفي (ع): «كل من يجتن».

(٣) في (ف) و(ك): «ومتى».

(٤) في (ف) و(ك): «إن».

(٥) في (م): «وعظّموا لهم».

(٦) في (ف) و(ك): «مقرون».

أي: ولقد علمت الشياطين أن الله تعالى يعذبهم ويحضرهم النار، ولو كانوا مناسبين له تعالى لما عذبهم.

وفيه: أن علم الشياطين بذلك غير معلوم لا بشهادة العقل ولا بشهادة النقل، على أن نسبة العلم إليهم قليلة<sup>(١)</sup> الجدوى.

\*\*\*

(١٥٩) - ﴿سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ﴾.

﴿سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ من الولد والنسب.

\*\*\*

(١٦٠) - ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ استثناء منقطع من ﴿الْمُحْضَرِينَ﴾؛ أي: ولكن المخلصين ناجون، أو من واو ﴿يُصِفُونَ﴾؛ أي: ولكن المخلصين برآء من أن يصفوه به. ولا استعظام ذنبهم أوقع التنزيه معترضاً بين الاستثناء والمستثنى منه.

\*\*\*

(١٦١ - ١٦٢) - ﴿فَاتَّكُمُومًا تَعْبُدُونَ﴾ (١٦١) ﴿مَا أَشْرَ عَلَيْهِ بِفَتْنَيْنِ﴾.

﴿فَاتَّكُمُومًا تَعْبُدُونَ﴾ عودٌ إلى خطابهم ﴿مَا أَشْرَ عَلَيْهِ﴾ على الله تعالى ﴿بِفَتْنَيْنِ﴾: مفسدين الناس بالإغواء، يُقال: فتن فلان على فلان امرأته: إذ أفسدها عليه.

(١) في (م) و(ي) و(ع): «قليل».

و﴿أَنْتُمْ﴾ ضمير لهم ولآلهتهم، غَلَبَ فيه المخاطبُ على الغائب، والفاء في ﴿فَإِنَّكُمْ﴾ للسَّببية من الاستثناء؛ أي: إذا كان المخلصون برآءً<sup>(١)</sup> من ذلك فلا تفتنون أنتم وما تعبدون إِلَّا مَنْ هو من أهل النار.

ويجوز أن تكون الواو بمعنى (مع)، و﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ سادُّ مسدَّ الخبر، كقولك: كلُّ رجلٍ وضعته؛ أي: فإنكم مع ما تعبدون، بمعنى: فإنكم قرناؤهم وأصحابهم<sup>(٢)</sup> لا تزالون تعبدونها، ثم قال: ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: على ما تعبدون ﴿يَفْتِنِينَ﴾ يباعثين، أو حاملين<sup>(٣)</sup> على طريق الفتنة والضلال إِلَّا مَنْ هو ضالٌّ مثلكم صالٍ النار، فهو كلامٌ مبتدأ.

\*\*\*

(١٦٣) - ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾.

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾ بكسر اللام؛ أي: لستم تضلُّون<sup>(٤)</sup> أحداً إِلَّا أصحاب النار، الذين سبق في علمه تعالى أنهم بسوء أعمالهم يستوجبون أن يضلُّوها. وقرئ: (صالٌ)<sup>(٥)</sup> بضم اللام<sup>(٦)</sup>، على الجمع والتقاء الساكنين، بمعنى: صالوا، محمولاً على معنى ﴿مَنْ﴾، والتَّوْحِيدُ في ﴿هُوَ﴾ على لفظه، أو على حذف لامه

(١) في (ف): «برؤوا».

(٢) «وأصحابهم» سقط من (ي).

(٣) في (م): «ماثلين».

(٤) في (م): «تفتنون».

(٥) «صال» سقط من (م).

(٦) نسبت للحسن وابن أبي عبيدة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٩).

وإجراء الإعراب على عينه، كما حذفت من قولهم: ما باليتُ به بالةً، وأصله: بالية من بالي، كعافية من عافى، أو على القلب حتى يصير: صائل، ثم يقال: صال، في صائل، كما يقال: شاكٍ، في شائك.

\*\*\*

(١٦٤) - ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾.

﴿وَمَا مِنَّا﴾ أحدٌ ﴿إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾؛ أي: رتبة معلومة عند الله تعالى معيّنة لا يتجاوزها، وهو حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية، ردًا على عبدتهم، والوجه أن يكون هو وما قبله من قوله: ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ﴾ من كلامهم متصلًا بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ﴾، كأنه قال: ولقد علم الملائكة أن المشركين معذبون بذلك، وقالوا: سبحان الله تنزيهاً، ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم، ثم خاطبوا الكفرة بـ [أَنَّ] الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة، ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيه، لا يتجاوزونها<sup>(١)</sup>.

وليس هذا من حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه كما قيل؛ لأن (أحد) المحذوف مبتدأ، و﴿إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ خبره.

\*\*\*

(١) في (ف): «لا يتجاوزهم»، وفي (ك): «فلا يتجاوزهم»، وفي (م): «لا يتجاوزوه ولا يتجاوزوه»، وفي (ع) و(ي): «لا يتجاوزوه». والمثبت من «تفسير البيضاوي» (٢٠/٥)، وما بين معكوفتين منه. وزاد في آخر الكلام: (فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه). فما سيأتي رد عليه.

(١٦٥) - ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ أقدامنا، أو <sup>(١)</sup> أجنحتنا، في <sup>(٢)</sup> أداء الطاعة ومنازل الخدمة.

\*\*\*

(١٦٦) - ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾: المنزهون ربنا عما لا يليقُ بشأنه، والأول إشارة إلى درجاتهم في الطاعة، وهذا في المعارف، وما في (إنَّ) <sup>(٣)</sup>، واللام، وتوسيط الفصل، وتعريف الخبر في جملة آخر كلام الملائكة من التأكيد والاختصاص؛ لأنهم المواظبون على ذلك دائماً من غير فترة دون غيرهم.

\*\*\*

(١٦٧) - ﴿وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾.

﴿وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾ (إن) هي المخففة من الثقلية، واللام هي الفارقة؛ أي: وإنهم كانوا يقولون؛ أي: مشركو <sup>(٤)</sup> قريش:

(١٦٨) - ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ﴾.

﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ﴾؛ أي: كتاباً من كتب الأولين.

\*\*\*

(١) في (ف) و(ك): «و».

(٢) في (ف) و(ك): «من».

(٣) في النسخ: «إنما»، والصواب المثبت. انظر: «روح المعاني» (٢٣/١٩٣).

(٤) في (ف) و(ك): «مشركي».

(١٦٩) - ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾.

﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾: لأخلصنا العبادة لله تعالى، ولَمَّا كَذَّبْنَا وَخَالَفْنَا كَمَا كَذَّبُوا وَخَالَفُوا.

\*\*\*

(١٧٠) - ﴿فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾؛ أي: لَمَّا جَاءَهُم الذِّكْرُ الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ الْأَذْكَارِ وَالْكِتَابُ الَّذِي هُوَ مَعِجَزٌ مِنْ بَيْنِ الْكُتُبِ كَفَرُوا بِهِ.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كفرهم إذا حلَّ بهم الانتقام.

\*\*\*

(١٧١) - ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ لِعِبَادِنَا الْمرْسَلِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ لِعِبَادِنَا الْمرْسَلِينَ﴾؛ أي: حكمنا، أو: وعدنا لهم بالنصرة<sup>(١)</sup> والغلبة، وهو قوله:

(١٧٢) - ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِن جُنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِن جُنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾، وهي باعتبار الغالب والمقتضي بالذات، لا باعتبار كل مرة، وإنَّمَا سُمِّيَتْ (كلمة) وهي كلمات؛ لانظامها في معنى واحد، فهي في حكم كلمة واحدة.

وقري: (كلماتنا)<sup>(٢)</sup>، وقري: (على عبادنا)<sup>(٣)</sup> على تضمين ﴿سَبَقَتْ﴾ معنى: حَقَّتْ.

(١) في (م) و(ي) و(ع): «بالنصر».

(٢) نسبت للضحاك. انظر: «المحرر الوجيز» (٤ / ٤٩٠).

(٣) نسبت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢ / ٣٩٥)، و«تفسير الطبري»

(١٧٤) - ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ﴾: فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ، وَأَغْضِ<sup>(١)</sup> عَلَىٰ أَذَاهُمْ.

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: إِلَىٰ مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ هِيَ الْمَوْعِدُ لِنَصْرِهِمْ<sup>(٢)</sup>، قِيلَ: هُوَ يَوْمُ بَدْرِ، وَقِيلَ: هُوَ يَوْمُ الْفَتْحِ.

\*\*\*

(١٧٥) - ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ عَلَىٰ مَا يَصِيبُهُمْ حِينَئِذٍ مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، وَفِي مَجِيئِهِ عَلَىٰ صِيغَةِ الْأَمْرِ تَنْبِيْهُ عَلَىٰ أَنَّهُ كَائِنٌ لَا مُحَالَةَ، قَرِيبٌ كَأَنَّهُ قَدَّامُكَ. وَفِيهِ تَسْلِيَةٌ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَنْفِيسٌ عَنْهُ.

﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾: يَبْصِرُونَكَ عَلَىٰ مَا يَنَالُكَ مِمَّا قَضَيْنَا لَكَ مِنَ النُّصْرَةِ وَالْغَلْبَةِ. وَ(سَوْفَ) لِلتَّأْكِيدِ فِي الْوَعِيدِ لَا لِلتَّبْعِيدِ.

رَوَى أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ: ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ قَالُوا: مَتَىٰ هَذَا؟ فَنَزَلَ:

(١٧٦ - ١٧٧) - ﴿أَفَعَدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾<sup>(٣)</sup> فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾.

﴿أَفَعَدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾<sup>(٣)</sup> فَإِذَا نَزَلَ: أَيِ: الْعَذَابِ، وَقُرِئَ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ مُسْتَدًّا إِلَى الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ<sup>(٤)</sup>، كَقَوْلِكَ: ذُهِبَ بَزِيدٌ، وَقُرِئَ: (نُزِّلَ) مُشَدَّدًا<sup>(٤)</sup>.

(١) فِي (ف): «وَأَصْبِرْ».

(٢) الصَّوَابُ: لِنَصْرِكَ عَلَيْهِمْ.

(٣) نُسِبَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انْظُرْ: «الْمَحْرَرُ الْوَجِيزُ» (٤/ ٤٩٠)، وَ«الْمَحْتَسَبُ»

(٢/ ٢٢٩).

(٤) انْظُرْ: «الْكَشَافُ» (٤/ ٦٨).

﴿سَاخَنَهُمْ﴾: بِفَنَائِهِمْ.

﴿فَسَاءَ﴾ وقرئ: (فبئس)<sup>(١)</sup>.

﴿صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ﴾: الْمَخْصُوصُ بِالذَّمِّ مَحْذُوفٌ؛ أَي: فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ صَبَاحُهُمْ.

وَاللَّامُ لِلْجِنْسِ لَا قِتْضَاءَ فَعَلَ الذَّمُّ ذَلِكَ.

وَالصَّبَاحُ: الْغَارَةُ، وَلَمَّا كَانَ عَادَةً مَغَاوِيرَهُمْ أَنْ يُغَيِّرُوا صَبَاحاً سُمِّيَتْ الْغَارَةُ بِهِ أَيَّ وَقْتٍ وَقَعَتْ وَلَوْ عِشَاءً.

شَبَّهَهُ<sup>(٢)</sup> بِجَيْشِ هَجَمٍ<sup>(٣)</sup> فَأَنَاخَ بِفَنَائِهِمْ بَغْتَةً، فَهُوَ مِنْ بَابِ التَّمْثِيلِ.

وَقِيلَ: هُوَ نَزُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَيْرَ وَكَانُوا خَارِجِينَ إِلَى مَزَارِعِهِمْ وَمَعَهُمُ الْمَسَاحِيُّ، قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ، وَرَجَعُوا إِلَى حَصْنِهِمْ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبِرُ<sup>(٤)</sup>، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ<sup>(٥)</sup> فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ»<sup>(٦)</sup>.

\*\*\*

(١٧٨) - ﴿وَقَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۖ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾.

(١) نسبت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه. انظر: «الكشاف» (٤/ ٦٨).

(٢) في (م): «شبهت».

(٣) في (م): «بجيش هجمهم»، وفي (ع): «هجيس هجمهم»، وفي (ي): «هجيش هجههم».

(٤) في (م) و(ي) و(ع): «خرب خيبر».

(٥) في (ف) و(ك): «بقوم» بدل «بساحة قوم».

(٦) رواه البخاري (٦١٠)، ومسلم (١٣٦٥)، من حديث أنس رضي الله عنه.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۖ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ في تكريره تأكيدٌ لوقوع الميعاد على تأكيدٍ، وتسليّةٌ بعد تسليّة.

وأطلق الفعلان في الثاني بعد تقييد الفعل الأوّل<sup>(١)</sup> بالمفعول؛ لزيادة المبالغة في عذابهم كما بولغ في نصرته؛ أي: إنّه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيطُ به الوصف من أنواع المسرّة وأصناف المساءة، أو أريد بالأوّل: عذاب الدنيا، وبالثاني: عذاب الآخرة.

\*\*\*

(١٨٠) - ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ عمّا قال المشركون فيه، وإضافة الربّ إلى العزّة لا اختصاصها به؛ إذ لا عزّة إلّا له، ولمن يُعزّه<sup>(٢)</sup>. وقد أدرج فيه جملة صفاته الثبوتية والسلبية مع الإشعار بالتوحيد.

\*\*\*

(١٨١) - ﴿وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ تعميمٌ للرسل بالتسليم بعد<sup>(٣)</sup> تخصيص بعضهم به.

\*\*\*

(١) «الأول» زيادة من (م).

(٢) في (م) و(ي) و(ع): «يعزّه».

(٣) في (م) و(ي) و(ع): «مع».

(١٨٢) - ﴿وَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على ما أفاض عليهم وعلى مَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ النَّعَمِ وحُسن العاقبة<sup>(١)</sup>، ولذلك أخره عن التسليم.

ولمَّا كَانَ مدارُّ الكلام في هذه السُّورة على مقالة المشركين في الله بنسبة الولد والشَّريك إليه تعالى، ومقالة الرُّسل معهم، ومقاساتهم إيَّاهم، وما مُنِحُوا مِنَ التَّأييد والنُّصرة عليهم = ختمها على وَفْقِ ما ضُمَّنَتْ بالتَّنْزِيهِ عَمَّا يصفونه، والتَّسليم على المرسلين<sup>(٢)</sup> بما تحمَّلُوا مِنْ أعباء الرِّسالة وأذى المرسل إليهم، والتَّحْمِيد على ما أنعمَ به عليهم من النُّصرة في العواقب وإعزاز الدِّين وإِعلاء كلمته<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) في (م): «العافية».

(٢) في (م): «الرسل»، وفي (ي) و(ع): «المرسل».

(٣) في (م) زيادة: «والله أعلم بالحقيقة والصواب وإليه المرجع والمآب».

وجاء في خاتمة النسخة (ف): «تم الكتاب بعون الملك الوهاب في صبيحة الاثنين العاشر من شهر

شوال من شهور سنة اثنين وتسعين ومئة، أحسن الله ختامها بمحمد وآله وصحبه».

وجاء في خاتمة النسخة (ع): «والمشهور في تفسير المرحوم لابن كمال الوزير تحريره إلى هنا».

وجاء في النسخة (ي): «وقبل وُضِّحَ عن نسخة المصنف بقدر الوسع والإمكان، ثم نظر فيه».

